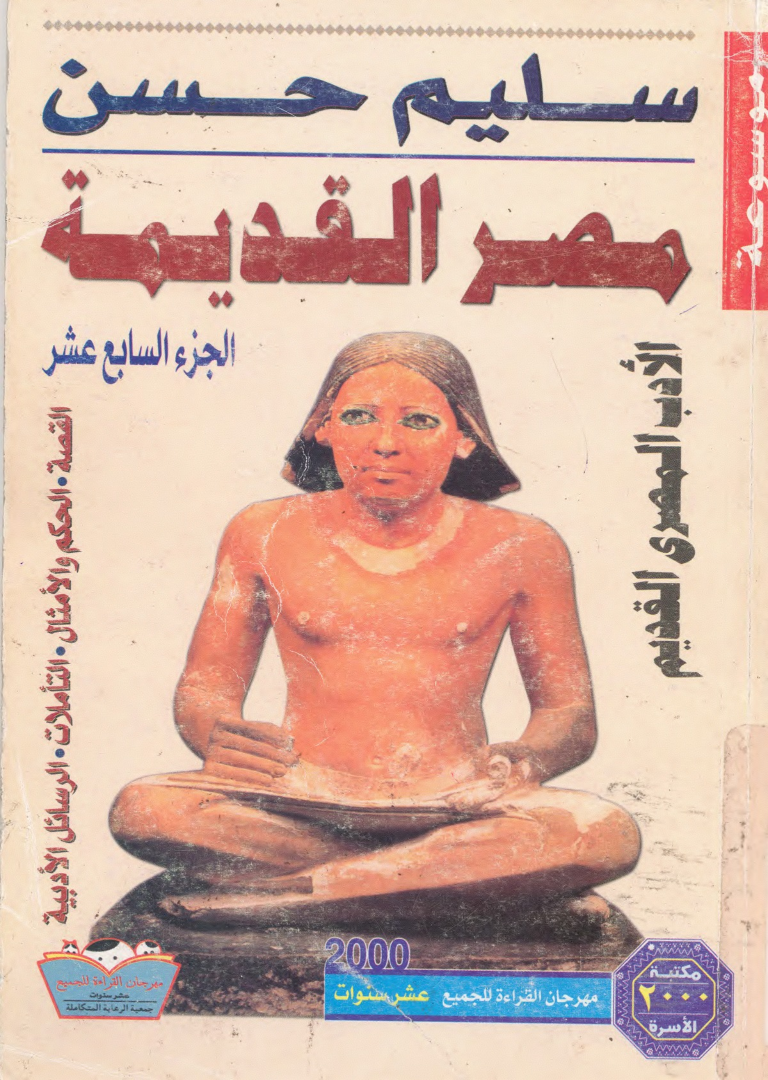

موسوعة
سليم حسن
مصر القديمة
الجزء السابع عشر
الأدب المصري القديم
القصة • الحكم والأمثال • التأملات • الرسائل الأدبية
مهرجان القراءة للجميع
عشر سنوات
جمعية الرعاية المتكاملة
2000
مهرجان القراءة للجميع عشر سنوات
مكتبة
٢٠٠٠
الأسرة

موسوعة مصر القديمة

الأدب المصرى القديم

الجزء السابع عشر

الجزء السابع عشر

صورة الغلاف: الكاتب المصرى

التقنية: حجر جيرى ملون

المقاس: الارتفاع ٥١سم

سقارة، الأسرة الخامسة (٢٤٧٥ ق.م.)، المتحف المصرى

هذا الطراز الجديد من التماثيل لشخصية الكاتب المصرى ظهر فى بدايات الأسرة الخامسة، وهو ينتمى إلى مجموعة المثقفين (النخبة الفكرية الفاعلة). ويتلخص أسلوب التمثال فى الاعتماد على الجلوس حيث يكون الساقان متشابكان على لوح القاعدة، والكاتب يضع ورقة البردى ملفوفة فوق إزاره المشدودة كالوتر بين الركبتين، وقد اتقن المثال طية الأوراق فى مهارة وبراعة فائقتين، أما الرأس فتعلوه باروكة ذات خصلات مسترسلة بأناقة لتصل إلى الأكتاف. ومن الملاحظات الهامة أن الأذرع فى حالة انفصال عن الجسم، مما يعطى التكوين حيوية ونضارة، ونظرة الكاتب تتجه إلي الأمام مع انحرافة بسيطة.

محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الأدب المصرى القديم

الجزء السابع عشر

فى القصة والحكم والأمثال والتأملات والرسائل الأدبية

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

موسوعة مصر القديمة

الأدب المصرى القديم

الجزء السابع عشر

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التى أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» فى مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذى فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذى كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفى مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التى أصدرت فى سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً فى حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

الإهداء

إلى روح الرجل العظيم الدكتور أحمد ماهر باشا

الذى كتب للوطن صفحة مجيدة بدمه الغالى ، أهدى إليه صفحة أخرى كانت مطوية من تراث الوطن العلمى الذى ظلله زمناً برعايته .

وإذا كان رجالات مصر قد تسابقوا إلى تخليد ذكراه بما وعاه وطابهم من مال ونشب ، فحسبي أن أساهم فى هذا الواجب المقدس بتقديم ما وعاه رأسى من عصارة فكرية أرجو أن تكون ناضجة نافعة .

وإلى بنى مصر المعتزين بها على غير إحاطة تامة بقديم مجدها ؛

وإلى من أتاحوا لى فرصة تأليف هذا الكتاب عن غير قصـــد منهم ولا رغبة ؛

وإلى كل من يقدر العلم للعلم ، ويخدم الوطن لوجه الوطن ؛

إلى كل أولئك أهدى هذه الحلقة الثانية فى بناء مجد مصر العلمى .

تقديم

بقلم : مختار السويفى

فى السابع والعشرين من سبتمبر ١٨٢٢م، أرسل «چان فرانسوا شامبليون» خطابه الشهير إلى «الأكاديمية الفرنسية لدراسة النقوش الأثرية والآداب الرفيعة» معلناً فيه أنه توصل إلى فك رموز وحروف «الكتابة الهيروجليفية».. وفى عام ١٨٢٤م أصدر كتاباً بعنوان «الموجز فى قواعد الكتابة الهيروجليفية».

وإذا كان الفضل الأكبر فى هذا المجال يعود إلى شامبليون، فمما لا شك فيه انه قد استعان بجهود من سبقوه من العلماء الذين بذلوا جهودا لا تنكر فى فك رموز الهيروجليفية وطلاسمها. ومن هؤلاء العلماء العالم الإنجليزى «بانكس» الذى استطاع تحديد وقراءة اسم «كليوباترا» المنقوش على المسلة التى اكتشفت عام ١٨١٥م، وكانت نقوشها مكتوبة بالهيروجليفية واليونانية.. والعالم الإنجليزى «الدكتور توماس يانج» الذى درس الهيروجليفية المكتوبة على حجر رشيد واستطاع أن يحدد اسم «بطلميوس» كما قام بتحديد بعض حروف الأبجدية الهيروجليفية.

وفى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وحتى الآن، استمرت وتتابعت

◁ المؤلف فى سطور ▷

- يعتبر الأستاذ الدكتور سليم حسن من أوائل الرواد المصريين الذين أسسوا «علم الآثار المصرية» فى اللغة العربية، والذين جمعوا بين العمل الكشفى بالحفائر الأثرية، إلى جانب ما كتبوه وصنفوه وسجلوه تسجيلاً علمياً عن الآثار التى اكتشفوها، وما ألفوه من كتب مرجعية وبحوث علمية عن تاريخ مصر القديمة من كافة النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية والدينية.
- ولد فى ٨ ابريل ١٨٩٣م فى قرية «ميت ناجى» التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وانتقل إلى رحمة الله فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦١م.
- حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩.. ثم حصل على دبلوم المعلمين، ودبلوم عال فى الآثار المصرية واللغة المصرية القديمة.. وعمل مدرساً فى مدرسة اسيوط الثانوية، ثم فى مدرسة الناصرية بالقاهرة.
- اختارته وزارة المعارف العمومية لوضع كتب التاريخ المقررة على مختلف مراحل التعليم فى المدارس المصرية.
- فى عام ١٩٢١ عين فى وظيفة امين مساعد بالمتحف المصرى بالقاهرة، ثم اوفد إلى بعثة علمية بالنمسا عام ١٩٢٣.
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٤، وفى اثناء إقامته بالنمسا التحق بكلية الدراسات العليا. بجامعة السوربون بباريس.

بحوث علماء الآثار المصرية، من مصريين وأجانب، في دراسة اللغة المصرية القديمة، ووصلت بحوثهم ودراساتهم لتلك اللغة إلى نتائج مبهرة يمكن تلخيصها في ثلاثة محاور رئيسية: فهي أولاً لغة ذات قواعد «أجرومية» ثابتة وملزمة.. وهي ثانيًا لغة مرنة تقبل الصقل والنمو والتطور، فحفلت بالكنايات والاستعارات والتشبيهات المنطقية الجميلة.. وهي ثالثًا لغة غنية مثقفة تصلح للتعبير الأدبي نثراً وشعراً، كما تصلح للتعبير العلمي خصوصًا في مجالات الطب والكيمياء والهندسة والفلك.

ومن الثابت تاريخيا أن المصريين القدماء كانوا يتكلمون بلغة واحدة وإن تباينت لهجاتها، تماماً مثلما تتباين لهجات نطق اللغة العربية بين أهالي المدن والقرى المصرية الحديثة في الوجهين البحري والقبلي، وأهالي الصحراوين الشرقية والغربية.

وأثبتت بحوث ودراسات العلماء أن القواعد «الأجرومية» لتلك اللغة كانت تشتمل على الإسم والفعل، والحرف والظرف، وكانت تفرق بين المذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، والمبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول به، والمضاف والمضاف إليه، فضلاً عن قاعدة تبعية الصفة للموصوف بكافة أحواله اللغوية،

- في عام ١٩٣٥ عين استاذًا لكرسي الآثار بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا).
- قام باكتشاف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد والقطع الأثرية التي القت الأضواء العلمية على تطور النظم الحكومية والإدارية والاجتماعية والعقائد الدينية في عصر الدولة القديمة.
- في عام ١٩٣٦ عين وكيلاً لمصلحة الآثار المصرية فكان أول مصري يشغل هذا المنصب الذي كان مقصورًا من قبل على العلماء الأجانب، الأمر الذي اثار حفيظة بعض هؤلاء العلماء فوقفوا ضده.
- عارض رغبة الملك فاروق في إستعادة مجموعة من القطع الأثرية التي سلمها والده الملك فؤاد لتعرض في المتحف المصري بالقاهرة .. وازدادت بالتالي فرص المؤامرات والتحديات ضد وجوده في المناصب الرسمية المتعلقة بالآثار إلى ان صدر قرار بإحالته إلى المعاش عام ١٩٣٩، وكان عمره آنذاك حوالي ٤٦ عاماً.
- كان هذا القرار فاتحة خير له وللثقافة المصرية ، حيث تفرغ للبحث العلمي والتاريخي، فاصدر موسوعته الرائعة عن تاريخ مصر القديمة في ١٦ جزءًا، وكتابه القيم عن الأدب المصري القديم في جزءين ، كما ترجم كتاب بريستيد «فجر الضمير» واصدر كتابين عن تاريخ اوروبا وتركيا، ومجموعة من البحوث والدراسات الأثرية والتاريخية، وكتاباً بالإنجليزية عن «أبي الهول» قام بترجمته ايضا إلى اللغة العربية، فبلغت اعماله حوالي ٥٠ عملاً بين مقالات وبحوث ودراسات علمية وكتب.
- في عام ١٩٦٠ كرمته «اكاديمية نيويورك» التي تضم اكثر من ١٥٠٠ عالم من ٥٧ دولة، فانتخبته عضوًا فيها بإجماع الأصوات.

كما كانت تشتمل أيضا على الضمائر وأسماء الإشارة الخاصة بالمشار إليه، والأسماء الموصولة، وأدوات الاستفهام ، وحروف الجر، وأسماء الزمان والمكان، وحروف العطف.

وبالإضافة إلى كل هذه القواعد، فقد كانت لغة راسخة، وتتطور باستمرار لتتناسب مع التطورات الحضارية التى طرأت تباعًا على الشعب المصرى والدولة المصرية فى العصور المتعاقبة والمتتالية من التاريخ المصرى القديم.

ومن المعروف تاريخيا أن اللغة المصرية القديمة [بأنواع وطرق كتابتها بالخطوط الهيروجليفية والهيراطيقية والديموطيقية] قد مالت شمسها إلى المغيب والاختفاء ابتداء من القرن الثانى الميلادى وماتلاه، حيث أصبحت تكتب بالحروف الأبجدية اليونانية، ثم بهذه الحروف مع إضافة بعض الرموز والعلامات المنقولة من الخطوط المصرية القديمة، وهى طريقة كتابة اللغة «القبطية».. إلى أن حلت فى النهاية اللغة «العربية» بطرق كتابتها المعروفة، وذلك فى أعقاب الفتح العربى لمصر فى القرن السابع الميلادى.

والرأى الراجح الآ ن بين علماء «فقه اللغة المقارن» أن المصريين القدماء كانوا الرواد الأوائل فى اختراع «فن الكتابة والتدوين» منذ عصر ما قبل الأسرات.. وعندما استطاع الملك «مينا» توحيد الوجهين البحرى والقبلى وأسس الأسرة الملكية الأولى لحكم الدولةى [حوالى عام ٣٢٠٠ق.م] كانت الكتابة قد أصبحت وسيلة المصريين لتدوين تاريخهم وأحوال حياتهم. وبذلك أصبحت «الكتابة» هى الحد الفاصل بين العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ.

ويقول هؤلاء العلماء إن اختراع المصريين القدماء لفن الكتابة باعتبارها وسيلة لتسجيل اللغة المنطوقة، أدى إلى عبور الحضارة الانسانية إلى عالم النور والتدوين، كبديل للمشافهة التى قد تؤدى إلى النسيان بتوالى السنين.

وعلى أية حال فمنذ أن توصل العلماء إلى معرفة كيفية قراءة كلمات ونصوص اللغة المصرية القديمة، تفتحت أمام المؤرخين وعلماء الآثار صفحات التاريخ والحضارة المصرية المدونة على جدران المعابد والمقابر والمسلات والنصب التذكارية وقواعد التماثيل وأوراق البردى، والمكتوبة فى بعض الأحيان على كسرات «شقف» المصنوعة من الفخار أو من قطع الحجر الجيرى ذات الأوجه المشطوفة الصالحة للكتابة عليها.

●●●

وبصرف النظر عما تمت معرفته من معالم التاريخ المصرى القديم، فقد فوجئ المؤرخون وعلماء الآثار المصرية بظهور حجم هائل من الدلائل والوثائق على وجود أقدم وأرقى الأعمال الأدبية التى ظهرت فى تاريخ الانسان على كوكب الأرض.

وبالرغم من أ ن معظم هذه الأعمال الأدبية المصرية القديمة قد ترجمت إلى اللغات الحية وفهمت معانيها ومضامينها، إلا أن نسبة كبيرة من هذه الأعمال لم تترجم حتى الآن، كما أن الأرض المصرية مازالت تحتضن أعمالاً أدبية مازالت دفينة فى آثار لم تكتشف بعد.. ويشير العديد من المؤرخين إلى أن هناك بالتأكيد أعمالاً أدبية مصرية قديمة قد دمرت وضاعت آثارها عبر عصور الغزوات الهمجية التى احتلت الأرض المصرية، بالإضافة إلى ما تم تدميره من آثار أدبية على أيدى من كانوا يعتبرون مصر القديمة دولة وثنية.

ومع ذلك فإن ماتم اكتشافه حتى الآن يدل دلالة قاطعة على وجود أدب مصرى قديم له خصائص ومناهج وفنون وأساليب ميزته بشخصية متفردة كان لها آثار لاتخفى على معظم آداب العالم القديم التى ظهرت فى الحضارات القديمة التى توالى ظهورها مثل الآداب السومرية والبابلية والعبرية والإغريقية والرومانية والعربية والآداب الكلاسيكية فى العصور الوسطى الأوربية، بل وفى بعض الأعمال الأدبية العالمية فى العصر الحديث.

●●●

ويميل معظم المؤرخين والعلماء الذين درسوا الأدب المصرى القديم دراسة علميه أكاديمية إلى تقسيم تاريخ هذا الأدب إلى عصرين هما:

أولاً: العصر القديم:

ويبدأ هذا العصر ببداية التاريخ المصرى منذ عصر الأسرة الأولى [سنة ٣٢٠٠ ق م] .. ويتضمن العصر العتيق، وعصر الدولة القديمة، وعصر الاضمحلال الأول، وينتهى بنهاية عصر الدولة الوسطى [سنة ١٧٩٠ ق م] أى انه استمر نحو ١٤٠٠ سنة.

ويتميز العصر القديم للأدب المصرى بالتمسك بالقواعد اللغوية، وشيوع المحسنات اللفظية، وزخرفة الجمل والكلمات، وكثرة التشبيهات التى لا تخلو من الجمال والمنطق.. ويشبه الدكتور سليم حسن لغة الأدب المصرى فى ذلك العصر القديم بالتطور الذى حدث للغة العربية فى «العصر العباسى الثانى» حين انتشرت طريقة «ابن العميد» و «القاضى الفاضل» مع حرص الأدباء المصريين القدماء على جمال ودقة «الموضوع» وحرصهم فى الوقت نفسه على جمال وعذوبة «الشكل أو الأسلوب».

ومن أشهر الانتاجات الأدبية التى تميز بها هذا العصر القديم للأدب المصرى ما تناوله هذا الأدب من موضوعات عن الحكمة، والتأملات، والتعاليم الأخلاقية، والتعاليم المدرسية،

الأمثال، وأدب الرحلات، والقصص، والقصائد الشعرية من أناشيد ملكية ودينية، إلى جانب الأغانى والقصائد الغزلية، هذا طبعاً بالإضافة إلى العديد من انتاجات الأدب الدينى المتمثل فى متون الأهرام وغيرها من النصوص الدينية.

ثانياً: العصر الحديث:

ومنذ بداية عصر الدولة الحديثة [حوالى عام ١٥٨٠ ق م] قل استعمال الأساليب الرفيعة واللغة الفنية العالية، وبدأ الأدباء المصريون فى الانطلاق بالتعبير اللغوى بطلاقة تقترب كثيراً من اللغة العامية أو اللهجة الشعبية .. بل وبدأوا يكتبون الشعر باللغة العامية أو بلغة سلسة سهلة يفهمها المثقفون كما يفهمها العوام.

وإلى جانب هذه البساطة فى التعبير، ابتكر الأدباء المصريون أساليب مستحدثة تتميز بالصفاء والوضوح، كما أكثروا من استعمال الكلمات والمصطلحات الأجنبية، سواء على سبيل التظرف، أو لإظهار مدى تمكنهم من التعبير عن الموضوع المطروح بخلفية ثقافية واسعة.

وقد تناول الأدباء المصريون القدماء فى هذا العصر نفس الموضوعات الأدبية التى تناولها أدباء العصر القديم السابق، كما أضافوا إليها موضوعات وأساليب مبتكرة جديدة مثل: الحواريات والدراما المسرحية ورسائل المساجلات الأدبية.

وبالنظر إلى انتشار التعليم فى تلك الحقبة من التاريخ المصرى القديم، فقد انتشر نوع من الانتاج الأدبى هو «أدب الرسائل»... ولحسن الحظ فقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من تلك الرسائل، أتاحت لكثير من المؤرخين وعلماء المصريات أن يقوموا بدراستها دراسة علمية أكاديمية، وأشهر من قام بهذه الدراسات من المؤرخين والعلماء الأجانب: بريستيد، وجاردنر، وجريفيث، وتشيرنى، وجونسون، ودى مورجان، وإيرمان، وسميثرز وغيرهم.

وتناولت دراسات هؤلاء العلماء: كيفيية تحرير وتدوين تلك الرسائل، وكيفية ذكر العنوان والصيغة الافتتاحية، والديباجة فى الصيغ العامة، وكيفية الانتقال من فقرة إلى أخرى، وكيفية ختام الرسائل والإشارة إلى تاريخ تحريرها .. الخ.

أما نماذج الرسائل التى كانت محل تلك الدراسات فتكاد تنحصر فى الرسائل التى تتناول الحث على التعلم والحياة المدرسية، والخطابات الانشائية، ورسائل تتناول وصف المدن

القديمة والحديثة فى مصر وخارجها، خصوصاً المدن التى كانت تقع فى نطاق النفوذ المصرى فى عصر الامبراطورية [خلال عصر الأسرتين ١٨، ١٩] ورسائل رسمية عن موضوعات تتناول نظام الحكم والأوامر الملكية أو أوامر قادة الدولة والوزراء وحكام الأقاليم، وكذا رسائل الالتماسات والتهانى، بالاضافة إلى دراسات مستفيضة عن رسائل المساجلات الأدبية بما فيها من أساليب المناقشات الحادة و«الهجاء» الشديد الذى يدخل فى تصنيف الأدب الساخر.

●●●

وإذا انتقلنا إلى الدراسات العلمية التى أجريت للتراث الهائل من الأعمال الأدبية والفكرية التى تركها المصريون القدماء، فسوف نجد أنفسنا أمام موقف يدعو إلى الفخر والفرح كما يدعو إلى الحزن والشجن فى نفس الوقت.. فمنذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر وحتى الآن واظب المؤرخون والدارسون وعلماء المصريات«الأجانب» على إصدار مئات من الكتب والمراجع والمقالات والدراسات الأكاديمية المقدمة للحصول على الدرجات العلمية العالية.. فندوا فيها كل ما تم العثور عليه من الأعمال الأدبية التى أبدعها المصريون القدماء، وقاموا بتصنيف الأنواع التى تتشكل منها هذه الإبداعات، وربطواهذه الدراسات بما كان يجرى فى المجتمع المصرى القديم من أحداث داخلية كانت تميز حقب التاريخ المصرى سواء فى حالات الرخاء الاقتصادى والاستقرار الاجتماعى، أو فى حالات الفوضى التى كان يسود فيها الظلم والظلام، والتى كانت تؤدى إلى تقويض التوازن الاجتماعى لطبقات الشعب المصرى القديم وانعكاس أثر هذا التقويض على الانتاج الأدبى من حكم وأمثال وقصص..الخ.

كذلك فقد تناولت دراسات هؤلاء العلماء الأجانب كيفية تأثر الأعمال الأدبية المصرية القديمة بالحضارات الأخرى التى كانت معاصرة للحضارة المصرية من حقب التاريخ المختلفة بسبب احتكاك المصريين القدماء بتلك الحضارات، وبسبب البعثات التجارية التى كانت ترسلها مصر إلى خارج حدودها، أو بسبب الغزوات الفتوحات التى قامت بها الجيوش المصرية للمناطق المجاورة لحدودها والمناطق البعيدة عن هذه الحدود، وبسبب الأنشطة والعلاقات الدبلوماسية التى قامت بين الدولة المصرية والدول الأجنبية الأخرى. أما الموقف المؤسف الذى يثير الحزن والشجن، فهو ندرة الدراسات والمؤلفات التى تناولت الأدب المصرى القديم والتى قام بها عدد من المؤرخين والكُتّاب وعلماء الآثار المصريين لا يتجاوز

عدد أصابع اليدين.. فقد أصدر بعضهم كتباً صغيرة قليلة الصفحات، وترجم آخرون كتباً لعلماء أجانب، كما قام البعض الآخر بنشر مقالات أو دراسات فى بعض المجلات والدوريات المتخصصة.. وعلى سبيل حصر أسماء هؤلاء العلماء المصريين نذكر منهم الدكتور ثروت عكاشة، والدكتور عبدالمنعم أبوبكر، والدكتور عبد العزيز صالح، والدكتور أحمد فخرى، والدكتور أحمد عبدالحميد يوسف، والدكتور محمد إبراهيم بكر، والدكتورة هدى وصفى، والأستاذ لويس بقطر، وكاتب هذه السطور.

ولا نغفل فى هذا الحصر ذلك الجهد العظيم الذى بذله الأستاذ الدكتور سليم حسن فى تأليف وإصدار هذين الجزءين من كتابه القيم «الأدب المصرى القديم - أو: أدب الفراعنة».. حيث يعتبر هذا الكتاب أضخم وأدق الكتب التى أبدعها المؤلفون المصريون وأرفعها شأناً وأعظمها قيمة من الناحية العلمية والأكاديمية، ومن ناحية قدرة المؤلف الهائلة على التصنيف والتحليل بأستاذية غير مسبوقة ولا ملحوقة.. وذلك بالرغم من تحفظى الخاص على العنوان الملحق بالعنوان الرئيسى لهذا الكتاب وهو «الأدب المصرى القديم - أو: أدب الفراعنة».. ففى رأيى أن المدلول والمعنى الحقيقى لكلمة «فراعنة» هو «الملوك الذين حكموا مصر القديمة»..وبطبيعة الحال فإن هؤلاء الملوك لم يكتبوا أدباً حتى ينسب إليهم، ولكن جميع الأعمال التى تدخل فى نطاق الأدب المصرى القديم كانت من انتاج أبناء الشعب المصرى من الكُتّاب والحُكماء والمثقفين.

ومن المعروف أن أصل كلمة «فرعون» فى اللغة المصرية القديمة هو «بر - عو» ومعناها الحرفى هو «البيت العظيم». والمقصود بالطبع هو القصر الذى يعيش فيه الملك الذى يحكم البلاد.. وقد استعمل هذا المسمى بهذا المعنى فى خلال الدولتين القديمة والوسطى، ثم أطلق هذا التعبير - فيما بعد - كناية على الملك نفسه، تماماً مثلما كان السلطان العثمانى يطلق عليه تعبير «الباب العالى».

وبناء على ذلك فمن الخطأ أن نقول «الأدب الفرعونى» أو نقول «الفن الفرعونى» أو «العمارة الفرعونية».. ويجب أن نقول «الأدب المصرى القديم» أو «الفن المصرى القديم» أو «العمارة المصرية القديمة» وهكذا.

●●●

أصدر الأستاذ الدكتور سليم حسن كتابه القيم هذا عام ١٩٤٥م فى جزءين منفصلين متتابعين، كانا من أوائل الكتب والبحوث المرجعية التى تناولت «الأدب المصرى القديم» بهذا القدر العظيم المتمكن من التحليل والتفصيل، طبقاً لمنهج مبتكر فى البحث يبدأ بملخص

للموضوع الأدبى وتاريخ كتابته، ويُثنى بدراسته دراسة علمية، ثم يذكر متن هذا الموضوع بنصه الأصلى مترجماً إلى اللغة العربية، وفى نهاية هذا المنهج يذكر المصادر التاريخية والأثرية التى استقى منها هذا الموضوع.

ويتناول الجزء الأول من هذا الكتاب الانتاج الأدبى المصرى القديم فى مجالات «القصص والحكم والتأملات والرسائل» مع مقدمة موجزة عن التاريخ المصرى فى عصر الدولة القديمة والعصر الإهناسى وعصور الدولة الوسطى والهكسوس والدولة الحديثة.. ثم أردف هذا الموجز فى التاريخ بموجز آخر عن الأدب والكتابة فى مصر القديمة وكيفية تطور هذا الأدب عبر العصور التاريخية، ودراسة عن الكُتّاب والمثقفين القدماء وعن المغنين والقصصين وأوزان الشعر المصرى القديم.

وفى الفصل الخاص بالقصص المصرية القديمة عرض لنا الدكتور سليم حسن ١٨ قصة، «هى القصص التى اكتشفت وتُرجمت حتى زمن صدور كتابه عام ١٩٤٥.. علماً بأن هناك قصصاً أخرى قد اكتشفت وتُرجمت منذ ذلك الحين وحتى الآن، وبطبيعة الحال فلم يرد ذكرها فى هذا الكتاب.. وفى رأيى الخاص أرى أن بعض هذه القصص يمكن تصنيفها ضمن «قصص الخيال العلمى» التى عُرفت فى الآداب الحديثة.. وعلى سبيل المثال قصة «زيارة النعيم والجحيم فى العالم الآخر» فمن المؤكد أنها انعكست فى «رسالة الغفران» التى كتبها «أبو العلاء المعرى» (٩٧٣ - ١٠٥٧م) والتى تأثر بها «دانتى الليجيرى» (١٢٦٥ - ١٣٢١م) عندما كتب «الكوميديا الإلهية».

وكذلك قصة «ذات الحذاء الأحمر» قد انعكست هى الأخرى فى قصة «سندريللا» المعروفة فى الأدب العالمى الحديث.. وكذلك قصة «الملاح الغريق» الذى عاش فى جزيرة مهجورة وحصل فى النهاية على كنز ثمين قد انعكست فى عملين أدبيين عالميين شهيرين هما «قصة جزيرة الكنز» التى كتبها «روبرت لويس ستيفنسون»، وقصة «روبنسون كروزو» التى كتبها «دانييل ديفو».

أما الفصل الخاص «بالحكم والتعاليم والتأملات» فقد عرض لنا الدكتور سليم حسن فيه أعظم ماأبدعه الحكماء المصريون القدماء من حكم تتناول السلوكيات الأخلاقية الرفيعة وأسس العدالة وحق الإنسان فى الحياة الكريمة فى وطنه وواجبات الحاكم نحو المحكومين.

ومن أمتع ماورد فى هذا الفصل تلك الدراسة المقارنة الممتعة عن تعاليم الحكيم المصرى القديم «أمنموبى» التى نقلها الذين كتبوا «سفر الأمثال» كما ورد فى التوراة.. فقد نقلوا مضمون تلك التعاليم إلى هذا السفر سطراً بسطر وبكلمات متطابقة وأسلوب متشابه.

مما يجب الإشارة إليه أن تلك التعاليم المصرية قد كتبت شعراً طبقا للصيغ والأوزان التى كانت شائعة فى الشعر المصرى القديم.

وينتهى الجزء الأول من كتاب «الأدب المصرى القديم» بفصل خاص عن الرسائل والمساجلات الأدبية، وهى رسائل تثير الدهشة لما فيها من الأساليب المبتكرة والدقة الموضوعية فى اختيار المضمون الخاص بكل رسالة.

●●●

أما الكتاب الثانى الذى يتضمن الجزء الثانى من « الأدب المصرى القديم» فقد خصصه الدكتور سليم حسن لدراسة التراث العظيم الذى تركه قدماء المصريين من أعمال أدبية تتناول فنون «الدراما» و «الشعر».

وقد تم اكتشاف الوثائق والأدلة الأثرية التى تؤكد ممارسة المصريين القدماء لهذه الفنون وأبدعوا فيها هذه النماذج الأدبية والفنية التى بلغت مستوى رفيعاً غير مسبوق فى جميع الحضارات القديمة التى صنعها الانسان على وجه الأرض.

لذلك فلم يكن من الغريب أن يندهش المؤرخون وعلماء الآثار ورجال الأدب فى جميع أنحاء العالم الحديث حين علموا بهذه الاكتشافات الأثرية التى تؤكد على وجه اليقين أن «الدراما» المصرية القديمة قد ظهرت فى عالم الوجود قبل الدراما اليونانية بنوعيها «التراجيديا والكوميديا» بنحو ثلاثة آلاف سنة، وكذلك حين تبين أن هذه الدراما المصرية التى نشأت وتزعرعت فى التربة المصرية كانت أكثر نضجاً من البدايات الأولى للدراما اليونانية.. ويتضمن هذا الجزء من كتاب الدكتور سليم حسن دراسة تحليلية وموثقة لدلائل هذا الاستنتاج، مما يجعلنا نكتفى بالإشارة إلى تلك الدراسة دون الدخول فى تفاصيلها.

أما بالنسبة لتاريخ الأعمال الدرامية فى مصر القديمة فقد استنتج بعض العلماء الأجانب رجوعه إلى عصر ما قبل التاريخ وما قبل الأسرات، وذلك نتيجة للعثور على وثيقة كتبت فى بداية عصر الأسرة الأولى (عام ٣٢٠٠ق م) والعثور على نسخة أخرى من تلك الوثيقة منقوشة على حجر أسود معروض الآن فى المتحف البريطانى بلندن.

وقد أجمع العلماء الأجانب ومنهم العالمان «زيته» و «إيرمان» على أن هذه الوثيقة عبارة عن «مسرحية» بمعنى الكلمة، تتضمن حواراً يتبادله مجموعة من آلهة المصريين القدماء يدور حول «خلق العالم» وتفسير «أصل الأشياء». ومن الغريب أن نص هذه المسرحية يتضمن مجموعة من «التعليمات» الفنية المسرحية شديدة الشبه بما يكتبه مؤلفو المسرحيات

فى العصر الحديث.. كما يتضمن «مونولوجا» كان من المفترض أن يلقيه الكاهن الذى كان يقوم بدور «الراوى» والمفسر لأحداث المسرحية.

وبالإضافة إلى هذه الوثيقة الدرامية التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد، عثر عالم الآثار «كويبل» أثناء الحفائر الأثرية التى كان يقوم بها فى منطقة معبد «الرمسيوم» بغرب الأقصر فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، على صندوق كان يحتوى مجموعة من أوراق البردى دونت عليها نصوص تمثيلية ذات طابع احتفالى دينى خاص بتتويج الملك «سنوسوت الأول» بعد وفاة والده الملك «أمنمحات الأول» (عصر الأسرة الثانية عشرة فى الدولة الوسطى).. ومعنى ذلك أن هذا النص يرجع تاريخ تدوينه إلى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد، ويقول بعض المؤرخين إن «أصول» هذا النص ترجع إلى عصور سابقة يعود تاريخها إلى الزمن الذى نشأت فيه الملكية فى مصر فى بداية عصر الأسرة الأولى.

وتقع أحداث هذه التمثيلية الدرامية فى ستة وأربعين منظراً ومشهداً.. ويقوم بالأداء التمثيلى مجموعة من الكهنة والموظفين وأفراد من الأسرة المالكة، كما تظهر أثناء الأداء التمثيلى مجموعة من الحيوانات كالثيران والماعز، كما تستخدم الديكورات وبعض «الاكسسوارات» مثل الأعمدة المقدسة والأشجار والنباتات والخبز والحلى والجعة.

وقد أصطلح المؤرخون وعلماء الآثار المصرية على تسمية هذه الوثيقة باسم «بردية الرمسيوم المسرحية» كما قام هؤلاء العلماء بشرح وتحليل النصوص والجمل الحوارية فى ضوء المفاهيم العامة للأساطير والعقائد الدينية التى كانت سائدة فى مصر القديمة.

وعلى أحد جدران معبد «إدفو» بصعيد مصر، وهو المعبد الذى أقيم لتكريس عبادة الإله «حورس» نقش نص من الأدب التمثيلى، أطلق عليه المؤرخون اسم «دراما انتصار حورس على أعدائه».. ويعتبر هذا النص من أحسن وأكمل نصوص الأدب التمثيلى فى مصر القديمة، حيث وصل إلينا بحالة سليمة وجيدة.

وبتحليل هذا النص نلاحظ على الفور أنه عبارة عن رؤية درامية «مختصرة» لنص درامى أكبر حجماً وأكثر تفصيلا.. وقد يكون السبب فى هذا الاختصار هو ضيق المساحة الجدارية التى نقش عليها النص بما يحتويه من جمل حوارية ومناظر تصور المشتركين فى الأداء التمثيلى من آلهة وبشر وحيوانات.. ومع ذلك فمن الواضح أن كاتب هذا النص المختصر قد قسمه إلى خمسة أجزاء عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.. وتدور أحداث هذه الدراما حول الصراع الذى نشب بين «حورس» وأعوانه من جهة، وبين عمه

«ست» وأعوانه من جهة أخرى، إلى أن انتصر «حورس» الذى يمثل الخير والحق والعدل، على «ست» الذى يمثل الشر والظلم والاغتصاب.

وبالرغم من أن معبد إدفو قد بنى فى العصر البطلمى الذى يرجع تاريخه إلى القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، إلا أن بعض المؤرخين الذين قاموا بترجمة وشرح وتحليل النص الدرامى المنقوش على جدرانه يؤكدون أن بعض هذا النص مأخوذ عن نص درامى قديم يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الثالثة فى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد.

ومن الطريف أن أذكرهنا ماكتبه هيرودوت فى كتابه عن مصر من أنه شاهد مسرحية الصراع بين حورس وست بمشاهدها السرية والعلنية، وشاهد معارك الصراع الذى احتدم بين أنصار كل من حورس وست، واعتقد انه كان صراعاً حقيقياً وعنيفاً سقط فيه الكثيرون بين قتلى وجرحى، لولا أن المصريين أكدوا له أن هذا الصراع كان تمثيلا متقناً!

وإلى جانب هذه الأعمال الدرامية المصرية القديمة التى كان أبطالها من الآلهة والملوك، فقد أبدع المصريون القدماء أعمالاً درامية أخرى أبطالها من البشر العاديين، كما كانوا أول من كتبوا «المونودراما».

●●●

ويتضمن الجزء الثانى من كتاب «الأدب المصرى القديم» دراسة متوسعة وشاملة عن فنون وأساليب الشعر فى مصر القديمة بدءاً من «الشعر الدينى» ونماذجه المتمثلة فى «متون الأهرام» والأناشيد التى كانت ترتل فى معابد الآلهة.. والأناشيد البديعة التى ألفها اخناتون فى عبادة الإله الواحد.

كما تتناول هذه الدراسة أيضا مجموعة من النماذج الرائعة لأشعار الحب والغزل العفيف.. ومجموعة من قصائد الشعر السياسى فى مدح الملوك وتمجيد إنتصاراتهم وسياستهم وأعمالهم المبهرة.

ويختتم هذا الجزء بعرض شيق لأشعار الأغانى الشعبية التى كانت تنشد فى الولائم والاحتفالات العامة والخاصة والأغانى التى ينشدها العمال والفلاحون أثناء قيامهم بالأعمال التى يمارسونها كأغانى الرعاة وصيادى الأسماك والخدم الذين يحملون المحفات وأغانى الفلاحين حين يحرثون الأرض وحين يدرسون سنابل القمح فى الأجران... الخ.

● وختاماً نشير إلى أن كتاب «الأدب المصرى القديم» بجزئية اللذين أصدرهما الدكتور سليم حسن منذ أكثر من نصف قرن، يعتبر بكافة المعايير العلمية أفضل ما كتب باللغة

العربية فى تاريخ هذا الأدب العظيم الذى يعتبر بدوره أقدم وأعظم انطلاقة لوعى وعقل ووجدان الانسان حين بدأ حضاراته الأولى على وجه الأرض.. كما يعتبر هذا الكتاب أيضا الأدب الشرعى لجميع الكتب والدراسات والبحوث التى كتبها المؤرخون وعلماء الآثار المصريون فى هذا المجال.

مختار السويفى

عضو اللجنة الدائمة للآثار بالمجلس الأعلى للآثار

وعضو لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة

تمهيد

فى عام ١٩٢٥ وجدت فى يدى مؤلفاً نفيساً فذاً فى بابه فى الأدب المصرى القديم ، ألفه الأستاذ « إرمان » شيخ علماء اللغة المصرية القديمة ، وكنت أقرأ الكتاب فى لذة وشغف ، وأعطيه مزيداً من وقتى وعنايتى ، فاقتنعت بأنه كتاب مفيد ، منقطع القرين فى بابه ، ووثبت إلى ذهنى إذ ذاك فكرة ترجمته حتى أشرك معى أبناء مصر فى فهم أدبهم المصرى القديم وتدوقه ، بعد أن قُدر له النشور مرة أخرى .

ولقد أخذت هذه الفكرة تخط مجراها فى خاطرى ، وتتشبع بها روحى ، حتى استقرت واحتلت مكانها ؛ فاصطحبت معى هذا الكتاب سنة ١٩٣١ ، وسافرت إلى أوربة ، واخترت بلدة « لوجانو » الهادئة بـ « سويسرا » مكاناً أستعين فيه بسحر الطبيعة ومفاتنها على إتمام ما قصدت إليه . ولقد أتممت ترجمة معظم الكتاب حينئذ ، ولكن كثرة الأعمال حالت دون طبعه وإظهاره ، فبقى هادئاً فى مضجعه ، قانعاً بركن صغير من مكتبتى ، حتى أتى عام ١٩٤٠ ، فأخذت أوقظه مرة أخرى ، وأنشره مرة وأطويه مرة ، فأوحى ذلك إلىّ بفكرة جديدة ، فلم تعد ترجمة الكتاب وحدها ترضينى ، ولا التعليق عليها يطفئ رغبتى ، بعد أن مضى عليها ذلك الزمن الطويل ، وبعد أن مرت أحداث وجدّت كشوف غيرت بعض الحقائق القديمة بل قلبت بعضها رأساً على عقب ، وبعد أن ظهرت مؤلفات لعلماء الآثار ذللوا فيها بعض عقبات اللغة المصرية القديمة ، ووضحوا كثيراً من معالمها ؛ فعقدت النية على الكتابة فى الأدب

المصرى القديم ، ومعالجة موضوعه على ضوء الأسس العلمية الحديثة ، وتتبع كل لون من ألوانه ، وإظهار خصائصه ومميزاته فى العصـــور القديمة التى حصرت بحثى فى دائرتها ؛ وزادنى اقتناعا أن كتاب الأستاذ « ماكس پيبر » الذى وضعه عام ١٩٢٧ فى هذا الموضوع كان مقتضباً بسيطاً تنقصـه النماذج الكثيرة التى هى مادة تاريخ الأدب وروحه ، وأن كتاب الأستاذ « إرمان » السابق الذكر لم يكن إلا مختارات معروضة خالية من البحث والدرس والموازنة والنتيجة ، هذا فضلا عما ينقصه من البحوث الجديدة التى غيرت وجه الأدب المصرى ، وحتمت النظر إليه على ضوء جديد .

والباحث فى الأدب المصرى القديم يعانى من التعب وكدّ الذهن والحيرة ما لا يعانيه باحث فى لغة من اللغات الحديثة فى أى عصر من عصورها ؛ فإنك إذا أردت أن تحدث عن تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى مثلا جمعت ما وعته الكتب والحافظة من نماذج الأدب المختلفة ، وأحطت بشئون العرب السياسيه والاجتماعية والإقليمية فى هذا العصر ، ثم سلطت على هذه العناصر شعاعات فكرك فاستخلصت منها أصولا وأحكاما صادقة تسوقها للناس قاطعاً بها ، أو على الأقل مقتنعاً تمام الاقتناع بصحتها ، وعندك الشواهد والأمثلة التى لا شك فى معانيها أو مراميها ، تقدمها بين يدى بحثك فتعزز بها رأيك ، وتخرج بالنتيجة التى وصلت إليها عن عقيدة واقتناع . أما إذا تحدثت عن الأدب المصرى القديم وجدت نماذج ناقصة أو مبتورة أو مشوهة ، وكلمات غامضة الدلالة ، وأساليب تدل على معانٍ قد دثرت مع عادات للقوم لا تعرفها (مما جعلنا نضطر إلى الإكثار من الهوامش) ، وجملا مرصوصة فقدت كثيراً من الروابط والصلات ، وحروفاً ساكنة لا نستطيع بها أن نميز مواقع

الكلمات الإعرابية إلا من سياق الكلام أو أخذاً بغالب الظن ولا نستطيع بها كذلك أن ننطق بالأعلام نطقاً صحيحاً يطابق الوضع الأصلي لها، ولذلك اختلف العلماء في ضبطها، اللهم إلا ما وصلنا منها عن طريق الإغريق مثل « إزيس » و « نفتيس ». كل هذه العوائق تتعب الباحث، ولكنه يستطيع بشيء من الصبر والأناة أن يصل إلى حقائق محترمة عن هذا الأدب قد تكون نواة صالحة إلى آراء مقطوع بصحتها فيه .

ومما يدل على وعورة الطريق أن كثيراً من علماء الآثار النابهين قد اختلفوا اختلافاً بيناً في تراجمهم لآثار القوم الأدبية، ولكن الشقة بينهم أخذت تقترب في السنين الأخيرة بعض الشيء .

ولقد اضطررنا في بعض الأحيان، عندما تصادفنا جمل متبلبلة مضطربة، أن نتركها بدون ترجمة، أو نترجمها ونشفع الترجمة بما يناسب من علامة استفهام أو تعجب . ولو أنا انتظرنا حتى تسعفنا الكشوف والبحوث العلمية بما يرفع الحجاب عما غلق علينا فهمه، لطال انتظارنا ولجّ في الطول، لأننا ما زلنا على ما وصلنا إليه في منتصف الطريق الموصلة إلى معرفة دقائق هذه اللغة .

ولقد دعانا واجب الأمانة العلمية أن نعرض النماذج الأدبية القديمة كما وجدناها على ما في كثير منها من تفكك وهلهلة وركاكة، لأننا نريد أن نعطي القارئ صورة صادقة لأدب القوم وعقليتهم، وليس من الأمانة في شيء أن نعرضها وقد أعملت قلمك فيها بالتبديل أو التحوير أو الحذف أو التنميق؛ وهذا نفس ما اتبعه علماء الفرنجة عندما ترجموا المتون المصرية، وعندما ترجموا قبلها التوراة والإنجيل عن العبرية، اقتناعاً منهم ومنا بأن هذه الطريقة هي التي تمكن القارئ من أن يتذوق الأدب كما أنتجه أبناؤه، فيستطيع أن

يقف على حاله ، ويعقد الموازنة بينه وبين غيره ، فيخرج بالنتيجة التى تظهر له بعد هذا العرض الصادق .

أما ما عدا النماذج المصرية التى سقناها شواهد وأمثالا على حال الأدب المصرى ، فقد كتبت بأسلوب أدبى يتفق مع الغرض من الكتاب ، فلا تعقيد يشوه جماله ، ولا إسفاف يهبط به عن مستواه ؛ تلاحظ ذلك فى بحوث الكتاب المختلفة فى ملخصات قصصه ومعالجة موضوعاته .

ولا يفوتنى أن أنبه القارئ إلى أن هذه المحاولة الجريئة التى قصدت منها إظهار تاريخ الأدب المصرى ، وأسسه التى بُنى عليها ، ومناحيه التى تفرع إليها ، بُنيت على ما جاء فى المتون المصرية التى حل طلاسمها زملائى من علماء الآثار ؛ على أنى قد تأثرت بصفة خاصة بطريقة الأستاذ « إرمان » وإن كنت قد خالفته وخالفت تلميذه الأستاذ « ماكس بيبر » فى الطريقة التى اتبعتها ، فاخترت أن أتتبع بالبحث كل صورة من صور الحياة الأدبية من أول نشأتها ، وأسير معها فى حبوتها ودروجها حتى أصل بها إلى نهايتها ؛ واخترت تقسيم الأدب إلى عصور ، ومعالجة جميع ألوانه فى كل عصر .

فإذا كنت قد أصبت الهدف بما فعلت ، فهذا ما أرجوه وأسعى إليه ، وإن قصرت خطواتى عن الوصول إلى ما أريد ، فقد أرشدت إلى الطريق ليسير فيها من يريد ، ويستعين بما غرسته فى أرجائها من معالم تأخذ بيده ، وتسير به إلى نهايتها .

ولقد قصرت بحثى على العصور المصرية البحتة التى لم يتأثر فيها الفكر أو اللغة بغيرهما من لغات الغزاة وأفكارهم ، فلم أتعد فى بحثى سنة ٥٢٥ ق . م . التى فتح فيها الفرس البلاد ، فأخذت الأفكار الأجنبية من وقتها تدب

فى العقلية المصرية ، وظهر ذلك التأثير واضحاً جلياً فى العصر الإغريقى الرومانى الذى سادت فيه الوثائق الديموطيقية ، وهى تكشف لنا عن عالم آخر فى الحياة المصرية ، وسنفرد لها كتابا خاصاً إن شاء الله ، لأنها تبتعد كثيراً عن الطابع المصرى المحض ، كما أننا اكتفينا بالمرور سراعاً على بعض نواحى الأدب التى تحتل منزلة ثانوية بالنسبة لما تعرضنا له ، كالأدب التاريخى مثلا .

وإنى أرجو مخلصاً أن يكون لهذا الكتاب ما قصدت إليه من إظهار العبقرية المصرية التى نهل من حياضها كل العالم القديم ، حتى يتأثر ناشئة البلاد خطوات أجدادهم ، فيبنوا ما بنوا ، ويعلوا البناء كما علوا به ، أو يفرعوهم حتى يصلوا بالبناء إلى غايته . والله يرعاهم ، ويسدد بالتوفيق خطاهم ، لمجد مصر وسعادتها . كما أرجو أن يكون ظهوره بدءا للتفكير الجدى فى معالجة موضوع أدب مصر القومى فى عهودها المختلفة ، فيكون هذا الكتاب أولى الحلقات وتتبعها رديفاتها إن شاء الله .

وفى الختام أقدم خالص الشكر لحضرة الأستاذ « محمد النجار » المدرس بالمدرسة الإبراهيمية الثانوية ، لما بذله من مجهود فى مراجعة النسخة الخطية وقراءة التجارب أثناء الطبع . وكذلك أشكر لرجال مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عنايتهم ، مما سهل على إنجاز الكتاب فى وقت وجيز ، مع ما يراه القارئ من الإتقان .

سليم حسن

٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥

مقدمة

لقد ظل كثيرون ممن لم يدرسوا العلوم المصرية القديمة لا يعرفون عن مصر إلا أنها بلد الموميات ، (وأبو الهول) والأهرام و « توت عنخ آمون » . فعندما ظهر كتاب الأستاذ « ماكس[1] بيبر » عن الأدب المصرى القديم دهشوا عندما قرءوا عنوانه ، وسأله بعضهم بشيء من الدهشة : « أيوجد لمصر القديمة أدب قومى كذلك الأدب اليونانى واللاتينى والألمانى ؟ » . وقد كان رده عليهم كتابه المختصر فى الأدب المصرى القديم .

ولا نستغرب من أجنبى عن مصر أن يسأل هذا السؤال إذا علمنا أن السواد الأعظم من المصريين المتعلمين الذين تحدثت إليهم فى هذا الموضوع يجهلون أمره ويعتقدون أن أقدم أدب فى العالم هو الأدب الإغريقى وعنه أخذت أمم العالم آدابها ، وقبله كان تاريخ الأدب فى الدنيا صفحة بيضاء ، ولكننا نؤكد لهؤلاء المتعلمين وأشباههم أن لمصر أدبا قومياً قديما وأنه أقدم من الأدب الإغريقى . وإذا كانت كتابات « هومر » هى أول وأرقى ما عرف عن أدب الإغريق ، ولا يعلم شيء عن الأدب الإغريقى قبل ذلك فإن الأدب المصرى معلوم تاريخه من يوم أن نشأ وحبا إلى أن درج ونما ووصل إلى نهايته . ويمكننا أن نعطى مثلا منه فى كل أطواره رغم مانلاقيه من بعض الفجوات فى صفحاته ، وسنجد أنه أدب لا يقتصر على النقوش الدينية وتدوين الحقائق والمقالات العلمية ، ولكنه يتعدى ذلك إلى مؤلفات لها قيمتها الأدبية تثبت أن المصرى القديم كان يقدر الأدب ويتذوق حلاوته ويسحر ببيانه فى وقت كان الإغريق وغيرهم من الأمم القديمة يهيمون على وجوههم ويتخبطون فى ظلام الجهل . من أجل ذلك فضلنا أن نأتى هنا بكلمة قصيرة عن منزلة الأدب المصرى بين آداب الأمم التى عاصرته قبل أن يظهر الأدب الإغريقى فى عالم الوجود فنقول ملتمسين السداد من الله :

لا شك أن مصر أول بلد ربى فى نفوس أبنائه روحا أدبية خالصة للأدب ، مجردة عن أى غرض آخر ، فقد وضع المصرى المؤلفات الأدبية البحتة منذ ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ،

---

(١) Max Pieper, Die Ägyptische Lteratur

لا يريد بها شهوة سياسية أو تأييدا دينيا أو نفعا تجاريا ، وإنما يريد الأدب لذاته ، يريد غذاء الروح وإشباع النفس الصافية بسمو التعبير وعلو المعنى .

وكانت قدم مصر السابقة فى هـذا المضمار ، فلم يظهر الأدب العبرى إلا وليداً بعد اثنى عشر قرنا من ذلك التاريخ ، والأدب البابلى كان يترنح فلم يكن إنتاجه مظهرا خالصا للأدب ولا قصد به خدمة الأدب حبا فى الأدب كما كان الشأن فى مصر ، فإن الأدب أريد به فيها ذلك الذى يحدث فى نفس قارئه وسامعه لذة فنية كالتى يحسها إذا استمع إلى شـدو الشادى أو إذا رأى الصورة الجميلة وتحسس التمثال البديع .

والكلام فى الأدب المصرى يقتضى التعرض أولاً لأنواعه ، وثانيا لأساليبه ؛ فمن الناحية الأولى نرى أن الأدب المصرى من النوع الغنائى أو العاطفى وأن النوع القصصى كان بارزا فيه ، ويلى ذلك الأدب العلمى والحكم والأمثال (التأملات) . وليس من شك فى أن الأدب الغنائى والقصصى قد نبتا فى التربة المصرية لأن كلا منهما يضرب بأعراقه إلى ما قبل ظهور الـكتابة وهو العهد الذى يشبه العصر الجاهلى فى اللغة العربية . ولا غرابة فى أن ينمو الغناء والقصص بين قوم تخطوا طور الهمجية وأصبح لهم مشـاعر ووجدانات تحتاج إلى تغذية ، وهى إن لم تواتهم من طريق القراءة والنظر لا تبعد عليهم من طريق السمع والرواية ، وكلنا يدرك تأثير القصة الآن فى العامة وكيف أنها تجذب منهم القلوب والمسامع .

ولم تقصر بابل فى هذه النواحى الأدبية ، فقد ظهر فيها الأدب الغنائى والقصصى فى الوقت الذى نبتا فيه فى وادى النيل ، واذا كانت إحدى الأمتين المصرية والبابلية أسبق من أختها وأقدم إنتاجا فإن ذلك لا يعنى أن إحداهما قد أخذت عن الأخرى أو تأثرت بأدبها بل إن كلا منهما كانت مستقلة فى إنتاجها وكان لأدبها مظهر خاص خاضع للمؤثرات المختلفة فى الأدب ومنها البيئة والاستعداد الفطرى والدين والحضارة .

والظاهر الذى تحدثنا به الآثار أن «بابل» كانت أكثر خصبا فى إنتاج القصص والشعر القصصى من مصر ، لأن الدين قد أظله فنمت القصة فى كنفه وصارت لها أوزان ترجع إلى آماد بعيدة ، هذا اذا لم تكن قد عملت عوادى الزمن على محو بعض القصص المصرية من عوالم الآثار أو أبقتها دفينة فى بطن الأرض ولم تسمح لها بعد بالظهور . وأعتقد أن أحد هذين الفرضين صحيح لأن ما بقى لنا من الشعر القصصى يدلنا على أنه مظهر لأدب راسخ القدم متشعب النواحى خصب الخيال كثير الأبطال يذهب الى أبعد مدى فى تصوير الآلهة ومقدرتهم وخوارق فعالهم فى كل أطوار التاريخ المصرى ؛ ولا أدل على ذلك من قصة مخاصمة « حور » و «ست» التى

عثر عليها حديثا وقد أوردناها فى هذا الكتاب وأبطالها جميعا من الآلهة ، وقد كان المظنون أن الاغريق وحدهم هم الذين انفردوا بإشراك الآلهة فى تمثيلياتهم حتى ظهرت هذه القصة فغيرت هذا الرأى .

ومهما بلغ المدى الذى فاقت به «بابل» مصر فى القصة عامة فان من المقطوع به أن الأسبقية لمصر فى اختراع الأقصوصة ، وصياغتها صياغة فنية ممتعة ، وتحليلها تحليلا نفسيا مناسبا ، وتمهيد الطريق للتحليل النفسى الرائع الذى تراه فى الأدب اليونانى وفى الآداب الحديثة فى عصرنا عند مختلف الأمم الراقية على مثل ماذهب اليه «مارسل بروست» أو«هنرى جيمس» أو «هـ . ج. ولز» مما مثل اتجاها جديدا فى الأدب وأكسب التأليف الروائى عمقا فى الفكرة ونزعة فلسفية قوية لم تكن تخلو منها الروايات القديمة ولكنها اشتدت جدا فى الزمن الحديث .

هذا ما كان من أمر الأدب القصصى ، أما الغنائى فقد كانت مصر و«بابل» فيه كغصنى شجرة واحدة ، فقد أخذت كل منهما من هذا الفن بنصيب كبير وان كان إنتاج «بابل» حتى الآن أكثر من انتاج مصر ان لم تكن الأرض تكتمنا ما فى بطنها ، على أن القوة والعذوبة كانت متمثلة ظاهرة فى مصر على أختها فى هذا اللون من الأدب .

ولقد كان الشعر الدينى عند الأمتين حلوا ، ولا وجه للمفاضلة بين أحسن ما أنتجته « بابل » وبين ماعثرنا عليه فى مصر فى عهد الدولة الحديثة .

أما الأدب العبرى فقد تخلف عن الأدب المصرى فى الظهور عشرة قرون ، وقد وصل الى درجة جعلته فى مرتبة واحدة مع أحسن ماأخرجته مصر و« بابل » ، ولم يستطع أن يتفوق عليهما ، وقد استطاع الإغريق الذين أتوا بعد هذا العهد أن ينهضوا بالشعر الغنائى والعاطفى الذى وضعت أسسه فى مصر فلان لهم قياده وابتكروا فيه مذاهب جديدة كما فعلوا فى كل فروع الأدب الأخرى .

ننتقل بعد ذلك الى الأدب التعليمى والتأملى وتدل جميع الشواهد على أنه من وحى مصر ، فالمصريون هم الذين ابتدعوه وهم الذين برّزوا وقطعوا أشواطا بعيدة فيه وتخلف عن السباق معاصروهم ، وكان هذا اللون من الأدب محببا الى الذوق المصرى ، وقد بقى المصرى عدة قرون مهتما بالتأليف فيه ساعيا الى تحسينه باذلا جهدا يتفق ومهارة الكاتب واتساع أفقه الاجتماعى .

ويقيننا أن مؤلف «فتاح حتب» فى الحكم والأمثال كان نواة لظهور أمثال سليمان وحكمه ؛

يؤيد ذلك مااشتهر به المصريون وتحدث به العالم القديم عن براعتهم فى الحكمة وضرب المثل. وقد فصلنا ذلك عند ما وازنا بين أمثال سليمان وتعاليم « أمنموبى » فى باب الحكم والأمثال ووصلنا الى أن الأولى قد أخذت عن الثانية قطعا بأكلها .

والآن وقد انتهينا من الكلام على موضوع الأدب المصرى ننتقل الى الناحية الأخرى منه وهى أسلوبه ، وقد كان الأسلوب الجميل موضع فخر الكاتب ومحل تقدير القارىء . جاء فى بردية عن أمثال «فتاح حتب» : « أنها الأقوال التى صيغت فى أسلوب جميل ، والتى تحدث بها الوزير عندما كان يثقف بالمعرفة ويعلم مبادىء الحديث الطريف». وجاء فى ورقة «نفررهو» (وسنتحدث عنها فيما بعد) على لسان الملك «سنفرو» يخاطب حاشيته « إيتوا لى بإنسان يروح عن نفسى بكلمات جميلة وأقوال مختارة تجد فى سماعها جلالتى تسلية وراحة» . واذا قرأنا «قصة الفلاح الفصيح » التى كتبت قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. وجدناها سلسلة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق الانسان صيغت فى أسلوب قوى بليغ بدا منه أن كاتبها أراد أن يظهر قدرته الفنية على جمال الصياغة وروعة الأسلوب . وهذه الظاهرة التى تجعل عذوبة الأسلوب هدفا يرمى إليه الكاتب كانت بارزة واضحة فى مصر مطمورة منعدمة فى «بابل» جارتها ومعاصرتها فلا جرم أن كانت مصر أول أمة شغفت بالثقافة الأدبية وعنها أخذ العالم .

والأسلوب الذى يهدف إليه المصرى هو الأسلوب العذب الذى لا تكلف فيه والذى توجبه السليقة فينساب الى النفوس وترتاح اليه الأسماع ، ولا بد أن يكون مناسبا للموضوع الذى يعالجه ؛ فيقوى ويشتد فى الجلى وعظائم الأمور ويلين ويرق فى التعبير عن العواطف أو الترجمة عن مكنونات الفؤاد . ولكن هذا الأسلوب الجميل قد دخلت عليه الصنعة بمرور الأيام فأفقدته روعته وعذوبته وأصابه التكلف والزخرفة اللفظية وأصبح الأديب يضحى بالمعنى السامى فى سبيل تزويق الألفاظ كما حدث للغة العربية فى العصر العباسى الثانى .

ولقد بدأ هذا الفساد يدب فى الأدب المصرى منذ الدولة الوسطى وتظهر بوادر ذلك فى قصة « سنوهيت » . ولقد تعلق المصرى بهذا الأسلوب وأشرب قلبه حبه حتى إن التلاميذ فى الدولة الحديثة وبخاصة عصر الأسرة التاسعة عشرة والعشرين ملئوا كراساتهم نماذج منه يستظهرونها ويأخذون أنفسهم بمحاكاتها حتى يصلوا الى ملكة تقدرهم على الإبانة عما فى ضمائرهم بهذا النوع المزخرف المحبب إلى نفوسهم .

وفى ورقة « انستاس الأولى » (وستجىء فى باب الرسائل) نرى مثالا لهذه الطريقة الأدبية التى سادت عهد الدولة الحديثة فى صورة خطاب هجائى يعيب فيه كاتبه زميلا له

جهله فن كتابة الرسائل ، وضعفه فى الحساب حتى لا يستطيع أن يقدر وزن مسلة ، وعدم درايته بمعرفة أحسن الطرق للسياحة فى سوريا . ولعل السر فى شيوع هذه الورقة أنها تحتوى على فكاهات أو نكت لا نستسيغها لاختلاف الذوق بين عصرنا وعصرها ، أو لأن فيها منهاجا لما يجب أن يكون عليه الرجل المثقف فى هذا العصر ، وهى فى جملتها تدل على نوع من الصلف فى الكتابة . فالأسلوب المصرى كالفن المصرى قد وصل إلى قمته قبل حلول الدولة الحديثة ، ولا يمنع هذا من أن تلمع فيه من وقت لآخر قطع فنية نذوق فيها حلاوة الأسلوب الفطرى وقوته ولكنها قليلة ، كما أن الشعر العاطفى لم يودع قوته وتأثيره فى عهد الدولة الحديثة ، بل بقى جميلا رائعا بل ربما غطى جماله فيها على ما سبقه . وربما كان السبب فى ذلك موجة الرخاء والترف التى غمرت المصريين عقب حكم الأسرة الثامنة عشرة وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة والعشرين فأطلقت ألسنتهم بالأغانى العذبة والأناشيد المرحة السعيدة مترجمين بها عما يذوقونه من حلاوة الدنيا ولذة الحياة . هذا إذا لم تكن الأرض قد خبأت فى ثناياها بعض الشعر العاطفى من إنتاج الدولة الوسطى ، أو ما يجعلنا نعتقد بأن ما نسب إلى الدولة الحديثة ليس كله من صياغتها . .

الأدب المصرى والآداب الحديثة :

قال «أندرى موروا» الكاتب الفرنسى العظيم فى كتابه Aspects de la Biographie P. 177 « إن الأدب لا يقاس بالنمو والتقدم فلا يمكننا القول : أن تنسون الشاعر الإنجليزى أعظم من « هومر » الشاعر اليونانى القديم ، أو أن « بروست » أعظم من « منتانى » لأن الأدب ينساب فى نغمة إيقاعية ولا يسير فى خط متصل فلكل من الأدباء وقته وظروفه » .

وقيمة الأدب القديم فى أنه يرينا اللبنة الأولى فى بناء الأدب والجهود التى بذلها الأدباء القدماء فى خدمته حتى وصل إلى مظهره الحديث . فلا وجه إذاً للمقارنة بين الآداب القديمة بما فيها المصرى والبابلى وبين الآداب الحديثة ، إذ أن الثانية نتيجة نمو الأولى وتطورها وبين الأدبين فى جملتهما فروق من جهات ثلاث :

الأولى : أن الادب المصرى لم ينتج لنا أدبا نفسيا عميقا كالأدب الحديث .

الثانية : أن الأدب المصرى قدرته محدودة فى تصوير الجو الذى يناسب القصة .

الثالثة : قوة التأثير والأسر .

فأما عن الناحية الأولى فنرى أن المصرى لم يهمل التحليل النفسى جملة بل أخذ منه

بطرف كما نرى فى قصة « سنوهيت » التى حللت لنا ناحية من نفسيته حين نفى عن بلاده واشتاق إلى وطنه . ولـكن ذلك يعتبر يسيرا إذا قرناه بالتحليل العميق الذى يلجأ إليه فحول علم النفس الآن فى قصصهم الرائعة مثل قصة Daisy Miller التى كتبها « هنرى جيمس » أو قصـة الاتصال السامى Die Wahlverwandlachaften التى كتبها « جيته » الألمانى الفذ فى أدبه . ومع ذلك فإن التحليل النفسى الذى نقرأه فى قصة « سنوهيت » المذكورة خير مما نجده فى قصص الجن والعفاريت الشائعة فى آداب العالم عامة . ولا يضير الأديب المصرى أن تحليله خلا من العمق والروعة ، فيكفيه فخرا أنه وضع الأساس وجاء غيره فشيد على قواعده ثم جاء التطور الحديث فأعلى البناء وزخرفه .

وأما الناحية الثانية ، ناحية الجو الذى يخلقه الأديب لقصته أو لموضوعه فينتقل بالقارىء إلى العالم الذى يريده ، فهذه أيضا للمصرى فيها نصيب المؤسس الأول ؛ فإن أول مأساة (دراما) وضعت على صورة تمثيلية ، كانت من فعل الأدباء المصريين وترجع بتاريخها إلى عهد الأسرة الأولى ، انظر Sethe, Dramatische Texte zu Altaegyptischen Mysterien spielen

وهذه المأساة تشبه رواية تمثيل آلام المسيح وموته كما كانت تمثل فى القرون الوسطى ، ولم تصل المآسى التى ابتكرها المصريون فى قوتها ما وصلته عند الإغريق وفى عصرنا الحاضر ، ولا تقتصر الحاجة إلى الجو المناسب عند تأليف القصة أو الشعر القصصى ، بل قد نحتاج إليه أيضا فى الشعر الغنائى كما نجـده فى كتابات « هومر » اليونانى (الالياذة) وفى كتابات « فرجيل » (الإنياد) . وقد وجدنا أثراً لتصوير الجو الأدبى فى الـكتابات البابلية (جلجاش) ولـكنه قليل ، وليست المأساة المصرية السابقة هى كل ما وصلنا عن هـذا النوع فإننا نجد ذلك « الجو الأدبى » مصورا فى قصة « سنوهيت » وفى قصة « ونامون » إذ أن قارىء هاتين القصتين لا يلبث أن ينتقل مع بطليهما إلى سوريا ويرى بعينهما ويحـكم برأيهما ، وقد تكون وسـيلة المؤلف ساذجة ولـكنها على كل حال تحدث الأثر المطلوب ، وتمتاز عن القصص الأخرى التى فقدت هذه الميزة والتى يقصها مؤلفها ببساطة مثل قصـة « الأخوين » وقصة الملك « خوفو والسحرة » وغيرهما من القصص[1]. وإذا كانت هـذه القصص الأخيرة بمثابة قطع من الحلوى يستحلبها الأطفال فى أفواههم فإن قصتى « سنوهيت » و « نامون » غذاء عظيم للرجال الرشداء . ولا جدال فى أنهما أقدم قصتين قصيرتين جيدتين

(١) هذا الجو نجده كثيرا مصورا فى الشعر الجاهلى حينما يصف الشاعر الديار ويبـكى الأطلال والدمن . (راجع المعلقات)

فى العالم كانتا ذخيرة للأدب العالمى وإن لم تصلا فى موضوعهما إلى نظائرهما فى العصر الحديث .

بقيت الناحية الثالثة وهى قوة التأثير وشدة الأسر ، وهذه ترجع إلى عاملين : الألفاظ ، والصوت . فإن اجتمع اللفظ العذب الرشيق مع الصوت المناسب أخذا بمجامع القلوب وجذبا الأنظار والأفكار . أما الألفاظ الجميلة فاللغة المصرية غنية بها ونراها فى موضوع « شجار بين إنسان سئم الحياة وروحه » وفى خطب « الفلاح الفصيح » التى استهوت الملك نفسه ، وأما سحر اللفظ ووقعه فى النفس فقد حرمناه لأن اللغة المصرية تنقصها الحياة والحركة .

وجملة القول أن مصر كان لها أدب قومى منذ ٢٠٠٠ سنة ق . م . وأن هذا الأدب هو وليد حيويتها ولم تأخذه عن غيرها أو تتأثر فيه بغيرها وهو وإن لم يبلغ مرتبة الأدب الحديث إلا أن له فضل الخلق والسبق والتأصيل .

وإذا كان الأدب المصرى قد أخذ يتدهور فى العصور المتأخرة فانه ترك الزمام للأمة اليونانية حتى تحلق بتفكيرها فى أجواء عالية منه على سنة التدرج طبعا ، فإنه ليس فى مقدور الأدب الإغريقى ولا الفن الإغريقى أن يولدا كاملى النمو كما ولدت «فينوس» (الزهراء) ناضجة كاملة النمو من أمواج البحر ، فالأدب المصرى غذى الأدب العبرى والأدب الإغريقى فشبا ولعبا دوريهما فى الحياة ونشك بحق فى مقدرة الأدب اليونانى والأدب العبرى على بلوغ المرتبة التى وصل إليها كل منهما إذا لم يتخذا من الأدب المصرى عونا على النمو والارتقاء بطريقة لا نزال نجهلها .

لمحة عن التاريخ المصرى القديم

قبل أن نتحدث عن أدب عصر الفراعنة ، وندرس نواحيه وأهدافه ، يجمل بنا أن نمر سراعا على التاريخ المصرى القديم ، لنقف على العوامل التاريخيـة التى أثرت فى هذا الأدب فدفعت به إلى الأمام أو أرجعته معها إلى الوراء .

وسنسير مع التاريخ المصرى من بدايته حتى عصر الفتح الفارسى ، وسنتتبع ما اعتاده المؤرخون من تقسيمه إلى أسرات ودول متأثرين مذهب المؤرخ المصرى «مانيتون» ، آخذين أنفسنا باتباع أقرب الاحتمالات إلى الصحة حسبما توحيه إلينا دراستنا وتجاربنا ، فإن تقدير العلماء لأعمار هذه الأسرات وتلك الدول وتحديد تاريخ لبدايتها ونهايتها ، إنما قام على وجه تقريبى لأن المعلومات التى وصلت إليهم عن هذه العهود لا تزال ناقصة مبتورة ولم تصل بعد إلى حد الحقائق الثابتة التى يطمئن إليهـا المؤرخ ويستخلص منها تاريخا سليما يرتاح إليه ، ولذلك اختلفوا اختلافا كبيرا فى هذه النواحى ، وأملنا أن نكون أقرب إلى السداد فى كل ما نقول وسيكون رائدنا فى ذلك أحدث الآراء العلمية والكشوف الأثرية .

الدولة القديمة :

الأسرتان الأوليان (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م .)

لم تخلف لنا هاتان الأسرتان آثارا أدبية قيمة غير وثيقة فى اللاهوت المصرى والفلسفة الدينية عثر عليها فى عهد الملك « شباكا » من الأسرة الخامسـة والعشرين أي فى القرن الثامن ق . م . وهو الذى أمر بنسخها تخليدا لها وينسبها المؤرخون إلى عصر الأسرة الأولى أو كما يسمية بعض المؤرخين عصر اتحاد البلاد الأول .

الأسرة الثالثة (٣٠٠٠ — ٢٩٠٠ ق . م .)

لقد بقى تاريخ هذه الأسرة غامضا زمنا كبيرا ولم تصل إلينا منه إلا نتف يسيرة لا تروى غلة إلى أن كشفت لنا أعمال الحفر فى السنين الأخيرة عن صفحة مجيدة فى عالم الفن والنحت

والمهارة ، وعن تفكير محترم فى العقائد الدينية وبخاصة فى عهد الملك « زوسر » أعظم ملوك هذه الأسرة وبانى الهرم المدرج .

الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق . م .)

يعتبر عصرها عصر البنايات الضخمة ، وأكبر مظهر لها الأهرام العظيمة . وإذا كان ملوك هذه الأسرة لم يتركوا لنا كتابة داخل أهرامهم فإنا نعتقد أن ذلك كان استغناء عما سطروه على معابدهم وإن كان الزمن قد عفاه والنقوش التى وجدت بقاياها حديثا فى آثار معبد خوفو الجنازى الملاصق لهرمه تؤيد ماذهبنا إليه[١] . وأهم ملوكها : « خوفو » و « زدفرع » و « خفرع » و « منكاورع » . ولقد عرفنا كثيرا عن حياة هذه الأسرة وتاريخها وحالتها الاجتماعية والدينية من النقوش التى سجلت على مقابر عظمائها وكبار رجالها الذين دفنوا حول الأهرام . غير أن البحث لم يجد علينا بكتابة أدبية خالصة نقيس بها مجهودهم الأدبى .

الأسرة الخامسة (٢٧٥٠ — ٢٦٢٥ ق . م .)

لقد كان عهد هذه الأسرة عهداً ذهبيا للفن والأدب والفلسفة الدينية فلقد أرتنا أهم وثيقة دينية ظهرت فى التاريخ . بدت تلك الوثيقة منقوشة على جدران هرم الملك « وناس » فاتخذها رجال الدين منارة يهتدون بما فيها طوال مراحل التاريخ المصرى ، وأخذ عظماء القوم كذلك يكتبون صحائف حياتهم وصلواتهم الدينية ومعاملاتهم اليوميـة على جدران مقابرهم مما سهل علينا حل ما اعتاص من نقوشهم وخفى من رموزهم . وقد برزت الناحيـة الأدبية لأول مرة فى صـورة كتابات عن الأخلاق والسير القويم والمواعظ الحسنة إذا صح أن « فتاح حتب » قد دوّن نصائحه فى عهد هذه الأسرة ، كما هو الراجح .

الأسرة السادسة (٢٦٢٥ ق . م . وما تلاها)

ترسم ملوك هذه الأسرة وعظماؤها فى كتاباتهم ونقوشهم ومبانيهم خطى ملوك الأسرة الخامسة وعظمائها بل ظهرت لهم كتب جديدة فى النصائح وتوسعوا فى الفتح فوصلوا الشلال الثانى وامتدت مغازيهم حتى لبنان ، ولـكن الوهن كان يعمل بعزم فى جسم الدولة ، وكانت

---

(١) عثر المؤلف على بعض نقوش دينية فى بقايا معبد « خوفو الجنازى » وكان علماء الآثار يظنون أن الهرم الأكبر ومعبده لا توجد فيهما كتابة قط فجاء هذا الكشف غريبا فى بابه .

سلطة حكام الأقاليم تزداد فى كل يوم طغيانا إلى أن استقلوا بمقاطعاتهم وتمزقت أوصال الدولة وفقدت وحدتها السياسية وسارت فى مزالق الفوضى والاضطراب حتى اعتبر عصر الأسرتين السابعة والثامنة من أكثر عهود التاريخ المصرى ظلمة وخفاء وفسادا .

العصر الإهناسى

الأسرتان التاسعة والعاشرة (٢٤٤٥ — ٢١٦٠ ق . م .)

وقد ظلت البلاد مفككة إلى أن أسس «خيتى» فى «هيرا كليوبوليس» (إهناس المدينة الحالية) مملكة مصرية وقد أخذت البلاد فى عهده وعهد من خلفوه تنتعش من غشيتها وتحس حرارة الحياة مرة أخرى ، ولكن عقارب الخلاف كانت لا تزال تدب فى جسمها حتى وهبها الله ملوك الأسرة الحادية عشرة فشفوا أدواءها وأعادوا إليها شيئا من وحدتها بعد حروب داخلية طاحنة ، واتخذوا مدينة « طيبة » عاصمة لملكهم .

وقد يبدو غريبا أن يظهر نوع من الأدب الراقى فى هذا العصر مع ما فيه من تقاطع وتدابر وانحلال وحروب قاسية ، ولكن إذا علمنا أن الأدب الصافى ما كان وليد العاطفة المتأججة ، وأن الرجات السياسية والهزات العنيفة مما يثير النفوس ويطلق اللسان أدركنا كيف قوى الأدب ونبتت فيه أنواع جديدة وسط هذا الجو الصاخب المضطرم ، وأن الانفعالات النفسية التى يبعثها البؤس والشقاء أعمق أثرا من تلك التى يبعثها الصفاء والرخاء ؛ لذلك رأينا فى هذا العصر أوصافا مؤثرة لما يحتدم فى النفوس ويعتلج فى الصدور من سوء الحال وشكوى الزمان وتأملات فيما صارت إليه الأمور ؛ وكأن الذين كتبوها كانوا يريدون بها إصلاح حال البلاد الاجتماعى فى ظل حكومة عادلة مما سنفصله بعد .

الدولة الوسطى

الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٥ — ١٧٩٠ ق . م .)

رأس هذه الأسرة ومؤسسها « أمينمحات الأول » (١٩٩٥ — ١٩٦٥ ق . م .) ولقد حكم البلاد بيد من حديد وقضى على أذيال الفوضى التى بقيت تعبث فى أنحائها وسار ابنه « سنوسرت الأول » (١٩٧٥ — ١٩٣٤ ق . م) على غراره . ولقد عمل هو والملك « سنوسرت الثالث » (١٨٨٢ — ١٨٤٥ ق . م .) على مد رقعة البلاد واتساع سلطانها

على البلاد المجاورة ، كما يعزى إلى أمينمحات الثالث من ملوك هذه الأسرة تحويل الفيوم إلى أرض زراعية منتجة وتناول مرافق أخرى عظيمة بالإصلاح والتعمير .

ويعتبر عصر هذه الأسرة العهد الذهبي للأدب (العهد الكلاسيكي) إذ ظهرت كتابة فنية خالصة عنى فيها بالناحية الفنية لذاتها ، تنتظم موضوعات منوعة قيمة من القصص والتأملات والأناشيد الدينية والدنيوية وكذلك أخذ الفراعنة يمدون فتوحاتهم شمالا وجنوبا مما جعل مصر يومئذ تحتل مكانة ثقافية وسياسية سامية فبدأت تنشىء علاقات وثيقة وتختلط بجيرانها من ناحية آسيا والسودان .

عهد الهكسوس (١٧٩٠ — ١٥٨٠ ق . م .)

أخذت البلاد تهوى منذ بدأت الأسرة الثالثة عشرة حكمها فهيض جناحها وغزاها قوم متوحشون يسمون الهكسوس « الرعاة » فتملكوا أمرها وحكموها عهدا طويلا واتخذوا حاضرتهم فى « أواريس » (صا الحجر الآن) . ولقد ثار عليهم أمراء طيبة وخرجوا عن طاعتهم واستقلوا بأرضهم ومرافقهم ، وأخيرا تمكن الملك « كاموز » ومن بعده « أحمس » (١٥٨٠ ق . م .) من طرد الهكسوس من البلاد وبناء دولة جديدة فتية .

الدولة الحديثة

تطالعنا هذه الدولة بصفحات جديدة من الأدب المصرى فيها الغناء الرائع والغزل الطريف فى تضاعيف قصائد بديعة الخيال وربما ظهر الغزل قبل ذلك فى عهد الدولة الوسطى ولكننا لم نعثر على شىء منه ، ولقد أخذ اختلاط المصريين بجيرانهم يقوى ويشتد بحكم سلطانهم وسيادتهم ، فأخذ لعاب الألفاظ الاجنبية ينساب إلى مجرى اللغة المصرية ويسير معها بشكل واضح نتيجة لتلك الفتوح العظيمة التى قام بها ملوك هذه الدولة ، ومن ثم ظهر تأثير الآداب المصرية والحضارة المصرية فى الشعوب التى غلبها المصريون على أمرها مما يخلع على هذا العصر مجدا عظيما فى الثقافة والسياسة ، وقد اتخذ ملوكه « طيبة » عاصمة لهم فأصبح بذلك إلهها الوضعى « آمون » كبير الآلهة المصرية .

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ — ١٣٥٠ ق.م.)

وقد اتسعت رقعة المملكة فى عهد تحتمس الأول (١٥٥٥ — ١٥٠١ ق . م .) وحفيده « تحتمس الثالث » (١٤٧٨ — ١٤٤٧ ق . م .) حتى صارت متسعة الجوانب

مترامية الأطراف تمتد من الشلال الرابع إلى أعالى نهر دجلة والفرات . وقد حكم « أمنحوتب الثالث » (١٤١٥ — ١٣٨٠ ق . م .) مدة طويلة موفقة . غير أنه قد ظهرت فى خلال حكمه بوادر تلك الثورة التى اندلع لهيبها فى عهد ابنه « أمنحوتب الرابع » (اخناتون) من (سنة ١٣٨٠ ق . م .) .

كان « لاخناتون » فلسفة خاصة بالعقيدة ، وقد هداه تفكيره إلى أن الوحدانية صفة لازمة للاله ، فأراد إحداث إصلاح دينى يهدف إلى هذه الغاية أساسه أن يفرد المصريون قرص الشمس بالعبادة (أو بعبارة أخرى أن يعبدوا القوة الكامنة فى قرص الشمس وحدها) وألا يتخذوا إلها لهم غيرها واتخذ سبيله للقضاء على كل الآلهة الأخرى المبثوثة فى البلاد وحطم أصنامها ، ولما وجد تيار المقاومة شديدا على دينه الجديد هاجر به من « طيبة » موئل المقاومة والنفار إلى مدينة جديدة أسسها تسمى « اختاتون » (مكان تل بنى عمران الحالى بالقرب من ملوى) وفيها نما دينه وازدهر ودخل فيه الناس أفواجا طوعا لأخناتون لا حبا فى دينه الجديد .

ولقد تطور الفن فى عهده كما تطور الأدب ، فدبت الحياة فى الأول وصار أقرب إلى محاكاة الطبيعة بعد أن كان يسير على سنن واحد جامد موروث ، وكذلك غلبت اللغة العامية وصارت لها الصدارة على أختها الكلاسيكية القديمة الصحيحة .

وبالجملة فان الكشف الحديث (توت عنخ آمون) رغم أهميته لم يرسل ضوءا كافيا على حال البلاد فى أواخر حكم هذا الملك الزائغ عن دين أجداده .

ولكن الناس أعداء ماجهلوا ، أسرى ماألفوا ، فلم يلبثوا أن حنوا إلى دينهم الذى وجدوا عليه آباءهم ، فرجعوا إلى عبادة الآلهة المختلفة وعلى رأسها « آمون » .

الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق . م .)

فى عهدها أصبحت الدلتا مركز الجاذبية للدولة المصرية ، وبقيت « لطيبة » مسحة القداسة والطهارة تقبع فيها المعابد الضخمة المزينة كمعبد « الكرنك » و « الأقصر » و « الدير البحرى » . وابتدأ الكاتب يشعر بمركز ممتاز ويدل بمكانته على أصحاب المهن الأخرى ولقد ظهرت له بحوث ممتعة فى الأدب والعلم والتعليم .

هذا وقد حارب « سيتى الأول » (١٣٢٠ — ١٣٠٠ ق . م .) بدو فلسطين وقام من بعده ابنه « رعمسيس الثانى » (١٣٠٠ — ١٢٩٤ ق . م .) وشن الغارة على دولة « الحيثا » (الحيثيين) فى آسيا الصغرى وهدفه الاستيلاء على فلسطين وغيرها ، وقد خلد انتصاراته فى

قصيدة نقشها على جدران المعابد واشتهرت خطأ باسم (بنتاور) ، وأسس حاضرة جديدة للملك تسمى بيت رعمسيس (صا الحجر) وبعده أخذ نجم الدولة الصاعد يتضاءل وقوتها تنحط .
وفى عهد ابنه «مرنبتاح» قامت الحرب بينه وبين اللوبيين كما نشبت بينه وبين كثير من الأمم والقبائل ومنها قبيلة إسرائيل معارك كثيرة ، وقد سجل أمرها وما ظفر به من انتصارات فيها على لوحة لاتزال محفوظة بالمتحف المصرى وقد جاء فيها عن وقعة إسرائيل «وقد خربت اسرائيل ولم يبق وجود لبذرتها » . ومن هنا نشأ الخطأ الشائع القائل بأن « مرنبتاح » هو فرعون موسى . وبعد موته غشيت البلاد سحائب مظلمة من الفوضى والاضطراب .

الأسرة العشرون (١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م .)

يعتبر «رعمسيس الثالث» رأس هذه الأسرة (١٢٠٠ — ١١٦٩ ق . م .) وقد سجل لها مجدا حربيا فى البر والبحر وقد اتخذ خلفاؤه من بعده اسم « رعمسيس » ولكن لم يكن لهم فعل « رعمسيس » . فتهاونوا فيما خلفه لهم من المجد ولم يحافظوا على التراث الذى تركه لهم فانزلقت البلاد إلى مهاوى الضعف وانهارت انهيارا تاما

وقد وجدنا فى قبر «رعمسيس الثالث» أكبر وثيقة جميلة كتبت على البردى ، وقد ذكر فيها ما كانت عليه البلاد من الفوضى قبل أن يتبوأ عرشها وما بذله من إصلاحات فى مختلف نواحيها وتناولت موضوعات كثيرة أخصها المعابد ومالها من جليل الشأن ، وقد كتبت فى عهد ابنه ووضعت فى قبره لتكون أنيسه فى وحدته وشفيعه عند الله كما وجدنا صحائف أدبية مختلفة من آثار هذه الأسرة والأسرة التى سبقتها .

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٩٠ — ٩٤٥ ق. م.)

أخذت سلطة الكهنة تعلو وتطغى فى عهد الرعامسة حتى أطفئوا سراج هذه الأسرة وقام رئيس كهنة آمون المسمى «حرحور» وأسس أسرة جديدة فى «طيبة» وقام فى نفس الوقت أمراء آخرون وأسسوا ملكا لهم فى مدن أخرى مثل (سمندس) الذى أقام مملكته فى «تانس»

الأسرة الثانية والعشرون (٩٤٥ — ٧٤٥ ق . م .)

قام أحد الأمراء اللوبيين الذين طالت مدة إقامتهم فى البلاد واسمه « شيشنق » وتوج نفسه ملكا على البلاد حوالى (٩٤٥ ق . م .) وكذلك حكمت أسرته عدة إمارات مختلفة فى مصر .

وتلا هذا العهد الفتح الاثيوبى لمصر سنة ٧١٢ ق . م . وجاء بعده الفتح الآشورى عام ٦٧٠ ق . م . وقد شعر المصريون بمرارة الاستعباد وحز فى نفوسهم أن يساموا الخسف والهوان فهبوا يدافعون عن كيانهم ويذودون الأعداء عن بلادهم ، وكان «ابسماتيك الأول» (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م .) فارس هـذا الميدان ، فخلص البلاد من نير الذل والعار وأضفى عليهـا نعم الاستقلال وأشعرها بمجدها المؤثل فهبت نسمات إصلاحية عمت البلاد طولا وعرضا لإحياء العلوم والفنون القديمة كتلك التى تجاوبت فى أوربا فى عصر النهضة الأوربية الحديثة ، ولكن هذه النهضة المصرية لم تثبت على قوائمها وكانت كشهاب أضاء حينا ثم احترق فأخذت البلاد تهبط وتتحلل من جديد فكان ذلك إيذانا بفتح الفرس لها عام ٥٢٥ ق . م .

وقد تمتعت البلاد بفترات استقلال متفرقة كانت كالذكريات الحلوة تمر سريعة فى خاطر الوالهة الثكلى وكان آخر عهدها بنعيم الحرية إلى يومنا هذا (سنة ٣٤١ ق . م .) عندما هرب « نقطانب » من عاصمة ملكه «سمنود» إلى بلاد النوبة أمام الفرس الغزاة المظفرين . ولم ينعم هؤلاء بحكم البلاد طويلا إذ فاجأهم « الإسكندر الأكبر » وطردهم من مصر واستولى عليها عام ٣٣٢ ق .

نظرة عامة فى الأدب والكتابة المصرية

(١) تطور الأدب

اتصل الأوروبيون بالمصريين فى عهود ضعفهم بعد أن ضرستهم الحروب وبعد أن خرجوا يلهثون من حياة كفاح طويلة مع أجانب غاصبين . وقد ضرب المصريون الأقدمون نطاقا حول عاداتهم وموروث معتقداتهم لا يجتازونه ولا يسمحون لأحد أن يزحزحه ، وكأنهم ظنوا بذلك أنهم سيحتفظون دائما بمكانتهم التى كانت لهم عند العالم . وليس معنى ذلك أنهم كانوا جامدين ، يسير العالم ولا يسيرون ، بل إنهم مع تحفظهم كانوا سباقين متيقظين فى وقت ظل كثير من الأمم فيه يغط فى نوم عميق ، وكانت روح المغامرة تحفزهم ، والإقدام يملأ رءوسهم ، وتلك سياحاتهم وحروبهم وآثارهم الفنية الخالدة تشهد بتوثبهم ، بل إن أعمال التصوير والنحت عندهم تنطق بأن الحياة لديهم كانت دائمة فرحة ناطقة جريئة كما كانت عند الإغريق الذين أتوا بعدهم بآلاف السنين .

ولم يعجب اليونانيين ما كان عليه المصريون من تحفظ موروث فنظروا إلى عاداتهم نظرة رهبة واحتقار لأنها لا تتفق مع دنيا الحضارة عندهم ، ووضعوهم كما وضعهم الأوربيون جميعا مع الصينيين الأقدمين فى كفة واحدة . والواقع يخالف ما ذهبوا إليه كما قدمنا لأنهم نظروا إلى الحياة نظرة واسعة جريئة دعائم إليها ذكاؤهم وتوقد عزيمتهم فوجدنا عندهم حياة عقلية محترمة وفلسفة دينية عميقة وافتتانا فى الأغانى والقصص وعناية بالكتابة والأدب .

وحكمنا على الأدب المصرى لا يصل طبعا إلى حد الجزم لأن مظانه أوراق البردى وبقاؤها سليمة كاملة ثلاثة آلاف من السنين أو أربعة نادر أو مستحيل فكل ما وصلنا منها جذاذات من مجاميع عظيمة ، ولقد أمكننا بشىء من الدرس والموازنة أن نصل إلى حكم نعتقد أنه صحيح فى جملته لأننا وجدنا الخواص التى يمتاز بها كل عصر أدبى وصلنا إليه تتفق وما نعرفه عن العصر التاريخى الذى سايره وظهر فيه .

والذى نستطيع أن نقطع به أن المصريين كانوا مهتمين بتنمية لغتهم وصقلها لأنها غنية بالاستعارات والتشبيهات ، فهى من هذه الناحية لغة مترفة مثقفة .

(٢) عصور الأدب المصرى القديم

يمكننا أن نقسم تاريخ الأدب عند المصريين القدماء إلى عصرين كبيرين : قديم ، وحديث .

العصر القديم :

إن الظاهرة التى امتاز بها هذا العصر الأدبى شيوع المحسّنات اللفظية فقد عنى الكتاب بزخرفة الألفاظ وتنميقها على نحو يقرب مما ساد اللغة العربية فى العصر العباسى الثانى حينما انتشرت طريقة « ابن العميد » و« القاضى الفاضل » ، غير أن كتاب الفراعنة كانوا يعنون بناحية المعنى عنايتهم بترصيع الألفاظ ، فكتبوا بهذه الأساليب المزخرفة بحوثا قيمة عميقة .

وليس من شك فى أن كثيرا من أدب هذا العصر قد ضاع فلم نعثر فيه إلا على كتب للأمثال أو للتعاليم المدرسية أو التأملات ، وأما غير ذلك من ألوان الأدب فلم نعثر على شىء منه أو عثرنا على قدر قليل تافه[1] ، ولا يمكننا أن نتصور خلو الأدب المصرى القديم من قصائد غزلية مثلا أو من أناشيد ملكية أو أن عناية المصريين القدامى بالأمثال والتعاليم المدرسية تفوق عنايتهم بالغزل والنشيد وإن كنا قد وجدنا منها شيئا لا بأس به . وكل ما هنالك أنهم اعتادوا أن يدفنوا مع تلاميذ المدارس كتبهم عند موتهم فحفظتها القبور لنا بجانب جثثها حتى وصل إليها الكاشفون المنقبون فعرفناها . أما كتب الأدب الأخرى التى كانت تحفظ مع الأحياء فقد أدركها العفاء فجهلنا أمرها .

ويبدو غريبا لنا أن نرى المصريين وقد عنوا كثيرا بدينهم وآخرتهم يجعلون للدين المرتبة الثانية من أدبهم . وقد يخفف من حدة هذه الغرابة أن العقيدة أمر موروث يأخذه الأبناء عن الآباء من غير بحث ولا اقتناع حتى إذا خلا المرء إلى نفسه وراض فكره سما به إلى تلك القوة الهائلة المجهولة التى لا يدرك كنهها ولا يعرف لها حدا (الله) فيقف فكره عند ذلك موقف الذى أعياه الجهد وأدركه البهر فانقطعت أنفاسه فلا يستطيع تصوير ما جاشت به نفسه تصويراً أدبيا ممتازا .

ويظهر أنه فى عهد الأسرة الخامسة (سنة ٢٧٠٠ ق . م .) من العصر القديم قد أنشئ كتاب واحد على الأقل من كتب الأمثال ، وقد بلغ الأدب غايته فى هذه المرحلة على ما نعتقد

(١) وجد بعضه فى العصور الوسطى وما بعدها

فى العصر المظلم الذى يفصل بين الدولة القديمة والوسطى وفى عهد الأسرة الثانية عشرة المشهورة (١٩٩٥ — ١٧٩٠ ق . م .) .

وقد ظلت كتابات هذا العصر تقرأ فى المدارس المصرية القديمة خمسمائة سنة وهى على حالها من الزخرفة والعناية بالمحسنات اللفظية التى أغرم بها المصريون وقتها إغراما شديدا والتى بذل الأدباء فى سبيلها كل جهد ليصلوا بها إلى العذوبة والجمال .

العصر الحديث :

غير الأدب وجهته فى هذا العصر فسار فى طريق أخرى غير الطريق التى اعتادها قديما ، فقد كانت مادة الأدب إلى هذا الوقت اللغة الفنية العالية فى كل ألوانه وقد تقترب من لغة المحادثة إذا تناولت وثائق حيوية أو صورت قصصا شعبية .

أما فى العصر الحديث فقد احتجبت اللغة الفنية ولم يعد أحد من الشعب يفهمها أو يستسيغها ، حتى إنه فى عهد الثورة الدينية العظيمة التى حدثت أيام « أمنحوتب الرابع » من ملوك الأسرة الثامنة عشرة بدأ القوم يكتبون الشعر بلغة العامة ، وقد ألفت بهذه اللغة « أنشودة الشمس الجميلة » وهى تضم فى طياتها منهاجا للإصلاح الدينى . ولقد استقر نظام الكتابة بلغة العامة وكتب له البقاء . وفى عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ظهر أدب قوى مكتوب بتلك اللغة الجديدة التى أسميناها (المصرية الجديدة) كما كتب بها جزء كبير مما جمعناه فى هذا الكتاب .

وقد بقى للمدارس خطرها أيضا فى عهد (المصرية الجديدة) ولكن أساليبها دبت فيها الحياة بقدر ما ذاق المصريون من حلاوة الحياة فى هذا العصر ؛ إذ رأوا الدنيا بعين الرضا فتعشقوها وشغفوا بها .

والأدب الحديث خلو من الأفكار العميقة والبحوث الفلسفية . وقد يسوق الله إلينا كشفا جديدا يغير هذا الرأى فإن حال مصر فى ذلك الوقت تدعو إلى نقيضه .

ولم تدم سيطرة (المصرية الجديدة) على الأدب طويلا ، فإن الأدباء حنوا إلى العهود الأولى . فأخذوا يرصعون عباراتهم وينتقون لها أصفى الألفاظ والأساليب ، وقد يزينونها بالألفاظ الأجنبية على سبيل التظرف أو إظهارا لتمكنهم من مادتهم ، واستمر الأدباء فى طريقتهم يهذبون اللغة ويفتنون فيها نحو خمسة قرون ، أخذ هذا النوع من الأدب بعدها فى الانحطاط حتى كاد

أن يتلاشى . وكان على تلاميذ المدارس أن يتعلموه كأنه مادة غريبة عنهم حتى آل نجم الأدب إلى الغروب كما آل نجم مصر إلى السقوط .

استمرت الحال كذلك عدة قرون (وقد نستثنى منها عصر الإغريق) إلى أن ظهر أدب جديد هو الأدب الديموطيقى ولا دخل له فى موضوع كتابنا.

ويلاحظ أن اللغة الأجنبية التى كان الأدباء يزينون كلامهم بها فى العصر الأخير من الدولة الحديثة كانت مستعارة من لغة فلسطين غالبا لما كان بين البلدين من علاقة متينة قوية ، وهذا يدعونا الى القول بأن (كنعان) قد تأثرت بمصر من ناحية الأدب كما تأثرت بها من ناحية الفن .

ولو وصل إلينا شىء من الأدب الفينيق لرأينا الطابع المصرى فيه واضحا أيضا من غير شك ، وإننا لنرى الأدب العبرانى — وان كان زمنه متأخرا عن الزمن الذى نتحدث فيه — يذكرنا بنوع من الكتابات المصرية ، نرى ذلك واضحا فى المزامير وأناشيد الإنشاد فى الأدب الحكيم عند العبرانيين ، وقد نرى تأثيرا كذلك غير مباشر للغة المصرية إذا دققنا البحث فى أساليب العبرانيين وطرائق تعبيرهم غير ماذكر .

وما دمنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فليس ببعيد إذن أن يكون الأوربيون أنفسهم قد تأثروا بالعقلية المصرية والتفكير المصرى فاستفادوا وأفادوا .

(٣) الكتاب المتعلمون

كانت الطبقات المثقفة عماد الأدبين القديم والحديث ، وكان للكاتب فضل السبق على غيره من أصحاب المهن الأخرى ، بل إنك لتجد فجوة كبيرة تفصل بين المصرى المتعلم وغير المتعلم ، ومن يبرع فى الكتابة ينل أسمى المراكز وإن لم تسم مواهبه الأخرى ، بل لم يكن للحاكم نفسه قيمة إلا بكتابه . ومن هنا تدرك السر فى رغبة كبار الموظفين القدماء أن يصوروا أنفسهم فى هيئة الكتاب ، لأن الكتابة فى نظرهم سلم يرقى فيه المرء إلى أقوى المراكز وأعلاها ، والرجل الذى يستطيع الإبانة عما فى ضميره بأسلوب جميل مهذب يجد الطريق أمامه مفتوحة لأكبر المناصب وأعلى الدرجات . ومن هنا شملت الكتاب موجة من الغطرسة والكبرياء وراحوا يدلون على غيرهم بمركزهم الاجتماعى ، ويظهر هذا واضحا جدا فى أدبهم القديم الذى كونوه بحيث كان ذلك التعالى ميزة له .

والكبر وإن كان فى ذاته مكروها إلا أن المثل العليا التى وضعتها طائفة الكتاب للموظف

الذى يعتد بنفسه ويرتفع بكرامته جعلتنا نتجاوز عن ناحية الصلف ونعترف لهم بأنهم جعلوا من واجب الموظف أن يكون عادلا ينتصر للمظلوم ويأخذ من الظالم، حاذقا يعرف كيف يتغلب على الصعاب ويفتح الطريق بين أعظم الصخور وأمنع العقاب .

وكانت آراء الكاتب تحترم فى مجلس الشورى وكل قول له يجب أن يقدّر ويميز عن العامة .

بهذه الروح كان الموظفون يعملون كما نشّئوا الشباب من طائفتهم على هذه المبادئ نفسها .

وفى عهد الدولة الحديثة بقى الميل إلى البيروقراطية ومدارسها كما كان من قبل . وبالرغم من كل مابدا من خلاف فان رسائل المعلمين لم تمط بشيء غير ماوعظت به كتب الحكمة القديمة .

وليس هناك فرق إلا أن تعاليمهم كانت مرتدية ثوبا أكثر لباقة وحذقا وأن خلق الكبرياء الذى يشع من مراميهم كان أكثر تجسما وأبين وضوحاً .

وسنوضح كل ذلك فى باب الرسائل .

(٤) المغنون والقصصيون

لا نرتاب فى أن الذين حملوا مشاعل الأدب المصرى كانوا من المتعلمين الذين يحترفون الكتابة ، وليس معنى ذلك أنهم خلقوه خلقا ، أو أنهم الذين ابتدعوه فى أرض الفراعنة ابتداعا ، وإنما ارتقوا به من حالته الساذجة التى كان عليها إلى حالة أكثر افتنانا ؛ فان الطبيعة التى أوحت إلى الحمام بالهديل وإلى العصفور بالشقشقة وإلى الهزار بالتغريد لابد دافعة بالإنسان إلى محاكاة هذه المخلوقات ، بل إن أساس المحادثة نفسها قائم على هذه المحاكاة ، لذلك لانشك مطلقا فى وجود الغناء وهو فرع من الأدب قبل أن ينهض بالأدب الكتاب فى مصر القديمة ، غير أنه كان بسيطا لا تكلف فيه ولا تعقيد ولا ازدواج ، واعتبر ذلك بما تراه من الفلاح المصرى الآن وقد رفع داليته أو أدار ساقيته ، ومن البحّار وقد أطلق فى النيل جاريته أو تسنم ساريته ، تجد أن الطبيعة قد أوحت لهما بما يقولان فانطلقا يرجّعان على تلك الصورة الصغيرة المحببة التى تنير العاطفة وتجلو صورة من صور الحياة . ولاشك أن فى الغناء راحة ولذة أخذها الأبناء عن الآباء بطريق الوراثة . وهى خير معوان على مداومة العمل الشاق وتذليل ماصعب منه ، ولأمر ما تميل الإبل وتنشط فى رحلاتها الطويلة إلى الحداء فتحث فى السير وتسرع فى طى المفاوز ، والفلاح والصانع فى مصر القديمة كانا يستعينان على عملهما الشاق بغنائهما المتواضع حتى لقد كان الغناء جزءا من العمل الذى يقوم به العامل ، يدلنا على ذلك أن المثال

كان يضيف إلى تمثاله الذى صوره الأغنية التى تناسبه . وقد أوردنا أمثلة من هذه الأغانى فى العصور المختلفة فى مواضعها المناسبة . وكنا نظن[1] إلى عهد قريب جدا أن تلك الأغانى التى كان يرددها فاتنات الوصيفات فى حضرة سادتهن لم تكن موجودة ، ولكنا عثرنا عليها فى كشف جديد ممثلة معهن ، رأينا منظر غانيات شاديات ، وأخريات راقصات ، تلمح فيه تناسق الحركات مع إيقاع النغمات ، ولا يبعد أن تكون تلك الأغانى ساذجة بريئة كأختها التى كان يرددها العمال .

ولا نشك فى أن الغناء قد تأصلت جذوره فى أرض الفراعنة ونبتت سيقانه حتى صار حرفة معترفا بها زاولها الرجال والنساء ، فقد رأينا رجالا حرموا حاسة البصر ونساء فاتنات قد اتخذوا من الغناء حرفة مربحة ، كما تحدثنا قصة (سياحة ونامون) فى نهاية الدولة الحديثة عن مغنية مصرية عملت على نشر الحضارة المصرية فى سوريا من ناحية الغناء .

وإذا كنا قد رأينا المغنين والمغنيات ممثلين فى آثار الفراعنة فإننا لم نجد للقصصيين أثرا ، وذلك لأن الغناء من مظاهر الترف التى تلازم قصور الأغنياء ، والقصص من السلع التى تعرض فى الطرقات ويتلهف على سماعها العامة وصغار القوم كما نرى فى أيامنا هذه ، وحياة الطرقات وما إليها لم يمثلها المصريون فى مقابرهم ، وإنما سجلوا ما كان من ألوان الحياة المحببة لدى السادة والأمراء .

وعندنا قصص للعامة والخاصة من كل عصور التاريخ المصرى إلا الدولة القديمة فلم يصلنا حتى الآن شىء منها وتدل مادتها ونغماتها على أنها من أصل قديم ، وإذا كانت قصص الروائيين الحديثة تتناول شخصيات تاريخية عظيمة مثل « عنترة العبسى » و« صلاح الدين » فان القصص القديمة كذلك لم تهمل أبطال التاريخ ، فلدينا قصة من العصر المسيحى فى مصر تدور حول « قمبيز » وأخرى من العصر الإغريقى تتناول « نقطانب » وثالثة ممتعة حفظها لنا «هيرودوت» عن «رمبزنيتس» وفى الأوراق البردية الديموطيقية نقرأ قصة الملك « بيتوبستس» وحكاية رئيس الكهنة « خاموس » . وفى نهاية الدولة الحديثة نجد قصة الملك «تحتمس الثالث » وقصة ملك الهكسوس « أبوفيس » ومن أواخر عهد الهكسوس نطالع قصة « الملك خوفو والسحرة » .

---

(١) عثر الأستاذ أحمد فخرى كبير مفتشى الوجه القبلى على مقبرة « خيروف » من عهد الأسرة الثامنة عشرة ومن مناظرها الفريدة ذلك المنظر الذى أشرنا اليه . انظر :

Annales Du Service des Antiquites De L'Egypte. T. XLII. P. 449 ff.

ولا شك فى أن هــذه القصص قد وضعها وأذاعها قوم عرفوا ميول العامة وأذواقهم فاستهووهم بها ، وإذا كانت هذه القصص قد جاءت فى بعض الأحيان على شكل أساطير دينية كأسطورة «إيزيس» و«أوزير» وخرافة « هلاك الإنسانية » (والآلهة التى لم تستطع العودة ثانية إلى مصر) فإن ذلك لا يمنع من كونها عامية خلقت للعامة تغذية لميولهم وإشباعا لعواطفهم وأهوائهم . هذا وقد طالعتنا الـكشوف الحديثة بلون جديد من القصص كان يظن أنه من اختراع اليونان وأعنى بذلك القصص الخرافى الذى تدور حوادث أبطاله حول الآلهة دون البشر . إذ عثرنا أخيرا على قصة للمخاصمة بين «حور» و«ست» كان كل أبطالها من الآلهة ، وتعتبر هذه القصة تجديدا فى الأدب المصرى القديم ، وسنوردها بعد .

(٥) أوزان الشعر المصرى

من المعلوم أن الشعر يمتاز بما فيه من الصور الخيالية الجميلة وعمـا يقيده من الأوزان الخاصــة به . وإذا نظرنا إلى الشعر المصرى من هاتين الناحيتين وجدنا أن الصور الخيالية كثيرة فيه ، ولـكن أى وزن يقيده ؟ وهل له وزن واحد أو أوزان مختلفة كالشعر العربى ؟ وهل له قيود أخرى غير الأوزان كالقافية فى الشعر العربى مثلا ؟ الواقع أننا تائهون فى بحار الشعر المصرى ، فكل ما كتب بلغة عالية فى أسطر قصيرة ، متقاربة الطول ، يرجح أنه شعر يخضع لوزن من الأوزان ، فإذا تكررت المقطعات واتحدت فى عدد سـطورها ، وتناسبت معانيها كان ذلك شعراً مؤكدا لا نثراً وتكون القطعة عادة من ثلاثة أسطر أو أربعة كالأمثلة الآتية :

أنت تنزل فى سـفينة من خشب الصنوبر
تحرك من القــــدم إلى المؤخر
وتصل إلى قصرك الجميـــل
الذى بنيتــــه لنفســـك

***

فمك مفعم بالنبيـــذ والجعة
والخـــبز واللحم والفطـــير
وتذبح الثيران وتفتح أباريق النبيــذ

وأمامك الشـــدو الجميـــل

***

ورئيس معطريك يضمخك بعطر (كى)
وساقيك يحمـــل تيجان الأزهار
ورئيس فلاحيـــك يقدم الدجاج
وصـــيادك يقـدم السـمك

***

وليس تكرار المقطعات واتحاد عدد سطورها هو كل ما يقيد الشعر المصرى بل يلتزم أن تبتدئ المقطعات كلها بكلمات مشتركة تكرر فى جميعها ، فمثلا فى (جدال بين إنسان سئم الحياة وبين روحه) نجد أن المقطعات الثانية التى تتكون منهـا الأغنية الأولى تبتدئ كل واحدة منها بهذه العبارة :

« انظر إن اسمى ممقوت » كما أن مقطعات الأغنية الثانية تبتدئ كل مقطعة بهذه الجملة : « لمن أتكلم اليوم ؟ »

وقد نجد القيد مزدوجا كما فى قصيدة تحتمس الثالث إذ نجد أن الأسطر الأولى قد اتحدت فى استهلالها كما نجد الأسطر الثالثة قد اتحدت أيضا فى صدورها .

فالأبيات الأولى من هذه القصيدة تبتدئ بما يأتى :

« إنى قد أتيت حتى أجعلك تدوس . . . . .

وصدر الأسطر الثالثة منها هذه العبارة :

« إنى أريهم جلالتك . . . . .

أما السطران الثانى والرابع فليسا مقيدين فى بدايتهما

وقد نجد مقطعات شـعرية مختلفة فى الطول ومختلفة فى عدد السطور متشابهة أو غير متشابهة فى بدايتها ، فنسميها شعرا مطلقا من القيود ، ولا نخفى على القارىء حيرتنا وترددنا بين اعتبار مثل هذا الكلام نثرا أو شعرا لجهلنا بالوزن الذى كان يلتزمه المصرى القديم عند تأليفه القصيد . والظاهر أن الشاعر المصرى ما كان يتقيد بوزن خاص بدليل أن مصريى العصر المسيحى (الأقباط) كانوا ينظمون شعرهم حرا خاليا من القيود الوزنية كما ترى :

رجـل آخر يذهب إلى الخارج

يمكث سنة ثم يعود إلى بيته
ولكن أرشليت ، قد ذهب إلى المدرسة
وكم يوما حتى أرى وجهه

ولا بد أن المقطوعات الشعرية المصرية المركبة من أسطر كانت تشبه فى توقيعها الرباعيات القبطية .

ولا شك أن تحلل الشاعر المصرى من قيود الوزن يجعله أكثر حرية فى تفكيره وفى صياغته . فبدلا من أن يبدأ مقطوعته بقوله « أوزير يستيقظ بسلام » يستطيع أن يبدأها بقوله « الباقى المخلد ، رب المأكولات ، الذى يهب الحياة من يحب ، يستيقظ بسلام »

ومن مميزات الشعر المصرى التى انفرد بها أن يسوق إليك المعنى الواحد فى صورتين مختلفتين متلاحقتين ، مثال ذلك : « القاضى يستيقظ » ، « تحوت يجلس » ، ومثل : « ثم تكلم أصدقاء الملك هؤلاء » ، « وأجابوا أمام إلههم » ، ومثل : « وهم الذين يدخلون فى هذا القبر » ، « وهم الذين يشاهدون ما فيه » .

ففى المثالين الأولين نجد أن الجملة الثانية مرادفة للأولى ولا فائدة منها ، وفى المثال الأخير نجد أن الجملة الثانية تفيد معنى جديدا ولكنه من لوازم معنى الجملة الأولى .

ويرجع إغرام المصريين بهذه الطريقة إلى عنايتهم بالزخارف اللفظية فى العهد القديم كما سبق بيانه وإلى إظهار الكتاب قدرتهم على اللعب بالأساليب والافتنان فيها واعتيادهم ذلك حتى صار أمرا مقررا فى كل أسلوب فنى عال . ويظهر أن كتاب العهد القديم أخذوا هذا النوع الغريب من الأداء عن العبرانيين والبابليين الذين ألفوه وساد بينهم .

وتستطيع أن تدرك مبلغ غرابة هذه الطريقة إذا حولت قطعة ما من الشعر إلى الأسلوب المصرى . وخذ مثلا هذه القطعة وهى بداية الكتاب الخامس من « الأوديسا » .

« الآن طلع الفجر من مخدعه من جانب «تيتونس» ليحمل النور إلى الخالدين والناس وكانت الآلهة تجتمع لجلسة ومن بينهم (زيوس) الذى يرعد من أعلى ، والذى تعلو قوته كل القوى .

فهذه القطعة تقرأ بالأسلوب المصرى كما يأتى :

إن الفجر رفع نفسه من سرير (تيتونس)
وشفق الصبح طلع من مكان راحته
حتى يستطيع أن يضىء للخالدين

ويحضر النـــور لبنى الإنسان
والآن كانت الآلهة ذاهبة إلى المجلس
وجلس الخالدون ليتشـــاوروا
وجلس فى وسطهم (زيوس) الراعد
وجلس على عرشه ملك الآلهة رئيسا لهم
ذلك الذى قد عظمت قوتـــه
وفاقت قوتـــه كل شىء

ولا شك أن هذا الترادف أو المزاوجة فى التعبير مما يذهب بإمتاع القطعة ويكد الذهن ويعنه متابعة المعانى وتسلسلها ببساطة وسهولة ، ولـكن لم يكن ذلك قالبا يجب صب الشعر فيه أو مقياسا يجب عرضه عليه ، بل كان مجرد حلية لفظية يلزم الشاعر باتباعها ما دام قد اختار لمانيه الأساليب العالية .

ولقد جرهم غرامهم بالترادف والازدواج إلى الترصد للممدوح قبل ذكر اسمه بسرد عبارات مختلفة تشير إليه ، وتدل عليه ، كما جاء فى أنشودة الصباح المترجمة بعد ، ويتنوع البيت الواحد بهذه الطريقة إلى ما لا نهـاية له من الصور والأوضاع ، ويبدو هذا مملا وثقيلا على آذاننا ، ومن يدرى ، لو أنا وهبنا آذان الفراعنة الأقدمين ، وعرفنا كما عرفوا أسرار مسمياتهم التى اختاروها لـكان هذا الشعر خفيفا على أسماعنا محببا إلى قلوبنا . وقد فشا هذا الأسلوب فى فى قصائد المديح خاصة وهى التى يمتاز بها الأدب المصرى فيسبق اسم الممدوح جمل للتعظيم مثل « المديح لك » أو « التعبد لك » تتبعها نعوت وأسماء وأسماء أفعال وجمـل موصولة للتعريف بالممدوح والتذكرة بجميل أفعاله ، وتحشد هذه النعوت حشداً كثيرا بلا ترتيب ممـا لا يجعل تفاضلا بينهما ، ومما لا يجعل لهذا الشعر معنى . ومن الظواهر الملموسة فى الشعر المصرى تداعى المعانى وتساوق الأفكار ، وإذا قرأت (تحذيرات نبى) وجدت هذه الظاهرة واضحة ، فهذا الشاعر الذى تفجر قلبه حزنا وأسى على بلاده ، أخذ يرسل الزفرات الواحدة بعد الأخرى شاكيا مما يشجيه ويحزنه ، ولـكن لا اتصال بين ما يشكو منه على كثرته ، لظاهرة الاستطراد وتداعى المعانى التى تواضع عليها هؤلاء الشعراء ، فكل فـكرة يعبر عنها تسوقه إلى فـكرة جديدة فيتناولها أيضا فتسلمه هذه بدورها إلى غيرها وهكذا ، وإليك مثلا مما قال .

« إن كل شىء مملوء بالحياة حتى الأطفال الصغار » وعند ذكر الأطفال يثب إلى ذهنه أنهم يقتلون ويلقى بهم على تلال الصحراء فيتناول هذا الموضوع ، ثم تذكره تلال الصحراء

بالموميات التى تنزع هناك من قبورها ويلقى بها عليها فيعالج ذلك أيضا بدون أن يكون لكل ماذكر علاقة أصلية بالموضوع الذى أنشأ فيه القصيدة أولا .

ومن الزخارف اللفظية التى أولعوا بها الجناس ، وكان أسلوبا محببا اليهم ، وقد وجدت فى «متون الاهرام» صيغ دينية قديمة جدا لتقديم القرابين التزم فيها الجناس فى كل اسم من أسماء مواد الطعام ، واستعمل الجناس كذلك بنظام فى قصيدتين من أدب الدولة الحديثة قد دوناها فيما بعد ، ولا نستطيع أن نبرز هذا الجناس باللغة العربية طبعا لاختلاف ظروف اللغتين .

ومن الحلى التى كان لها شأن كذلك فى تزيين اللفظ وقتها بداية الكلمات بحروف واحدة ولكن لا يلتزم هذا الاتحاد الحرفى دائما ، ومثاله بيتان من الشعر يشيران إلى « أمنحوتب الثالث » : « حاربت عصاه بلاد النهرين ، وأخضع قوسه السود » .

ولقد عثرنا على شعر مصرى فى العصر اليونانى تشابهت فيه الحروف الأولى لكلماته مما يحملنا نعتقد أن تلك العادة وجدت قبل ذلك التاريخ عند أدباء المصريين وكانوا عيلون إلى اتباعها فى نقوش معابدهم بل إن رجال الدين كانوا يجدون لذة فى ذكر كلمات تتحد حروفها الأولى فى الجملة الواحدة ، وهناك رأى ينسب مثل هذا الأسلوب إلى الدولة الحديثة أيضا .

(٦) الكتابة والكتب

إن ذلك المخترع الذى اهتدى إليه المصريون فضمن للحياة العقلية النمو ونعنى به الكتابة جدير بأن نجعل له نصيبا من عنايتنا وأن نتحدث ولو بشىء من الإجمال عن بدئه وتطوره .

بدأت الكتابة المصرية على نظام الصور الذى اتبعه غير المصريين ينقشها الإنسان ليذكر بها شيئا فى ذهنه ، ولكنه من الصعب على غيره أن يهتدى إلى ما يريد . لذلك كانت هذه الطريقة ناقصة وغير مضبوطة ولا تؤدى إلى الغرض من اختراع الكتابة وإليك مثلا .

اتفق شخصان على أن يبيع أحدهما الآخر ثورا فى مدى ثلاثة أشهر مقابل خمس جرات من العسل فإنه يكفى لتسجيل هذه الصفقة أن يرسم « القمر والثور والنحلة والجرة وبعض شرط أفقية تدل على العدد» وبدهى أن الأجنبى عن هذين المتعاقدين لا يستطيع أن يفهم صيغة ما تعاقدا عليه على وجه الدقة إذا عرضت عليه هذه العلامات . لذلك مست الحاجة إلى تلافى هذا العيب فبدأ كل قوم من ناحيتهم يفكرون فى إكمال ما لمسوه من النقص حتى وصلوا

إلى أنواع من الـكتابات والـكلمات والمقاطع . وقد لازم المصريين وحدهم التوفيق فوصلوا إلى أعلى شكل للـكتابة وهو الحروف الأبجدية .

والفكرة الأولى التى وصلت بهم إلى غايتهم فى ذاتها سهلة ، فإن هناك من الكلمات مايصعب رسمه وتصويره كأسماء المعانى مثلا فيجب أن ينقش بدلها كلمات أخرى يمكن رسمها وتتفق معها فى النطق وإن كانت تختلف عنها فى المدلول ، وعلى القارىء أن يفهم المعنى المقصود من سياق الـكلام ، فمثلا أردنا أن نعبر عن معنى عظيم (ور) وهذا يصعب علينا رسمه لأنه معنوى فلا علينا إذن إذا استعملنا بدله لفظ عصفور الجنة (ور) لأنه يماثله فى النطق وإذا أردنا أن نعبر مثلا عن كلمة يصير (خبر) وتصويرها أيضا متعذر فلا بأس من أن نستبدل بها مثلا كلمة جعل (خبر) التى تماثلها فى النطق والمرجع فى فهم المعنى المقصود منها إلى حذق القارىء .

والـكلمة التى نستعيرها يجب أن تحتوى على حروف الـكلمة التى نستعيرها لها بصرف النظر عن الحركات التى تحدد موقعها من الإعراب .

وكثير من العلامات التى تستعمل فى معنى واحد اتسعت معانيها على مر الأيام وأصبحت لا تختص بمدلول واحد بل إنها صارت على مر الأيام أجزاء من كلمات أخرى . فمثلا عصفور الجنة لم يعد يستعمل كما فى المثال الأول ليدل على (ور) (عظيم) فحسب ، بل ليدل أيضا على الحرفين الساكنين (و ، ر) إذا دخلا فى تركيب الـكلمات الأخرى مثل (حور) ، (سور) ، (ورس) ، (ورريت) . . . . الخ . ومن هنا اكتسبت الـكتابة إشارات من حرفين ساكنين . وتقدم المصريون خطوة أخرى فاستعملوا كلمات قصيرة فيها حرف ساكن واحد ، تدل بجملتها على هذا الحرف الساكن فمثلا = ر = (فم) كانت تستعمل للدلالة على حرف الراء و = زت = (أفعى) كانت تستعمل للدلالة على حرف الزاى (والتاء فيها علامة التأنيث) و = شى = (بحيرة) للدلالة على حرف الشين وهكذا ، وكانت نتيجة هذه الخطوة أن تكونت حروف أبجدية من أربعة وعشرين حرفا ساكنا وهى التى انتهت فيما بعد إلى أرض كنعان وأخذت منها الحروف الأبجدية الأوربية .

وبهذه الحروف الأبجدية كتبت كلمات قصيرة مفردة مثال ذلك = ر = إلى و = م = فى . = أو = يكون ، كما كتبت نهاية بعض الكلم مثل ـ = خبر . ف = هو يصير كما أنها سهلت قراءة الإشارات التى تدل على كلمات . فمثلا فى بمعنى الضامة أو بمعنى فأس لو تركت هذه الإشارات كما هى مرسومة

لاحتمل تفسيرها بكلمات أخرى لا تدل على الضامة ولا على الفأس ولكن بإضافة (ن) للأولى و (ر) للثانية وكتابتهما هكذا « من ، مر » يتحدد معناهما ويدلان على الضامة والفأس لا غير ، كما أن كثيرا من الكلمات كتب بالحروف الأبجدية الخالصة على حسب هجائها .

والخلاصة أن الحرف الواحد كان يدل على كلمة أو يلحق بأخرى ، أو يضاف إلى إشارة ليحدد معناها أو يلتزم وظيفة أصلية فيكون جزءا من الكلمة .

وقد بقى نظم الكتابة خليطا بضم كلمات يراد بها معناها الأصلى أو معناها الاستعارى أو علامات أبجدية تدل على كلمات أو تحدد معانى كلمات .

وقد خطت الكتابة خطوة أخرى نحو النمو وأدخل عليها عنصر جديد ينحو بالكلمة إلى الهدف المراد منها وهو ما يسمى بالمخصص . فمثلا (نهت) أى جميز أضيف إليها شجرة فأصبحت تكتب هكذا . « ونفر » أى جميل أضيف إليها إضمامة بردية لتدل على الشيء المنوى فأصبحت تكتب هكذا وكذلك غير ما تقدم من الكلمات .

والكتابة بعد هذه الخطوة أصبحت سهلة على القارىء المصرى القديم يكتبها ويقرؤها ويفهمها بيسر وسهولة بدليل أنه وقف عندها ولم يحاول أن يطوح بالمخصص ويقتصر على الحروف الأبجدية وحدها بوضع نظام يوصل إلى هذه الغاية .

ولقد اعتدنا أن نقتفى أثر الإغريق فى تسمية الكتابة المصرية فنسمى بعضها «الإشارات المقدسة» (هيروغليفية) ونسمى بعضا آخر خاصا (الهيراطيقى) وهو الذى نقلنا عنه معظم ما فى هذا الكتاب . وفى هذه التسمية بعض التجوز أو التساهل لأن الهيراطيقى ليس نوعا خاصا منفصلا عن قسيمه بل هو بمثابة خط الرقعة فى اللغة العربية إن جعلنا الهيرغليفى بمنزلة خط النسخ ، والفرق بين الاثنين كالفرق بين حروف المطبعة وخط اليد .

ومما ساعد على تقدم الأدب المصرى بوجه عام الأدوات التى كان يستعملها الكتاب فى كتابتهم فلم يتأثروا البابليين فى طبع إشاراتهم على اللوحات الطينية التى أنتجت الخط المسمارى القبيح الشكل . بل إنهم كانوا يكتبون كما نكتب ، وبعبارة أصح أصبحنا نكتب كما كانوا يكتبون ، فكان عندهم المداد الأسود الثابت اللون وكانوا يطحنون مادته على ألواح من الخشب وكانوا يأخذون أقلامهم من القصب يبرون أطرافها ويدببونها وفق رغبتهم ، وكان عندهم فوق ذلك ورق ناعم جميل صنعوه من لب سيقان البردى فتهيأ لهم بذلك ما لم يتهيأ لغيرهم من الأمم فنمت كتابتهم وتوطدت أركانها . ويمكننا إذا رأينا الآن النسخ الخطية التى

تركوها أن نلمح بين سطورها مهارة الكاتب وقدرته وأن ندرك من رسمها أن ناقشها كان متمكن اليد منشرح الصدر .

وكان من السهل عمل صحائف طويلة يصل طولها إلى بضع عشرات من الأمتار بضم صحائف صغيرة منفصلة بعضها إلى بعض وإلصاقها ، وهناك صحائف خطية جميلة من هذه النوع يبلغ طول الواحدة منها نحو أربعين مترا .

وكانت الكتابة عادة على وجه واحد من البردى وهو الوجه الذى تكون الألياف فيه أفقية حتى يأخذ القلم سبيله بلا مقاومة . وهذه الطريقة تستدعى الإسراف فى الورق ولم يكن فى مقدور كل كاتب مصرى أن يلجأ اليها ، ولدينا أمثلة كثيرة للكتابة على وجهى الصفحات اقتصادا فى الورق .

والشخص الذى ندين له بأمتع مثال لدينا من هذا النوع هو صاحب (ورقة هريس) رقم ٥٠٠ إذ حصل على أوراق مكتوبة من البردى وغسل ماعليها من المداد وكتب على أحد وجهيها ثلاث مجاميع من أغانى الحب وأنشودة الشراب القديمة ، وجاء بعده كاتب آخر وكتب على الوجه الثانى من الورقة قصتين .

وقد استعمل كاتب ورقتى (ليفينجراد) طريقة مغايرة للسابقة ، إذ كان يشتغل كاتب حسابات فأخذ وثائق من مصلحته وألصق بعضها ببعض ونسخ على الوجه الأبيض هاتين الورقتين محتفظا بملكية ما كتب له ولأخ عزيز موثوق به ، وقد حفظت لنا هاتان الورقتان تعاليم للملك « ميركارع » ونبوءة « نفررهو » .

والكاتب الذى يعجزه الحصول على ورق البردى كان يجد ضالته فى قطع الخزف فتحل مع رخص ثمنها محل البردى ، وقد نطلق اسم الخزف على كسر من آنية الفخار أو على قطع من الحجر الجيرى الناعم ، وكثيرا مانشاهد هذه الآثار المكتوبة ملقاة على الأرض فى أى مكان فى مصر . وكثير منها مما كان يستعمله تلاميذ المدارس المصرية القديمة لكتابة تمارينهم وقد نقلنا عنها كثيرا مما فى هذا الكتاب .

(٧) فهمنا للمتون المصرية

إذا قرأنا ترجمتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة لمتن صعب من المتون المصرية هالنا ما نجده بين الترجمتين من فرق كبير ، ولا يرجع كل السبب فى ذلك إلى تقدم علم الآثار فى الزمن الحديث ، بل هناك عامل أساسى سبق أن تحدثنا عنه ، وهو نقص نظام الكتابة عند

المصريين القدماء ، فالألفاظ المصرية لم تضبط بحركات تجعل القارئين والمترجمين فى مأمن من الخطأ فأصبحت الكلمة المصرية يمكن نطقها بأشكال مختلفة تعطيها معانى متباينة . مثال ذلك: (سزم) فأنها تحتمل معنى من المعانى الآتية : سماع ، يسمع ، سمع ، سامع ، مسموع .... إلى غير ذلك ، وليس لدينا طريقة لتحقيق المعنى المقصود بالضبط إلا سياق الكلام ، وقد يضطر المترجم الأمين من علماء الآثار إلى ترك بعض الجمل من غير ترجمة أو يترجمها ويعترف بأن هناك من التراجم ما يمكن أن يخالفها ويصح اتباعه ، وذلك إذا كان المتن يضم غير المألوف من الأساليب وغير العادى من الأفكار . أما إذا كان المتن بسيطا فإننا نجد من السياق ومن الاستعمالات الكثيرة التى مرت بنا وعرفت لدينا خير معوان يصل بنا إلى ما يهدف إليه المتن من الأفكار .

وليس قصور نظام الكتابة هو كل ما يعترضنا من صعاب عند ترجمتها ، بل إن استخفاف الكاتب المصرى وجهله بعمله عقبة كأداء . وأغلاط الكتاب المصريين كثيرة وشائعة وإن لم تصل إلى درجة الخطورة ، ويكفى الكاتب أن يترك أو يضيف (مخصصا) خطأ إلى كلمة فينقلب معناها ويبعد عما يريد الكاتب الإبانة عنه ، على أن للمصريين القدماء كانوا أقل احتفالا منا بأمثال هذه الأغلاط وكانوا يصححون أخطاءها أثناء القراءة على ما نعتقد ، فليس من المعقول أن يصطفى إنسان كتابا وينقله لإغرامه به ثم يغض النظر عن أخطائه الكثيرة إلا إذا كان معتمدا على تداركها عند القراءة .

ويظهر أن تلاميذ المدارس المصرية فى عهد الدولة الحديثة كانوا أحيانا يؤدون واجباتهم برمين بها ، فهم ينقلون ما يكلفون نقله من المتون فى سرعة وعدم اكتراث على أوراق البردى وقطع الخزف ، ولذلك فشا الخطأ فى هذا العهد حتى لم تخل أسلس المتون وأسهلها عبارة منه . ولا نشك فى أن جزءا كبيرا من متن موقعة قادش كان مصيره الغموض لو لم يسق الله إلينا كثيرا من النقوش التى ساعدتنا على فهمه وتصحيح أخطائه ، وما كانت نسخة « بنتاور » لتغنينا عن ذلك فتيلا.

على أن بعض التلاميذ كانوا لا يتورعون إذا صدموا بنقل كتاب يصعب عليهم فهمه لالتواء أساليبه اللغوية القديمة عن أن يغيروا فيه ما شاءوا ولو أدى ذلك إلى ضياع المعنى . ومما يؤسف له أن يقع كتاب قيم مثل تعاليم « دواوف »[1] فريسة فى أيدى تلاميذ مدارس الأسرة التاسعة عشرة فيحرفوا الكلم عن موضعه ، وأن يجىء إخوانهم تلاميذ مدارس الأسرة الثانية والعشرين بعد بضعة قرون فيسيئوا من ناحيتهم نقل كتابات الأدب المصرى الحديث ، ولكننا نغفر لهم بعض ما أساءوا لأنهم حفظوا لنا هذا التراث من الضياع .

---

(١) عرفت هذه التعاليم بهذا الاسم إلى عهد قريب غير أن الأستاذ « جاردنر » أثبت أن كاتبها اسمه « خيتى » كما سنرى ذلك فى موضعه .

القصص المصرى

لم تصل إلينا الحياة العقلية فى مصر سلسلة متصلة الحلقات حتى نتبعها من أولها إلى آخرها ، ونسلط عليها أشعة البحث والدرس ، ونخرج منها بنتيجة نقطع بها ونؤمن بصحتها . ولكنها وصلت إلينا وبها حلقات مفقودة ، فلا نستطيع إلا درس ما وصلنا وبناء أحكامنا عليه .

والمتتبع لتاريخ القصة فى الأدب المصرى لا يرى أمامه أى مثال للقصة فى الدولة القديمة ولا ما سبقها من العهود ، وإن كانت ظواهر الأحوال وإشارات « متون الأهرام » تدلنا على أنه كانت هنالك أساطير وأقاصيص عن الآلهة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ . ومن يدرى ! فلعل الأرض تبوح بسرها يوما ما وينشق جوفها عما نلتمسه الآن فلا نجده ، إن لم تكن عوادى الزمن قد طغت عليه .

والقصص التى وصلت إلينا من عهد الدولة الوسطى قصص ناضجة تدل على أن هذا الفن بلغ فى عهد هذه الدولة ذروته ، وإن كان قد أخذ فى الهبوط بعد ذلك ، كما أن سائر ألوان الأدب التى تنسب إلى هـذه الدولة كاملة النمو أيضا ، وليس من الطبيعى أن يولد الشىء ناميا كاملا ، بل من الطبيعى أن يولد طفلا ثم يصعد فى معارج النمو حتى يستوى خلقه وتكمل بهجته فى ربيع شبابه ، فأدب الدولة الوسطى جاءنا كالشعر العربى الجاهلى محكم النسج راقى المعنى تام النمو ، فلا بد أنه بدأ مثله بمحاولات ناقصة أخذت ترقى وتتم على مر الزمان . وإذا عرفنا أن عهد الدولة القديمة بين الأسرة الرابعة والسادسة عهد ازدهار فى العلم والفن من رياضة وطب وعمارة ونحت وتلوين ما ترددنا فى أن نقطع بأنه كان للأدب أيضا فى عهد الدولة القديمة شأن ، لأنه فن ولما بين الفنون من تجاوب وصلة مرجعهما نضج العقل والذوق . ومما يقوى صحة هذه النتيجة أن المصريين أنفسهم فى عهد الدولة الوسطى كانوا ينسبون ما اشتهر من حكمهم وأمثالهم إلى حكماء الأسرة الخامسة .

ولا مراء فى أن الأدب التعليمى الذى وصل إلى ذروته عقب انقضاء عهد الدولة القديمة قد أثر تأثيراً عظيما فى خلق القصة القصيرة . وترى علامة ذلك فى القصص الثلاث الأولى التى سندرسها فى هذا الفصل ، وهى : قصة « الغريق » وقد حكيت بطريقة سهلة ولغة عذبة ، وقصة « سنوهيت » وقد خلق الكاتب لحوادثها جوا وقعت فيه ونقل القارىء إليه ، ولغتها عالية دخلت فيها بعض الصناعة اللفظية ، وقصة « الفلاح الفصيح » وهى فى مجموعها قطعة

من الأدب الراقى المتكلف فى كثير من نواحيه ، وتشبه فى صناعتها مقامات الحريرى ، وقد ابتدأها كاتبها بوصف البيئة التى وقعت فيها .

وبعد عهد الدولة الوسطى نرى ركودا فى فن القصة وربما ننقض هذا الرأى فى المستقبل إذا جاد جوف الأرض بما يثبت عكسه ، ولكنه لم يمت جملة ، فأنه ظهر فى عهد الدولة الحديثة سلسلة من القصص بعضها تاريخى وبعضها خرافى محض ، ولكنها بسيطة فى موضوعها ، ويظهر أنها كانت تعد لتلقى فى قصور الملوك للتسرية عنهم فى أوقات الفراغ ، وربما كان الغرض منها مجرد الدعاية كما نرى فى قصة « الملك خوفو والسحرة » ، أو لإظهار الحق فى ثوب المنتصر على الباطل بسرد أعمال عظيمة خارقة للعادة قام بها الآلهة وتنتهى بهذه النتيجة . وقد كتبت كلها باللغة المصرية الحديثة أو لغة العامة وكانت اللغة المستعملة وقتئذ .

ولا نريد أن نتعجل الحكم على هذه القصص الآن ، بل سنتناول الكلام على كل واحدة منها ، وطريقتنا فى ذلك هى أن نورد ملخص القصة بلغة سهلة ، ثم نتناولها بالنقد والتحليل ، وفى النهاية نورد المتن المصرى الأصلى كما هو مترجم ترجمة دقيقة حسب التعابير المصرية الأصلية . وغرضنا من ذلك أن يقف القارىء الحديث على الأساليب المصرية القديمة بدون إدخال أية محسنات لفظية عليها أو تعابير عربية تقابل التعابير المصرية . وهذه الطريقة هى التى سار على نهجها كل علماء الآثار عند نقل أى متن من اللغة المصرية إلى لغة أوربية . ولا غرابة فان نفس هذه الطريقة هى التى اتبعت فى ترجمة التوراة .

قصة سنوهيت

أُلِّفت هذه القصة الطريفة فى أوائل الأسرة الثانية عشرة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، وقد ذاع صيتها ولقيت رواجا عظيما . وظلت تنسخ وتقرأ نحو ٥٠٠ سنة فى المدارس المصرية .

ملخص القصة :

روى «سنوهيت» هذه القصة بصيغة المتحدث عن نفسه ، وملخصها : أنه كان عائدا من غزو ضد اللوبيين بقيادة ولى العهد « سنوسرت الأول » ، فحدث فى تلك الأثناء أن مات الملك « أمنمحات » الأول ونعاه الناعى إلى « سنوسرت » فترك الجيش وخف مسرعا إلى العاصمة ليطمئن إلى عرشه الذى آل إليه ؛ ولكن أمر الوفاة كان قد ذاع بين الأمراء المرافقين للحملة ، وسمع به «سنوهيت» خلسة ، فما كان منه إلا أن فر هاربا إلى سوريا لأسباب غامضة

لم يستطع هو أن يجد لها تعليلا مقبولا ، وقد أحسن استقباله هنـاك أحد رؤساء القبائل وزوّجه فأصبح رب أسرة ، وصارع أحد رؤساء العشائر السورية المعادية فصرعه وجدّ له ، وبعد فترة طويلة عاوده الحنين إلى وطنه وتاقت نفسه للرجوع إلى مصر ليكون فى خدمة مولاه الملك الذى ظل مخلصا له طول حياته ، وليلقى ربه ويدفن فى البلد الذى ولدفيه وترعرع ، ولما سمع الملك بآلامه وأحلامه عفا عنه وأعاده إلى منصبه فى الحكومة وسمح له أن يعود إلى وطنه معززا مكرما ليقضى ما بقى له من أيام تحت سمائه .

دراسة القصة :

يرى الأستاذ « جاردنر » الذى ترجم هذه القصة وعنى بدرسها أنها تعد من روائع القطع التى تدل على المهارة الأدبية ورقة التعبير عن الأحاسيس الانسانية :

ونرى أن هذه القصة قطعة من الأدب الكلاسيكى لأنها تجلو لنا مرحلة من تاريخ الأدب العالى ، ولأنها تفصح لنا عن الخلق المصرى القديم وتبديه لنا فى مظهر يجمع بين السذاجة والمكر ونفاذ البصيرة والشعور بالعظمة والبراعة فى النكتة . ولا شك أن علمـاء الآثار المصرية القديمة الذين اتسعت آفاقهم العلمية يجـدون متاعا ولذة فى التقلبات التى مرت « بسنوهيت » فى مغامراته ؛ كما أنهم يعجبون بمراحل القصة المختلفة من وصف للملك المسن ، وتصور لهرب « سنوهيت » ، والتعبير عن مخاوفه من الصحراء ، وإطراء كرم قبائل البدو ، ومديح « سنوسرت » الأول بلغة شعرية جميلة ، وإلباس المبارزة التى تمت بينه وبين الرجل السورى القوى ثوبا تلمح فيـه جو التوراة ، وإظهار حنين «سنوهيت» إلى وطنه المحبوب مصر فى صورة صادقة للخلق المصرى الذى يعتز دائما بوطنه ويملأ الحنين إليه فراغ قلبه ، ويأتى بعد ذلك كتاب العفو من الفرعون يمثل أسلوب الملوك الأرستقراطى ، كما يمثل عطف الملوك على المخلص من رعاياهم ، وعفوهم عمن تثبت توبته ويسبق صالح عمله ، وإنعامهم عليه بما يعلى قدرة ويثلج صدره ، كما يبدو ذلك من التأكيد الوارد بكتاب الفرعون عن موضوع شعائر الدفن التى كانت تشغل كل مصرى أثناء حياته . أما رد «سنوهيت» على هذا الـكتاب فكان جامعا لمظاهر الفزع العظيم من الملك القوى ، ومشاهد الملق المصطنع المتكلف الذى يضعه بين يدى الملك ليستل بذلك سخيمته ويضمن به رضاه .

ومن الصور الحية الناطقة فى القصة تلك التى رسمها « سنوهيت» بألفاظ يصف استقباله فى بلاط الملك حتى كأنك حاضر بجسمك فى قصر الفرعون منذ أربعـة آلاف عام تشاهد

« سنوهيت » وقد قيد الفزع حركاته ، فهو يلقى بنفسه عند قدمى الفرعون طالبا الغفران ، كما تلمس قلب الفرعون وهو يضفى عطفه على مولاه المغبر اللابس ويقدمه للملكة ، وتكاد تسمع صوت الملكة وهى تصيح صيحة الدهشة والغرابة مما ترى ؛ وكأنى بك بعد ذلك تتبع أقدام الأميرات الصغيرات فى رقصهن وتؤخذ بروعة شدوهن ، وتشاركهن عواطفهن عندما يطلبن العفو عن هذا المحارب الغريب .

أما ختام القصة فوصف مألوف لعهد الشيخوخة الذى قضاه صاحبه فى نعيم مقيم ومقام كريم ، وهو يشعرنا بالجانب المادى الذى يميل إليه المصرى ميلا شديدا ، والذى كان شعار الحضارة المصرية القديمة .

وبعد فإذا كنا ننادى الآن بوجوب تمصير القصة فى الأدب العربى فإن المصريين القدماء قد سبقونا إلى تمصيرها بمثل قصة « سنوهيت » الذى كان دافعه الأكبر فى الرجوع إلى مصر وترك ما كان فيه من عز وسيطرة ، أن يدفن فى بلاده كعادة المصريين ؛ ومما نراه فى جانبها أنها درس نفسى عظيم ، ومما نأخذه عليها ظهور الصناعة فى الصياغة والأسلوب ؛ وإن كان ذلك يدلنا على أن الأدب المصرى قد تخطى دوره الإنشائى الأول ، فإنه من ناحية أخرى نذير بالتكلف الذى يؤدى إلى انحطاط الأسلوب ، هذا وليست نقطة الجاذبية عند القارىء المصرى القديم فى وقائع القصة التى يمكننا تلخيصها فى بعض جمل ، بل فى تعبيراتها الجذابة التى تستهوى لبه وتجعله يعكف على قراءتها بلذة وشغف .

المصادر :

(١) أحدث ما كتب عن هذه القصة دراسة الأستاذ « جاردنر »

A. H. Gardiner, Notes on the Story of Sinuhe, Paris 1915

وفى هذا المؤلف يجد القارىء كل المراجع التى يحتاج إليها فى درس هذه القصة .

(٢) تكلم الأستاذ « بيت » عن هذه القصة فى كتابه :

A Conparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 33 ff

(٣) كتب عنها وترجمها الأستاذ « أرمن » فى كتابه الأدب المصرى القديم .

Erman : Die Liltratur Der Aegypter. (translated) by Blackman. The Liteuature of The Ancient Egyptians P. 14 ff.

(٤) انظر ملاحظات عن الترجمة فى مجلة الآثار المصرية :

Journal of Egyptian Archeology Vol XXII P. 35 ff

(٥) انظر ماسبرو : Popular Stories of Ancient Egypt. London 1915 P. 68 ff.

وفى هذا الكتاب يجد القارىء بحثا مستفيضا عن المصادر والنسخ التى عثر عليها مستعملة فى عهد الدولة الحديثة .

(٦) انظر كذلك كتاب ماكس بيبر عن الأدب المصرى القديم :

Die Agyptische Literatur Von Dr Max Pieper P. 38 ff

متن القصة :

الأمير الوراثى ، والباشا ، ومدير ضياع الملك فى بلاد الأسيويين ، والسمير الوحيد للملك ، والمحبب إليه القاب « سنوهيت » ، الخادم « سنوهيت » يقول : كنت خادما يتبع سيده ، وخادم نساء الملك يخدم الأميرة ، صاحبة الثناء العظيم ، زوجة « سنوسرت » الملكية فى بلدة الهرم المسماة « خنم — أسوت » والابنة الملكية « لأمنمحات » فى بلد الأهرام « كانفرو » المسماة « نفرو » المحترمة .

واتفق أنه فى السنة الثلاثين ، فى اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الفيضان دخل الإله أفقه[١] (مات) .

فطار الملك « أمنمحات » إلى السماء واتحد مع قرص الشمس وامتزج جسم الإله بجسم خالقه[٢] وعندئذ صمت القصر وامتلأت القلوب حزنا ، وأغلق البابان العظيمان[٣] ، وجلس رجال القصر ورءوسهم على ركبهم ، وحزن القوم .

وكان قد أرسل جلالته جيشا إلى أرض «التمحو»[٤] وكان بكر أولاده «سنوسرت» الطيب ضابطا فيه ، وقد كان فى هذه الأثناء عائدا بعد أن استولى على أسرى من «التحنو»[٥] وكل أنواع الماشية التى يخطئها العد .

---

(١) ما ترجمته — حسب الاستعمال — « بالأفق » كان فى الحالة الأولى مسكن إله الشمس فى السماء ، ثم استعمل للأمكنة التى تشرق منها الشمس وتغرب فيها ، ولما كان الملك هو ممثل اله الشمس فان قصره وقبره كان كل منهما يسمى « الأفق » والمقصود هنا هو القبر .

(٢) يسبح إلى السماء ويصير ثانية جزءا من الشمس التى خرج منها .

(٣) عند مدخل القصر .

(٤) قوم من اللوبيين فى غربى الدلتا كانوا ينهبونها بانتظام .

(٥) قوم آخرون من اللوبيين .

وأرسل أمناء القصر إلى حدود غرب (الدلتا) ليخبروا ابن الملك بالحادث الذى وقع فى البلاط . وقد قابله الرسل فى الطريق ولحقوا به عند الغروب ، فلم يتأخر طرفة عين ، إذ طار الصقر[1] مع خادمه ، ولم يعلم بذلك الجيش . ورغم ذلك فقد أرسلت رسالة[2] إلى أولاد الملك الذين كانوا معه فى الجيش وطلب واحد منهم . وتأمل ! لقد وقفت وسمعت صوته حينما تكلم[3] إذ كنت عن كثب .

وعندئذ كان قلبي يتحرق ، وخارت ذراعاى ، واستولت الرعدة على جميع أعضائى[4] ، فقفزت باحثا عن مكان أختبىء فيه ، فوضعت نفسى بين أيكتين لأفسح الطريق للمسافر فيها[5] .

ثم سرت نحو الجنوب ، ولم يكن غرضي الوصول إلى مقر الملك ، لأنى فكرت أن الشجار قد يقوم هناك ، ولم يكن يهمنى أن أعيش بعده . وعبرت ماء «موتى»[6] القريب من «الجميزة»[6] ووصلت إلى جزيرة «سنفرو»[6] ، ومكثت هناك فى الحقول المكشوفة ، ثم أخذت فى السير مبكراً ، وعند ماطلع النهار ، وقابلت رجلا اعترضنى فى طريقى ، وقد أظهر الرعب منى وخاف . ولما جاء وقت العشاء كنت قد اقتربت من بلدة «جو»[7] فعبرت فى معبر[8] بدون سكان وبمساعدة نسيم ريح الغرب ، ومررت إلى الشرق من المحجر الذى فى إقليم «سيدة الجبل الأحمر»[9]. ثم أسلمت الطريق إلى قدمى متجها نحو الشمال ووصلت «جدار الأمير»[10] الذى كان قد أقيم لصد الأسيويين والقضاء على سكان الصحراء ، وقد أخبأت نفسى فى خميلة خوفا من أن يرانى الحارس الذى كان رابضاً فوق الجدار ليل نهار .

---

(١) الملك الجديد « سنوسرت الأول » .

(٢) أى من حزب آخر إذ كانت هناك مؤامرة لوضع ملك آخر يناهض « سنوسرت » وقد مر « سنوهيت » على هذه المسألة دون أن يذكرها بوضوح .

(٣) من المحتمل : أنه الأمير الذى « طلب »

(٤) ربما كان الشىء الذى أزعج « سنوهيت » هو الخوف من الحرب الداخلية ، ومع ذلك لا بد أنه كان لديه أسباب أخرى جعلته يخاف ، وقد أخفاها فيما بعد بأعذار .

(٥) أى لأكون بعيدا عن الطريق المطروق .

(٦) أمكنة غير معروفة .

(٧) مكان غير معروف . لعله فى منطقة القاهرة . ومعناه « بلد الثور » .

(٨) يقصد هنا سفينة عريضة كالتى كانت تستخدم فى نقل الحجر ، وقد وجدها راسية على طول الشاطىء

(٩) جبل شرق القاهرة يوجد فيه الحجر الرملى الأحمر الذى كان المصريون مغرمين بعمل تماثيلهم منه ، وهو لايزال يسمى إلى الآن الجبل الأحمر : وهذه المحاجر لاتزال مستعملة والآلهة التى تعبد هناك تسمى سيدة الجبل الأحمر .

(١٠) اسم استحكام يذكر كثيرا والغرض منه صد البدو .

وقد استأنفت السير ليلا ، ولما طلع فجر النهار وصلت إلى « بتن » ووقفت عند جزيرة «قور»[1] . وهنا أغمى علىّ حتى سقطت من الظمأ ، وكنت صاديا وحنجرتى تحترق ، وقلت: «هذا هو طعم الموت» . ولكنى رفعت قلبي وجمعت أعضائى لأنى سمعت صوت ثغاء الماشية وخوارها ، ورأيت بدوا . وقد عرفنى الشيخ[2] الذى كان بينهم ، وقد كان فيما مضى فى مصر ، فقدم إلىّ ماء ، كما كان يطبخ لى لبناً ، وذهبت معه إلى قبيلته ، وقد عاملونى بشفقة .

ثم أسلمتنى أرض إلى أرض[3] ثم استأنفت السير إلى « جبيل » وتابعت السير إلى « قدمى » وقضيت هناك نصف عام . ثم أخذنى «ننشى» بن « آمو أمير «رتنو العليا »[4] وقال لى : « إن حالك معى سيكون حسنا ، لأنك تسمع هنا كلام مصر » ، وقال لى هذا لأنه عرف صفاتى وسمع بحكمتى ، وقد شهد لى المصريون الذين كانوا معه هناك .

وقال لى : «لماذا أتيت إلى هنا ؟ هل حدث شىء فى مقر الملك؟» فقلت له : «إن الملك (سحتب أبرع)[5] قد ذهب إلى الأفق ولا يعرف أحد ماذا تم فى هذا الأمر» ؛ وقلت ثانيا متعاميا : «إنى أتيت من حملة أرض «التمحو» وقد أخبرت الخبر فارتعدت فرائصى ولم يعد قلبي يستقر فى جسمى ، وقد أقصانى على طريق القفار ، مع أنه لم يم علىّ أحد ، ولم يبصق فى وجهى إنسان ، ولم أسمع كلمة قذف ، ولم يسمع اسمى فى فم المنادى[6] . ولا أعرف ماذا أتى بى إلى هذه الأرض ، فكأنه القضاء والقدر[7]» . وعندئذ قال لى : «وكيف يكون حال تلك البلاد من بعده ، ذلك الإله المحسن ، الذى كان مهابا فى كل الأراضى مثل «سخمت»[8] فى عام وباء ؟ » ولكنى قلت له مجيبا إياه : « فى الحق أن ابنه قد دخل القصر وأخذ إرث أبيه ، وهو الإله المنقطع القرين الذى لا يفوقه أحد ، وأنه رب الحزم المتفوق فى النصيحة ، والحازم فى إعطاء الأوامر ، والرواح[9] والغدو تحت إرادته ، وهو الذى أخضع الأراضى

---

(١) اسم البحيرات التى على برزخ السويس .

(٢) حينئذ كان سنوهيت شخصية عالية يعرفها كل واحد فى مصر .

(٣) أى انتقلت من بلد إلى بلد . ونلاحظ أن الشاعر لم يتعب القارىء بذكر البلاد التى مر بها « سنوهيت » والتى لم يكن هو نفسه يعرفها طبعا . وقد ذكر « جبيل » الميناء المعروف عند سفح جبل لبنان والذى كان يجلب المصريون منه الخشب ، كذلك ذكر « قدمى » التى يحتمل أن تكون واقعة فى الشرق من « جبيل » .

(٤) هى ما نسميه الآن فلسطين .

(٥) اللقب الرسمى للملك المتوفى أى « امنمحات » الأول .

(٦) يؤكد بذلك أنه لم توجه إليه تهمة .

(٧) أى أن قوة خارقة للعادة تدخلت .

(٨) الإلهة المرعبة التى لها رأس أسد ، وتعتبر إلهة الحرب والقوة .

(٩) من مصر إلى الحرب .

الأجنبية ، فى حين كان والده جالسا فى القصر ليتلق أن ما قد أمر به قد نفذ .

«وأنه القوى الذى يحرز (النصر) بساعده القوى ، البطل الذى لا نظير له عندما يشاهد منقضًا على العدو ، أومقتربا من حومة الوغى ، وهو الذى يثنى القرون[1] ، ويضعف الأيدى ، وأعداؤه لا يمكنهم تنظيم صفوفهم .

وإنه لمنتقم ، محطِّم للجباه ، ولا أحد يجسر على الوقوف بجواره .

وهو الواسع الخطى المهلك للهارب ، ولا نهاية لمن يولى ظهره له . (أى أن الهارب لا يصل إلى غايته سالما) .

شجاع القلب عند مايرى الجوع ، ولا يسمح لقلبه بأية راحة .

الجسور عند ماينقض على الشرقيين ، وسروره أن يأسر « الربدتو » (العدو (؟)) .

وهو يقبض على درعه ، ويدوس تحت القـدم (العدو) ، ولا يعيد ضربته ليقتل (أى لايضرب إلا ضربة واحدة قاتلة) .

وليس هناك من حوَّل سهمه (عن هدفه) ، وليس هناك من حنى قوسه (لصلابته) .

و «شعب الأقواس» يهرب أمامه كما يهرب أمام قوة «الآلهة العظيمة» .[2]

وهو يحارب بدون نهاية ، وهو لايبقى ولا يذر .

وهو رب الرشاقة ، غنى فى عذوبة ، وبالمحبة قد تغلَّب (على قلوب الناس)

ومدينته تحبه أكثر من نفسها ، وهى تبتهج به أكثر من إلـهها .

والرجال والنساء يمرون أمام قصره[3] فرحين به .

وهو ملك قد فتح وهو لا يزال فى البيضة (أى طفلا) ، وقد كانت وجهتـه أن يكون ملـكا منذ ولادته .

وهو الذى يكثر عدد من ولدوا معه[4] ، وهو نسيج وحده ، ومنحة من الله .

وإن تلك الأرض التى يحكمها تبتهج به ، فهو الذى مد الحدود .

وسيفتح الأراضى الجنوبية ، ولـكنه إلى الآن لم يلتفت إلى الأراضى الشمالية .

ومع ذلك فقد خلق ليضرب (على أيدى) البدو ، ويحطم سكان الرمال .

---

(١) قرن العدو الذى يشبه بالثور فى قوته (كناية عن البطش والغلبة) .

(٢) الصل الذى على جبهة اله الشمس وهو الذى يحرق الأعداء إذا أرادوا الاقتراب من الملك .

(٣) ليؤدوا له الاحترام .

(٤) أى يزداد عدد الناس تحت حكمه .

أرسل إليه ، دعه يعرف اسمك ، ولا تنطقن بلعنة ضد جلالته ، وهو لا يفوته أن يعمل خيراً إلى أرض ستكون مسالمة له» ،

ثم قال لى : حقا أن مصر سعيدة لأنها تعرف أنه[1] يفلح (فى حكمه) ، ولكن تأمل ! إنك هنا وستسكن معى ، وسأعاملك بشفقة» .

وقد جعلنى على رأس أولاده ، وزوجنى من كبرى بناته ، وقد جعلنى أختار لنفسى من بلاده أحسن مافى حيازته على حدوده إلى بلاد أخرى ، وقد كانت أرضا جميلة تسمى «ياء» ، وكان فيها التين والكروم ، ونبيذها أكثر من مائها . شهدها غزير ، وزيتونها كثير ، وكل الفاكهة محملة على أشجارها . وكان فيها الشعير والقمح ، وماشية يخطئها العد من كل نوع . وكذلك كان نصيبى عظيما بسبب ما نلت من الحب[2] (حب الناس) ، وقد نصبنى حاكم قبيلة من أحسن قبائل بلاده ، وقد كان يضع لى الخبز لأكلى اليومى ، والخمر لشرابى اليومى ، وكذلك اللحم المطبوخ والدجاج المشوى ، هذا فضلا عن صيد الصحراء ، لأن ذلك كان القوم يصطادونه ، ويضعونه أمامى خلافا لصيد كلابى . وكان يضع لى كثيرا من الحلوى ، ويحضر اللبن بكل الأشكال .

وقد قضيت سنين عدة ، وقد نما أولادى ، وأصبحوا رجالاً أشداء كل يحكم قبيلته . والرسول الذى كان يأتى من قبل مقر الملك شمالا أو جنوبا ، كان ينزل عندى . وقد أعطيت ماء للظمآن ، وهديت إلى الطريق من كان ضالا ، وخلصت من كان قد نهب . ولما أخذ البدو يخرجون عن الطاعة ويقاومون رؤساء الصحارى كبحت جماحهم[3] . وذلك لأن أمير فلسطين قد جعلنى عدة أعوام رئيس جيشه ، وكل بلاد سرت إليها قد طردتها من مراعيها وآبارها ، ونهبت ماشيتها ، وأسرت أهلها ، وحملت طعامهم ، وذبحت القوم فيها بساعدى القوى وبقوسى وهجماتى وتدابيرى الحسنة . وقد حزت بذلك الحظوة لديه ، وأحبنى ، وقد جعلنى على رأس أولاده عندما شاهد كيف تتفوق يداى .

وقد جاء رجل قوى من فلسطين ليبارزنى فى معسكرى ، وقد كان بطلا منقطع النظير أخضع كل فلسطين ، وقد أقسم أن يحاربنى ، وقد دبر سرقتى ، وتآمر على أن يأخذ ماشيتى

---

(١) أى الملك الجديد ، نلاحظ أن الأمير المتوحش لم يحاول منافسة « سنوهيت » فى نشيده فى المدح والعظة بل يجيبه بأسلوب نثرى جاف .

(٢) الهدايا التى قدمت إليه باعتباره رئيس القبيلة .

(٣) قد يعنى أنه قاد حملات الأمير الحربية .

غنيمة بمشورة قبيلته . وقد تكلم معى هذا الأمير فقلت له : أنا لا أعرفه ، وفى الحقيقة لست محالفاً له ، ولا من الأفراد الذين حاموا حول معسكره . ومع ذلك هل فتحت بابه قط أو اخترقت سياجه ؟ كلا . إن ذلك حقد لأنه يرى أنى أنفذ أوامرك . والحق أنى كثور الماشية فى وسط قطيع غريب وثور الأبقار يهاجمه ، والثور صاحب القرن الطويل ينطحه ؛ وهل يوجد رجل خامل الذكر يكون محبوبا فى منزله سيدا ؟ وليس هناك بدوى يحالف رجلا من الدلتا ، إذ ما الشيء الذى يمكن أن يربط البردية بالصخرة ؟ هل يحب الثور النزال ويريد من ثور أقوى منه أن يعلن تقهقره خوفا من أنه ربما كان مضارعا له فى القوة ؟ فاذا كان قلبه مصمما على الحرب فدعه ينطق بإرادته . وهل الإله يعلم ماقدر له ، أو هل يعرف هو كيف يكون المصير؟ [١].

وفى وقت الليل شددت قوسى ، وفوقت سهامى [٢] ، وأرهفت خنجرى وصقلت أسلحتى ، وعند الفجر كانت فلسطين قد جاءت ، إذ أنها أثارت قبائلها وحشدت نصف ممالكها وهيأت هذا النزال ، وقد برز إلى المكان الذى كنت أقف فيه وقد وقفت بالقرب منه ، وكان كل قلب يحترق ، من أجلى ، ولغط النساء والرجال ، وكان كل قلب مكلوما بسببى . وقالوا (هل هناك رجل آخر شديد يستطيع منازلته [٣] ؟) .

ثم سقط درعه وفأسه وحزمة حرابه عندما تفاديت سلاحه وجعلت سهمه يمر بى طائشا . ولما اقترب كل منا من الآخر هاجمنى ، وأرسلت سهمى عليه فلصق بعنقه ، فصاح وسقط على أنفه ، وألقيته أرضا بفأسه ، وصحت صيحة النصر على رقبته ، وصاح كل أسيوى ، وقدمت الثناء « لمنتو » [٤] قربانا . وحزن له أتباعه . أما هذا الأمير « ننشى » ابن « آمو » فضمنى إلى صدره .

وبعد ذلك أخذت متاعه ، وأتلفت ماشيته ، وما قد دبره من النكاية بى جملته يحيق به ، واستوليت على كل ما فى خيمته ، ونهبت معسكره ، وقد أصبحت عظيما بهذا واسعا فى ثروتى ، غزيرا فى قطعانى .

وقد فعل الإله [٥] (ذلك) رحمة بفرد غضب عليه وجعله يفر إلى أرض أخرى . واليوم أصبح قلبه فرحا ثانية .

---

(١) يحتمل أن المعنى — النتيجة موكولة إلى القدر .

(٢) على سبيل التجربة .

(٣) يقصد بذلك خصم « سنوهيت » .

(٤) اله الحرب .

(٥) ربما يقصد بذلك الملك الذى يعزو إليه « سنوهيت » تفوقه فى هذا النزال

كنت فاراً هرب في وقتـه
والآن يكتب التقرير عني في مقر المليك
وكنت ثقيلا يتضاءل بسبب الجوع
والآن أقدم الخبز إلى جاري
وكنت رجلا ترك بلاده بسبب العرى
والآن أرتدى الملابس البيضاء والكتان
وكنت رجلا أسرع الخطى لعدم من أرسل
والآن أملك العبيـد بكثرة
بيتى جميـل ، ومحل إقامتى رحب
وإنى أذكر في القصر الملكى

وأنت يأيها الإله ، أيا كنت ، الذى أمرت بهذا الهرب ، كن رحيما وأعدنى ثانية إلى مقر الملك . وربما تسمح لى أن أرى المكان الذى يسكن فيه قلبى ، والأمر الذى هو أهم من ذلك أن تدفن جثتى فى الأرض التى ولدت فيها . تعال لمساعدتى . ولقد وقع حادث سعيد . لقد جعلت الإلـه يرحمنى ، وليته يرحمنى ثانية حتى تحسن خاتمة من قد عذبه ، وقلبـه رحيم يحن لمن حتم عليه أن يعيش فى الخارج . وإذا كان رحيما بى اليوم فليته يصغى إلى دعوات فرد ناء ، وليته يعيد من قد نكبه إلى المكان الذى أخذ منه .

آه ليت ملك مصر يرحمنى حتى أحيا برحمته ، وليتنى أسأل سيدة الأرض التى فى قصره عن إرادتها . وليتنى أسمع أوامر أولادها .

آه ليت جسمى يعود إلى الشباب ثانية لأن كبر السن قد نزل بى ، واستولى على الضعف ، وعيناى ثقيلتان ، وذراعاى ضعيفتان ، وساقاى قد وقفتا عن السير ، وقلبى متعب والموت يقترب منى ، حينما سأحمل إلى مدن الأبدية[١] دعنى أخدم سيدتى الملكة ، وليتها تتحدث إلىّ عن جمال أطفالها ، وليتها تخلع على (قبرا) للأبدية[٢] .

واتفق أن جلالة الملك (خبر كارع)[٣] قد حُدّث عن الحالة التى كنت عليها[٤] ،

---

(١) المقابر فى مصر
(٢) أى ليت سيدته القديمة الملكة « نفرو » تأخذه ثانية فى خدمتها أو تمنحه قبرا بجوار قبرها
(٣) اللقب الرسمى « لسنوسرت » الأول
(٤) إن الفرد الذى قام بهذه المفاوضات قد ترك عمدا دون أن يذكر . وقد سبق ذكر مرور الرسل « بسنوهيت » وإكرام وفادتهم .

وعلى ذلك أرسل إلىّ جلالته هدايا من الفيض الملكى لينشرح صدر الخادم هناك[١] كأنه أمير بلد أجنبي . وكذلك أولاد الملك فى القصر جعلونى أسمع أوامرهم[٢] .

(صورة من القرار الملكى الذى أحضر إلى الخادم المتواضع خاصا بعودته إلى مصر)

(حور) ، حياة المواليد الممثل للآلـهتين حياة المواليد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خبر كارع » بن « رع » ، « سنوسرت » ، الحى إلى أبد الآبدين[٣]

قرار ملكى إلى التابع (سنوهيت)

انظر ، إن قرار الملك هذا قد أحضر إليك ليعلمك بما هو آت : » لقد اخترقت الأراضى الأجنبية ، وخرجت من « كدمى » إلى فلسطين وقد أسلمتك أرض إلى أرض ، وذلك بمشورة قلبك . فما الذى فعلته حتى يبرم شيء ضدك ؟ إنك لم تلعن حتى تعنف على كلامك . ولم تتكلم فى محفل الحكام حتى يلعن حديثك . وهذا العزم (على الفرار) قد ملك عليك قلبك أنت ، ولم يكن فى قلبي شيء ضدك (عن هذا الهرب) ولكن سماءك هذه[٤] التى فى القصر لا تزال تسكن وتفلح اليوم . ولها نصيبها فى ملك الأرض وأولادها فى البلاط . وليتك تعيش طويلا على الأشياء الطيبة التى سيمطرونك إياها[٥] وليتك تحيا على فيضهم .

تعال ثانية إلى مصر لترى مقر الملك الذى تموت فيه ، وتقبل الأرض عند البابين العظيمين ، وتنال نصيبك بين رجال القصر .

وذلك لأنك قد أخذت فعلا تتقدم اليوم فى السن ، وقد ضيعت شبابك ، فكر فى يوم الدفن والمرور إلى دار النعيم[٦] ! وكيف سيخصص الليل لك بالعطور والأكفان من يد « تايت »[٧] . وسيقام لك محفل جنازى يوم الدفن وسيكون غطاء المومية من الذهب ،

---

(١) التعبير المؤدب عن « أنا »

(٢) أى كتبوا إلى أيضا

(٣) الألقاب الرسمية وقد وضع أول القرار فى صورة رسمية

(٤) الملكة (وتشبه بالإلهة نوت التى تمثل بالسماء)

(٥) الأغذية التى سيرسلونها اليك حينما تعيش مرة أخرى فى البلاط

(٦) أى بجيئه بين الموتى المحترمين . وفى الجمل التالية وصف للتحنيط والدفن وهو من الأوصاف الفذة .

(٧) إلهة الغزل .

والرأس من اللازورد ، وسيقام فوقك سماء[1] ، وستوضع زحافة[2] ، وتجرك الثيران ويمشى أمامك المغنون ، ويقام أمامك رقص (مور) عند باب قبرك . وقائمة مائدة القربان ستتلى من أجلك . وتذبح الضحايا بالقرب من لوحتك ، وعمدك[3] تصنع من الحجر الأبيض فى وسط مقابر أولاد الملك ، وعلى ذلك لن تموت فى الخارج ، ولن يدفنك الأسيويون ، ولن توضع فى جلد غنم عندما يصنع لك قبرك . حقا كل هذه الأشياء ستسقط فى الأرض ، ولهذا يجب عليك أن تفكر فى جثتك وتعود .

وقد وصلنى هـذا القرار الملكى عندما كنت واقفا فى وسط قبيلتى . وقد قرىء علىّ فانبطحت على بطنى ، ولمست التراب ، ونثرته على شعرى . ومشيت حول معسكرى فرحا قائلا : (كيف تفعل أشياء مثل هذه لخادم قد أضله قلبه وقاده إلى أراضٍ متوحشة ؟ نعم إن ذلك الواحد المحسن الذى يخلصنى من الموت طيب حقيقة . وإن[4] حضرتك ستسمح لى بأن أختم نهاية حياتى فى مقر الملك .

(صورة من الاعتراف بهذا القرار الملكى)

يقول خادم نساء القصر (سنوهيت) — فى سلام غاية فى الرقة — إنه من المحقق أن هذا الهرب الذى ارتكبه الخادم هناك (أنا) كان بدون تعقل ، بحياتك أنت يأيها الإله الطيب يارب الأرضين[5]، المحبوب من رع ، المثنى عليه من «منتو» رب «طيبة» . ليت «آمون» رب الكرنك ، و«سبك» ، و«رع» ، و«حور» ، «وحاتحور» ، و «آتوم» ، و «تاسوع الآلهة» ، « وسبدو — نفربايو — سمرو » حور الشرق[6] ، وسيدة «بوتو» الموضوعة فوق رأسك[7] ، وإلهة الماء ، و«مين — حور» ، الذى يوجد فى البلاد الأجنبية ، و«وررت» سيدة « بنت» ، (بلاد الصومال) « وحرور — رع » ، وكل آلهة مصر وجزر البحر[8] — ليتهم كلهم يمنحون

---

(١) غطاء الزحافة التى تجر المتوفى وكان يعمل أحيانا على شكل السماء . وكان غطاء التابوت يعتبر رمزاً لإلهة السماء (نوت)

(٢) كان المصريون فى العهود الأولى يستعملون الزحافات لنقل الأثقال والجثث كذلك

(٣) أى لوحة قبرك وعمده

(٤) ترجمة لفظة (كا) التى كانت تشعر وتفطن

(٥) التعبير العادى لمصر العليا والسفلى

(٦) الآلهة الذين فر فى أرضهم « سنوهيت »

(٧) الصل الملكى

(٨) الجزائر اليونانية

أنفك الحياة ، وليتهم يمنحونك هداياهم ، وليتهم يعطونك الأبدية المطلقة ، والخلود الأبدى .

والناس يتحدثون عن الخوف منك فى السهل والحزن ، وقد أخضعت كل ما تحيط به الشمس . وهذه الصلاة من الخادم هناك (أنا) إلى سيده لينجيه من الغرب[١] ، رب الفطنة الذى يفهم صغار الناس ، قد أدركها فى قصره المنيف[٢] والخادم هناك خاف أن يقولها لأن ذلك أمر خطير أن يعيدها ، وأنت أيها الإلـه العظيم الذى يماثل « رع » فى إعطاء الفطنة لفرد يجاهد لنفسه ، وخادمك هذا فى يد ناصح طيب فى مصلحته ، وفى الحق أنى قد أصبحت تحت إرشاده لأن جلالتك (حور) المظفر ، وساعداك قويان على كل البلاد .

والآن فلتأمر جلالتك أن يحضر (مكى) من (كدمى) «وخنتواش» من بلاد «خنتكش» و « منوس » من أراضى « الفنخو » . وهم أمراء مشهورون قد نموا على حبك غير أنهم منسيون ، وفلسطين ملكك كأنها كلابك[٣] .

أما من ناحية هذا الهرب الذى فعلته فلم أدبره ، ولم يكن فى قلبى ، ولم أفهمه ، ولم أعرف الشىء الذى أقصانى عن مكانى ، وقد كان ذلك كحلم كما لو كان رجل من الدلتا يرى نفسه على غفلة فى (الفنتين) أو رجل من المستنقعات فى النوبة . ولم يكن هناك أى شىء أخافه ، ولم يطاردنى إنسان ، ولم أسمع أى كلام معيب ، واسمى لم يسمع فى فم النادى . وكل ما حدث أن جسمى أخذته الرعدة وبدأت قدماى تخوران ، وقادنى قلبى ، والإله الذى أمر بهذا الهرب جرنى بعيدا . ومع ذلك لم أكن دعيا من قبل[٤] . على أن الرجل الذى يعرف بلاده يخاف ، لأن «رع» قد بث خوفك فى كل الأرض ، والرعب منك فى كل البلاد الأجنبية . وسواء أكنت فى مقر الملك أم فى هذا المكان ، فانك أنت الذى فى قدرتك أن تظلم ذلك الأفق[٥] ، وتطلع الشمس بإرادتك ، ومياه النهر تشرب حينما تريد ، وهواء السماء يستنشق حينما تأمر .

وسيسلم خادمك مركز الوزارة الذى كنت أشغله فى هذا المكان[٦] . ولكن دع جلالتك تفعل ما تريد . فالناس يعيشون على النفس الذى تمنحه . ليت (رع) و (حور) و «وحاتحور»

(١) عالم الوق .

(٢) أى أنك خمنت ما أريد من غير أن أنطق به

(٣) يريد أن يظهر للملك أنه يعيش فى بلاد موالية ، وأن الأمراء المذكورين يشهدون بذلك . أما عن ولاء أرضه فلا حاجة به أن ينفق فى سبيل ذلك الكلام سدى

(٤) أى لم أندفع فى وقاحة زائدة

(٥) قد يعنى — أنك الذى فى قدرتك أن تجعلنا نغوص فى الليل

(٦) فهو يعتبر نفسه كنائب الملك

يحبون أنفك الرفيع[١] الذى يريد «منتو» رب طيبة أن يبقى إلى الأبد .

وقد حضر إلى هذا الخادم الرسل . وقد سمح لى أن أمضى يوما فى «ياء» وسلمت فيه متاعى إلى أولادى ، فأصبح ابنى الكبير المشرف على قبيلتى ، وكل ما أملك أصبح فى يده : عبيدى وكل ماشيتى ، وفاكهتى ، وكل شجرة لذيذة أملكها .

ثم سار هذا الخادم المتواضع نحو الجنوب ، ووقف عند « ممرات — حور»[٢] وأرسل القائد الذى كان مكلفا بحراسة الحدود هناك رسالة إلى مقر الملك تحمل الأخبار بوصولى . فأرسل جلالته أحد رؤساء الصيد فى القصر ممن يثق بهم ومعه سفن محملة بالهدايا من الفيض الملكى للبدو الذين أتوا معى ليقودونى إلى «ممرات — حور»، وقد ناديت كلاً منهم باسمه[٣] .

وكان صناع الجعة يعجنونها ويصبونها فى حضرتى . وكان كل خادم منهمكا فى عمله ، ثم أخذت فى سياحتى إلى أن وصلت بلدة «فاتحة الأرضين»[٤] وعند انفلاق الصبح ، أتوا ليطلبونى مبكرين جدا ، وقد كان عشرة رجال يأتون وعشرة رجال آخرين يذهبون ليقودونى إلى القصر .

واستلمت الأرض بين تماثيل أبى الهول بجبهتى . ووقف أولاد الملك عند الباب ، واستقبلونى ، أما أمناء القصر الذين يقودون إلى القاعة فإنهم ذهبوا بى إلى الطريق المؤدية إلى الحجرة الخاصة ، فوجدت جلالته على عرشه العظيم فى مدخل من الذهب ، فانبطحت على بطنى وذهب عنى عقلى فى حضرته ، مع أن هذا الإله حيانى بفرح . وقد كنت كرجل أطبق عليه الظلام ، إذ فرت روحى وتزلزلت أعضائى ، ولم يعد قلبى فى جسمى ، ولم أشعر إذا كنت حياً أو ميتاً .

وعندئذ قال جلالته لأحد هؤلاء الأمناء : «ارفعه ودعه يكلمنى» . وقال جلالته : «انظر! لقد عدت بعد أن قطعت الصحارى واخترقت الفيافى . والكبر قد تغلب عليك ، وقد بلغت الشيخوخة ، وإنه ليس بالأمر الهين أن يدفن جسمك فى الأرض ، دون أن يسير فى مشهدك المتوحشون . ولكن لاتبق هكذا صامتاً باستمرار عند ماينطق باسمك» . ولكن فى الحق خفت العقاب وأجبت عن ذلك جواب الخائف : « ماذا يقول سيدى لى ؟ ليت فى مقدورى أن أجيب عليه ، ولكن لايمكننى . انظر! كأن ذلك يد الله ، إذ أن الفزع الذى فى جسمى كالفزع

(١) الأنف هو مركز الحياة

(٢) على حدود مصر ، على الفرع البلوزى للنيل ، ومنها كانت الجيوش المصرية تتحرك للغزو

(٣) لكى يقدمهم إلى الموظفين المصريين

(٤) اسم العاصمة وقتئذ ، وهى تقع فى موضع « اللشت » الحالية جنوبى « منف »

الذى سبب هذا الهرب الذى قُضى به على . انظر إننى فى حضرتك والحياة ملكك ، وليت جلالتك تتصرف كما تريد » .

ثم أمر بدخول أولاد الملك ، وقال جلالته للملكة : «انظرى . هذا هو «سنوهيت» الذى عاد كآسيوى من نسل أهل البدو» . فصاحت صيحة عالية جدا ، وكذلك صاح أولاد الملك معا وقالوا لجلالته : « حقا كأنه ليس هو يأيها الملك ، ياسيدى » . فقال جلالته « حقا إنه هو . » وبعد ذلك أحضرن معهن عقودهن ودفوفهن وصاجاتهن ورفعنها إلى جلالته[١] قائلات : «لتكن يداك على الواحدة الجميلة ، أيها الملك الخالد ، على حلى (سيدة السماء) . ليت «الواحدة الذهبية »[٢] تمنح الحياة أنفك ، و «سيدة النجوم»[٢] تضم نفسها إليك . دع آلهة الوجه القبلى تنحدر مع النهر ، وآلهة الوجه البحرى تصعد مع النهر[٣] متحدتين ومنضمتين فى اسم جلالتك[٤] . ليت الصل يوضع على جبهتك . لقد خلصت رعاياك من الأذى . ليت «رع» يكون رحيما بك ياسيد الأرضين . مرحبا بك وكذلك بملكتنا . اخرج قرنك[٥] وانزع قوسك ، وامنح النفس من قد اختنق ، وامنحنا هدية جميلة للعيد . هذا الشيخ ابن آلهة الشمال[٦] ، البدوى المولود فى مصر .

« وقد هرب خوفا منك ، وترك الأرض رعباً منك ، ولكن الوجه الذى قد رأى جلالتك لن يصفرّ بعد ، وأما العين التى شاهدتك فلن تخاف »[٧]

وعندئذ قال جلالته : «لن يخاف ، ولن يرتاع ، لأنه سيصير أميناً فى القصر بين الحكام وسيوضع بين رجال الحاشية . اذهبوا إلى قاعة الزينة[٨] لتكونوا فى خدمته » .

وبعد أن تركت الحجرة الخاصة ، وقد صاحبنى أولاد الملك ، ذهبنا إلى البابين العظيمين[٩] ،

---

(١) كانت الدفوف والصاجات التى تعزف بها النساء وكذلك عقودهن الكبيرة من خواص إلهتهن « حاتحور » وإذا رفعنها لأى إنسان أثناء الرقص فإنهن يمنحنه بركة الآلهة .

(وما يلى عبارة عن الأغنية التى كن يتغنين بها مع العزف) .

(٢) حاتحور . (٣) أى أن تاج كل من الوجهين يملك الآخر .

(٤) يعنى أن كلا من الوجهين خاضع لك ويصدع لأوامرك .

(٥) كان الملك يمثل كثور ، وكان ينجى من يخترقه بقرنه .

(٦) هنا ينتسب « سنوهيت » إلى إلهة الشمال بصفته متوحشا .

(٧) المعنى : أنه لا يزال خائفا لأنه لا يعرف طيبة جلالتك كما عرفناها .

(٨) قد يحتمل أن المقصود هو : أن يساعدوا « سنوهيت » فى ملابسه الضرورية

(٩) أى خارج القصر .

وقد أسكنت فى بيت ابن من أولاد الملك ، وكان مزينا بثمين الأثاث ، وكان فيه حمام وأشكال ملونة للأفق ، وكان فيه أشياء ثمينة من الخزانة ، فكان فيه ملابس الكتان الملكى والبخور والزيت الثمين الخاص بالملك ورجال البلاط الذين يحبهم ، وكان كل خادم فى عمله . وقد أخذت السنون تذهب عن جسمى ، وأزيلت لحيتى ورجل شعرى . وقد ألقى فى الصحراء حمل أوساخ ، وأعطيت الملابس القذرة رجال الرمال .

وقد زينت بأحسن ملابس الكتان ، ودلكت بأحسن الزيت . وفى الليل نمت على سرير ، وتركت الرمال لمن هم فيها ، وزيت الخشب لمن يدلك نفسه به .

وقد أهدى لى بيت حاكم مقاطعة كما يليق بسمير ملكى . وقد بناه كثير من الصناع ، وكانت كل الصناعة الخشبية فيه جديدة .

وكان يؤتى إلى بالطعام من القصر ثلاث مرات وأربع مرات فى اليوم ، هذا فضلا عما أعطانيه أولاد الملك بدون انقطاع فى أى وقت .

وقد أقيم لى قبر من الحجر فى وسط المقابر[١] ، والبناءون الذين ينحتون المقابر قد وضعوا تصميمه ، وكبير مهندسى العمارة بدأ فى بنايته (؟) ، وأخذ النقاشون ينقشونه ، وأخذ مهرة النحاتين ينحتون فيه ، أما رؤساء بنائى الجبانة فوجهوا عنايتهم له[٢] ، وكل مايحتاج اليه من لامع المتاع الذى يوضع فى القبر[٣] قد مدّ به . وقد رتب لى كهنة جنازيون ، وصنعت لى حديقة للقبر كان فيها حقول مقابلة للمأواى كما كان يصنع للسمير الأول للقصر ، وقد رصع تمثالى بالذهب[٤] ومئزره كان من خالص النضار ، وإن جلالته هو الذى أمر بصنعه . وليس هناك رجل فقير قد عمل له مثل ذلك ، وقد تمتعت بعطف من الفيض الملكى إلى أن أتى يوم الممات .

« كتبت من البداية إلى النهاية كما وجدت مخطوطة »

---

(١) كان أعضاء حاشية الملك يدفنون حول قبر مليكهم .

(٢) يقصد أن خيرة الصناع الذين فى هرم الملك يعملون كذلك فى قبر « سنوهيت »

(٣) القرابين الكثيرة التى يجب أن يشتمل عليها قبر مجهز بكل شىء .

(٤) الذى نصب فى القبر

قصة الغريق

ملخص القصة :

فى يوم أرسل الملك أميراً من أمراء الفنتين إلى أرض الإله (بلاد الصومال) ليحضر بعض النفائس ، فلم يوفق فى مهمته فرجع خائباً ، ولاقى فى طريقه أهوالا عظيمة وصل بعدها إلى أرض الوطن سالماً . ولكنه كان حزيناً يتوقع شراً مستطيرا عند مقابلته لفرعون وإخباره بما منى به من الفشل ، وكان له تابع أمين أحزنه ما رآه على وجه متبوعه من الحزن والألم ، فأراد أن يهدىء خاطره ويخفف من آلامه ، فذكر له « أنه كان مسافراً على ظهر سفينة إلى بعض الأصقاع الغنية بمعادنها ليؤدى رسالة ملكية (ويظهر أن الأرض التى كان يقصدها هى سيناء) وحدث أن ثارت عاصفة هوجاء حطمت سفينته وأرسلتها إلى قعر البحر ، فغرق ركابها ولم ينج إلا ذلك التابع البحار حيث حمله الموج على أجنحته إلى جزيرة رملية ، فلما أفاق من غشيته رأى أمامه ثعبانا هائلا فكاد يطير قلبه شعاعا ، ولكن ذلك الثعبان الهائل حارس الجزيرة أحسن استقباله وأخذ يطيب خاطره ويسرى عنه بذكر مجازفة حدثت له مثل مجازفة ذلك البحار ، وانتهت بنجاته ، ثم تنبأ له بأن سفينة مصرية ستمر بهذه الجزيرة وستحمله إلى مصر سالما» . ويظهر أن هذه القصة ، التى قصها التابع ليتأسى بها متبوعه ولتهدأ بسماعها نفسه إذا ما رأى أن الأمور المحزنة قد تنتهى بخير وسلام ، لم تحدث أثرها المطلوب فى نفس سامعها ، إذ أن البحار ما كاد ينتهى من سردها حتى فاجأه ذلك الأمير بقوله : «إن قولك هذا كن يسق طيراً فى الصباح المبكر ليذبحه بالنهار » ، أى أنه مقضى عليه بالموت لا محالة فلا فائدة من هذه المسكنات .

دراسة القصة :

تعد هذه القصة من القصص النادرة التى وصلت إلينا كاملة غير منقوصة . فقد جاء فى نهايتها :

« لقد كتب هذا الكتاب من البداية إلى النهاية » على عادة الكتاب المصريين إذا انتهوا من كتابة مقالة شعراً أو نثراً ذيلوها بهذه العبارة ، فلم يفقد إذن من نهايتها شىء ، كما أن بدايتها ليست مهشمة أو ممحوة ، فالقصة على ما نعتقد كاملة . ولكنا لاحظنا أن استهلالها كان نسيج وحده ، وليس له نظائر سابقة فى القصص ، فقد جاء فيه : «يقول خادم حاذق كن فرحا أيها الأمير ، لقد وصلنا إلى مقر الملك ، وقد أخذت المطرقة ، ودقت أوتاد المرسى ،

وألقيت الحبــال على البر » ولم تُذكر المقدمة التى تشير إلى تكليفه من الفرعون بمهمة فى الأقاليم الجنوبية وفشله فيها مما اضطر معه إلى العودة لمصر متجشما الأهوال ، ولـكن تصورها بالصيغة التى أوردناها بها أمر محتمل راجح .

وليس من البعيد أن تكون هــذه القصة واحدة من سلسلة قصص متصلة الحلقات لم تصل إلينا ، فـكان مع الأمير أتباع كثيرون كل واحد منهم يقص قصة فيها تخفيف من آلام الأمير وتسرية عن قلبه وطمأنته من ناحية النتيجة التى يخشاها ، على مثــال قصة الملك خوفو والسحرة فى العهد القديم ، وقصة ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة فى العصر الحديث .

وإذا قرنتها بقصة « الملك خوفو والسحرة » وجدت تشابها فى موقف التابع وسرده حكايته ، واختلافا فى أن الملك فى قصة خوفو كان يريد تسلية نفسه وطرد الهموم عنها وفى قصتنا كان أتباع الأمير هم الذين يريدون ذلك فيتناوبون سرد القصص لهذه الغاية .

وإذا صح أن قصة الغريق سلسلة من القصص كانت التى ذكرناها هنــا آخرتها ، بدليل وجود هذه العبارة التى سبق ذكرها والتى تدل على نهاية المطاف : « لقد أخذت المطرقة ، ودقت أوتاد المرسى وألقيت الحبال على البر ، وكان الثناء والحمد لله ، وقد عانق كل فرد زميله »

ونلاحظ أن الـكاتب هنا قد خالف ما تواضع عليه القاصّون القدماء من بدء قصصهم بجمل فعلية تدل على الاستمرار ، ومن وضع عنوان لها مأخوذ من مقدمتها ، كما نجد فى قصة « الفلاح الفصيح » ، وقد يكون عنوانها : « هذه هى قصة أمير الفتيين وتابعه » والـكاتب تركه سهواً .

وقصة الغريق بهذا الوضع الذى سبق تصويره لا يمـكن أن تـكون قصة للعامة ؛ فهى قطعة أدبية ذات أسلوب رشيق ترمى إلى أهداف سامية وتعبر عن عواطف مختلفة ، فنرى القاصّ يتألم لغرق سفينته بركابها وعدم نجاة أحد سواه ، ويتألم لوصوله إلى جزيرة لا إنسان فيها ، ويعبر لنا عن خوفه وهلعه عند ظهور حاكم الجزيرة الروحانى (وهو ثعبان عظيم الجسم له رأس إنسان) ، واطمئنانه بعد أن حادثه ووجــد منه عطفاً عليه ، فالدمعة الأولى والابتسامة الأخيرة وردتا متتابعتين فى عبارة موجزة ، كما نرى القاصّ والثعبان قد تطارحا ما أصابهما فى حياتهما ، وجاءت على لسان الثعبان عظة ليس لها علاقة مباشرة بالموضوع وهى « ما أشد فرح الإنسان الذى يقص ماذاقه بعد زوال الـكارثة » ، ثم نبأ الشهاب الذى انقض من السماء فأهلك أهله . وفى القصة إيجاز حول الغرض من هذه المطارحات . وتوضيحها أن الثعبان أراد أن يقول : « لقد حدث لى أفجع مما حدث لك ومع ذلك فقد خرجت سالما وما زلت

سائراً فى حياتى » وكأنه أراد أن يقول له : « يجب أن تنظر إلى الأمور ببسالة وثقة فإنك لم تلاق من المصائب مالاقيت أنا » فنصحه قائلا : « إذا كانت لديك شجاعة فعليك أن تكبح جماح قلبك » ثم طمأنه على أنه سيعود إلى وطنه بعد أربعة أشهر وسيرى ثانية زوجته وأولاده .

أما الحالة النفسية للغريق فيبدو لنا من القصة أنها تحسنت كثيراً ، فهاهو الغريق يشكر الثعبان من أعماق قلبه ، وتدفعه تلك الحالة النفسية الطارئة على أن يقدم إليه فروض العبادة والخضوع وعلى أن يعده بعظيم الهدايا ؛ ولكن الثعبان يعفيه من ذلك فى سخرية مستترة فيقول : « ما الذى تريد أن ترسله إلى ؟ إن عندى من ذلك الفيض الغزير » ثم عقّب على ذلك بما يحرك النفس الساكنة : « لا يمكنك أن ترسل إلىّ شيئاً بعد ، فإن الجزيرة سيغمرها الماء » (أى ستختفى وتزول) وكأنه أراد أن يقول له : وأنا بالتالى سأختفى وأزول معها وينتهى أمرى بالموت .

وهنا يثب إلى أذهاننا ما جاء فى قصة « ألف ليلة وليلة » مشابها لما ذكر ؛ إذ نسمع الرسول يقول عند خروج السلطان : « هذا هو سلطان الهند العظيم ، وهذا السلطان العظيم لابد أن يموت ، لابد أن يموت »

وإذا كان كل حى إلى زوال فكل شدة إلى فرج ، وهذا ما كان ، فقد عاد القاص إلى وطنه سليما معافى ، ولقى من الملك العطف والرضا . وإذا كان بعض الغافلين يعتقد أن القاص أورد قصته ناقصة هذه النتيجة ، فإن اليقظ منهم لابد واصل بثاقب نظره إليها ، وإن مثل الفرعون مع الأمير كمثل الثعبان مع الغريق كلاهما عطف على تابعه وأحسن إليه .

ولا نزاع فى أن هذه القصة شرقية بروحها ، وهى فضلا عن ذلك تقدم لنا أثمن ما يقدمه الشرق من إيجاز وحسن سبك ومهارة فى التعبير وحكمة بالغة . ولقد استطاع القاص بمهارته ألا يجعل قصة البحار تطغى على قصة الأمير ، وهى المقصودة لذاتها بما أورده فى نهاية القصة من العبارات التى تلفت الذهن إليها .

ولقد كنا فى شوق لأن نعرف أكثر مما عرفنا عن أول قصة وصلتنا تدور حول بحار مصرى ، ولكنها كتبت كما قلنا للطبقة الراقية من المتأدبين القدماء فكان نصيبها الإيجاز .

والسؤال الذى يرتسم أمام الباحثين الآن : أترى قد عنيت الأساطير المصرية بالثعبان فجعلته بطلا يدور حوله كثير من الأقاصيص كما كان للثعبان (الدراجون) فى عالم الخرافات اليونانية ؟ أم اكتفت الأساطير المصرية بتقديمه لنا فى قصة الغريق وحدها ؟ ونحن من جهتنا لانستطيع الجزم بأحد الأمرين ، فقد تكون الأرض محتفظة بقصص من هذا القبيل ، والتى

ذكرناها هنا تثبت ميل المصريين ونزوعهم إلى هذا النوع من الخيال والسحر . وكلنا يعلم أن اليونان قد أخذوا كثيرا عن المصريين فى آدابهم وخرافاتهم ، فليس ببعيد إذن أن يكون الثعبان قد لعب دورا كبيرا فى عالم الأساطير المصرية ، ولم ينفرد اليونان بذلك ، كما أثبتت قصة «حور» و«ست» ، أن القصص المصرى جعل من الآلهة أبطالا ، ولم يكن اليونان وحدهم أصحاب الفضل فى ذلك ، والكلمة الآن لما سوف تجود به علينا الكشوف الحديثة .

المصادر :

عثر الأستاذ «جلونيشف» العالم الأثرى الروسى على الورقة التى كتبت عليها هذه القصة ، وهى محفوظة الآن فى متحف «لينينجراد» . وهو أول من درسها ثم درسها غيره كما يأتى :

(1) Golenischeff, Le Conte du Naufragé (Cairo 1912)

(2) Erman. Zeitschrift fur Agyptische Sprache X L III P. 1 ff.

(3) Gardiner. Notes on the Tale of the Shipwrecked Sailor in Zeitschrift fur Agyptische Sprache XIV P. 60 ff.

(4) Notes in the Journal of Egyptian Archeology Vol XXII P. 37. by Blackman.

(5) Peet, A Comparative Study of the Literatures of Egypt. Palestine V MesoPotamia P. 28 ff

(6) Maspero, Populor Stories of Ancient Egypt. P. 98 ff

(7) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 29 ff C translated by Blackman.

(8) Dr. Max Pieper. Die Agyptische Literatur. P. 43 ff

(9) The Metrical Scheme of The Shipwrecked Sailor by Vladimir Vikenfiev in Bulletin De L'institut. Francais D'Archeologie orientale T. XXXV. P. 1 etc.

متن القصة :

«يقول تابع حاذق : كن فرحا أيها الأمير ، انظر لقد وصلنا إلى مقر الملك[١] . وقد أخذت المطرقة ، ودُقت أوتاد المرسى ، وألقيت حبالها على البر . وكان الثناء والشكر لله ،

(١) يوقظ الخادم سيده فى الصباح على ظهر السفينة ويعلنه بأنهم عادوا إلى مصر كرة أخرى ، وقد مروا بجزيرة « سنموت » على الحدود (بجة) الحالية بالقرب من « فيلة » ، وقد دخلت السفينة فعلا فى المرسى . وعلى ذلك لا بد أن يقصد بمقر الملك هنا « الفنتين » التى يحتمل أن تكون مقر الأمير نفسه ، ولكن كان عليه أن يستمر فى سياحته شمالا ليقدم تقريره إلى الملك .

وقد عانق كل فرد زميله ، وقد وصل ملاحونا سالمين أصحاء ، ولم نفقد من جنودنا أحداً . وقد وصلنا إلى أقصى «واوات» ومررنا «بسنموت» . تأمل ! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا . أصغ إلىّ أيها الأمير ، إننى فرد خلو من المبالغة . اغسل نفسك ، وصب الماء على أصابعك ، وأجب عندما تحيا ، وتكلم إلى الملك وأنت مالك لشعورك ، وأجب فى غير تلعثم . وإن فم الإنسان هو الذى ينجيه ، وكلامه هو الذى يجعل الناس يرفقون به ، وستفعل ما يحلو لك ، وعلى ذلك فالكلام[1] معك غير مجد .

ومع ذلك سأقص عليك شيئا مماثلا لقصتك . فقد حدث لى شخصيا عند ما أقلعت إلى إقليم مناجم الملك[2] ذاهبا إلى البحر فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا ، وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر . وكانوا يتعرفون السماء ، وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث ، والزوبعة قبل أن تمر .

وقد هبت عاصفة ونحن مازلنا فى البحر وقبل أن نصل إلى الأرض ، وقد قامت الريح فضاعفت من شدتها ، وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعا ، وقد حملت من على سطح السفينة مع الصارى .

وبعد ذلك غرقت السفينة ولم يبق إلا واحد من بين الذين كانوا فيها . وقد رمت بى موجة إلى جزيرة ، وقد قضيت ثلاثة أيام وحيدا ولم يكن لى رفيق غير قلبى ، ونمت فى خباء من الخشب واحتضنت الفىء[3] ثم وقفت على قدمى لأجد ما يمكن أن أضعه فى فمى ، فوجدت تينا وعنبا هناك وكل أنواع الخضر الجميلة ، وكان هناك فاكهة «كاو» و «نكوت» وخيار كأنه مزروع ، وكان هناك سمك وطيور ، ولم يكن هناك شىء لا يوجد فيها[4] وعندئذ أشبعت نفسى ، وتركت بعضها على الأرض لأن حمله كان ثقيلا على ذراعى . ثم أخذت زنادا وأوقدت نارا لنفسى وقدمت قربانا مشويا للآلهة .

وبعد ذلك سمعت صوت رعد ، وظننت أنها موجة بحر ، فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض . ولما كشفت عن وجهى[5] وجدت أنه ثعبان يقترب منى ؛ وكان ذرعه ثلاثين ذراعاً طولاً ، ولحيته يزيد طولها على خمسة أذرع ، وكان جسمه مرصعاً بالذهب وحاجباه من

---

(١) وعلى ذلك فقد عملت مجهودات لتشجيعه من قبل ولكن من غير جدوى .
(٢) يقلع من ميناء على البحر الأحمر إلى مناجم شبه جزيرة سيناء .
(٣) يحتمل « بحثت عنه » .
(٤) الجزيرة .
(٥) كان قد وضع يديه على وجهه من الخوف .

خالص اللازورد[١] ، وقد كان غاية فى العقل ، ثم ففرفاه لى حينما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى : « من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك هنا ؟ وإذا تأخرت عن إجابتى عمن أحضرك إلى هذه الجزيرة جعلتك لا تجد نفسك إلا ترابا ، وتصير كالذى لم يكن قد رئى »[٢]. فأجبت : «إنك تتحدث إلى ومع ذلك لم أسمع ماتقول . إنى فى حضرتك ولـكن حواسى قد ذهبت» .

وبعد ذلك أخذنى فى فمه وأحضرنى إلى جحره ، ووضعنى دون أن يلمسنى ، وكنت صحيحا ولم يمزق شىء منى[٣] . وفغر فاه لى عندما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى : «من أحضرك إلى هنا ؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك إلى جزيرة البحر هذه التى يحيط بها الماء من الجانبين ؟ » وقد أجبته وذراعاى مثنيتان[٤] فى حضرته وقلت له : « إنى فرد ذهبت إلى المناجم فى أمر للملك فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و٤٠ عرضا ، وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر ، وكانوا يتعرفون السماء وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث ، والزوبعة قبل أن تكون ، وكان كل واحد منهم شجاع القلب قوى الساعد أكثر من زميله ، ولم يكن بينهم أحمق . وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال فى البحر قبل أن نصل إلى الأرض ، وقد قامت الريح فضاعفت من شدتها وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعا . وقد حملت من على سطح السفينة مع الصارى . وبعد ذلك غرقت السفينة بمن كانوا فيهـا ولم يبق غيرى . وتأمل ! فإنى هنا بجانبك وقد أحضرت إلى هذه الجزيرة بموجة البحر . »

وعندئذ قال لى : « لا تخف ، لا تخف ، أيها الصغير ، ولا تدع محياك يصفر ما دمت قد جئت إلىّ . انظر ! لقد حفظك الإلـه حيًّا ليحضرك إلى جزيرة الطعام (الوفير)[٥] التى لا شىء إلا وينمو فيها ، لأنهـا مفعمة بكل شىء حسن . وانظر ستمضى الشهر بعد الشهر فى هذه الجزيرة إلى أن تتم أربعة أشهر ، ثم تأتى سفينة من مقر الملك تحمل بحـارة تعرفهم ، وستذهب معهم إلى مقر الملك ، وتموت فى نفس بلدك .

---

(١) يتصور القاص هذا الثعبان كأنه إله مصرى مصنوع من البرنز المذهب ومرصع بالألوان ، ويقصد باللحية لحية الاله المجدولة .

(٢) يستطيع الثعبان أن ينفث نارا مثل الثعبان المقدس أى ثعبان اله الشمس « رع »

(٣) أى أنه أخذه برفق .

(٤) دليل الخضوع .

(٥) يحتمل أن يكون معناها جزيرة فيها طعام .

« ما أشد فرحة الذى يقص ما جرى له بعد أن تمر الـكارثة . وهـكذا سأقص عليك شيئا مماثلا لهذا قد حدث فى هذه الجزيرة[1] . وذلك أننى كنت فيها مع إخوتى وأطفالى فى وسطهم ، وكان كل عددنا ٧٥ ثعبانا — أولادى وإخوتى ، هذا غير بنت امرأة مسكينة كانت قد أحضرت إلى . . .[2] ثم انقض شهاب فذهب هؤلاء فى النار بسببه (أى الشهاب) ، وقد حدث ذلك وأنا لست مع المحرقين (؟) ولم أكن بينهم ، وقد كدت أموت من أجلهم عندما وجدتهم كومة من الجثث .

« فإذا كنت شجاعا فاكبح جماح قلبك[3] . على أنك ستضم أطفالك ، وتقبل زوجتك وترى منزلك ، وهذا أحسن من كل شىء ، وستصل إلى مقر الملك ، وتسكن هناك فى وسط أولادك » .

وعند ذلك ألقيت بنفسى على بطنى ، ولمست الأرض فى حضرته ، وقلت له : « سأحدث الملك عن قوتك وأعلمه بعظمتك ، وسأعمل على أن يجلب إليك (إبى) ، و (حكنو) ، و (أدنب) ، و (خسلت)[4] ، وكذلك بخور المعابد التى يسر لها كل إله ، وسأقص ما حدث لى وما قد شاهدت . . . وستشكرنى المدينة أمام ضباط الأرض كلها ، وسأذبح لك ثيرانا قربانا مشويا ، وأضحى لك الأوز ، وسأرسـل لك سفنا محملة بكل بضائع مصر الثمينة ، كما يجب أن يفعل لإلـه يحب الناس فى أرض نائية لا يعرفها الناس » . عند ذلك ضحك منى ومما قلت ، كأن ذلك سخافة لقلبه[5] وقال لى : « ليس عندكم «عنتيو»[6] بكثرة ، ولا تملكون إلا البخور . ولـكننى أمير (بنت) والمر متاعى الخاص . أما من حيث (حكنو) الذى تقول عنه إنك ستجلبه إلى فهو أهم حاصلات هذه الجزيرة . ولـكن الواقع أنك لن ترى قط هذه الجزيرة بعد سفرك لأنها ستصير ماء . »

وبعد ذلك أتت هذه السفينة كما تنبأ ، وذهبت وتسلقت شجرة طويلة ، ورأيت أولئك

---

(١) التشابه بين قصته وبين ما حدث للغريق أن كلا منهما فقد كل رفقائه .

(٢) طفلة آدمية ألقيت إلى الجزيرة .

(٣) كما فعلت وقتئذ .

(٤) عطور نقية كان المصريون يهتمون بها كثيرا .

(٥) ضحك الثعبان من بساطة الرجل الذى ذكر له أشياء ثمينة يملك منها ما لا مزيد عليه .

(٦) يعد « عنتيو » الذى نترجمه عادة بالمر من أهم العطور وهو يستورد من بلاد « بنت » التى يحتمل أنها لقب عام لمناطق إنتاج البخور جنوبى البحر الأحمر . وكانت تقع فى المنطقة التى تشمل بلاد « الاريترية » و « الصومال » من جهة وشواطىء « بلاد العرب السعيدة » من جهة أخرى (انظر كتاب مصر القديمة من الجزء الثانى صفحة ٢٦١)

الذين كانوا فيها ، وذهبت لأخبره فعلمت أنه قد عرف ذلك من قبل . وقال لى : « بسلام ، بسلام للوطن ، أيها الصغير ، وشاهد أطفالك واجعل لى اسما حسنا فى مدينتك . اسمع فإن هذا هو كل ما أبغى . »

وعندئذ ألقيت بنفسى على بطنى وثنيت ذراعىّ فى حضرته وأعطانى حمولة « مر » و « حكنو » و « ايدنب » و « خسلت » و « تشبس » و « شاس » وكحل ، وذيول زرافات ، وكمية عظيمة من البخور ، وسن فيل ، وكلاب صيد ، وقردة ونسانيس وكل الذخائر الجميلة[1] وأنزلتها فى هذه السفينة .

ولما ألقيت بنفسى على بطنى لأشكره قال لى : « انظر . ستصل الحاضرة بعد شهرين ، وستضم أولادك فى حضنك ، وتصير شابا ثانية فى مقر الملك ثم تدفن[2] . »

وذهبت إلى الساحل حيث كانت هذه السفينة ، وحييت الفرقة التى كانت فى هذه السفينة ، وأثنيت على رب هذه الجزيرة على الساحل ، وكل من كان فى السفينة فعل كذلك .

ثم سحنا شمالا إلى حاضرة الملك ووصلنا إلى العاصمة فى شهرين كما قال ، ومثلت أمام الملك ، وقدمت له هذه الذخائر التى أحضرتها من هذه الجزيرة وقد شكرنى أمام كل ضباط الأرض قاطبة ، وعينت حاجبا وكافأنى ببعض حشمه (؟)

انظر إلىّ بعد أن وصلت الأرض وبعد أن شاهدت ما لاقيته[3] . اسمع لما أقول . انظر إنه من الخير للناس أن يصغوا

فقال لى : « لا تلعبن دور الحكيم[4] يا صديق ! فإن ذلك كالذى يعطى عند الفجر ماء لطائر سيذبحه مبكرا فى الصباح . » (أى أنى مقضىٌّ علىّ بالموت عندما أقابل الفرعون ، وعلى ذلك فإن كلامك المطمئن لا فائدة منه لى) .

قصة الفلاح الفصيح

ملخص القصة :

ترجع حوادث هذه القصة إلى عهد الملك « خيتى » أحد ملوك هيرا كليوبوليس (أهناس المدينة) فى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، والاسم الذى أطلق عليه العلماء تجوزا « الفلاح »

(١) كان المصريون يستوردون كل هذه الأشياء من مناطق إنتاج البخور .
(٢) أى تدفن دفنا طيبا وهذا ضرورى للشخص الذى يرغب فى أن يكون سعيدا فى موته .
(٣) قد يعنى : انظر إلى ما وصلت إليه على الرغم من تعس رحلتى .
(٤) لا تجتهد أن تكون حكيما أكثر من اللازم .

حقيقته فى اللغة المصرية « سا كن الحقل » ؛ أى بطل هذه القصة أحد سكان « حقل الملح » وهو « وادى النطرون » الآن ، وقد أطلق عليه فى العهد المسيحى « صحراء النطرون » . وكان هذا الفلاح يسكن فى مجاهل هذه البقعة ، وكان يسافر من حين لآخر إلى مصر ليبيع محصول أرضه محملا على حمير له ، ولما وصل فى مرة إلى مصر اعترضه أحد الموظفين المسمى « تحوت نخت » واغتصب منه حميره وما عليها بحيلة دنيئة ، فذهب الفلاح على إثر ذلك إلى عاصمة المقاطعة ليشكو أمره إلى « رنزى » رئيس « تحوت نخت » المغتصب ، فجمع « رنزى » « مجلس الأشراف ليفصل فى هذه القضية ، غير أن أعضاءه لم يعلنوا حكمهم لأسباب لم تذكر فى القصة ، فصاغ الفلاح شكايته لرنزى فى أسلوب فصيح بهره وأعجب به ، فرأى أن الأمر جدير بأن يعرض على جلالة مولاه الملك ، نظرا لذلك الأسلوب الأخاذ ، وتلك البلاغة النادرة التى لم يعهد لها مثيلا من قبل . ولقد أمر جلالة الملك ألا يبت فى أمر ذلك الفلاح الفصيح حتى يكرر الشكوى فيكون ذلك مصدر خطب بليغة أخرى يغتنى بها الأدب ، ويكتسب مادة وإمتاعا . وهذا ما كان ، إذ ألقى الفلاح تسع خطب رائعة فى موضوع هذه الشكوى .

دراسة القصة :

ترجع هذه القصة إلى العهد الأهناسى وهو عهد سادت فيه الفوضى وعم الاضطهاد . فالقصة مظهر لما يحتدم فى نفوس الناس ولما يشكون منه فى ذلك العهد ، وهى من أبلغ وأروع ما كتب فى الأدب المصرى القديم ، حتى إنها كانت تعد نموذجا يحتذى ويقتبس منه عهد الدولة الحديثة .

والقصة تتكون من مرحلتين أساسيتين : الأولى مقدمة قصصية ، والثانية خطب تسع . فأما المقدمة القصصية فإن طريقة عرضها أبدع ما رأيناه فى الأدب المصرى ، وهى جديرة من حيث تعبيرها عن العواطف الإنسانية بأن توضع جنبا لجنب مع أية قطعة من هذا النوع وردت فى التوراة . وقد قال الأستاذ برستد عن هذه المرحلة من القصة فى كتابه « فجر الضمير » ما يأتى : « وهذا المشهد يعد من أقدم الأمثلة التى تدل على المهارة الشرقية فى تصوير المبادىء المعنوية فى شكل مواقف ملموسة ، وهى التى صورت بشكل مدهش بعد ذلك فى أقوال عيسى عليه السلام . »

وأما المرحلة الثانية فتلك الخطب التسع التى أشهر بها ذلك الفلاح الحرب على ما كان يرتكبه الموظفون من الفوضى والظلم والعبث بصغار الفلاحين ، فكان يخطبه من حملة الأقلام الذين

طلبوا العدالة الاجتماعية . وكانت خطبه تلقى رواجا لإمتاعها ، ولأنها موجهة إلى أغنياء هذا العصر الذين اختصوا أنفسهم دون الفقراء بالثروة والمتاع . وبالرغم من بعض الغموض الذى يبدو فى أسلوبها لجهلنا باللغة المصرية ونواحى بلاغتها ، ولما احتوته من استعارات قوية وتشبيهات غريبة فإنها تعتبر أدبا من الطراز الأول فى عصرها وفى العصور التى تلته . ومما أكسبها ذيوعا وانتشارا ماتضمنته فى طياتها من تهكم لاذع يميل إليه المصريون القدماء بسليقتهم ، ولو أنه كان يهدف إلى غرض خلقى سام . ولا ريب فى أن القصة ترسم صورة حيـة ناطقة لميل الموظفين عن جادة العدل والحق ، إذا لم يكن عليهم ملك رشيد عادل يخافون سطوته . ومن الظواهر الغريبة فيها أنها لأول مرة فى تاريخ أدب العالم تشبِّـه العدالة بالميزان ، وتتخذ من أجزاء الميزان استعارات وأوصافا لنواحى العدالة ، ونجد هذا التشبيه الآن سائدا كل لغات العالم . وقد ظهر بصورة واضحة فى القرآن الـكريم .

المصادر :

وصلت إلينا هذه القصة فى أربع نسخ يرجع عهدها إلى عصر الدولة الوسطى ، وقد عنى بترجمتها والتعليق عليها فوجلزانج الألمانى فى كتابه :

(1) Vogelsang. Kommentar Zu Den Klagen des Bauern. Lepzig 1913

وترجمها حديثا جاردنر فى مجلة :

(2) Gardiner Journal of Egyptian Archeology. Vol IX P. 1 ff

وترجمها كذلك ارمان فى :

(3) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians (Translated by Blackman) P. 116 ff.

وهناك مصادر أخرى بحثت فيها هذه القصة أهمها ما يأتى :

(4) The Dawn of Conscience 183 ff. (By Bneasted)
(5) Die Agyptische Literatur P. 38 ff. (Dr, Max. Pieper.)

متن القصة :

كان رجل اسمه «خنوم أنوب» وهو فلاح من حقل الملح[1] وكان له زوجة اسمها «مارى» . فقال هذا الفلاح لزوجته : « انظرى . إنى ذاهب إلى مصر لأحضر منها طعاما لأطفالى .

---

(١) وادى النطرون .

فاذهبي الآن وكيلي لى القمح الذى فى الجرن ، وهو ما بقى من الحصاد الماضى » ، ثم كالها ستة (؟) مكاييل من القمح .

ثم قال هذا الفلاح لزوجته : « انظرى . لقد بقى عشرون مكيالا من القمح لتكون طعاما لك ولأطفالك ، وعليك أن تصنعى لى ستة مكاييل القمح هذه خبزا وجعة للأيام التى سأكون فيها على سفر . » (؟)

وعلى ذلك ذهب هـذا الفلاح إلى مصر بعد أن حمل حميره بالسمار ونبات « رمت » والنطرون والملح وعصى من . . . . « تيو » و « قضبان » « تحو[1] » وجلود الفهد ، وفرو الذئاب ، والخـيزران والحصى (؟) ونبات « تم » ونبات « خبرور » و « ساهوت » و « ساسكوت » ونباتات « ميسوت » وأحجار « سنوت » وأحجار « عباو » ونباتات « ابسا » ونباتات « أنبى » ويمام وطيور « نعرو » وطيور « وجس » ونباتات « ون » ونباتات « تبسو » و « جنجنت » وشعر الأرض و « أنست » ومكيال واف من كل محصولات « حقل الملح » . وسافر هـذا الفلاح نحو الجنوب تجاه « ننسو »[2] ووصل إلى جوار « برفيوف » فى شمالى « مدينت »[3] ، وهناك رأى رجلا واقفا على شاطىء النهر يدعى « تحوت نخت » وهو ابن رجل يدعى « أسرى » وهو من مستخدمى المدير العظيم للبيت المسمى « رنزى » بن « مرو » .

وقال « تحوت نخت » هذا حينما رأى حمير هذا الفلاح ، وقد مال قلبه إليها : « ليت لدى وثنا قويا[4] حتى أتمكن من سرقة متاع هذا الفلاح ! » واتفق أن بيت « تحوت نخت » هـذا كان على ممر بجانب النهر وقد كان ضيقا وليس بالعريض ، إذ كان عرضه يعادل قطعة النسيج التى تستر الجسم ، وكان أحد جوانب هذا الممر مغمورا بالماء ، والثانى مغطى بالقمح .

وقال « تحوت نخت » هـذا لخادمه : « اذهب واحضر لى قطعة نسيج من دارى » . فأحضرت إليه فى الحال ، فمدها على الممر بطريقة جعلت هدبها على المـاء وطرفها على سيقان القمح . ثم سار هذا الفلاح على الطريق العام .

فقال « تحوت نخت » هذا : « احترس أيها الفلاح ، أتريد أن تطأ ملابسى » ؟ .

---

(١) واحة الفرافرة .

(٢) أهناس المدينة الحالية وقد كانت عاصمة الأسرة التاسـعة التى ينتسب إليها الملك نبكاورع الذى نحن بصدده .

(٣) قد تكون مدينة اطفيح .

(٤) أى ليت لدى وسائل سحرية .

فقال هذا الفلاح : « سأفعل ماتريد ، إن طريق طريق جيد » وعندئذ سار إلى الأمام .
فقال « تحوت نخت » هذا : « أتريد أن تجعل قمحى ممرا ؟ » .
فقال هذا الفلاح : « إن طريقى جيد . إن الجسر عال وطريقنا الوحيد » تحت القمح ، ومع ذلك فإنك تجعل ملابسك عقبة فى طريقنا . أفلا تريد أن تجعلنا نمر على الطريق ؟ »
عندئذ ملأ أحد الحمير فمه بحزمة من القمح . فقال « تحوت نخت » هـذا : « انظر سآخذ حمارك أيها الفلاح لأنه يأكل قمحى . انظر إنه سيشتغل بسبب جرمه » .
فقال هـذا الفلاح : « إن طريقى حسن . ولم تؤخذ إلا قبضة واحدة من القمح . لقد أحضرت حمارى لأنه حمول (؟) وأنت تغتصبه لأنه ملأ فمه بحزمة من القمح . بلى ، ولـكنى أعرف رب هـذه الضيعة ؛ فهى ملك المدير العام للبيت « رنزى » بن « مرو » وهو الذى يكبح جماح كل لص فى كل البلاد قاطبة ، وهل أسرق فى (نفس) ضيعته ؟ »
وقال « تحوت نخت » هذا : « هل هذا هو المثل الذى على ألسنة الناس . إن اسم الرجل الفقير لا ينطق به إلا إكراما لسيده ؟ إننى أنا الذى أتكلم إليك وليس المدير العظيم للبيت الذى أتى على ذاكرتك ! »
ثم أخذ غصنا من الأثل الأخضر وأوجعه به ضربا فى كل جسمه ، وقبض على حميره وساقها إلى ضيعته .
وعندئذ أخذ هـذا الفلاح يبكى بكاء مراً من الألم الذى لحقه . وقال « تحوت نخت » هذا : « لا ترفع صوتك أيها الفلاح . انظر إن مصيرك سيكون مسكن « رب الصمت »[1] .
فقال هذا الفلاح : « إنك تضربنى وتسرق متاعى ، وبعد ذلك تغتصب الشكاية من فى! أنت يا « رب الصمت » أعد إلىّ ماشيتى حتى أسكت عن الصياح الذى يزعجك ! »
وقد مكث هذا الفلاح عشرة أيام يتضرع إلى « تحوت نخت » هذا ، غير أنه لم يلتفت لشكايته . وعلى ذلك سافر هـذا الفلاح إلى « ننسو » ليرفع ظلامته إلى المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » ، وقد وجده وهو خارج من بيته لينزل فى قاربه الخاص بقاعة العدل (أى القارب الرسمى الخاص بالمحـكمة) .
فقال هذا الفلاح : « هل تسمح لى بأن أسر قلبك بهـذه القصة ؟ هل من الممكن أن يحضر مى خادم حسب اختيارك حتى يحمل إليك أخبارا منى خاصة بها »[2]

---

(١) رب الصمت هو (أوزير) ويظهر أن « تحوت نخت » هذا هدد الفلاح بالموت .
(٢) حرفيا حتى أرسله إليك بخصوصها .

وعلى هذا أمر المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » خادماً قد اختاره ليذهب أمامه ليحمل إليه أخبارا من هذا الفلاح خاصة بهذا الموضوع من كل وجوهه .

وعندئذ عمل « رنزى » بن « مرو » المدير العظيم للبيت تحقيقا ضد « تحوت نخت » أمام الحكام الذين كانوا معه .

فقالوا له : « يجوز أنه أحد فلاحيه قد أتى إلى واحد آخر خلافه . انظر تلك هى الطريقة التى كانوا يتبعونها مع فلاحيهم عند مايذهبون إلى آخرين خلافهم . وهل هـذه قضية حتى يعاقب الإنسان « تحوت نخت » هذا بسبب مقدار تافه من النطرون ومقـدار ضئيل من الملح ؟ مره أن يُعطى بدلا منها ، وعلى ذلك يمكنه أن يعطى بدلا منها » .

غير أن المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » لزم السكينة ولم يجب هؤلاء الحـكام ولا هذا الفلاح أيضا .

الشكوى الأولى

عندئذ أتى هـذا الفلاح ليقدم ظلامته إلى المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » فقال : « يا مدير البيت العظيم ، يا سـيدى ، يا أعظم العظماء ، يا حاكما على ما قد فنى وما لم يفن ! [١] وإذا ذهبت إلى بحر العدل [٢] وسحت عليه فى نسيم رخاء ، فإن الهواء لن يمزق قلعك ، وقاربك لن يتباطأ ، ولن يحدث لصاريك أى ضرر ، ومرساك لن تـكسر ، ولن يغوص قاربك (؟) حينما ترسو على الأرض . ولن يحملك التيار بعيدا ، وان تذوق أضرار النهر ، ولن ترى وجها مُرتاعا . والسمك القفاز سيأتى إليك ، وستصل (يدك) إلى أسمن طائر ، وذلك لأنك أب لليتيم ، وزوج للأرملة ، وأخ لتلك التى قد نبذت ، ومئزر لذلك الذى لا أم له [٣] . دعنى أجعل إسمك فى هذه الأرض يتفق مع كل قانون عادل ، فتـكون حاكما خلوا من الشره ، وشريفا بعيدا عن الدنايا ، ومهلـكا للـكذب ومشجعا للعدل ، ورجلا يلبى نداء المستغيث . إنى أتكلم ، فهل لك أن تسمع ؟ أقم العدل أنت يأيها الممدوح الذى يمدح بهؤلاء الذين يُمدَحون . اقض على فقرى ، انظر إنى مثقل بالحمل . جربنى ، انظر إنى فى حيرة .

---

(١) أى حاكما على كل شىء .
(٢) يقصد بالسطور التالية التمدح بعدل رنزى .
(٣) أى أنك لباس للطفل الفقير الذى ليس له أم تصنع له لباسا .

مقدمة للشكوى الثانية

وقد اتفق أن الفلاح قد ألقى هذه الخطبة فى عهد الملك المرحوم « نبكاو رع » .

وقد ذهب المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » أمام جلالته وقال : « سيدى لقد عثرت على أحد هؤلاء الفلاحين ، وفى الحق أنه فصيح ، وهو رجل قد سرق متاعه . وانظر ! إنه قد حضر ليتظلم لى من أجل ذلك . »

عندئذ قال جلالته : « بقدر ما تحب أن ترانى فى صحة دعه يمكث هنا دون أن تجيب عن أى شىء قد يقوله . ولأجل أن تجعله يستمر فى الكلام الزم الصمت . ثم مر بأن يؤتى لنا بذلك مكتوبا حتى نسمعه . ولكن مدّ زوجه وأطفاله بالمئونة ، ثم انظر ، لا بد أن يأتى أحد الفلاحين إلى مصر وذلك بسبب فقر بيته[1] . وزيادة على ذلك مدّ هذا الفلاح نفسه ، فلا بد أن تأمر بإعطائه الطعام دون أن يعلم أنك أنت الذى أعطيته إياه . »

وعلى ذلك أعطى عشرة أرغفة وإبريقين من الجعة كل يوم ، وقد تعود رب البيت العظيم « رنزى » بن « مرو » أن يعطى ذلك أحد أصدقائه ، وكان هذا يعطيها إياه (إلى الفلاح) : ثم إن المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » أرسل إلى شيخ بلدة « سخت حموت » ليصنع الطعام لزوج ذلك الفلاح ومقداره ثلاثة مكاييل من القمح (؟) كل يوم .

الشكوى الثانية

ثم إن هذا الفلاح أتى ليتظلم له مرة ثانية وقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدى ، يا أعظم العظماء ، يا أغنى الأغنياء ، يا من عظماؤه لهم واحد أعظم منهم ، يا من أغنياؤه لهم واحد أغنى منهم ، أنت يا سكان السماء ، ومثقال ميزان الأرض ، ويا خيط الميزان الذى يحمل الثقل . يأيها السكان لا تنحرف ، ويا مثقال الميزان لا تمل ، ويا خيط الميزان لا تتذبذب ملتويا : إن السيد العظيم يأخذ (فقط) مما ليس له سيد ، وينهب واحدا فقط (أى نفسه). إن ما يحفظ أودك فى بيتك : قدح من الجعة وثلاثة رغفان .[2] وما الذى يمكن أن تصرفه لإطعام عملائك ؟ على أن الإنسان سيموت مع خدمه ؛ وهل ستكون رجلا مخلدا ؟

(١) أى ليأخذ لهم الطعام .

(٢) يقصد أنه لا يمكنه أن ينفق كل ما كنز لأن ما يحتاجه الإنسان فى الحياة قليل ، وأنه لديه الكفاية وما يزيد على الكفاية مما يجعله قادرا على إطعام كل من حوله . وهل يجمع كل ذلك لأنه يظن أنه مخلد فى هذه الحياة ؟

أليس من الخطأ — ميزان يميل وتقالة تنحرف ورجل مستقيم يصير معوجا؟ تأمل. إن العدل يفلت (؟) من تحتك، وذلك لأنه أقصى من مكانه، فالحكام يشاغبون، وقاعدة الكلام تنحاز إلى جانب، والقضاة يتخاطفون ما اغتصبه (أى « رنزى ») . ومعنى ذلك أن من يقلب الكلام من موضع الصواب يحرّفه عن معناه (؟) : وبذلك يخور مانح النفس على الأرض، وذلك الذى يأخذ راحته يجعل الناس يلهثون، والحكَم يصير مُتلِفا[١]، ومبيد الحاجات يأمر بصنعها، والبلدة تكون فيضان نفسها، والمنصف يخلق المشاغبة . »

ثم قال المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » : هل تعتقد فى قلبك أن ممتلكاتك أمر أهم من أن يقصيك خادمى ؟ »[٢]

وقال هذا الفلاح : « إن كيّال أكوام الغلال يعمل لمصلحة نفسه، وذلك الذى يجب عليه أن يقدم حسابه تاما لآخر يسرق متاعه، وذلك الذى يجب عليه أن يحكم بمقتضى القانون يأمر بالسرقة . فمن ذا الذى يكبح الباطل إذن؟ وذلك الذى يجب عليه أن يقضى على الفقر(؟) يعمل على العكس؛ ويسير الإنسان إلى الأمام فى الطريق المستقيم فى منحنيات . وآخر ينال الشهرة بالضرر . فهل تجد لنفسك هنا أى شىء (؟) ؟[٣]

« إن الإنصاف قصير، ولكن الضرر يمكث طويلا[٤] والعمل الطيب يعود ثانية إلى مكانه بالأمس . والواقع أن الحكمة تقول : « عامل الناس بما تحب أن تعامل به »[٥]، وذلك كشكر إنسان على مايعمله، وكمنع شىء قبل تشكيله مع أن الأمر بصنعه قد أعطى للصانع .

(يتمنى الشر للأمير) : ليت لحظة تخرّب، فتجعل كرمك رأسا على عقب، وتفتك بطيورك، وتودى بدواجنك المائية[٦] . فالبصر قد غشى بصره، والمستمع قد صمّ، والحاكم أصبح متمردا . . .

« تأمل . إنك قوى وشديد البأس، وإنك نشيط الساعد وقلبك مفترس . وقد تخطتك

---

(١) حرفيا : مقسم الارث متلف .

(٢) قاطع « رنزى » الفلاح بسؤال خشن : أيهما أهم لديك : المتاع الذى تدعيه أو الضرب بالعصا إذا استمررت فى شكايتك . غير أن الفلاح لم يعره اهتماما واستمر فى كلامه

(٣) قد يقصد بها : هل تجد لنفسك هنا أى شىء ينطبق عليك من هذه الأوصاف .

(٤) إن الضرر يستمر مدة طويلة فى حين أن إصلاحه لا يحتاج إلا إلى فترة قصيرة، فإنصاف الفلاح يتوقف على إصغاء « رنزى » إلى شكايته لمدة قصيرة .

(٥) حرفيا « افعل للفاعل حتى تجعله يفعل (أى لك مثله)

(٦) يقصد ليت « رنزى » يمنع لحظة واحدة عن ملاهيه بالصيد .

الرحمة ، ما أعظم حزن الرجل الفقير الذى قد قضيت عليه . ومثلك كرسول من عند الإله التمساح ، بل إنك تفوق « ربة الوباء »[1] . فإذا كنت لا تملك شيئا فهى لا تملك شيئا أيضا ، وإذا كانت لا تدين بشىء فكذلك أنت لا تدين بشىء ، وإذا كنت لا تفعلها فهى لا تفعلها أيضا[2] . وذلك الذى يملك خبزا (؟) يجب أن يكون رحيما ولكن المجرم قد يكون (؟) قاسيا فظا . على أن السرقات أمر طبيعى لمن لا متاع له ، وكذلك خطف المجرمين لأمتعة الغير .

« حقا أنه عمل مشين ، إلا أنه لا مندوحة عنه (؟) . ويجب على الإنسان ألا يصوب اللوم إليه لأنه يبحث لنفسه[3] ، على أنك قد امتلأت بخبزك وسكرت بجعتك ، وإنك غنى . . . . . إن وجه مدير السكان متجه إلى الأمام ، ومع ذلك (؟) فإن القارب يتجه كما يشاء . فالملك فى داخل قصره ، والدفة فى يدك ، ومع ذلك فإن المشاغبات منتشرة بجوارك . إن (عمل) الشاكى طويل والفصل فيه يسير ببطء ، وسيتساءل الناس عن هذا[4] الرجل الذى هناك ، كن حاميا حتى يصير شاطئك واضحا ، تأمل . إن مسكنك قد أصبح موبوءا (؟) اجعل لسانك يتجه إلى الحق ، ولا تضل . وإن لسان (؟) الرجل قد يكون سبب تلفه .

« لا تنطق كذبا . واحترس من الحكام .. . إن قول الكذب عشبهم ، وعلى ذلك (؟) من المحتمل أن يكون خفيفا على قلوبهم . وأنت يا أكثر الناس تعلما ، هلا تريد أن تعرف شيئا عن أحوالى ؟ وأنت يا من تقضى على كل حاجة (؟) للماء ، تأمل ، فإنى أملك مجرى ماء من غير سفينة . وأنت يا مرشد كل غارق إلى البر ، نج من غرقت سفينته . نجنى . . . . . »

الشكوى الثالثة

ثم حضر هذا الفلاح مرة ثالثة ليشكو فقال : « يأيها المدير المعظم للبيت ، ياسيدى ، إنك « رع » رب السماء ، فى صحبة حاشيتك . إن قوام بنى الإنسان منك لأنك كالفيضان . وأنت « حعبى » (إله النيل) الذى يجعل المراعى خضراء ويعد الأراضى القاحلة . اكبح جماح السارق . دافع عن الفقير ، ولا تكونن فيضانا ضد الشاكى ؛ واحذر من قرب الآخرة . ارغب فى أن تعيش طويلا على حسب المثل : « إن إقامة العدل هو نفس الأنف » . ومع

(١) هى الإلهة « سخمت » .
(٢) أى الرحمة .
(٣) إن الإنسان يعذر المحتاج إذا سرق ، ولكنه لا يعذر رجلا غنيا كالمدير المعظم للبيت .
(٤) حرفيا : يتساءل الناس : من هو ذلك الرجل الذى قد تباطأ مع المدير المعظم للبيت .

العقاب على من يستحق العقاب ، ولن يكون هناك شيء يماثل استقامتك . هل الميزان يتحول ؟ وهل يميل لسانه إلى جهة ؟ هل يظهر « تحوت » تساهلا ؟

« فإذا كان الأمر كذلك فيمكنك أن تعمل ضررا . واجعل نفسك معادلا لهذه الثلاثة (يشير إلى الميزان واللسان و« تحوت») ، فاذا أظهرت الثلاثة لينا فكن لينا . ولا تجب على الخير بالشر ، ولا تضمن شيئا مكان آخر[1] ما أكثر نمو الكلام من عشب خبيث[1] وأكثر مما يتفق مع من يشمه ! أفلا تجيبن عليه ، وعلى ذلك يروى الشقاق حتى يسبب نمو (؟) غطاء .

« وقد كان (؟) لديه ثلاث فرص (؟) . تحمله على أن يعمل (؟) . قد الدفة على حسب القلع[2] . وصد (؟) الفيضان بعيدا على حسب (؟) ما يقتضيه العدل . واحترس من أن تصطدم على الشاطىء (؟) مع حبل السكان (؟) وإن أصدق وزن للبلاد هو إقامة العدل . ولا تكذبن وأنت عظيم . ولا تكونن خفيفا وأنت رزين . ولا تقولن كذبا فانك الميزان . ولا تنكمش ، فإنك الاستقامة ، انظر . إنك على مستوى واحد مع الميزان ، فإذا انحرف انحرفت أيضا . ولا تحيدن . بل أدر السكان ، واقبض على حبل الدفة . لا تغتصبن ، بل اعمل ضد المغتصب . وذلك العظيم ليس عظيما مادام جشعا . إن لسانك هو ثقالة الميزان ، وقلبك هو مايوزن به ، وشفتاك هما ذراعاه . فإذا سترت وجهك أمام الشرس فمن ذا الذى يكبح الشر ؟

« تأمل إنك غسال يشق ، وشخص جشع لإتلاف صاحبه ، وهاجر شريكه من أجل عميله ، وأنه لأخ له الذى قد أتى ونفذ (حيلته) .

« تأمل . إنك نوتى تعبر بمن معه الأجر ورجل مستقيم فى معاملته . ولكن تلك الاستقامة مذبذبة .

« تأمل إنك رئيس مخابز لا يسمح لأحد خلو (؟) (مفلس) أن يمر وهو مدين .

« تأمل إنك صقر لعامة القوم يعيش على أحقر الطيور .

« تأمل إنك مُوردّ سروره الذبح ، إذ لا (يوقع) عليه تشويه .

« تأمل إنك راع ، لا . . . . . وليس عليك أن تدفع . ولذلك يجب عليك أن تظهر الشراهة أقل من تمساح جشع ، إذ أن الأمان قد انتزع من كل مساكن البلاد قاطبة . أنت أيها السامع ، إنك لا تصغى ولماذا لا تصغى ؟ . واليوم قد كبحت جماح المتوحش ،

---

(١) ورد ذكر هذه الحكمة فى تعليم فتاح حتب .

(٢) يظهر أن الفلاح يفكر هنا فى أن كلامه هو الذى يزداد بنسبة عدم الاكتراث به .

(٣) هل معنى ذلك : أرشد السفينة كما تتطلب الريح أى اعترف بشكايتى وإلا فإنى سأستمر فى الكلام كالفيضان .

والتمساح يتقهقر . وما الفائدة التى تعود عليك ، إذا وجـد سر الصدق وظهر الـكذب قد وضع على الأرض (؟) ولـكن لاتتجهز[1] للغد قبل أن يأتى ، لأنه لا إنسان يعلم المتاعب التى ستكون فيه » .

وقد تكلم هـذا الفلاح هذا الـكلام إلى المدير العظيم للبيت (رنزى) بن (مرو) عند مدخل قاعة المحاكمة ثم أمر حاجبين أن يتعهداه بسياط وقد أسخناه ضربا بها فى كل أجزاء جسمه .

عندئذ قال هذا الفلاح : « إن ابن (مرو) لا يزال متنكبا فى غيه وإن حواسه قد عميت عما ينظر ، وصمت عما يسمع ، وانحرفت عما يتلى عليه . انظر . إن مثلك كمثل بلد لا عميد له[2] ، أو جماعة لا رئيس لها ، أو كسفينة لا ربان لها ، أو كعصابة أشقياء لا مرشد لها .

« انظر . إنك حاكم[3] يسرق وعميد قرية يقبل (الرشوة) ومفتش صقع كان يجب عليه أن يقطع دابر التخريب ، ولـكنه أصبح مثالا للمجرم . »

الشكوى الرابعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو له للمرة الرابعة ووجده خارجا من معبد « أرسافيس »[4] ، فقال له : « أنت أيها الممدوح ليت « أرسافيس » الذى تخرج من معبده يمدحك . لقدقضى على الخير وليس له التئام ، وحقا قد ألقى الـكذب على الأرض ظهريا . هل أحضر قارب التعدية إلى البر ؟ فبماذا إذن يمكن الإنسان أن يعبر ؟ على أن هذا العمل لا بد أن ينفذ كرها على أية حال (أى التعدية) (؟) وهل عبور النهر بالنعال طريقة حسنة للعبور ؟ لا ! وقل لى من ذا الذى ينام (الآن) حتى مطلع الفجر ؟ لقد قضى على السير ليلا ، والسياحة نهارا ، والسماح للإنسان أن يتعهد قضيته الحقة . انظر . إنه لا فائدة لمن يقول لك : « إن الرحمة قد تخطتك فما أعظم حزن الرجل الفقير الذى قد خربته ! »

« انظر . إنك صـياد يشفى غليله ، وإنسان منغمس فى إرضاء ملاذه ، فيصيد جاموس البحر ، ويخترق (نبله) الثيران الوحشية ، ويصيد السمك ، ويرمى شباكه للطيور . على أنه لا يوجد إنسان متسرع فى كلامه يخلو من العثار[5] ، ولا إنسان خفيف القلب يقدر أن يكون

---

(١) يظهر أن الفلاح يحذر « رنزى » من الثقة التامة بالمستقبل (من يعرف ما سيحدث نتيجة ظلمه)

(٢) العميد هنا شيخ البلد .

(٣) موظف يفصل فى المنازعات .

(٤) معبد للاله « حرشاف » فى اهناس المدينة .

(٥) أى أن تسرع « رنزى » يجعله ظالما .

حازما فى كبح هواه ، كن صبورا حتى يمكنك أن تصل إلى العدل . اكبح جماح اختيارك حتى إن الشخص الذى تعوّد أن يدخل بسكون يمكنه أن يكون سعيدا . على أنه لا يوجد إنسان طائش يتفوق فى عمل ، ولا متسرع تطلب مساعدته . اجعل عينيك تتأملان ، وعلم قلبك . ولا تكونن قاسياً بنسبة قوتك خوف أن يحيق بك الأذى . تغاض عن قضية وإذن ستتضاعف (فى صعوبتها) وإن الذى يأكل هو الذى يتذوق ، والذى يخاطب يجاوب ، والنائم يرى الحلم[1]. أما القاضى الذى تجب معاقبته فإنه نموذج للمجرم . تأمل أيها الأحمق فإنك قد ضربت ، وتأمل أيها المغفل فإنك استجوبت . وأنت يا ماتح الماء تأمل فإنك قد أدخلت[2] ، وأنت يا مدير السكان لا تجعل قاربك يرتطم . وأنت يا معطى الحياة لا تودين بأحد ، ويا مخربا لا تسببن خراب أحد . ويأيها الفئ لا تقومن مقام الهجير . ويأيها الستر لا تجعلن التمساح يفترس . والآن هل سأقضى طول اليوم فى الشكوى الرابعة » ؟

الشكوى الخامسة

ثم أتى هذا الفلاح يشكو للمرة الخامسة وقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدى ! (وهنا المتن غامض جدا ، غير أننا نفهم أنه يتكلم عن كل أنواع صيد السمك وكلها استعارات وتشبيهات غامضة إلى أن يقول) : تأمل . إنك فى حالة كهذه (فى كل ما سبق من الكلام الغامض قد شبه فيه « رنزى » بصيادى السمك) ، لا تحرمن رجلا رقيق الحال أملاكه ، وهو رجل ضعيف أنت تعرفه ، فإن أملاك الرجل الفقير بمثابة النَّفَس له ، ومن يغتصبها يكتم أنفه[3]. ولقد نصبت لتسمع الشكاوى وتفصل بين المتخاصمين ، وتكبح جماح اللص . ولكن تأمل . فإن ما تفعله هو أنك تعاضد اللص . والإنسان يضع ثقته فيك ولكنك أصبحت معتديا . لقد نصبت سدًّا للفقير فاحترس خوف أن يغرق . ولكن تأمل . إنك تيار سريع له .

الشكوى السادسة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح للمرة السادسة ليشكو فقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ،

---

(١) ثلاثة أحوال للعلة والمعلول ؟ فكما أن المعلول يتبع العلة فى هذه الأحوال الثلاثة كذلك يكون القاضى المتهم نموذجا للمجرم .

(٢) يظهر أن ذلك يعنى أنك كلما اجتهدت لتقف سيل كلامى فإنك تغمر به

(٣) الأنف هو مركز الحياة

يا سيدى ! . . . إن كل محاكمة حقة تدحض الباطل ، وتملو بالصدق ، وتشجع الحسنة ، وتقضى على السيئة ، كالشبع عندما يأتى يقضى على الجوع ، والكساء يقضى على العرى ، وكالسماء تصفو بعد العاصفة الشديدة وتدفىء كل من شعر بالبرد ، وكالنار التى تسوى النيىء ، وكالماء الذى يطفىء الظمأ . انظر بعينيك : إن المحكم متلاف ، والمصلح موجد للحزن ، ومهدىء (الخلافات) خالق للألم ، والمغتصب يحط من قدر العدالة ، ولكن الشخص إذا قضى بالقسطاس المستقيم فإن العدالة إذن لن يحاد عنها ولن يبالغ (؟) فى إجرائها (ولكن) إذا أخذت فأعط زميلك أيها المشداق (؟) الخلو من الصراحة .

« إن حزنى يفضى إلى نزاع ، واتهامى يؤدى إلى تحول ، والإنسان لا يعرف ما فى القلب[1] . لا تكن خاملا بل اهتم بالتهمة . فإذا قطعت فمن الذى يصلح ؟ إن مجداف القلوب (؟) فى يدك كالعمود السهل (؟) المتناول عندما يوجد الماء العميق[2] (؟) . فإذا ارتطم القارب فإنه يدفع ولكن (؟) حمولته تتلف (؟) وتضيع (؟) على كل شاطىء رملى (؟) . (كل العبارة غامضة)

« إنك متعلم وإنك ماهر وإنك عادل ، ولكن ليس فى النهب . (والآن ؟) فإن مثلك مثل كل بنى الإنسان كل أعمالك ملتوية ، ومفسد الأرض كلها يمشى مستقيما إلى الأمام (لا يرى أمامه اعوجاجا) . وزارع الشكر (البستانى) يروى حقله بالأعمال الخاطئة حتى يجعل مزرعته تنمو بالكذب ، وبذلك يرى المتاعب إلى الأبد (؟) .

الشكوى السابعة

وبعد ذلك أتى الفلاح ليشكو له للمرة السابعة فقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدى ! إنك سكان البلاد قاطبة ، والأرض تسبح على حسب أمرك . إنك معادل « لتحوت » تقضى دون أن تنحاز إلى جانب . يا سيدى كن صبورا حتى يمكن الإنسان أن يستغيث بك لقضيته العادلة . ولا تجعلن قلبك جموحا ، فذلك لا يليق بك . وإن الرجل البعيد النظر يكون حليما . لا تفكرنّ فيما لم يأت بعد ، ولا تفرحن بما لم يحدث بعد .

---

(١) يتنبأ الفلاح أن شدة حزنه وقوة توبيخه لا بد أن تؤديا إلى نزاع ، وأنه يحذر « رنزى » أن ساعة العقاب ربما كانت أقرب مما يتصور

(٢) العبارة غامضة . ولكن يظهر أن التشبيه هنا يرسم لنا صورة « رنزى » فى صورة من فقد زمام إدارة البلاد لأنه ليس فى استطاعته أن يصل إلى عمقها

والتحمل يطيل أمد الصحبة . اقض على الأمر الذى مضى[١] . والإنسان لا يعلم ما فى القلب

« إن منتهك حرمة القانون ، وخارق المتبع من الأمور لا يستطيع رجل فقير أن يقاوم نهبه إذا لم تواجهه العدالة[٢] . حقا إن جوفى لملآن وقلبى لمفعم وقد طفح من جوفى تقرير عن تلك الحالة . لقد كان صدع فى السد ، فتدفق منه الماء ، وقد انفتح فمى للكلام . وعندئذ قد أعملت مجدافى لسبر الغور ، ونزحت مائى ، ورَوحت عما فى جوفى ، وغسلت كتانى (ملابسى) القذر . والآن قد انتهى خطابى وانتهى بؤسى فى حضرتك فما الذى تطلبه الآن[٣] ؟

« إن خمولك سيضلل بك ، وشراهتك ستغشك ، وإن عدم اكتراثك سيولد لك أعداء . ولكن هل يمكنك أن تجد فلاحا آخر مثلى ؟ وهل الشاكى يقف على باب بيت الخامل ؟ على أنه لا يوجد إنسان صامت قد أنطقته ، ولا نائم قد أيقظته ، ولا مكتئب قد نَشَّطْته ، ولا إنسان فمه مغلق قد فتحته ، ولا جاهل قد جعلته يعرف ، ولا غبى قد علمته ، (ومع ذلك) فإن الحكام هم الذين يقصون السوء ، وأرباب الخير هم أصحاب فن ليصنعوا أى شىء كائن ويصلوا الرءوس التى قد فصلت (عن أجسامها) .

الشكوى الثامنة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو مرة ثامنة فقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدى ! إن الناس يتحملون السقوط البعيد بسبب الطمع ، والرجل الجشع يعوزه النجاح ، ولكنه ينجح فى الخيبة . إنك جشع وذلك لا ينسجم معك ، إنك تسرق وذلك لا يفيدك ، أنت يا من يجب عليه أن يسمح للانسان أن يشرف على قضيته الحقة . ذلك لأن مايقيم أودك فى بيتك ، ولأن جوفك قد ملىء ، ولأن مكيال القمح قد طفح ، وإذا اهتز فإن الفائض منه يبعثر على الأرض

« آه أنت يا من يجب عليه أن يقبض على اللص ، ويا من يبعد الحكام وقد نصبوا ليدرءوا السوء ، وهم حمى الساخط ، والحكام قد نصبوا ليكبحوا الكذب . وليس الخوف منك هو الذى يجعلنى أشكو إليك . إنك لا تبصر (ما فى) قلبى . وإنه لإنسان صامت من يجعله يرتد دائما عن توبيخك . ولا يخاف ممن يطالبه بحقوقه . وإن أخاه لا يؤتى به لك من قارعة الطريق .[٤]

---

(١) المعنى غامض وقد يكون : دعنا نبدأ من جديد .

(٢) يقصد بهذا التلويح « تحوت نخت » وأمثاله الذين ينهبون دون أن يقدموا إلى المحاكمة .

(٣) ما الذى تحتاجه أكثر من ذلك .

(٤) هنا يفاخر الفلاح بأن مثيله لا يوجد فى أى ركن من أركان الطريق .

« إنك تملك حقلك فى الريف ، ومكافأتك (أرضـك) فى ضياع الملك . وخبزك فى الخبز ، والحكام يعطونك . ومع ذلك تغتصب ! هل أنت لص ، هل يحضر إليك بجنود لتصاحبك عند تقسيم الحقول (معك)[١] .

« أقم العدل لرب العدل ، والذى عدْلُ عدالته موجود[٢] . وأنت يأيها القلم ، وأنت يأيتها البردية ، ويأيتهـا الدواة ، ويا « تحوت » ابتعدوا عن عمل السوء . وعندما يكون الحسن حسنا فالأمر إذن حسن . غير أن العدل سيكون إلى الأبد ويذهب مع من يعمله إلى الجبانة ، وسيدفن وتطويه الأرض . أما اسمه فلن يمحى من الأرض ، بل سـيذكر للخير . وهكذا القانون فى كلمة الله[٣] . فهل هو ميزان ؟ إذن لا يميل . هل هو لسان الميزان ؟ إذن لا يحيد إلى جانب (لا يزن غشا) . وإذا حضرت أو حضر غيرى نخاطبه ، ولا تجيبن كانسان يخاطب رجلا صامتا ، أو كإنسان يهاجم من لا يمكنه أن يهاجم . إنك لا تظهر الرحمة . إنك لا تضعف ، إنك لا تَبيد (؟) . إنك لا تعطينى مكافأة على تلك الخطب التى تخرج من فم « رع » نفسه . انطق بالعدل وأقم العدل لأنه خطير ، وعظيم ، ويعيش طويلا ، والثقة به قد عرفت ، فهو يؤدى إلى العمر الطويل المحترم . هل الميزان يحيد؟ فإذا كان الأمر كذلك فإن ذلك يكون بسبب كفتيه اللتين تحملان الأشياء[٤] . ولا يجوز وجود الظلم مع القانون . وإن العمل الحقير لا يصل إلى المدينة ، على أن أصغر الأشياء (؟) سيصل إلى الريف . »

الشكوى التاسعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح إليه للمرة التاسعة ليشكو فقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ياسيدى ! إن لسان الناس ليس إلا لسان ميزانهم ، وهو الميزان الذى يبحث عن نقائصهم[٥] . وقع العقاب على من يستحق العقاب . على أنه لا شىء يماثل استقامتك . . . . والـكذب قد انتهى عمله (؟) والصدق يرجع معارضا له (الـكذب) (؟) . إن الصدق هو ثروة (؟) الـكذب . إنه ينمى (؟) وإنه ... . وإذا مشى الـكذب فى (الخارج) فإنه يضل ، ولن يعبر فى قارب التعدية ، ولن يقوم بأى تقدم (؟) . أما من تنمو ثروته به فلن يكون له

(١) هل تأخذ معك جنودا لتساعدك على السرقة عندما تقسم قطع الأرض .

(٢) ربما يقصد برب العدل إله الشمس « رع » الذى يعيش بالعدل .

(٣) هذا هو القانون الذى رسمته كلمة الله العليا .

(٤) الثقل والأشياء التى توزن .

(٥) أى أن كلام الناس يدل على طبيعتهم الحقة .

أطفال ، ولن يكون له وارث على الأرض . ومن يسيح به (بضاعة) لن يصل إلى بر ، وسفينته لن ترسو على مدينته .

« لا تكونن ثقيلا يا من لست خفيفا . ولا تتوانين يا من لا يسرع . لا تكونن متحزبا ولا تصغين لقلبك . ولا تسترن وجهك من إنسان تعرفه ، ولا تتعامين عن إنسان قد رأيته ، ولا تردن إنسانا يشكو إليك . واترك هذا الخمول حتى إن حكمتك (القائلة) : « افعل الخير لمن يفعله لك » يمكن أن تروى إلى مسامع كل الناس ، وحتى يرجع إليك الناس فيما يتعلق بمطالبهم الحقة . والخامل لا أمس له ،[١] والأصم عن العدل لا رفيق له ، والرجل الجشع لا فراغ لديه (إجازة) . وذلك الذى يوجه إليك التهمة يصير رجلا فقيرا ، والفقير سيصير شاكيا ، والعدو يصبح ذابحا (للفلاح) . تأمل . إنى أشكو إليك وأنت لا تسمع شكواى فسأذهب وأشكو منك إلى « أنوبيس » .[٢]

الخاتمة

وبعد ذلك أمر «رنزى» بن «مرو» المدير العظيم للبيت اثنين من الحجاب ليذهبا ويحضراه ثانية . وقد خاف هذا الفلاح ظنًّا منه أن ذلك قد عمل لمعاقبته على الخطبة التى فاه بها .

فقال هذا الفلاح : « مثل اقتراب الظمآن من الماء ووصول الشفة التى تتحرق إلى اللبن كمثل الموت الذى يتاق إلى رؤيته فى مجيئه عندما يأتى متباطئا . »

ولكن المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » قال : « أيها الفلاح . انظر . جهز نفسك على أن تسكن معى . »

فقال هذا الفلاح (؟) : « هل سأعيش قائلا : دعنى آكل من خبزك وأشرب من (جعتك) إلى الأبد ؟ » .

فقال المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » : « لا بأس انتظر هنا حتى يمكنك أن تسمع شكاياتك . » ثم أمر بقراءتها من ملف بردى جديد كل شكوى على حسب محتوياتها . ثم إن المدير العظيم للبيت « رنزى » بن « مرو » أمر بإرسالها إلى جلالة الملك المرحوم « بنكاورع » وقد سر منها جلالته أكثر من أى شىء فى الأرض قاطبة . وقال جلالته : « اقض أنت بنفسك يابن « مرو » (فى هذا الأمر) .

(١) قد يحتمل : ليس له ذكرى سارة .

(٢) يظهر أن الفلاح يشير إلى اقتراب أجله عندما يكون أنوبيس إلهه ، فعندئذ يشكو إليه من « رنزى » إما ليصلحه أو لينجيه من مصير الفلاح نفسه (أى الموت) .

فأمر (المدير العظيم) للبيت « رنزى » بن « مرو » اثنين من الحجاب ليذهبا ويحضرا « تحوت نخت » فأحضر وأحصيت (كل أملاكه) . . . . ستة أشخاص خلافا . . . . . . قمحه من الوجه القبلى وشعيره وحميره . . . . وخنازيره وماشيته الصغيرة . . . . . وقد أعطى بيت « تحوت نخت » لهذا الفلاح ، وكذلك كل . . . . قال إلى « تحوت نخت » . . . . . . »

لقد انتهت [بسلام كما وجدت مدونة]

قصة الراعى

مقدمة :

أراد أحد كتاب الدولة الوسطى أن يمحو كتابة من ورقة بردية[1] ليستعملها مرة أخرى ، فمحا بعضها ، وبقى منها خمسة وعشرون سطرا من وسطها ، ولكن هذا الجزء اليسير الذى بقى لنا لا يكفى لنتعرف منه وقائع القصة أو مغزاها . لذلك اقتصرنا على تسجيل ما قرأناه منها هنا ، وقد يجوز أن يكون موضوع القصة دائراً حول إلهة نصبت شباكها لراع يعيش مع ماشيته فى إحدى مناقع الدلتا »

متن القصة :

. . . . . تأمل ، فإنى عندما ذهبت إلى المستنقع الذى يحف بهذه الأرض المنخفضة ، رأيت امرأة هناك ، منظرها ليس كمنظر الآدميين ؛ فتقف شعرى حينما نظرت إلى ضفائرها ، لأن لون (جسمها) كان لامعا جدا . على أنى لن أفعل قط ما قالت ، والخوف منها فى جسمى وإنى أقول لك : أنت أيتها الثيران ، دعينا نذهب إلى البيت (؟) . دع العجول تعبر ، والماعز تبقى فى مكان . . . مع الرعاة خلفها ، أما قاربنا الخاص بالسياحة إلى مأوانا فيوضع فى مؤخرته الثيران والأبقار ، وفى هذا الحين يقوم أعقل الرعاة بتلاوة تعويذة مائية[2] ويقول

---

(١) See Gardiner Hierat. Papyrus aus den Königl. Museen zu Berlin, II. P. 15; & Erman, The Literature of the Ancient Egypetians P. 35

(٢) لمنع التماسيح عن القطعان . والمقصود من ذلك معروف لدينا من مناظر الدولة القديمة وهو أن الرعاة — الذين كانوا يحضرون الماشية إلى البيت وكان عليهم أن يعبروا ماء — كانوا يذهبون أولا فى قارب وكانت الثيران والأبقار تتبعهم عوما ، على حين أن العجول كان تجر بالمقود . وفى نفس الوقت يقوم الرعاة بعمل إشارة خاصة بأصابعهم كان المفروض فيها أنها تبعد التماسيح عن القطعان .

هكذا : « إن أرواحى [1] (كاوو) مبتهجة » وأنتم أيها الرعاة ، وأنتم أيها الناس ، لن يقدر أحد أن يطردنى من هــذا الحقل حتى فى عام نيله مرتفع ، يشرف فيــه على هضاب الأرض ، ولا يمكن أن تميز فيه البركة من النهر [2] .

اعمد إلى بيتك [3] . أما الناشية التى كانت قد بقيت فقد عادت ؛ والخوف منك قد زال ، والرهبة منك قد تلاشت ، وحتى يمحى الرعب من « الواحــدة القوية » والخوف من « سيدة الأرضين » [4]

ولما ظهر النور على الأرض فى الفجر الأول نفذ ما قال . وهذه الإلهــة قابلته بينما كان يعرج فى طريقه إلى البركة ، وقد خلعت ملابسها ونفشت شعرها . . .

قصة هلاك الإنسانية

ملخصها :

شعر الإلــه «رع» إلــه الشمس أنه صار مسنًّـا ، وأن رعيته من بنى الإنسان يتآمرون على قتله ، فاستنجد بالإلهــة « حتحور » التى تسمى فى هذه القصة « عين رع » لتقضى على بنى الإنسان جملة ، ولـكنها بعد أن بدأت عملها عز على الإلــه « رع » ذلك ، فدبر طريقة ينقذ بها من بقى من البشر ، ويخلصهم من بطش هذه الإلهــة ، وتم له ذلك بمعونة شراب الجعة الذى حبب إلى قلبها ، فاحتست منه حتى ثملت ولم تع ما كانت تريد .

دراسة القصة :

تمثل لنا هذه القصة أو بعبارة أدق هذه الخرافة نوعا من الشعر القصصى الذى يدور حول « الإلــهة حتحور » إلــهة السماء ، والإلــه « رع » إلــه الشمس ، وقد حفظت لنا بتوفيق غريب ، إذ أنها كانت قد نقلت فى كتاب تعويذات سحرية . وقد نقش هذا الـكتاب على جدران مقبرة الملك سيتى الأول من الأسرة التاسعة عشرة ، ثم على جدران مقبرة رعمسيس الثالث من الأسرة العشرين . ووردت هذه القصة فيما نُقش باعتبارها جزءا من هذا الـكتاب

---

(١) كان للـكائنات الالهية أرواح (كاوو) عدة

(٢) أى أن البركة والنهر يكونان كتلة واحدة من الماء بسبب ارتفاع النيل

(٣) قد يكون هذا جواب الرعاة الآخرين

(٤) لا بد أن المقصود بذلك إلهة عظيمة نظراً لهذه الألقاب

كما وجدت مكتوبة على « ناووس » « توت عنخ آمون » الخشبي (ولم تنشر بعد) . غير أنه من النقشين الأولين وإن وجدا مهشمين استطعنا أن نحصل على نص كامل تقريبا لهذه الخرافة . ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى الدولة الوسطى ، والمرجح أنها كتبت فى بدايتها .

على أن أول ما يسترعى النظر فى أسلوب هذه القصة هو سذاجة التعبير والتكرار الممل كالذى نسمعه فى بيوتنا عندما تقص علينا خرافة من الخرافات ، يضاف إلى ذلك أن القصة تحتوى على اشتقاقات لغوية خاصة بأسماء الآلهة تلفت نظر المشتغلين باللغة المصرية . وكذلك نجد فيها صورة طريفة للاحتفالات والمراسيم المحلية التى كان لا بد منها فى الطقوس المصرية .

أما أهم ما يلفت النظر فيها من حيث القصص فهو وجه الشبه بين قصة الطوفان الذى جاء ذكره فى الكتب المقدسة ، والذى كان من جرائه فناء الإنسانية تقريبا ، وبين فيضان الشراب الذى غمر البلاد المصرية فى قصتنا مع الفارق ، أن الخيال المصرى فى قصتنا قد قلب الطوفان الذى أرسل هناك لهلاك البشر ليكون حافظا ورحمة لهم هنا . ولكننا نذكر هذه المقابلة بشىء كبير من التحفظ المقرون بالشك . وسيبقى هذا الشك موجودا إلى أن تصل إلينا وثائق أخرى تثبت حدوث هذا الطوفان فى مصر ، وبخاصة إذا علمنا أن « أفلاطون » قد أنكر ذلك (Timaeus P 22 ff) .

والواقع أنه لا يوجد فى الوثائق المصرية خرافة خاصة بالطوفان . والمصدر الوحيد الذى تلمح فيه عن بعد إشارة عن الطوفان هى الخرافة الخاصة « بأوزير » أو « حور » جد بنى الإنسان ، إذ نرى فيها الإله يطفو على سطح الماء فى صندوق عند ولادته أو عند موته حسب الإله المذكور إن كان « أوزير » أو « حور » (انظر Max Müller Egyptian Mythology P. 76 ff.)

المصادر :

أول من بحث هذه القصة هو الأستاذ « نافيل » ثم ترجمها بعده « ماكس مولر » فالأستاذ « ارمان » :

(1) Naville. Transactions of the Soc. of Bib. Arch IV P. 1—9
(2) Max Müller Egybtian Mythology. P. 73 ff
(3) Erman. The Literature of The Ancient Egyptians P. 47 etc.
(4) Roeder Urkunden. zur Religion des Alten Agypten P. 141.

متن القصة :

. . . . . . الإلـه الذى أوجد نفسه عندما كان ملـكا على الآلهة والناس جميعا . وقد دبر له بنو البشر مؤامرة . وقد كان جلالته وقتئذ متقدما فى السن ، وكانت عظامه من فضة ولحمه من ذهب وشعره من اللازورد الحقيق (الظاهر أن هـذه كانت أمارات على كبر السن فى الآلهة) .

ولـكن جلالته قد فطن لما يدبره ضده بنو البشر ، وعند ذلك قال جلالته لمن كانوا فى حاشيته : تعالوا ونادوا إلىّ عينى ، وكذلك « شو » و « تفنوت » و« جب » و « نوت » ومعهم الآباء والأمهات الذين كانوا فى صحبتى عندما كنت لا أزال فى نون (المحيط الأبدى) وكذلك نادوا إلـهى « نوت » نفسه ودعوه يحضر معه حاشيته ، ويجب عليكم أن تحضروهم سرًّا حتى لا يراهم بنو الإنسان ، فيأخذ قلوبهم الفزع ، ويجب عليكم أن تحضروا معهم إلى القصر العظيم حتى يمدونى بنصيحتهم .

من أجل ذلك حضر هؤلاء الآلهة . وهؤلاء حضروا أمامه ولمسوا الأرض بجباههم فى حضرة جلالته ، لأجل أن يقول كلماته فى حضرة والد أكبرهم سنا « نون » ، ذلك الذى سوى بنى البشر وملك الناس .

فقالوا لجلالته : تحدث إلينا حتى نسمع حديثك . فقال « رع » للالـه « نون » يا أسن الـه به جئت للوجود ، وأنتم أيها الآلهة الأقدمون ، انظروا إلى بنى البشر الذين أتوا للوجود بعينى ، فقد دبروا مؤامرة ضدى ، فأخبرونى بما عساى أفعل فى ذلك . تأملوا ، فإنى لا زلت أبحث ، ولن أذبحهم حتى أسمع رأيكم فى ذلك . عندئذ قال جلالة « نون » يا بنى رع أنت أيها الإله الذى هو أعظم من الذى خلقه وأسن من الذين سووه ، ابق حيث أنت ، فإن الخوف منك سيكون عظيما ، إذا التفت عينك بمن تخيل لك سوءا . فقال جلالة « رع » : انظر . إنهم قد هربوا إلى الصحراء لأن قلوبهم فى وجل مما قالوا . وعندئذ قالوا لجلالته : أرسل عينك لتذبحهم لك . . لتذبحهم لك عندما تنزل بصورة « حتحور »

وهكذا عادت هـذه الإلهـة بعد أن قتلت بنى الإنسان فى الصحراء ، وقال جلالة هذا الإلـه : مرحبا مرحبا يا حتحور . لقد فعلت ما أرسلتك من أجله . فقالت له هذه الإلهـة :

بحياتك لقد تغلبت على بنى البشر وقلبى فرح لذلك[1] . .

وقال « رع » : تعالوا نادوا رسلى المسرعين فى العدو حتى يعدوا مثل ظل الجسم . وقد أُحضر هؤلاء الرسل ، فقال لهم جلالة هذا الإله : أسرعوا إلى الفنتين (أسوان) وأحضروا لى كمية عظيمة من الطَّفْل الأحمر . فأحضر له هذا الطفل الأحمر . ثم إن جلالة هذا الإله العظيم أمر الإله « ذو الذؤابة » الذى فى عين الشمس أن يطحن هذا الطفل الأحمر . ثم أعدت الخادمات شعيرا للجعة ، وأضيف له هذا الطفل المطحون ، فصار يشبه الدم البشرى ، ثم جهز ٧٠٠٠ إبريق (هنت) من الجعة . ثم حضر جلالة الملك « رع » ملك الوجهين القبلى والبحرى وبصحبته هؤلاء الآلهة ليروا هذا الشراب ، وانفلق صبح اليوم الذى كانت ستذبح فيه الإلهة بنى الإنسان فى وقت ذهابهم إلى النهر . وقال جلالة هذا الإله : إنها حسنة جدا سأحمى بها بنى الإنسان (؟) وقال « رع » : احملوها الآن إلى المكان الذى قالت عنه إنها ستقتل فيه بنى الإنسان . وبكر جلالة « رع » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى فى أعماق الليل ليصب هذا الشراب المنوم (؟) والحقول التى . . قد ملئت بالشراب بقوة جلالة هذا الإله .

وفى الصباح ذهبت الإلهة ووجدتها غطيت بالفيضان ، وكان وجهها جميلا فيه (أى فى الفيضان) فشربت ، وكان الشراب لذيذا إلى قلبها فسكرت ، ولم تع بنى الإنسان .

قصة الملك خوفو والسحرة

عندما تقرأ هذه القصة تلمس فى أسلوبها والغرض منها روح قصص « ألف ليلة وليلة » ، فهى سلسلة من القصص تعتبر الأولى من نوعها ، قد صيغت باللغة المصرية الحديثة التى ساد استعمالها فى عهد الدولة الحديثة ، وبقيت اللغة الرسمية للبلاد إلى أمد بعيد من ألف السنة الأولى قبل الميلاد ، وأظهر مميزات هذه اللغة الجديدة : اختفاء الضمير المتصل الذى كنا نجده فى اللغة القديمة يحتل آخر الكلمة . فمثلا كلمة « بيتى » كانت تكتب فى اللغة القديمة كلمة واحدة ، ولكنها فى اللغة الحديثة أصبحت تكتب كلمتين : الضمير ويوضع فى أول الكلمة ، والكلمة نفسها وتأتى بعد ذلك ، كما فى اللغات الأوربية . يضاف إلى ذلك اختفاء

---

(١) يأتى بعد ذلك قطعة غامضة يمكننا أن نحكم من سياق ما سيأتى أنها كانت تحتوى على ندم « رع » على ما فرط منه وعزمه على إنقاذ البقية الباقية من بنى الإنسان .

بعض صيغ قديمة واستحداث عدد عظيم من الأدوات لم تكن موجودة من قبل . ولا يفوتنا أن هذه اللغة الحديثة لم تصر اللغة الرسمية للبلاد إلا بعد مائتى سنة على ظهور قصتنا ، وذلك فى عهد الفرعون « اخناتون » حيث أخذت اللغة القديمة تتوارى وتختفى .

ملخص القصة :

«خوفو» بانى الهرم الأكبر جمع أولاده يوما وطلب أن يقص عليه كل منهم قصة غريبة تتناول السحر ومعجزاته فيما مضى من الدهور ، فأخذوا يتناولون الحديث ، إلى أن قام أحدهم وذكر قصة عن ساحر لم يزل على قيد الحياة يأتى بخوارق الأمور ، وأحضره فعلا أمام الملك . فبعث الحياة مرة ثانية إلى حيوانات فصلت رءوسها عن أجسادها ، فلما رأى الملك قدرته على إحياء الموتى طلب أن يعرف منه عدد أقفال معبد الإلـه « تحوت » ، فاعتذر بأنه لا يعرف عددها وإن كان يعرف مكانهـا ، وأن رجلا واحدا هو الذى يستطيع الإتيان بها للملك ، وهذا الرجل لم يولد بعد ، ولا يزال مع أخويه فى بطن أمه وهى كاهنة « رع » وقد قدر لأولادها الثلاثة أن يحكموا ثلاثة أجيال .

فهلع قلب الملك « خوفو » لـما سمع من كلام الساحر خشية على ملكه أن يتوارثه غير أبنائه . فسأل الساحر مرة أخرى عن موعد ولادة هؤلاء الإخوة الثلاثة فأجابه الساحر . ومن ثم شغل بأمر الكاهنة وأخذ يترقب ولادتهـا . وظهر أثناء ذلك بعض المعجزات السحرية سيراها القارىء فى متن القصة .

دراسة القصة :

تتميز فى هذه القصة مرحلتان متباينتان :

الأولى : ما سرده أولاد الملك من قصص السحرة .

والثانية : ما حكت أمر الأطفال الثلاثة الذين سينتقل إليهم زمام الأمر فى البلاد .

ووصل المؤلف بين المرحلتين بإقحام البحث عن مفاتيح الإلـه « تحوت » رب العلم والسحر ليخلق بذلك مناسبة لذكر الأطفال الثلاثة الذين أسسوا — بعد أن شبوا وصلبت قناتهم — الأسرة الخامسة .

وهذه القصص تكون وحدة متماسكة الأجزاء كان الغرض منها أولاً تسلية الملك وإدخال السرور على قلبه ، وانتهت فى مرحلتها الأخيرة بالدعاية لملوك الأسرة الجديدة وأنهم من

نسل « رع » ، ولذلك أسس كل منهم معبدا للشمس قائما بذاته . وهى فى جملتها تمجيد لفن السحر ، وحرب على الرذائل الخلقية . فالزانية فيها قد أحرقت ، والزانى ألقى طعاما للتمساح

ويمكننا أن نلقى ضوءا على نهـاية القصة الغامضة ، فنقول بأغلب الظن إن مساعى الملك لقتل هؤلاء الأطفال لم تنجح ، فشبوا وترعرعوا ونصبوا ملوكا متتابعين . والقصص التى من هذا النوع كثيرة مثل قصة الحكماء الثلاثة الذين أتوا من المشرق (انجيل متى الإصحاح الثانى) .

قلنا إن هذه القصص تكون وحدة متماسكة الأجزاء ، وبعبارة أوضح نستطيع أن نقول إنها قصة واحدة ، فإن اقتطاع جزء منها أو الاقتصار على قصة واحدة من قصصها يظهرها لنا ناقصة شوهاء لا تؤدى إلى الغرض الذى سيقت من أجله .

وإذا نظرنا إلى هذه القصة باعتبارها أدبا قصصيا حكمنا بأنها ليست من النوع الراق . وإذا نظرنا إليها باعتبارها قصصا قوميا رأينا أنها فى بابها قطعة فنية تستحق الذكر .

ولا تظن أن القصص القومى الذى يميل إليه جمهرة الشعب ويتفهمونه فى سهولة ويسر لا صنعة فيه ولا يستلزم حذقا ومهارة ، فإنه استعداد وقدرة ومران على ما تواضع عليه القُصاص ورواد مجالسهم . فتتربى عند الواحد ملكة يستطيع بها إذا سمع قصة أن يلحقها بشبيهة لهـا وردت على أذنه من قبـل ، فهى بهذا حرفة وفن وتقاليد موروثة . ومن هنا أتت شهرة القصاص الأذكياء الذين يدركون ذوق جمهور المستمعين فيغذونهم بمـا يناسبهم ، ويكافئهم هؤلاء بالتهافت على مجالسهم والتحدث بمواهبهم .

ومع ذلك فإنه إذا صيغ هـذا النوع من القصص فى ثوب جميل من الأساليب كانت له قيمته العظيمة ، كما تشاهد ذلك فى قصص الدولة الوسطى . وسيرى القارىء عند الكلام على شكاوى « خع — خبر — رع — نب » أن المؤلف كان يندب حظ الأسلوب الأدبى فى الكتابة ويقول عنه : إنه أصبح خاليا من كل تنميق .

وهذا النقد تراه ظاهرة فى كل آداب العالم . فإذا ساد لون منه عصرا من العصور قام من ينادون بتغييره ، لأن الجدة والتغيير ترتاح إليهما النفوس كثيرا ، كما نرى الآن بين أنصار الأدب القديم وأنصار الأدب الجديد ، وبين أنصار الأدب المحتشم والأدب المكشوف ، وبين أنصار العربية والعامية .

المصادر :

أول من عنى بترجمة هذه القصة هو الأستاذ « أدلف ارمان » . والبردية التى وجدت مكتوبة عليها تعرف باسم ورقة « وستكار » . وأحدث ترجمة لها هى التى تجدها فى كتاب « إرمان » فى الأدب المصرى القديم ، وقد بحث موضوعها وعلق عليها غيره من علماء المصرية . وهاك المصادر التى يمكن الرجوع إليها والاعتماد على ما جاء فيها :

(1) Erman : The Literature of the Ancient Egyptians P. 86 ff

(2) Peet : A comparative Study of the Literatures of Egypt Palestine and Mesopotamia. P. 41 ff.

(3) Max Pieper : Die Agyptische Literatur. P. 55 ff.

(4) Maspero: Popular stories of Ancient Egypt P. 21 ff.

(5) A. Wiedeman : Altaegyptische Sagen und Marchen. Leipzig. 1906.

متن القصة :

(أول هذه القصص خاص بحوادث فى عهد الملك « زوسر » ، غير أنه لم يحفظ منها إلا الخاتمة ، وفيها يأمر الملك « خوفو » اعترافا منه بأعمال هذا الملك « زوسر » وساحره (رئيس المرتلين[١]) بتقديم مأكولات لهما توضع فى قبريهما)

ثم قام الأمير « خفرع »[٢] يتكلم وقال :

« أنا أقص على جلالتك أعجوبة حدثت فى عهد والدك « نبكا »[٣] حينما ذهب إلى معبد « بتاح » فى « منف » وذلك أنه حينما ذهب جلالته إلى منف ، زار رئيس المرتلين « وباونر » أيضا . . .

وكان لـ « وباونر » هذا زوجة قد أغرمت بحب أحد سكان المدن ، وقد كانت على اتصال معه بوساطة خادمة ، وقد أرسلت له صندوقا مفعما بالملابس هدية له وحضر مع الخادمة .

وبعد أن مضت عدة أيام[٤] — كان يوجد منزه على بحيرة[٥] «وباونر» — فقال ذلك المواطن لزوج « وباونر » :

---

(١) المرتل هو الكاهن المتعلم الذى يعرف الكتب المقدسة وهو لذلك ساحر متفوق .

(٢) بانى هرم الجيزة الثانى .

(٣) نبكا و زوسر من ملوك الأسرة الثالثة .

(٤) اصطلاح ثابت فى القصص المصرية ولا يؤخذ به حرفيا وسنراه كثيرا فيما يلى .

(٥) يقصد بذلك حديقة كبيرة فيها بركة وخيمة على حسب العادة المصرية

(cf. A. M. Blackman Luxor and its Temples PP. 10 f.)

لماذا ؟ . إنه يوجـد منزه فى بحيرة « وباونر » . انظرى سنمكث فيه معا . فأرسلت زوجة « وباونر » إلى مدير البيت المشرف على البحيرة قائلة : « جهز[١] بيت النزهة الذى فى البحيرة » . وبعد ذلك ذهبت هناك وقضت اليوم تشرب مع ذلك المواطن حتى مغرب الشمس . ولـما حان وقت الغروب ذهب إلى البحيرة ووقفت الخادمة لقضاء حاجته كأنها خادم حمام ، وقد لمحها رئيس البيت .

ولما أضاءت الأرض وحل اليوم التالى[٢] ذهب مدير البيت وأخبر سيده بالأمر . . . . فقال « وباونر » : « اذهب وأحضر لى . . من العاج والذهب » . وبهذه الآلة صنع تمساحا من الشمع طوله سبعة أشبار ، وتلا عليه تعويذة وقال : « إن من يأتى ليستحم فى بحيرتى اقبض عليه » . وأعطاه مدير البيت وقال له : « حينما ينزل الدنى إلى بحيرتى على حسب عادته اليومية ألق التمساح وراءه فى المـاء » . وعلى ذلك ذهب مدير البيت فى سبيله وأخذ تمساح الشمع معه .

وأرسلت زوجة « وباونر » إلى مدير البيت الذى كان مشرفا على البحيرة قائلة : « جهز بيت النزهة الذى على البحيرة . انظر ، إنى سأسكن فيه » .

فأثث بيت النزهة بكل شىء جميل ، ثم ذهبتا[٣] وقضتا يوما بهيجا مع الدنى .

وعندما حان الغروب جاء الدنى على حسب عادته اليومية ، وألقى مدير البيت تمساح الشمع وراءه فى الماء فانقلب إلى تمساح طوله سبع أذرع وقبض على الدنى . . . ولـكن « وباونر » مكث مع جلالة الملك « نبكا » سبعة أيام ، وفى هذه الأثناء كان الدنى فى الماء من غير تنفس . ولما انقضت سبعة الأيام أتى الملك « نبكا » . . . . وحضر أمامه رئيس المرتلين « وباونر » . ثم قال «وباونر» : « . . ليت جلالتك تأتى وتشاهد الأعجوبة التى حدثت فى عهد جلالتك » فذهب الملك معه ، ثم نادى « وباونر » التمساح وقال : « أحضر إلى هنا الدنى » . وعلى ذلك خرج التمساح وأحضره . . . فقال جلالة الملك « نبكا » : « أستميحك عفوا ، ولـكن هذا التمساح مخيف (؟) . » وعند ذلك انحنى « وباونر » وأخذه فصار تمساحاً من شمع فى يده .

وبعد ذلك قص رئيس المرتلين « وباونر » على جلالة الملك « نبكا » هذا الأمر الذى فعله الدنى فى بيته مع زوجه . فقال جلالته للتمساح :

---

(١) بالمؤن وغيرها .

(٢) اصطلاح ثابت أيضا .

(٣) الزوجة وخادمتها .

« خذه فهو ملـكك » .

وعندئذ غاص التمساح فى أعماق البحيرة ، ولم يعرف أحد المـكان الذى ذهب إليه معه .

وأمر جلالة الملك « نبكا » أن تؤخـذ زوج « وباونر » إلى الحقل الذى فى شمال مقر الملك ، وأشعلت النار فيها وألقى برمادها فى النهر .

« انظر . إن هذه أعجوبة حدثت فى عهد والدك « نبكا » وهى من أعمال رئيس المرتلين « وباونر » العظيمة » .

فقال جلالة الملك « خوفو » : « فليقدم للملك « نبكا » ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة وثور ، وكيلان من البخور ، وليعط رئيس المرتلين « وباونر » فطيرة وإبريقا من الجعة وقطعة كبيرة من اللحم وكيلا من البخور ، لأنى رأيت مثلا من علمه ، وقد نفذ كل ما أمر به جلالته .

ثم وقف الأمير « بوفرع » ليتكلم وقال :

« أقص عليك أعجوبة حدثت فى عهد والدك « سنفرو »[1] ، وهى من الأعمال العظيمة التى قام بها رئيس المرتلين « زازا معنخ » . وذلك أنه ذات يوم كان الملك « سنفرو » حزينا ، ومن أجل ذلك جمع رجال القصر ليجد لنفسه تسلية ، ولـكنه لم يجد شيئا » وعند ذلك قال : اذهب وأحضر لى رئيس المرتلين « زازا معنخ » . » فأحضر إليه فى الحال ، فقال له جلالته : « لقد جمعت رجال القصر جميعا ليجدوا لى تسلية ، ولـكن لم أجد » .

فقال له « زازا معنخ » :

« إذا ذهبت جلالتك إلى بحيرة البيت العظيم[2] ، اركب قاربا كل مافيه عذارى من إماء قصرك ، عندئذ قلب جلالتك ينشرح حينما ترى كيف يجدفن جيئة وروحة . وعندما ترى الأماكن اللطيفة التى على البحيرة ، وتنظر إلى حقولها وشاطئيها الجميلين ، فإن قلبك ينشرح بذلك . » .

فقال له جلالته :

« سأفعل هذا . عد إلى منزلك (؟) وسأذهب لأجدف . فليؤت إلىّ بعشرين مجدافا من الأبنوس مرصعة بالذهب ومقابضها من خشب (سكب) مطعمة بخالص النضار .

فليؤت إلىّ بعشرين امرأة ممن لهن أجمل الأعضاء ، وصدورهن رشيقة ، وشعورهن

(١) الملك الذى حكم قبل خوفو مباشرة .

(٢) أى القصر

مجدولة ممن لم يلدن بعد ، وفوق ذلك أحضروا لى عشرين شبكة ، وأعطوها النساء بدلا من ملابسهن ، وقد نفذ كل ما أمر به جلالته ، وجدفن جيئة وروحة ، وكان قلب جلالته فرحا حينما رأى كيف يجدفن .

ثم تعثرت قائدة[١] منهن فى جدائل شعرها ، وسقطت سمكة حلى[٢] من (الللخيت) الجديد فى الماء . فسكتت[٣] ولم تعد تجدف وسكت الصف الذى كانت تقوده وانقطع عن التجديف . عندئذ قال جلالته : «لماذا لا تجدفن ؟» فقلن : «إن قائدتنا صامتة ولا تجدف»

فقال لها جلالته : « لماذا لا تجدفين ؟ » .

فقالت : « إن السمكة — من الللخيت الجديد — قد سطقت فى الماء » . فأحضر إليها أخرى وقال : « إنى أعطيك هذه بدلا » . فقالت : « إنى أريد قمعى حتى قاعه[٤] » .

عندئذ قال جلالته : « اذهب وأحضر إلى رئيس المرتلين « زازا معنخ » » . فأحضر فوراً وقال جلالته : « يا زازا معنخ ، يا أخى ، لقد فعلت كما قلت ، وقد سر قلب جلالتى حينما نظرت كيف يجدفن ، ولكن سمكة حلى من الللخيت الجديد لقائدة قد سقطت فى الماء ، فسكتت ولم تجدف ، وبذلك أضرب صفها عن التجديف ، وقد قلت لها : لماذا لا تجدفين ؟ فقالت لى : إن سمكة حلى من الللخيت الجديد قد سقطت فى الماء . فقلت لها : جدفى وأنا أعطيك بدلها . فقالت لى : إنى أريد قمعى حتى قاعه »

« وعندئذ تلا « زازا معنخ » رئيس المرتلين عزيمة سحرية ، وجعل ماء أحد جانبى البحيرة على الجانب الآخر[٥] . ووجد سمكة الحلى موضوعة على قطعة خزف ، فأحضرها وأعطاها صاحبتها . أما الماء فكان عمقه اثنى عشر ذراعا فى الوسط ، وقد بلغ أربعة وعشرين ذراعا حينما رفع . وعند ذلك تلا تعويذة سحرية فرد ماء البحيرة ثانية إلى مكانه .

« وقضى جلالته كل اليوم فى سرور مع كل القصر ، وكافأ رئيس المرتلين « زازا معنخ » بكل الأشياء الطيبة » .

---

(١) يحتمل أن البنات كن يجلسن فى صفين لكل منهما قائدة تقود التجديف

(٢) يظهر أن النساء عند التجديف كن يلبسن حلية للشعر على شكل سمكة .

(See Blackman. Journ. of Egypt. Archaeology. XI PP. 212 f.)

(٣) كان البنات يغنين أثناء التجديف للتسلية كما يفعل البحارة الآن على المراكب النيلية .

(٤) إنى أريد حق كاملا [إنى أفضل سمكتى على شبيهتها (المترجم)]

(٥) أى أنه طوى الماء فى البحيرة . كما تطوى الملابس . وهذه معجزة تشبه التى ذكرت فى القرآن عن فرعون موسى عندما كان يطارد بنى اسرائيل . « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم »

« انظر ! ! إنها أعجوبة حدثت فى عهد والدك « سنفرو » وهى من أعمال رئيس المرتلين ناسخ الكتاب « زازا ممنخ »

فقال جلالة الملك «خوفو»[1]: «فليقدم إلى جلالة الملك «سنفرو» مائة رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة ، وثور ، وكيلان من البخور ، وليعط رئيس المرتلين ناسخ الكتاب «زازا ممنخ» فطيرة ، وإبريقا من الجعة ، وكيلا من البخور ، لأنى رأيت مثلا من علمه » .

وقد نفذ كل ما أمر به جلالته .

ثم نهض الأمير « حردادف » ليتكلم فقال :

« إنك لم تسمع إلى الآن غير أمثلة لسحرة سبقونا ، والإنسان لا يستطيع أن يتبين فيها الصدق من الكذب . غير أنه فى زمنك هذا يوجد ساحر » .

فقال جلالته : « من هو يا «حردادف» ، يا بنى ؟ » فأجاب الأمير «حردادف» :[1] « يوجد مدنى اسمه « ددى » يقطن فى « دِدْ — سنفرو[2] » بلغ من العمر مائة وعشرة أعوام ويأكل خمسمائة وخمسين رغيفا من الخبز ، ونخذ ثور من صنف اللحم ، ويشرب مائة إبريق من الجعة ، إلى يومنا هذا[3] . وهو يعرف إلى الآن كيف يركب ثانية رأساً قد قطع ، ويعرف كيف يجعل الأسد يتبعه وحبله[4] يجر على الأرض ، وهو يعرف عدد الأقفال التى يحتوى عليها معبد « تحوت » — واتفق أن جلالة الملك « خوفو » كان دائما يبحث عن أقفال معبد « تحوت » ليعمل لأفقه[5] مثلها » .

وعندئذ قال جلالته : « أنت بنفسك يا بنى « حردادف » ستحضره لى . »

وأعدت سفن للأمير « حردادف » وسافر مصعدا إلى « دد — سنفرو » ، وعندما رست السفن على الشاطىء سافر براً جالسا فى محفة من الأبنوس قوائمها مصنوعة من خشب (سسنم) ومطعمة بالذهب .

ولما وصل إلى « ددى » وضعت المحفة على الأرض ووقف يسلم عليه فوجده جالسا على

---

(١) For this reading see Sethe Aegpytische Lesestücke. P. 28.

(٢) مدينة بالقرب من ميدوم الحالية شمالى مدخل الفيوم .

(٣) أى أنه لا يزال قويا صحيح الجسم ، وقد كان المصريون يعتبرون أن مائة وعشرة أعوام آخر حد للعمر .

(٤) الحبل الذى يقود به الأسد ، غير أن الأسد يتبعه على الرغم من أن الحبل يجر على الأرض (أى حبله على غاربه) .

(٥) الأفق هو هرم الملك الذى يظن أنه يغرب فيه مثل الشمس .

حصير على عتبة بيته ، وكان رأسه قد أمسك به خادم مملسا عليه ، وكان آخر يدلك قدميه

وقال الأمير « حردادف » : إن حالتك الآن كحالتك قبل التقدم فى السن وقبل الكبر وهو بيت الداء ، ومكان الكفن ، ومحل الدفن ؛ (وأنت لا تزال رجلا) ينام إلى مطلع النهار معافى من المرض ، وبدون أن تتقدم فى السن المشينة[١] (أى التى يجزع الإنسان منها) . تحياتى أيها المحترم ! لقد أتيت إلى هنا فى طلبك برسالة من والدى « خوفو » حتى تأكل أطيب الأشياء التى يعطيها الملك وهى مأكولات من فى خدمته ، وحتى يوصلك بعد عمر طويل إلى آبائك الذين فى عالم الأموات .

فقال « ددى هذا » : «فى سلام فى سلام يا «حردادف» ، أنت يا ابن الملك الذى يعزه والده ! ليت والدك « خوفو » يكافئك وليته يرفع مكانتك بين الكبار ! وليت روحك[٢] تحارب قرنك ! وليت روحك تعرف الـ . . . طريق إلى باب « من يخبىء الضعف »[٣] مرحبا يا ابن الملك ! . »

ومد الأمير « حردادف » إليه يده وساعده على القيام وبعد ذلك ذهب معه إلى شاطىء النهر آخذا بيده طوال الوقت .

وقال « ددى » : « مر بسفينة لى لتحضر إلى الأطفال[٤] وكتبى معا . » فوضعت تحت تصرفه سفينتان ونواتيهما ؛ أما « ددى » فإنه انحدر فى النهر فى سفينة الأمير « حردادف »

ولما وصل الأمير « حردادف » إلى مقر الملك دخل ليقدم تقريره للملك « خوفو » . فقال الأمير « حردادف » : « أيها الملك ، سيدى : لقد أحضرت « ددى » . فقال جلالته : « اذهب وأحضره لى » .

ثم ذهب الملك إلى القاعة ذات العمد فى القصر وأحضر « ددى » إليه . وقال جلالته : « كيف كان ذلك يا « ددى » ؟!! إنى لم أرك قط من قبل ؟ »

فقال «ددى» : «إن من يطلب عليه أن يحضر . إن الملك طلبنى ، وها أنا قد أتيت[٥]» فقال جلالته : «أصحيح مايقال من أنك يمكنك أن تركب ثانية رأسا قد قطع؟ » فقال «ددى» : نعم . أعرف ذلك يأيها الملك ، يا مولاى . » فقال جلالته : « أحضروا لى سجينا من

---

(١) يرمى القاص فى تحيات الأمير والحكيم إلى أسلوب أعلى ، ولذا كان من الصعب فهمها .

(٢) الروح هنا ترجمة « كا » .

(٣) بواب فى العالم السفلى .

(٤) تلاميذه ؟

(٥) المعنى : يقع الوزر عليك إذا لم تكن قد رأيتنى حتى الآن وذلك لأنك لم تكن لتسأل عنى

السجن حتى يوقع عليه عقابه . » فقال «ددى» : « ولكن ليس على رجل[1] أيها الملك ، يا مولاى ! انظر ، أليس من الخير أن يجرب شىء مثل هذا على الماشية السامية[2] ؟ »

فأحضرت إليه إوزة ثم فصل رأسها ، ووضعت الإوزة فى الجانب الغربى من القاعة ، ورأسها فى الجانب الشرقى منها ، وتلا «ددى» تعويذة سحرية ، فوقفت الإوزة ومشت ، وكذلك فعل رأسها . ولما وصل أحد الجزأين إلى الآخر وقفت الإوزة وصاحت . وأحضرت إليه بطة وعمل فيها بالمثل .

وأحضر له جلالته ثوراً وجعل رأسه يسقط على الأرض ، وتلا «ددى» تعويذته السحرية فوقف الثور وراءه على حين أن حبله سقط على الأرض[3] ، فقال الملك « خوفو » :

« يقال إنك تعرف عدد أقفال معبد تحوت . » فقال «ددى» : « معذرة فإنى لا أعرف عددها أيها الملك يا مولاى ، ولكنى أعرف أين هى . » فقال جلالته : « أين هى ؟ » فقال «ددى» : « يوجد صندوق من الظران فى حجرة تسمى «فهرس هليوبوليس» [انظر إنها] فى الصندوق »[4] فقال «ددى» : « أيها الملك يا مولاى ، انظر ، لست أنا الذى آتى بها إليك . » فقال جلالته : « من الذى يحضرها إذن ؟ . » فقال «ددى» : « إنه أكبر ثلاثة الأطفال الذين فى بطن «رد — ددت» الذى سيحضرها لك . » فقال جلالته : « ولكنى أرغب فى أن تقول من هى « رد — ددت » هذه » . فقال «ددى» : « إنها زوجة كاهن « رع » فى بلدة «سخبو»[5] وهى التى حملت فى ثلاثة أطفال « لرع » رب «سخبو» وقد أخبرها أنهم سيتولون هذه الوظيفة الكبرى[6] فى كل هذه البلاد ، وإن أكبرهم سيكون الكاهن الأعظم فى عين شمس »

وعندئذ استولى الحزن على قلب الملك من أجل ذلك . فقال «ددى» : « أستميحك عفوا ، ما هذه الحالة أيها الملك يا مولاى ؟ أمن أجل ثلاثة الأطفال ؟ وعلى ذلك أقول لك : ابنك ، فابن ابنك وبعد ذلك واحد منهم »[7] .

---

(١) يصور الحكيم رجلا إسانيا .

(٢) (سامية) لأنها متاع الملك . ونجد فى هذه النقطة عاطفة الشفقة التى أظهرها الساحر والتى لم نجدها إلا بعد مرور قرون عدة ، وأعنى أنها عاطفة ظهرت فقط فى العصور الحالية .

(٣) هكذا فى الأصل .

(٤) يظهر أن كلاما للملك سقط هنا .

(٥) بلدة صغيرة فى منطقة منف وعين شمس .

(٦) أى يصبحون ملوكا بعد إقصاء أسرة « خوفو » عن تولى العرش .

(٧) تؤكد النبوءة : أن ابنك خفرع سيحكم ثم ابنه منكاورع ثم تأخذ الأسرة الجديدة التى تنتسب =

فقال جلالته : « ولـكن أخبرنى فى أى وقت ستضع « رد — ددت » هـذه ؟ »
[فقال «ددى» :] «ستضع فى اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء» .
فقال جلالته : « هى ... إقليم (؟) « قناة السمكتين » ؛ وأنا بنفسى سأضع قدمى (؟) هناك وسأرى معبـد « رع » رب « سخبو » » . فقال «ددى» : « إذاً سأجعل المـاء يقف على عمق أربعة أذرع فى إقليم « قناة السمكتين »[1] »

وبعد ذلك عاد جلالته إلى قصره وقال جلالته :

« رع . . . . يخبر بأن يقيم «ددى» فى بيت الأمير «حردادف» ليسكن معه . واجعل جرايته ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة، وثورا واحدا ومائة حزمة من الـكرات» . وقد نفذ ذلك على حسب ما أمر به جلالته .

والآن اتفق أن « رد — ددت » كانت فى ألم المخـاض ، فقال جلالة « رع » رب « سخبو » عندئذ إلى «إزيس» و «نفتيس» و «مسخنت» و «حكت» و «خنوم»[2] : « قفن واذهبن أنتن وخلصن « رد — ددت » من ثلاثة الأطفال الذين فى فرجها ، وهم الذين سيتولون هذه الوظيفة الممتازة فى هـذه الأرض قاطبة . إنهم سيبنون معابدكن ، وسيمدون موائدكن بالطعام وسيملئون موائد شرابكن ، وسيجعلون قرابينكن عظيمة[3] »

وعندئذ ذهبت هؤلاء الإلهـات وقد تزين بزى الراقصات وكان « خنوم » معهن يحمل محفتهن[4] . وأتين إلى بيت « رع وسر »[5] ووجدنه واقفا وقميصه متدل[6] . وبعدئذ قدمن له عقودهن ودفوفهن[7] فقال لهن : « يا سيداتى[8] . انظرن إن هنا سيدة فى المخاض»

= (لرع) مقاليد الحـكم ، غير أنه — فى الواقع — حكم ملكان فى الفترة بين انتقال الحـكم من أسرة (خوفو) إلى أسرة (رع) ؛ ولـكن لم يبق من بين ملوك الأسرة الرابعة فى ذاكرة القوم غير بناة الأهرام الثلاثة

(١) وبذلك يمكن للملك أن يسبح مرتاحا إلى (سخبو) . وهذا يشبه ما جاء فى القرآن عن قوم موسى وفرعون .

(٢) «مسخنت» إلهـة الولادة ، و«حكت» إلهـة قديمة أزلية . أما «خنوم» فهو صانع بنى الإنسان.

(٣) وبذلك كان ملوك الأسرة الخامسة أتقياء فى نظر الرأى العام على عكس ملوك الأسرة الرابعة . ولا نعرف إن كانوا قد نسلوا من كاهن إله الشمس « رع » . ولـكن من المؤكد أنهم أظهروا احتراما خاصا لهذا الاله ، إذ أن كل واحد منهم قد بنى فى مقره معبدا جديدا له على نموذج معبد عين شمس . (انظر كتاب مصر القديمة للمؤلف عند الـكلام على الملـكة خنتكاوس)

(٤) جئن فى هيئة نساء مسافرات فى صحبة رجل يقوم على خدمتهن

(٥) زوج « رد — ددت » .

(٦) كانت ملابسه متهدلة بسبب اضطرابه .

(٧) أى أنهن غنين ورقصن أمامه .

(٨) يتكلم إليهن بأدب جم حتى ينصرفن .

فقلن له : « دعنا نرها ، حقا إنا نعرف فى الولادة . » فقال لهن : « احضرن » .

وعندئذ سبقن «رد — ددت» وأغلقن باب الحجرة عليهن وعليها . وجلست «إيزيس» أمامها ، و «نفتيس» خلفها ، وأسرعت «حكت» فى عملية الوضع . وقالت «إيزيس» تخاطب الجنين : لا تكونن شديدا فى فرجها كاسمك « وسر — كاف »[1] . فانزلق هذا الطفل إلى الخارج على يديها وطوله ذراع ، قوى العظم ، وكان لقبه الملكى مكتوبا على جسمه بالذهب ، ولباس رأسه من خالص اللازورد[2] . فغسلنه وقطعن حبل سرته ووضعنه على رقعة من نسيج فوق قالب من اللبن ، واقتربت منه « مسخنت » وقالت : « ملك سيتولى الملك فى البلاد قاطبة » .

ومنحه « خنوم » الصحة فى جسمه .

[وقد قصت ولادة الطفلين الآخرين بنفس الألفاظ والتفاصيل ، غير أن المزائم السحرية مختلفة طبعا]

« لا تقترن من فرجها كما ستسمى حقيقة « ساحو — رع »[3] ، « ولا تكونن مظلما فى فرجها كما ستسمى حقيقة « ككو » . »

ثم خرجت هؤلاء الإلهات بعد أن خلصن «رد — ددت» من الأطفال الثلاثة ثم قلن : « ليكن قلبك فرحا يا « رع وسر » ! انظر . لقد ولد لك ثلاثة أطفال . » فقال لهن : «ياسيداتى ماذا يمكننى أن أفعل لكن ؟ أرجو منكن أن تعطين هذا الكيل من الشعير لحامل محفتكن ، وخذنه لأنفسكن معكن فى أوانيكن أجرا[4] . » فحمل « خنوم » الشعير .

ولما ذهبن فى طريقهن من حيث أتين قالت «إيزيس» لهؤلاء الإلهات : « ما معنى أننا أتينا إليها ولم نأت بأية أعجوبة لهؤلاء الأطفال حتى نخبر بها والدهم الذى أرسلنا إلى هنا ؟ »

وعلى ذلك صنعن ثلاثة تيجان ملكية ووضعنها فى الشعير وجعلن العاصفة والمطر

---

(١) تدل الأوامر التى نطقت بها « إزيس » على أن أسماء الأطفال هى « وسر — كاف » ، « ساحو — رع » ، « ككو » . وهم الثلاثة الملوك الأولون للأسرة الخامسة الذين يسمون هكذا : وسركاف ، ساحورع ، كاكاى . وفى هذه الأوامر جناس خاص بأسماء الأطفال الذين صاروا ملوكا فيما بعد .

(٢) يجىء الأطفال إلى العالم مرتدين لباس الرأس الملكى ذا اللونين الأزرق والأصفر ، على حين أن الألقاب التى يسمى بها الملوك عند اعتلائهم العرش تكون مكتوبة بالذهب على أعضائهم . والقاص يتصور الأطفال كتماثيل مرصعة بالبرونز .

(٣) (3) See Blackman Journ. of Egypt. Archaeology X. P. 196.

(٤) يحتمل أنه يقصد بذلك الأوانى الفخارية التى تشبه البرميل والتى يخزن فيها الحبوب وغيرها .

يحدثان فى السماء وعدن إلى البيت[1] ، وقلن : «نرجو منكم أن تدعونا نضع الشعير فى حجرة مغلقة إلى أن نعود ثانية . . . »

ووضعن الشعير فى حجرة مقفلة .

وطهرت «رد — ددت» نفسها طهور الأربعة عشر يوماً[2] وقالت لخادمتها : « هل أعد البيت ؟ » فأجابت : « لقد أعد كل شىء جميل اللهم إلا الأوانى فلم يمكن إحضارها » فقالت « رد — ددت » : « لماذا لا يمكن إحضار الأوانى ؟ » فقالت الخادمة : « لا يمكن عمل شىء ما هنا[3] ، إذ أن شعير الراقصات قد وضع فى حجرة عليها خاتمهن » . فقالت « رد — ددت » : اذهبى وأحضرى بعضا منه وسيكافئهن « رع — وسر » بعد عودته .

وعلى ذلك ذهبت الخادمة وفتحت الحجرة وسمعت فى الحجرة غناء وموسيقا ورقصاً وفرحاً وكل ما يفعل احتفالا بالملك . فعادت وأخبرت « رد — ددت » بكل ما سمعت . فذهبت «رد — ددت» إلى الحجرة ، ولكنها لم تر المكان الذى كان يحدث فيه ذلك ، ثم وضعت جبهتها على صومعة الغلال ووجدت أنه فيها ، فوضعتها فى صندوق ، ثم وضعت هذا فى خزانة أخرى وربطتها بجلد ووضعتها فى حجرة صغيرة تحتوى على أوانيها وأغلقت الباب عليها

ولما عاد «رع — وسر» من الحقل قصت عليه «رد — ددت» هذا الأمر ففرح كثيرا ، وجلسا وأخذا فى أسباب السرور .

وبعد أن مضت أيام معدودات غضبت « رد — ددت » على خادمتها لسبب ما وعاقبتها بالضرب ، فقالت الخادمة للقوم الذين فى البيت : « هل ستفعل الـ . . . . ؟ لقد ولدت ثلاثة ملوك . وسأذهب وأخبر جلالة الملك « خوفو » بذلك . »

وعلى ذلك ذهبت ووجدت أخاها من أمها[4] يربط خيوط الكتان فى الجرن فقال لها : « إلى أين تذهبين أيتها العذراء الصغيرة ؟ » وعندئذ قصت عليه هذا الأمر فقال لها أخوها : « وعلى هذا قد أتيت إلى لأشترك معك فى الخيانة (؟)[5] ! » وأخذ . . . . من الكتان وضربها ضربة مؤلمة .

---

(١) لقد أحدثن العاصفة والمطر لتكون عذراً لهن فى إعادة الشعير إلى البيت .

(٢) وعلى ذلك فان المرأة كانت تعتبر نجسة لمدة من الوقت بعد ولادة الطفل

(٣) (3) See Gardiner, Recueil de Traveaux, XI. PP 79 ff.

(٤) هذا يدلنا على أن الأرقاء كانوا ينتسبون إلى أمهم ولم يكن للأب أهمية لأنه كان لا يدعى الطفل لنفسه .

(٥) المعنى على أى حال : إنى لا أرغب فى مشاركتك فى خيانتك .

وبعدئذ ذهبت الخادمة لتحضر لها شيئا من المـاء فقبض عليها تمساح . وعندئذ ذهب أخوها ليخبر « رد — ددت » بذلك ، فوجد «رد — ددت» جالسة ورأسها على ركبتها ، وقلبها مكتئب جدا . فقال لها : « لـماذا أنت مضطربة كذلك ؟ » فقالت له : « إن هذه البنت التي قد نمتْ في هذا البيت . خرجت الآن قائلة : — سأذهب لأفشى السر ! »

فحنا رأسه وقال : « يا سيدتى ، لقد أتت وقالت لى . . بجانبى ، وضربتها ضربة مؤلمة وقد ذهبت لتجلب لنفسها شيئا من المـاء فقبض عليها تمساح . »

[وهنا كسرت الورقة البردية]

قصص الدولة الحديثة

قصة الأخوين

مقدمة :

قصة الأخوين أول قصة من نوعها فى الأدب المصرى القديم ، ولقد جذبت أنظار العالم لغرابة وقائعها ومشابهتها قصصا أخرى حكيت فى الزمن الحديث ، وهى بلا شك أكثر دلالة على أصلها المصرى من زميلاتها التى رويت لنا من عهد الفراعنة . وهى قطعة من الشعر القصصى العام ترجع إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة وتحلق بوقائعها الخيالية فى عالم الخرافات . وقد نقلها الـكاتب « أنانا » تلميذ كاتب الخزانة الملـكية « كاجبو » .

ملخص القصة :

يضم بيت واحد أخوين مخلصين ، كبيرهما متزوج ويسمى « أنوبيس » وصغيرهما غير متزوج ويسمى « باتا » وكان ساعد أخيه الأكبر فى فلح الأرض وزراعتها وتربية أنعامها ، وفى يوم كانا يزرعان فى الحقل فاحتاجا إلى بعض البذر ، وذهب الأخ الصغير إلى البيت ليحضره ، وكانت زوجة أخيه الـكبير تمشط شعرها ، فما رأته يحمل قدرا كبيرا من البذور على سواعده حتى راقها جماله ، وأعجبت بقوته ، فراودته عن نفسه ، وغلّقت الأبواب ، وقالت : هيت لك .

قال : معاذ الله ، إن أخي الكبير رب نعمتي ، وقد أحسن مثواي فلا أخونه في زوجته . فأضمرت المرأة في نفسها الكيد لهذا الفتى الذي فوّت عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع ، وقابلت زوجها في المساء متمارضة متباكية متظاهرة بالألم ، وادعت أن أخاه الصغير راودها عن نفسها ، وما جزاء من يفعل ذلك إلا أن يقتل أو عذاب أليم ، فصمم الأخ الكبير على قتله عندما يعود بالماشية ، واختبأ وراء الباب لهذه الغاية ، وما إن قرب الصغير من البيت حتى أخبرته بقرة من التي كان يسوقها بما دُبر له ، ففر « باتا » وتبعه « أنوبيس » بسلاحه . ولكن إله الشمس حجز بينهما بخلق بحيرة مملوءة بالتماسيح ، فعجز « أنوبيس » عن اللحاق به ، وجرت بينهما محادثة برّأ فيها « باتا » نفسه وجبّ عضو التناسل منه ، وأبان عزمه على الرحيل إلى وادي الأرز ، وأنه سيضع قلبه على زهرة في أعلى إحدى أشجاره ، وعين له علامة إذا حدثت كانت دليلا على وفاته ، وعلى الأخ الكبير حينئذ أن يذهب إلى وادي الأرز ويبحث عن قلبه ويضعه في الماء فتعود الحياة إلى « باتا » ثانية وينتقم لنفسه من القاتل .

وبعد هذه المحاورة رجع « أنوبيس » إلى قريته فقتل زوجته انتقاماً لأخيه . أما « باتا » فقد سعى إلى وادي الأرز ، ولما رأته الآلهة وحيدا في هذا الوادي أشفقت عليه وجعلت الإله « خنوم » يسوى له زوجة ، وقد خالفته هذه الزوجة فخرجت إلى البحر رغم تحذيره لها من هذا العمل ، فأراد البحر أن يختطفها ولكن « باتا » أنقذها منه ، وكل ما استطاع البحر أن يأخذه خصلة من شعرها طفت على وجهه حتى وصلت إلى مصر ، وهناك فاح شذاها وانتشرت رياها ، فشغف الفرعون بصاحبتها ، وأرسل إلى وادي الأرز في طلبها ، فحضرت زوجة باتا مع الرسل ، وصارت حظية عند الفرعون . ولما كانت تخاف بأس زوجها أغرت الفرعون بقطع شجرة الأرز التي تحمل قلبه ، فسقط قلبه بسقوطها ومات ، وعندئذ حدثت العلامة التي كان قد ذكرها لأخيه ليعلم بها أمر موته — وهي فوران إبريق من الجعة — فسعى في الحال « أنوبيس » إلى وادي الأرز لينقذ قلب أخيه ، وبعد سنين وجده في صورة فاكهة فأعاده إلى الحياة بوضعه في الماء . ثم صير « باتا » نفسه ثورا وحمل أخاه إلى مصر ، وأفصح لزوجه عن شخصيته ، فأغرت الفرعون بذبحه ، فتطايرت منه نقطتان من الدم نبتتا بعدُ شجرتين من الأثل سكن فيهما « باتا » ، وأسر إلى زوجته بأمره ، فأغرت الفرعون بقطع الشجرتين وصنع أثاث لها منهما ففعل . وأثناء صنع الأثاث تطايرت شظيتان من الخشب دخلتا فم الزوجة فحملت وأنجبت صبيا صار وليا للعرش ، وعند وفاة الملك نصب هذا الصبي خلفا له ملكا على

البلاد ، ولم يكن ذلك الصبي إلا « باتا » نفسه فانتقم لنفسه من زوجته الخائنة بقتلها .

دراسة القصة :

أسلوب هذه القصة ركيك ، وليس فيه تلك الروعة التى نلمسها فى قصة « سنوهيت » أو فى قصة « الغريق » . ولقد اتبع فى قصها كاتبها أسلوب الدولة الحديثة المألوف ، وأقحم فيها بعض العبارات التى لا حاجة إليها ولا مناسبة لها ، كما نراه من عامة المصريين الآن إذا قصوا قصة ، أو حملوا إليك خبرا ، فجاءت خالية من طلاوة العبارة ورشاقة الأسلوب . ولكن نرى من جهة أخرى أن مؤلفها قد أظهر فى صناعتها مهارة وحذقاً من حيث هى قصة .

وإذا أمعنا فى النظر إلى هذه القصة وجدناها ذات مرحلتين كأختها « قصة الملك خوفو والسحرة » . فالمرحلة الأولى قصة الأخوين وإغراء زوجة الكبير أخاه الصغير بارتكاب الفاحشة ، وتعففه ، وقلب الزوجة الحقائق للتنكيل به . وقد حاول بعض رجال الأدب إثبات أن قصتى « يوسف وزليخا » و« قمر الزمان فى ألف ليلة وليلة » مأخوذتان من هذه القصة القديمة لما بينهما وبينها من شبه كبير . ولكنا نرى أن فى ذلك بعض التكلف ، فإن هذه المحاولة التى رغبت فيها الزوجة وتعفف عنها الصغير وما تلاها من كيد وتدبير ، تحصل كل يوم بين ظهرانينا ، وهى تكاد تكون أمراً طبيعيا يحدث فى كل أمة مع اختلاف يسير فى التفصيل . وليس فى هذه المرحلة الأولى من القصة ما تمتاز به من نظائرها إلا ماخالف الأمر المألوف كتحدث الحيوان وخلق إله الشمس بحيرة مملوءة بالتماسيح للحيلولة بين الأخ وأخيه .

وأما المرحلة الثانية فكلها من خوارق العادة والمعجزات . وخلاصتها : إثبات خيانة الزوجة زوجها — وإن كان الإله قد صاغها — بعدما عرفت أن عضو التذكير مبتور فيه . وتعرض علينا أثناء ذلك كثيرا من الأمور الخارقة للطبيعة التى لا تأتى فى العادة على يد إنسان ؛ فنرى البحر يمتد لابتلاع زوجة « باتا » ، ونرى العبير يتأرج من خصلة الشعر حتى يصل إلى الفرعون فى مصر ، ونرى « باتا » يعود للحياة ثانية ويتحول إلى ثور ، ويسافر إلى مصر ويخاطب زوجته ، ونرى نقطتين من دمه تتحولان بعد ذبحه شجرتين هما « باتا » نفسه فيسر بالأمر إلى زوجته ، ونرى أخيرا قطعتين صغيرتين من الخشب تصيران طفلا فى بطن زوجته يئول إليه عرش مصر .

وقد ربط الكاتب بين المرحلتين بوصية « باتا » لأخيه « أنوبيس » بأن يعيد إليه قلبه عندما يعلم أنه قد مات تكفيرا « لأنوبيس » على اتهامه أخاه زورا وبهتانا .

ولما كانت هذه القصة المصرية الصميمة قديمة العهد ومملوءة بالخرافات فإن الباحثين فى الأدب العالمى يعتقدون أن ما شابهها عند الأمم الأخرى مأخوذ عنها . وقد عنى بعض العلماء بهذا الموضوع وقرنوا بين هذه القصة وما يقابلها من قصص العالم Hyacinthe.Husson Le Chaine Traditionelle Contes et Legendés au point de vue Mythique. Paris 1874 P. 91)

والواقع أننا نجد صدى لهذه القصة فى الأدب الفرنسى والايطالى وفى مختلف أجزاء ألمانيا وفى النمسا والمجر وفى الروسيا وفى البلاد السلافية وفى رومانيا وفى بلاد اليونان وفى آسيا الصغرى وفى بلاد الحبشة والهند . ولنأخذ القصة الروسية(١) على سبيل المثال لنرى إلى أى حد تشابهت مع قصة الأخوين .

نجد فى القصة الروسية أن « باتا » اسمه « إيفان » بن « جرمان » خادم الكنيسة ، وقد وجد سيفا سحريا فى بعض الأدغال وذهب ليحارب به الأتراك الذين غزوا « أرنيار » (Arinar) وذبح منهم ثمانين ألفا ، وقد كوفىء على عمله هذا بأن زوجه الملك ابنته « كليوباترا » ولما مات حموه تولى الملك من بعده ، ولكن زوجته خانته وأعطت الأتراك السيف ، فلما أصبح « إيفان » أعزل مات فى حومة الوغى ، وسلمت زوجه نفسها لسلطان الترك (كما فعلت بنت الآلهة عندما ذهبت إلى فرعون) . ولقد استطاع أبوه « جرمان » خادم الكنيسة أن يخلص جسم ابنه عن طريق مجرى من الدم كان يتدفق من وسط الاصطبل ، وعندئذ قال له الحصان : « إذا كنت تريد إعادة الحياة إليه فافتح بطنى ، وخذ أحشائى ، وادلك الميت بدمى ، وعندما تأتى الغربان لتلتهم جسمى بعد ذلك خذ واحدا منها وكلفه أن يحضر لك إكسير الحياة العجيب . ففعل « جرمان » ذلك وعاد « إيفان » إلى الحياة . قام «إيفان» وقال لوالده : «ارجع إلى حصانك وسآخذ على عاتقى الانتقام من عدوى .» وتركه وانصرف فرأى فلاحا فى طريقه فقال له : « سأصير نفسى حصانا جميلا ذا معرفة من الذهب ، وعليك أن تقوده وتقفه أمام قصر السلطان » . وكان ، فلما رأى السلطان الحصان وضعه فى اصطبل معجبا به ، كلفا برؤيته ، فسألته كليوباترا يوما عن سبب ملازمته للاصطبل فأجاب : « لقد أحضرت حصانا جميلا له معرفة من الذهب » فقالت له : « ليس هذا بحصان ، إنه إيفان ابن خادم الكنيسة ! مُر بأن يذبح ، ولكن ولد من دم الحصان ثور مكسو بالذهب ، فأمرت « كليوبترا » بذبحه أيضا فنبت من رأسه شجرة تفاح ثمرها من

---

(١) Rambaud, La Russie Epique pp 377 — 380

الذهب فأمرت « كليوبترا » بقطعها ، فطارت شظية عند ذلك من جذع الشجرة وتحولت ذكرا عظيما من البط ، فأمر السلطان بصيده ، وقفز هو بنفسه فى المـاء ليمسكه ، ولـكنه أفلت إلى الناحية الأخرى ، ثم ظهرت صورة « إيڤان » مرة ثانية فى زى السلطان وألقى بكليوبترا وعشيقها فى أتون النار واستولى على الملك بعدهما .

فهذه القصة الروسية نرى من روحها أنها مأخوذة من الأصـل المصرى القديم بعد انقضاء ٣٠٠٠ سنة . على أننا نستطيع أن نجد فى آداب العالم عناصر مختلفة تشبه عناصر هذه القصة مما يحملنا على القول بأن مصر كانت مصدرا ثابتا يُستمد منه مثل هذا القصص

ولا شك أن فى هذه القصة المصرية قصورا لا يرتفع بها إلى مستوى القصص فى العصر الحديث ، ولـكن يجب علينا أن نذكر وقتها الذى صيغت فيه أولاً ، وأن نذكر أنهـا كتبت للعامة وبلغتهم ثانيا . وإذا جادت علينا التربة المصرية بقصة من أدب الخاصة وجدنا وجها للموازنة والقياس والحكم . ومع كل ذلك فإنه يكفى أن يقال عن هذه القصة إنها ترسم لنا صورة صادقة عن حياة الفلاح فى ذلك العصر السحيق مما نراه مصورا على مقابر العظماء فى كل عصور التاريخ المصرى القديم .

المصادر :

لقد تناول معظم علماء اللغة المصرية هذه القصة بالبحث والتحليل وترجمها الـكثيرمنهم ، وأحدث التراجم لها ترجمة الأستاذ أرمن .

والمصادر الهامة هى :

(1) Erman : The Literature of the Ancient Egyptians (translated by Blackman) P. 15 ff.

(2) Griffith in The World's Best Literature P. 5253.

(3) Maspero : Popular Stories of Ancient Egypt P. 1—20).

ويجد القارىء فى المصدر الأخير فهرساً لـكل من ترجم هذه القصة قبل مسبرو ، وآخر من حلل هذه القصة هو « ماكس بيبر » فى كتابه :

(4) Die Agyptische Literatur. P. 78. ff (Max Pieper)

نص القصة :

« يحكى أن أخوين كانا يسكنان فى بيت واحد ، وكان أبوهما واحدا ، وأمهما واحدة ، واسم أكبرهما « أنوبيس » والآخر « باتا » وقد تزوج « أنوبيس » أكبر الأخوين وأسكن معه

أخاه « باتا » وجعله كابنه ، وكان « باتا » يصنع ملابس أخيه ، ويرعى ماشيته فى الحقل ، ويحرث له الأرض ، ويحصد الزرع ، ويقوم بكل أعمال الحقل . وفى الحق كان أخوه الصغير فلاحا ماهراً لا مثيل له فى كل الأرض بقوته . وبعد[1] مرور عدة أيام على ذلك كان أخوه الأصغر يرعى ماشية أخيه فى الحقل كل يوم ويروح إلى بيت أخيه كل مساء محملا باللبن والعشب والكلأ والخشب الجاف ، ويقدمه راضيا إلى أخيه الأكبر وهو جالس إلى زوجته ... فإذا ما انتهى من ذلك تناول طعامه وشرابه وأخذ سبيله إلى مرقده فى حظيرته ليحرس أبقاره .

فإذا خلع الليل سواده وانبثق فجر اليوم الجديد كان يهيء لأخيه الأكبر طعاما ويضعه أمامه ، ثم يأخذ طريقه إلى الحقل ويحمل معه طعامه ، ويسوق أبقاره لبرعاها فى الحقل . وكان يمشى خلف ماشيته ، وكانت تقول له : إن العشب والكلأ فى مكان كذا جميل جدا ، وكان يستمع إلى قولها ، ويتبعها إلى حيث المرعى الخصيب والمكان الرغيب . . . وعلى ذلك أصبحت ماشيته التى يرعاها سمينة بدينة وأصبح نتاجها كثيرا صالحا .

ولما جاء فصل الحرث قال له أخوه الأكبر : « جهز زوجا من الثيران للحرث ، فإن الأرض قد جفت من الماء ، وأصبحت صالحة لأن تحرث ، وهيء البذر للأرض فإننا سنحرث بعزم عند البكور ، وهكذا كان يقول له ، وكان أخوه الأصغر ينفذ كل ما يأمر به أخوه الأكبر . وعندما انبثق الفجر وطلع يوم جديد ذهبا إلى الحقل ومعهما . . . وابتدأا يحرثان بعزم ، وكانت الغبطة تملأ قلبيهما لأنهما بدأا يعملان فى عام جديد . وبعد مضى عدة أيام على هذا اليوم كانا فى الحقل ونفدت منهما البذور ، فأرسل أخاه الأصغر إلى القرية قائلا : « اذهب وأحضر لنا من القرية بذرا . » فذهب إلى القرية [ودخل البيت على حين غفلة من أهله] فوجد امرأة أخيه جالسة تمشط شعرها ، فقال : أسرعى وهيئى لنا البذر ، لأذهب إلى الحقل فإن أخى هناك ينتظرنى . لا تتأخرى . فقالت له : اذهب وافتح المخزن بنفسك ، وخذ منه ما تريد واتركنى أكمل تمشيط شعرى . فذهب الغلام إلى حظيرته وأخذ وعاء كبيرا ليأخذ فيه بذورا كثيرة ، وحمل نفسه القمح والشعير وخرج بهما ، فابتدرته قائلة : ما مقدار ما تحمله على كتفك ؟ فأجابها : أحمل ثلاث حقائب من القمح واثنتين من الشعير ، فتلك خمس كاملة . وهكذا كان حديثه إليها وهى . . . فقالت له :

« إنك إذن لذو بأس عظيم . حقا إنى أرى كل يوم عظم قوتك . وكان شغفها أن تعرفه

---

(١) هذه جملة لا معنى لها كانت تكرر كثيرا فى القصص المصرى .

كما تعرف المرأة الشاب القوى ، ثم همت به ، وقالت : تعال ، سنتمتع سويا ، وننام ، وسيكون ذلك من حظك أيضاً ، لأنى سأصنع لك ملابس جميلة . وإنها لقولة نكراء ثار لهـا الغلام كالفهد ، فخافت زوجة أخيه فأخذ يخاطبها قائلا : « اسمى . إنك بمثابة أم لى وزوجك بمثابة والد ، وقد ربانى لأنه أكبر منى ، فما هذا الإثم العظيم الذى تتحدثين به إلى ؟ لاتعيدى الحديث على سمى ، ولن أخبر به إنسانا ولن أدعه يخرج من فى ، ولن أفضى به إلى أى مخلوق » . ثم حمل البذر وأخذ سبيله إلى الحقل ، وهناك لقى أخاه الأكبر ، فأخذ كل منهما يعمل بجد .

وفى المساء عاد أخوه الأكبر إلى بيته ، أما الأصغر فظل يرعى قطيعه ويحمل نفسه بكل أنواع حاصلات الحقل ، وعاد يسوق قطيعه إلى حيث ينام فى حظيرته بالقرية .

وكانت زوجة أخيه الأكبر تخشى عاقبة ماقالت ، فأخذت دهنا و « سوت » ؟ وتظاهرت كذبا بأنها قد ضربت ، وتريد بذلك أن تقول لزوجها : « إن أخاك هو الذى ضربنى » وعاد زوجها إلى البيت عند الغروب كعادته ودخل بيته ووجد زوجته راقدة ومتمارضة بشدة ، فلم تصب الماء على يديه كما عودته ، ولم تشعل لأجله نوراً عند عودته ، فبدا البيت فى ظلام دامس وهى راقدة تقىء ، فقال لها زوجها : «هل تكلم معك أحد ؟» فقالت له : «لم يتكلم معى إلا أخوك الأصغر وكان ذلك حينما أتى ليأخذ البذر من هنا ووجدنى جالسة وحدى ، وقال لى : تعالى نتمتع ونم ، تحلى بشعرك (المستعار ؟) وهكذا قال لى ، ولكننى عصيته وقلت له : انظر . ألست لك أمًّا ، أو ليس أخوك الأكبر لك أباً ؟ » فمشى الخوف فى نفسه ، وضربنى حتى لا أخبرك بشىء مما حدث ، فإذا كنت إذن تتركه حياً فإنى سأقتل نفسى ، لأنه عندما يعود إلى البيت عند الغروب ، وأقص هذه القصة الدنيئة فإنه سيكون قد جعلها تظهر بيضاء (أى لا غبار عليه) .

وعندئذ ثار أخوه الأكبر ثورة الفهد الغضوب وحد نصل حربته ، وأمسكها فى يده ، واحتل مكانا خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه حينما يعود فى المساء مع أبقاره إلى حظيرته —

ولما مالت الشمس إلى الغروب حمّل « باتا » نفسه بما اعتاد أن يحمله من أعشاب الحقل وعاد ، وما كادت تدخل طليعة الأبقار حظيرتها حتى قالت لراعيها : خذ حذرك ! إن أخاك الأكبر واقف أمامك بحربته ليذبحك ، فر من أمامه . ففهم « باتا » ماقالته طليعة أبقاره .

ثم دخلت البقرة الثانية وقالت له بالمثل ، فنظر تحت باب حظيرته فرأى قدمى أخيه الأكبر وهو واقف خلف الباب وفى يده حربته ، فألقى حمله إلى الأرض ولاذ بالفرار مسرعا وأخوه الأكبر يعدو خلفه بحربته ، ونادى أخوه الأصغر ربه « رع حوراختى » قائلا : « يا إلهى

الطيب . إنك أنت الذى تفصل بين المبطل والمحق . فسمع «رع» ظلامته وجعل بينهما متسعا من الماء مملوءا بالتماسيح ، فاصلاً بينه وبين أخيه الأكبر ، وصار كل منهما على جانب لايجد إلى صاحبه سبيلا ، وضرب أخوه الأكبر على يده[١] مرتين (آسفا) لأنه لم يذبحه . ثم نادى الأخ الأصغر أخاه من الجانب الآخر قائلا : « امكث هنا حتى ينبلج الصبح . وسنحتكم إلى الشمس معا عند شروقها ، وسيسلم المبطل للمحق[٢] لأنى لن أكون معك بعد ، ولن أعيش فى مكان أنت فيه ، وسأتخذ لى فى وادى الأرز مقاما[٣] . »

ولما انبثق الفجر عن يوم جديد أشرق « رع حوراختى » فرأى كل منهما صاحبه . وهنا ابتدر الصبى أخاه الأكبر قائلا : «ماذا تعنى بتتبعك إياى لتذبحنى غدراً دون أن تسمع منى ما أقول؟ لأنى — فى الحق — أخوك الأصغر ، وإنك لى كوالد . وإن زوجتك لى كوالدة . أليس كذلك ؟ (وسأقص عليك القصص) عند ما كلفتنى الذهاب (إلى القرية) لأحضر البذر (راودتنى زوجك عن نفسى) وقالت : «دعنا نتمتع ونم» . ولكن تأمل . لقد شوه ذلك لديك ، وحرّف إلى شىء آخر» . وأعلمه بكل ما وقع له مع زوجته وحلف «برع حوراختى» قائلا : وا آسفاه . إنك يا أخى أردت أن تغتالنى لوقيعة دسّها علىّ امرأة بغىٌّ قذرة[٤] .

ثم أخذ سكيناً من الغاب وقطع بها (قبُلَه) وألقى به فى الماء ، فابتلعته سمكة كبيرة فأغمى عليه وأصبح تعسا . وإذ ذاك حزن عليه أخوه الأكبر حزنا عظيما ووقف وأجهش بالبكاء عليه بصوت عالٍ ، إلا أنه كان عاجزاً عن أن يعبر حيث يوجد أخوه الأصغر بسبب التماسيح . وبعد ذلك صاح عليه أخوه الأصغر قائلا : « إذا كنت قد فكرت فى شىء خبيث فهل لك أن تفكر فى شىء طيب أو فى شىء يمكننى أن أفعله لك[٥] أيضا . ؟ اذهب الآن إلى بيتك وارع بنفسك ماشيتك فقد نويت ألا أسكن فى مكان أنت فيه . وسأذهب إلى وادى الأرز ، ولن يكون بينى وبينك ، إلا أنك ستعودنى إذا علمت أن شيئا نزل بى ، وسيحدث أنى سآخذ قلبى وأضعه فى أعلى زهرة شجرة أرز ، فإذا نشرت شجرة الأرز وسقطت على الأرض وأتيت تبحث عنه ثم قضيت فى بحثك سبع سنين فلا تمل من ذلك ، وإذا ماوجدته ووضعته

---

(١) من الغيظ
(٢) أى سينتصر الحق .
(٣) قد تكون لبنان الحالية حيث كان المصريون يأتون بالخشب منه .
(٤) التعبير أفحش من ذلك
(٥) يذكره فى وقت الحاجة إليه .

فى إناء فيه ماء بارد فإنى حينئذ سأحيا ثانية[١] ، وسأجيب عن التهمة التى أسندت إلى ، وإذا أعطاك إنسان قدحاً من الجعة فاختمر أدركت حينئذ ماحاق بى من الأذى ، ولا تتوان فإن ذلك فى مصلحتك .

ذهب « باتا » إلى وادى الأرز ، وعاد أخوه الأكبر إلى بيته ويده على رأسه وهو ملطخ بالطين[٢] . ولما أتى منزله تذكر أخاه الصغير (فثارت بنفسه ثورة) وذبح زوجته ورمى بها للكلاب . وقعد حزينا على أخيه الأصغر .

وبعد ذلك بأيام عدة كان أخوه الأصغر فى وادى الأرز وحيدا ، وكان يقضى يومه فى صيد وحوش الصحراء ويقضى ليله فى النوم تحت شجرة الأرز التى وضع قلبه فى أعلى إحدى زهراتها . وبعد أيام عدة على تلك الحياة الهادئة بنى لنفسه قصرا فى وادى الأرز وكان مملوءاً بكل شىء حسن لأنه كان يريد أن يتزوج .

وخرج « باتا » ذات يوم من قصره فقابل تاسوع الآلهة فى طريقهم إلى نواحى الأرض يشرفون عليها . ولقد نطق التاسوع بلسان واحد قائلين له : « إيه يا « باتا » أنت يا ثور التاسوع[٣] ، أأنت هنا وحدك ! أتركت مدينتك أمام زوجة أخيك الأكبر « أنوبيس » ؟ اسمع . إن زوجته قد ذبحت لأنك كشفت له عن الجناية التى ارتكبت ضدك » وأظهروا عطفهم الشديد عليه . ثم قال « رع حوراختى » « لخنوم »[٤] : سوّ زوجة « لباتا » حتى لا يكون فى بيته وحيدا . فوهبه «خنوم» رفيقة تبز كل امرأة فى الأرض جمالا ، ونفخ فيها كل إلـه من روحه ، ثم أتت سبع البقرات «حاتور»[٥] ليرينها وقلن جميعا بلسان واحد : « إنها ستموت ميتة شنعاء »

وكان قد أغرم « باتا » بها (وقد شغفته حبًّا) . وأسكنها فى بيته ، وكان يقضى يومه فى صيد وحوش الصحراء ، فإذا جاء المساء عاد إليها محملا بصيده ، فيضعه أمامها وقال لها :

« لا تخرجى كى لا يحملك البحر بعيدا لأنى أنثى مثلك لا أستطيع إلى تخليصك سبيلا ، وإن قلبى فى أعلى زهرة إحدى شجر الأرز ، فإذا عثر عليه إنسان آخر كنت تحت سلطانه » وقد فتح لها كل قلبه (أى باح لها بكل سره) .

---

(١) فان القلب سيشرب الماء ويحيا

(٢) دليل الحزن .

(٣) وكان يطلق هذا اللقب على الآلهة فى غير هذا المكان .

(٤) إله الخلق .

(٥) إلهة الحب .

وبعد أيام عدة على ذلك ذهب بعدها « باتا » ليصطاد كعادته اليومية ، فخرجت العذراء لتتنزه تحت شجرة الأرز التى كانت بجوار بيتها . ونظر البحر إليها وامتد خلفها ، فأخذت الحسناء تعدو أمامه حتى دخلت بيتها ، ولـكن البحر نادى شجرة الأرز قائلا : « اقبضى لى عليها » . فأخذت شجرة الأرز خصلة من شعرها وقدمتها إلى البحر ، فأخذها البحر إلى مصر ووضعها فى المكان الذى كان فيه سقاة الملك[1] ، فتأرجت ملابس فرعون بأريج هذه الخصلة من الشعر ، وقد شجر بين « الواحد »[2] وبين سقاة فرعون خلاف من أجل هذا العطر المتأرج ، وقال الواحد للسقاة : « إن رائحة العطر فى ملابس فرعون » . وكان الواحد يتنازع معهم يوميا (ولم يجد السقاة إلى الخلاص من هذا الخلاف سبيلا) .

وذهب كبير السقاة يوماً إلى شاطىء النهر ، وكان قد ضاق صدره بهذا الخلاف الذى يشجر كل يوم ، ووقف على كثيب من الرمل[3] ساكناً ، وكانت وقفته أمام خصلة الشعر التى كانت فى الماء .

فـكلف أحد أتباعه أن ينزل إلى الماء ويحضر الخصلة ، فأحضرت إليه ، فوجدها تفوح عن أريج طيب . فأخذها إلى فرعون .

وأتى بكتاب فرعون وحكمائه إلى حضرته ثم قالوا له : « إن هذه الخصلة لبنت «رع حوراختى» ، وفيها من كل إلـه نفحة . حقا إنها هدية سيقت إليك من أرض أخرى . ابعث فى كل أرض رسولا ليحضروها لك . فإذا بعثت إلى وادى الأرز رسولا فاشدد أزره بعدة رجال ليحضروها إلى هنا » .

فقال جلالته : « إن ما قلتموه حسن جدا » . وأرسلت الرسل .

مضت على ذلك أيام عاد بعدها الرسل الذين بعثهم الملك فى كل أرض ليقدموا إليه تقريراً ، إلا أن الذين ذهبوا إلى وادى الأرز لم يعودوا ، لأن « باتا » ذبحهم إلا واحداً منهم ليقدم تقريره إلى جلالته . فأرسل جلالته ثانية جنودا عدة وجهزها بعجلات تجرها الخيـل ليحضرها ، وكان معهم امرأة قد أعطيت كل أنواع الحلى الذى تتحلى به امرأة . وعادت المرأة معها إلى مصر وقد عم الفرح البلاد بهـا (أى الحسناء) . وكانت موضع الحب من

(١) بجانب النيل قريبا من سراى فرعون ، ولا غرابة فى أن الخصلة عامت إلى النهر من البحر لأن كل ذلك فى عالم الخرافه .

(٢) يقصد الملك نفسه .

(٣) والمعنى حرفيا : الصحراء ، والمقصود هنا الشاطىء الرملى الناتج من رواسب النيل

جلالته فجعلها أميرة عظيمة[1] . وتحدث الواحد (الملك) إليها فى شئونها . فسألها أن تخبره عن حال زوجها . فقالت لجلالته : «مر بقطع شجرة الأرز وإبادتها» فبعث «الواحد» إلى وادى الأرز جنودا ومعهم أسلحتهم ليقطعوا شجرة الأرز فأتوا إلى شجرة الأرز وقطعوا الزهرة التى كان عليها قلب « باتا » فخر لوقته صريعا .

وانبثق الفجر عن يوم جديد وكانت شجرة الأرز مقطوعة . وذهب « أنوبيس » الأخ الأكبر إلى بيته وقعد وغسل يديه (قبل الأكل) وقد أعطى قدحا من الجعة فاختمرت . وقدم إليه آخر من النبيذ فصار رديئا (حامضا) .

عندئذ أخذ عصاه وانتعل ، واشتمل بملابسه ، وحمل سلاحه وجدّ فى السير إلى وادى الأرز . ولما دخل قصر أخيه « باتا » وجده راقدا على السرير وقد فارقته الحياة ، فبكى عندما رأى أخاه على الفراش ميتا . وأخذ يبحث عن قلبه تحت شجرة الأرز التى كان ينام تحتها كل مساء .

قضى « أنوبيس » . . . ثلاثة أعوام يبحث عنه (القلب) فلم يهتد إليه . ولما بدأ العام الرابع تاق قلبه إلى مصر فقال : «سأسافر غدا» وكان هذا حديثه لقلبه .

انبثق صباح يوم جديد فأخذ يمشى تحت شجرة الأرز وقضى يومه فى البحث عنه ، ولما جاء المساء كف عن بحثه ، ثم ألقى نظره مرة أخرى ليبحث عنه فوجد فاكهة ، فعاد بها إلى البيت وكانت هى قلب أخيه الأصغر .

فأعد قدحا من الماء البارد ورمى فيه قلب أخيه وجلس كعادته كل يوم. ولما جن الليل وامتص القلب ماء القدح ، ارتعد « باتا » فى كل أعضائه وأخذ ينظر إلى أخيه الأكبر ، على حين كان قلبه لا يزال فى القدح . ثم أخذ «أنوبيس» أخوه الأكبر قدح الماء البارد الذى كان فيه قلب أخيه الصغير وقدمه إلى « باتا » ليشربه . ولما أخذ قلبه مكانه عاد « باتا » إلى شكله الأول فتعانقا، وتحدث كل منهما إلى أخيه فقال « باتا » لأخيه الأكبر :

« اسمع سأصير ثورا عظيما فيه كل لون جميل جدا[2]، لا يعرف طبيعته أحد ، وستركب أنت على ظهرى . فإذا أشرقت الشمس فستكون فى المكان الذى فيه زوجتى وهناك سأجيبها على ما فعلت . وستأخذنى إلى الملك وسيقدم إليك كل شىء طيب وستكافأ بالفضة والذهب

---

(١) هذه مرتبة فى الحريم وسيتحدثون عنها فيما بعد بأنها زوجة فرعون « الواحد » .
(٢) يقصد العلامات التى كان يعرف بها الثور المقدس مثل العجل «أبيس» .

على أخذى إلى فرعون ، لأنى سأكون أعجوبة ، وسيفرح الناس بى فى كل الأرض . وبعد ذلك تسافر أنت إلى قريتك » .

ولما كان يوم جديد أخذ « باتا » الشكل الذى تحدث به إلى أخيه وركب « أنوبيس » على ظهره . وعند الفجر وصل إلى حيث كان الملك . وقد علم جلالته به ففحص عن حقيقته بنفسه وفرح به فرحا شديدا ، وقدم إليه قربانين عظيمين قائلا : «عجيبة عظمى تلك التى حدثت» وكان لها فى الأرض كلها رنة فرح ، وكافئوا أخاه الأكبر على هذه العجيبة وزنها ذهباً وفضة . ثم استقر فى قريته وأهداه الواحد (أى الملك) ملابس كثيرة وعدة عظيمة ، وغمره الفرعون بحبه أكثر من كل الناس الذين كانوا فى البلاد جميعا

وبعد أيام من ذلك الحادث دخل الثور مطبخ « الواحد » ووقف حيث كانت الأميرة ، فأخذ يتحدث معها قائلا : « اسمعى إنى لا أزال حيـا » فقالت له : « أرجو أن تخبرنى من أنت ؟ » فقال لها : « أنا (باتا) — حقا أتذكرين حينما أوعزت إلى فرعون أن يبيد شجرة الأرز حتى لا أعيش بعدها ؟ ولـكن انظرى فأنا الآن حى وإنى ثور » . وهنا وجلت الأميرة أشد الوجل للقصة التى قصها عليها زوجها .

ثم خرج من المطبخ . وجلس جلالته وتفكه مع الأميرة وصبت الماء لجلالته وكان ملاطفا لها كل الملاطفة ، وعندئذ قالت لجلالته : « أقسم لى بالإلـه قائلا : إن أى شىء ستقولينه سأستمعه منك » . ثم أصغى إلى كل ما قالت وهو : « إن هذا الثور لن يفيدنا شيئا[1] ، فدعنى آكل كبده» . وهكذا كان قولها فحزن « الواحد » لمـا قالته حزنا عظيما وصار قلبه من أجله مكلوما .

وانبثق الفجر عن يوم جديد ، وأعلن إقامة عيد ضحية عظيم ، وسيكون الثور ضحية ذلك العيد . وجىء برئيس قصابى جلالته ليذبح الثور ، وبعد ذبحه كان موضوعا على أكتاف الناس ، فهز رأسه فسالت نقطتان من الدم بجانب منكبى باب جلالته : سقطت واحدة على جانب من جانبى الباب الأعظم لفرعون ، وسقطت الثانية على الجانب الآخر ، وتحولت النقطتان إلى شجرتين ناميتين من السنط وكانت كل منهما جميلة . فحمل رجل ذلك النبأ إلى جلالته قائلا : « إن شجرتين من السنط عظيمتين قد نمتا فى الليل !! عجيبة عظيمة لجلالته !! وهما بجانب باب جلالته الـكبير » .

---

(١) لأن الثور سيضحى على كل حال فى أحد الأعياد .

وفرح الناس بهاتين الشجرتين فى كل البلاد وقدم « الواحد » لها قربانا . وبعد ذلك بأيام ظهر جلالته من نافذة « اللازورد » وحول رقبته إكليل من كل أنواع الزهر، وركب عجلة من الذهب . وخرج من القصر ليرى شجرتى السنط . وامتطت الأميرة ظهر جواد[1] خلف فرعون .

ثم قعد جلالته تحت إحدى شجرتى السنط . وعندئذ تكلم « باتا » مع زوجته : « إيه يا خائنة ، أنا « باتا » وسأعيش بالرغم منك . حقا إنك تذكرين كيف أغريت فرعون بقطع شجرة الأرز وكيف ذبحت بإغرائك بعدما صرت ثورا . »

وبعد أيام من هذا صبت الأميرة المـاء لجلالته وكان « الواحد » متلطفا معها ، ثم قالت لجلالته :

« أقسم لى بالإلــه قائلا : إن كل ما تقوله الأميرة لى سأصغى إليه . » فاستمع لكل ماتقول . فقالت : « مر بقطع شجرتى السنط لنصنع منهما أثاثا جميلا » . فأصغى الواحد لكل ما قالت . وبعد عدة أيام من هذا أرسل جلالته عمالا مهرة وقطع شجرتى السنط .

ووقف الفرعون يشاهد مع زوجه (عملية القطع) فطارت شظية ودخلت فم الأميرة فابتلعتها ، وفى اللحظة عينها حملت (أى صارت حبلى) . وعمل منهما (أى الشجرتين) كل ما رغبت فيه (من الأثاث) .

وبعد عدة أيام من هذا وضعت الأميرة ولدا ، فذهب رجل وبلغ جلالته قائلا : « لقد ولد لك ولد » فأحضر وعين له مرضعا وجعل له خدما . وعم الفرح به البلاد ، وأقام جلالته له الأفراح . وقد ربى وأحبه فى الحال جلالته حبا شديدا ، وعينه حاكما لأثيوبيا » (ابن الملك) ، وبعد عدة أيام من هذا جعله ولى عهد للبلاد جميعا .

وبعد مضى عدة أيام على ذلك بعد أن قضى عدة سنين وهو ولى عهد للبلاد جميعها طار «الواحد»[2] إلى السماء . وقال الواحد[3] : «ليحضر إلى كل المستشارين الملكيين لأخبرهم كل ما حدث لى » . ثم أحضرت إليه زوجه وتحاكما أمام المستشارين الذين انتصفوا له منها ، وأحضر إليه أخوه الأكبر فعينه وليا للعهد فى كل أملاكه .

وقضى ثلاثين عاما ملكا على مصر ثم رحل عن هذا العالم واستولى أخوه على عرشه يوم مماته»

(١) يحتمل أنه يقصد بهذا أنها كانت تركب عربة لأن المألوف عند المصريين أنهم كانوا لا يمتطون ظهور الخيل (٢) مات . (٣) الملك الجديد .

الأمير المسحوز

ملخص القصة :

اشتاق ملك أن ينجب ذكرا بعد أن حرم ذلك دهرا طويلا ، فأعطاه الإله ما يتمناه ، ولكن قدر على هذا المولود أن يلقى حتفه على يد تمساح أو حية أو كلب ، وعرف والده ذلك فأفرده فى بيت بناه له فى الصحراء ، حتى شب فرأى فى الطريق كلبا يتبع صاحبه ، ولم يكن له عهد بسحنة الكلاب ، فسأل عنه ، ثم طلب واحدا من جنسه ، فأمر له والده بجرو صغير حتى يأمن عليه من ناحية ، ولا يغضبه من ناحية أخرى .

كبر الطفل ، فاشتاق إلى الحرية ، وطلب الخروج إلى أرض الله الواسعة فأجيب إلى طلبه .

سافر الطفل وأبعد فى سفره حتى وصل إلى رئيس النهرين ، وكانت له بنت جميلة جعل صداقها استطاعة المرء أن يقفز إلى شرفة بيتها التى ترتفع عن الأرض ستة وخمسين ذراعا ، فلم يستطع أحد من أولاد رؤساء «سوريا» ذلك واستطاعه ذلك الشاب الوافد إليهم من مصر ، فتزوج البنت بعد لأى وامتناع ، وأحبته وأخلصت له ، وسهرت على راحته وحفظ حياته ، وأنقذته مرات من الموت ، حتى انتهى أجله بإحدى الطرق التى كانت مقدرة له من قبل .

دراسة القصة :

إن العنوان الذى اختاره « جورج إبرس » الأثرى الألمانى المعروف لهذه القصة لا ينطبق على موضوعها ، فليس الأمير فيها مسحورا ، وليس فى القصة شىء عن السحر . والعنوان الصحيح الذى أصبحت تعرف به القصة الآن هو « الأمير المحتوم عليه الموت » .

ومن الصعب علينا أن نرجع هذه القصة إلى عهدها بالدقة ، والمرجح أنها كتبت فى عهد الأسرة التاسعة عشرة . ومما يؤسف له أن نهاية البردية التى كتبت عليها قد حطمت ، ويقال إنه عثر عليها سليمة ولكن حدث انفجار فى البيت الذى كانت مودعة فيه فى الإسكندرية ، فأصابها التحطيم . ومن الممكن أن نتبين خاتمتها من سياقها ، فنعرف أن الأمير لا بد ملاق حتفه وفق ما قدر له .

والقصة بادية فى ثوب خرافى ، وإذا حذفنا منها التمساح وغيرنا الأسماء كانت أشبه بقصصنا الخرافية الحديثة . والقصة تدور حول وحيد الأبناء المدلل المعنى به ، ووحيدة البنات التى يبذل كل نفيس فى سبيل سعادتها . ويحدث أن يخرج الشاب فى مخاطرة من مخاطرات

الحياة فيلتقى عن غير قصد بالفتاة ، فيتحابان ويتزوجان بعد تذليل الصعوبات بإتيان المعجزات ، وبعد التغلب على الفوارق الاجتماعية التى تكون دائماً عقبة كبيرة بين الحبيبين المدلهين . ونقرأ الآن كثيرا من شبيهات هذه القصص فى الأمم المختلفة ، ولا يبعد أن يكون مصدرها الأول مصر .

وإذا نظرنا إليها من ناحية الأسلوب رأيناها تشبه قصة الأخوين ، والتكرار فى عباراتها واضح ، شأن قصص عصر الدولة الحديثة ، وهى ترينا من الناحية التاريخية أن السفر من مصر إلى بلاد النهرين كان ميسورا ، وما على المسافر إلا أن يمتطى عربته . ويأكل مما يصادفه من صيد الصحراء ، ويتخذ وجهته إلى هدفه فيصل إليه ، وبخاصة لأن اللغة المصرية كانت معروفة هناك ، كما كانت معروفة فى سوريا ، فإن الأمير حين قابل أولاد أمرائها تحدث معهم من غير حاجة إلى وسيط يترجم قوله إلى لغتهم أو يترجم قولهم إلى لغته ، مما يشعرنا بأن أميرنا كان يعرف لغة هذه البلاد ، وليس هذا بغريب ، فإن مما يعاب عند الكتاب المصريين أن يجهل أحدهم طرق السفر أو لغة التخاطب التى لجيرانه . وسنجد فى ورقة أنستاسى الأولى أن الكاتب يلوم زميله ويعيره بأنه لا يعرف الطريق الحسنة التى يخترقها إلى سوريا . . .

هذا فى عصر الدولة الحديثة الذى اختلط فيه المصريون بالأقوام المجاورة لهم عن طريق الفتح أو التجارة . أما فى عصر الدولة الوسطى فلم تكن العلاقة قد توثقت بين مصر وجيرانها ، ولذلك نجد « سنوهيت » (وقد سبقت قصته) عندما فر هاربا إلى «سوريا» قال : إنه وجد أميرا هناك يعرف المصرية وتحادث معه ، مما خفف عنه بعض عنائه ، ثم تعلم لغة القوم وصار منهم . وسيجد القارىء كذلك عندما نعرض عليه قصة « ونآمون » أنه لما وصل إلى جزيرة « قبرص » سأل جماعة من الحاشية التى كانت تحيط بملكتها عمن يعرف منهم اللغة المصرية ، وقد أخبره واحد منهم أنه يعرفها .

فاللغة المصرية كانت منتشرة لدى جيران مصر انتشارا يساير كثرة وقلة ما كان بين مصر وجاراتها من صلات ، وهو أشبه بذيوع اللغة الإنجليزية فى كثير من بقاع العالم التى تتبع انجلترا أو تتصل بها جاء فى تعاليم « آنى » : إن اللغة المصرية كانت منتشرة فى كل البلاد الأجنبية (انظر نصائح آنى) .

وبعد فقصتنا ليست بسيطة فى تركيبها ، بل إنها تحتوى على جزأين منفصلين وصل بينهما الكاتب كما فعل فى قصة الأخوين مع اختلاف فى مغزى كل من القصتين .

والقسم الأول من قصتنا يعرض القضاء المقدر على الوليد بأنه سيلاقى حتفه حتما بإحدى وسائل ثلاث : الكلب أو التمساح أو الثعبان .

والقسم الثانى ما شاع فى عالم القصص من أن ملكاً وملكة حرما إنتاج الأبناء فدعَوا ربهما أو سألا منجما عن حظهما فبشرهما بإجابتهما إلى ما يبغيان . وقد مزج الكاتب القسمين وصقلهما فكان منهما هذه القصة التى نتحدث عنها . وأهم ما يلفت النظر إليها أخلاق الأمير وزوجه ؛ فالأمير يعرف نوع الميتة التى تنتظره على يدى التمساح أو الثعبان أو الكلب ، ومع ذلك تأبى أخلاقه ويأبى وفاؤه أن يقتل الكلب لما عرض عليه ذلك ، حرصا على حياته ، حتى بعد أن أعدم التمساح والثعبان ، لأن الكلب قد تربى فى ظله ، فلم ير من الشهامة أن يزهق روحه وقد أظلهما سقف واحد . والزوجة تمثل الإخلاص النقى الصافى ؛ فها هى تسهر على حماية زوجها ، وتحرص على حياته وتنتظر رحمة ربه ، فى الوقت الذى أسلم فيه نفسه لمصيره المحتوم ، وهى التى بيقظتها قتلت الثعبان الذى كان يتربص به ريب المنون ، وهى التى أشارت عليه بقتل الكلب فأبى ، وهى التى كانت تبعث فيه الأمل فتقول : « إن ربك قد خلصك من أحد أعدائك وسينجيك من الآخرين » .

وإن من يرى ذلك الموقف الطاهر النبيل الذى وقفته هذه الزوجة من زوجها ، ويقرنه بموقف الخسة الذى وقفته الزوجة مع زوجها « باتا » فى قصة الأخوين ليأخذه العجب من الاختلاف الكبير بين الموقفين تبعا لاختلاف المعدنين . ولا يبعد أن يكون كاتب هذه القصة هو نفسه كاتب تلك ، وقد صور لنا النقيضين ليرينا أن المرأة لا تكون دائما شرا ، ولا تكون دائما خيرا ، بل إنه إذا صفا جوهرها كانت مخلصة شديدة الإخلاص ، وإذا خبث معدنها كانت خائنة فاجرة فى الخيانة ، وأن الطبائع البشرية تختلف باختلاف نفس الإنسان وجرثومته .

متن القصة :

يحكى أن ملكا لم يولد له ولد ذكر . وقد دعا آلهة زمانه أن يهبوه ولدا ، فقضوا أن يولد له ولد . وفى تلك الليلة حملت منه زوجته ، ولما أتمت أشهر الحمل وضعت ذكرا ثم أتت البقرات « حتحور » ليقررن مصيره ، فقلن إنه سيلاقى حتفه على يد تمساح أو حية أو كلب ، وقد سمع الناس الذين كانوا حول الطفل ذلك ونقلوه إلى جلالته ، وعندئذ صار الملك حزين القلب جدا . وأمر الملك أن يبنى له بيت من الحجر فى الصحراء مجهز بالخدم وبكل شىء

جميل يليق ببيت ملكى ، على ألا يغادره الصبى إلى خارجه . ولما ترعرع الطفل صعد إلى سطح البيت ولمح كلبا سلوقيا يتبع رجلا يمشى فى الطريق . فقال لخادمه الذى كان واقفا بجانبه : « ما هذا الذى يتبع الرجل فى سيره ؟ » فقال له : « إنه كلب » . عندئذ قال له الطفل : « مر بإحضار واحد مثله لى » . فذهب الخادم وأخبر جلالته بذلك فقال جلالته : « دعوا جروا صغيرا يجلب إليه لئلا يحزن قلبه » ، وعلى ذلك أخذوا له جروا .

وبعد أن مضت عدة أيام نما الطفل جسما وعقلا . وأرسل إلى والده قائلا: « ما فائدة مكثى هنا ؟ انظر ! إنى قد صرت فى يد القدر . دعنى أكن طليقا حتى أعمل حسب رغبتى ، وإن الله سيفعل ما فى قلبه» . فأصغوا إليه ، وأمروا أن يُعطى عربة مجهزة بكل نوع من العدة ، وتبعه خادمه بمثابة رفيق (حامل الدرع) ، ثم عبروا به إلى الشاطىء الشرقى وقالوا له : «اذهب حيث شئت » .

وقد كان كلبه معه ثم اتجه شمالا متبعا فى ذلك ما يميل له قلبه فى الصحراء ، وعائشا على أحسن لحوم صيد الصحراء ، حتى وصل إلى رئيس النهرين ، ولم يكن قد ولد لرئيس النهرين إلا بنت ، وقد أقام لها بيتا ، شرفته على ارتفاع ٥٦ ذراعا من الأرض . وقد أحضر كل أولاد رؤساء بلاد سوريا وقال لهم : «إن من يصل إلى شرفة بنتى سيأخذها زوجة له . »

والآن بعد انقضاء عدة أيام مر بهم الشاب وهم يقومون بعملهم اليومى ، فأخذوا الشاب إلى بيتهم فاغتسل ، وأعطوا جياده علفاً ، وقد قاموا بكل خدمة لهذا الأمير ، إذ دلكوه ولفوا قدميه ، وأعطوا تابعه طعاما ، ثم قالوا له من طريق المحادثة : « من أين أتيت أيها الشاب الجميل ؟ » فقال لهم : « إنى ابن ضابط من أرض مصر ، وقد ماتت والدتى واتخذ والدى له زوجة أخرى. وقد بدأت تمقتنى وقد وليت الفرار منها» ، وعندئذ ضموه إلى صدورهم وقبلوه مرارا وبعد انقضاء عدة أيام قال للشبان : « ما هذا الذى تفعلونه . . . ؟ »

فقالوا له : « لقد كنا هنا منذ شهور مضت ننفق وقتنا فى الطيران ، لأن من يصل منا إلى شرفة بنت رئيس النهرين فإنه سيهبها له زوجة » فقال لهم : « ليتها تكون لى . فإذا أمكننى أن أسحر ساقى فإنى أذهب للطيران معكم » . ولقد ذهبوا جميعا للطيران حسب عادتهم اليومية، ولكن الشاب وقف بعيدا يرقب، وكانت نظرة بنت رئيس النهرين متجهة نحوه .

وبعد انقضاء عدة أيام أتى الشاب ليطير مع أولاد الرؤساء فطار ووصل إلى شرفة بنت رئيس النهرين ، فقبلته وضمته مرارا ، فذهبوا ليخبروا والدها ، وقالوا له : «إن رجلا قد وصل إلى شرفة بنتك » . فسألهم الرئيس : « ابن من فى الرؤساء هو ؟ » فقالوا له : « إنه ابن

ضابط قد أتى طريدا من أرض مصر فارًّا من وجه زوج والد . » ولـكن رئيس النهرين استشاط غضبا وقال : « هل أعطى ابنتى طريد مصر ؟ دعه يبتعد من هنا ثانية » . فأتوا ليخبروه قائلين : « ارجع إلى المكان الذى أتيت منه » . ولـكن الابنة أمسكت به وحلفت يمينا قائلة : « بحياة « رع حور أختى » إذا أخذتموه بعيدا عنى فلن آكل ولن أشرب وسأموت فى الحال » . وعندئذ ذهب الرســل وأخبروا والدها بكل ما قالت . فأرسل الرئيس أناسا ليقتلوه فى الحال ، ولـكن البنت قالت : « بحياة « رع » إذا قتلتموه فإنى عند مغيب الشمس سأكون ميتة ، ولن أعيش بعده ساعة واحدة . » فذهبوا ليخبروا والدها بذلك . . . . الابنة . . . وعندئذ . . . . الخوف منه . . . دخل على الرئيس . فضمه وقبله مرات ، وقال له : « أخبرنى عن حالك ، انظر . إنك لى بمثابة ابن » ، فقال له : « إنى ابن ضابط من أرض مصر ، قد ماتت والدتى ، واتخذ والدى له زوجة أخرى ، وقد أخذت تمقتنى ، وقد لذت بالفرار أمام وجهها » . وعندئذ وهبه ابنته زوجة له وقدم له جوادا ، وكذلك ضيعة وكل أنواع الماشية الطيبة .

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك قال الشاب لزوجته : « لقــد قدر لى أن أموت بواحد من ثلاثة : التمساح أو الحية أو الـكلب . » فقالت له : « إذن فليقتل الـكلب الذى يتبعك » . ولـكنه قال لهـا : « . . . لن أقتل كلبى الذى ربيته ، منذ أن كان جروا » . وعلى ذلك أخذت تراقب زوجها بدقة ، فلم تدعه يذهب إلى الخارج وحده . والآن تأمل .

. . . إلى أرض مصر . . . ليتقهقر (؟) انظر ، تمساح البحيرة . . .

وأتى إليه فى المدينة التى كان فيها الشاب . . . . بحيرة وكان فيها عفريت ماء .

ولم يسمح عفريت الماء للتمساح أن يخرج ، ولـكن عندما نام التمساح (؟) خرج ملاك الماء للنزهة ، فعندما أشرقت الشمس وقفا يتحاربان كل يوم لمدة شهرين كاملين .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك جلس الشاب يمتع نفسه فى بيته . وعند حلول الليل نام الشاب على سريره وأخذه النعاس تماما ، ولـكن زوجته ملأت [كأسا بـ] . . . وكأسا أخرى بالجعة ، وعندئذ خرجت [حية] من جحرها لتلدغ الشاب ، ولـكن تأمل ! لقد كانت زوجه جالسة بجانبه يقظة . . . . . . الحية فشربت حتى ثملت وذهبت لتستلقى على ظهرها . وعندئذ تسببت زوجه فى أن تقضى عليها بفأسها ثم أيقظت زوجها . . . . .

وقالت له : « انظر ! لقد وضع الله أحد ما قدر حتفك به فى يدك ، [وسيسلم لك الآخران أيضا] . وعلى ذلك قدم قربانا إلى « رع » مادحا إياه ومعظما قوته كل يوم .

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك خرج الشاب للتنزه على الشواطىء فى ضيعته دون أن يذهب خارجها . . . وقد كان كلبه يتبعه وقد أعطى الكلب قوة الكلام . . . وهرب منه فوصل إلى البحيرة ونزل فيها [ليهرب من] كلبه فقبض عليه التمساح (؟) وذهب به إلى المكان الذى كان يسكن فيه عفريت الماء . . .

وعندئذ قال التمساح للشاب : « إنى أنا قابضك الذى كان يتبعك و . . . . . لعدة أيام مضت ، إنى على وشك محاربة عفريت الماء ، وانظر سأطلق سراحك ولكن إذا . . . . . . لتحارب . . . وإنك ستصفق إعجابا بى عندما يقتل عفريت الماء (؟) . . . وإذا نظرت . . . ننظر ا . . . والآن عندما انبثق الفجر وحل اليوم الثانى . . . إنى . . . (وهنا نجد الورقة محطمة بكل أسف ولا شك أن الكلب هو الذى سيقضى على حياة الشاب) .

المصادر :

يجد القارىء أحدث ترجمة لهذه القصة فى :

(1) The Jonrnal of Egyptian Archeology Vol XI P. 227 etc.

(2) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians. P. 191 etc.

أما الأصل المصرى القديم فحفوظ بالمتحف البريطانى وقد طبع فى مجموعة الأوراق البردية المعروفة باسم :

Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum Second Series. Pls XLVIII — LII) . Pap Harris 500, verso 4—8.

وقد كان أول من لفت النظر إليها جدون Goodwin وقد ترجمها كذلك « جرفث »

(3) Griffith in The World's Best Literature PP. 5250 ff.

(4) Maspero Popular Stories of Ancient Egypt P. 185.

ويجد القارىء فهرسا كاملا لهذه القصة فى المؤلف الأخير ص ١٨٥ — ١٨٦

قصة الملك « أبوفيس » و « سقننرع »

ملخص القصة :

أرسل ملك الهكسوس « أبوفيس » رسلا إلى ملك طيبة « سقننرع » مدعيا أن جاموس البحر الذى يعيش فى بحيرة طيبة يقض مضجعه بسبب أصواته المزعجة التى تصل

لقوتها إلى مقر جلالته (بصا الحجر) وأنه لذلك يأمر ملك طيبة بإبادة جاموس البحر الذى يسكن فى تلك البحيرة جميعه إن أراد أن يبقى حائزاً لرضاه . . .

دراسة القصة :

يظهر لنا أن هذه القصة ، والقصة التى تليها المسماة « الاستيلاء على يافا » أشبه بقصص التاريخ وإن بدتا فى ثوب خرافى ؛ فنحن نعرف أن البلاد قد غزاها الهكسوس ، وأن ملوك « طيبة » كانوا يناهضون الغزاة ، ومن المحتمل جداً أن تكون هذه المقاومة قد بدأت فى عهد « سقننرع تاعا » المعاصر لملك الهكسوس المسمى « أبوفيس » « عاقننرع » والذى اتخذ « أواريس » (صا الحجر الحالية) عاصمة له . وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرد ذريعة اتخذها تعلة لإعلان الحرب على ملك طيبة الذى يكيد له ، وتكون قصة الذئب والحمل التى تتناقلها ونتمثل بها فى التاريخ الحديث صدى لأختها قصة إبادة جاموس البحر فى العصر القديم . ويعزز هذا الرأى بردية من عهد الدولة الحديثة تؤيد ما سبق إن لم يكن ما جاء فيها ترداداً لتلك الحوادث الدامية التى أدت إلى طرد الهكسوس من البلاد .

كما أنه ليس من البعيد أن تكون هذه القصة خرافية ، وأنها من وحى الخيال جملة ، وأن دس هذه الأسماء الحقيقية التى وردت فى ثناياها كانت لتكسبها أهميـة ، ولتذكر القارىء القديم بصفحة منسية من تاريخ بلاده ؛ وحينئذ تكون مسألة طلب ملك الهكسوس إبادة جاموس البحر من قبيل الأحاجى التى كان يتهاداها الملوك فى ذلك العصر على ماقاله «مسبرو» ، ويسلطون عليها أشعة عقولهم حتى يجدوا حلا لما فيها من المآزق ، وحينئذ يفوزون بمدح إن وفقوا ، أو يعودون بقدح إن أخفقوا ، أو أن هذا الطلب الشاذ كان لغرض دينى يتبعه ، فإذا رفض ملك طيبة مثلا تنفيذ إرادة ملك الهكسوس أجبر على ترك عبادة إلـهه « رع » إلى عبادة معبود الهكسوس الإلـه « سوتخ » .

ولقد ظهر فى الخرافات الشرقية مثيل لخرافتنا هذه مبنى على أساس فكرتها . وقد دونت قصتنا هذه فى عهد الملك « مرنبتاح » فى الأسرة التاسعة عشرة ، ونجد شبيها لها فى قصة « إعماء الصدق » من نفس عصرها ، وكذلك نجد مثيلا لها فى عهد الملك « نقطانب » من الأسرة الثلاثين ، حكيت فيما بعد على لسان « أيسوب » ومضمونها : أن الفرعون « نقطانب » أرسـل سفيرا إلى « ليسيرس » Lycerus ملك « بابل » وإلى وزيره « أيسوب » قائلا : إن لدى أنثى من الأفراس لقاحها صهيل الجياد التى فى « بابل » ، فتحمل من هذا الصهيل

فما جوابك على ذلك » ؟ فأعد «الفريجى» جوابه بأن أغرى بعض الأطفال بضرب قطة فى الشارع أمام الناس . ولما كان المصريون يقدسون القطة غضبوا لذلك أشد الغضب ، وخلصوا القطة من أيدى الأطفال ، وشكوا أمرهم إلى ملكهم ، فأحضر «الفريجى» أمامه لاستجوابه وسأله : « ألا تعرف أن القطة من آلهتنا ؟ فلم تعاملها بهذه الطريقة ؟ » فاجاب : « لقد فعلت ذلك لأنها ارتكبت جريمة بالأمس ضد «ليسيرس» (Lycerus) فقد خنقت ديكا له مجتهداً كان يصيح فى كل ساعة » . فقال له الملك : « كذبت ، فكيف تستطيع قطة أن تقوم بسياحة طويلة كهذه فى وقت قصير كهذا الوقت ؟ فأجاب «أيسوب» : « وكيف تستطيع إناث خيلك أن تسمع أصوات جيادنا مع طول الشقة وبعد المسافة فتحمل من صهيلها بمجرد سماعه ؟ »

فهذه القصة التى ذكرنا لبابها صدى لقصتنا المصرية ، ظهر فى خرافات « أيسوب » . وقد يحتمل أن يكون بين مستشارى « سقننرع » من أجاب بمثل ما أجاب به « أيسوب » أو بمثل الجواب الذى رأيناه فى قصة « إعماء الصدق » .

هذا ولا يختلف أسلوب قصتنا هـذه عن أسلوب قصص عصرها ، اللهم إلا بكثرة ما رأينا فيها من الأخطاء . ولعل ذلك لجهل التلميذ المصرى القديم الذى نقلها . وفيها تكرار لبعض جملها ، وغموض فى بعض نواحيها نشأ من تهشم بعض أجزائها .

متن القصة :

حدث أن أرض مصر كانت فى جائحة شنعاء (؟) ولم يكن للبـلاد حاكم بمثابة ملك فى هذا الوقت . وقد حدث أن الفرعون « سقننرع » كان حاكما على المدينة الجنوبية (يعنى طيبة) ولـكن كانت الجائحة الشنعاء فى بلد العامو (الهـكسوس) ، وكان الأمير « أبوفيس » فى « أواريس » ، وكانت كل البلاد خاضعة له ، وكذلك كل حاصلاتها بأكملها ، وكذلك كل طيبات تميرا (أى مصر وقد بقى هذا اللفظ فى كلمة دميرة) .

وقد اتخذ الملك « أبوفيس » الإلـه « سوتخ » رباً له ، ولم يعبد أى إلـه آخر فى البلاد غير « سوتخ » ، وقد بنى معبداً ليكون عملا حسـناً خالداً بجانب قصر « أبوفيس » . وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للالـه « سوتخ » ، وكان موظفو جلالته يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يُفعل تماماً فى معبد « رع حور أختى » .

أما فيما يتعلق بالملك «أبوفيس» فإن رغبته كانت فى إيجاد موضوع للنفار بينه وبين الملك « سقننرع » أمير المدينة الجنوبية .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك «أبوفيس» بإحضار . . . . رئيسه . . . .

(عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة الفجوات ، وقد حاول «مسبرو» ملأها على وجه التقريب) .

[. . . . وقال لهم (أى للمستشارين) : إن رغبة جلالتى فى أن أرسل رسولاً إلى المدينة الجنوبية لآتى بتهمة] ضد الملك سقننرع . و . . . . لم يعرفوا كيف يجيبونه ، وعندئذ أمر بإحضار كتابه والحكماء من أجل ذلك ، فأجابوه قائلين : أيها الحاكم يا سيدنا . . . . توجد بحيرة جاموس بحر [فى المدينة الجنوبية . . .] النهر [. . . .] وهى (جاموس البحر) لا تسمح للنوم أن يأتى لنا نهاراً ولا ليلا ، لأن الضجيج فى أذننا ، وعلى ذلك أرسل جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية .... الملك « سقننرع » ودع الرسول يقل له : الملك أبوفيس [....] يأمرك أن تجعل جاموس البحر يترك البحيرة . . . . وبذلك سترى جلالتك من يكون معه معيناً ، لأنه لا يميل لأى إلـه فى كل الأرض قاطبة إلا « آمون رع » ملك الآلهة .

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التى قالها له كتابه والحكماء ؛ ووصل رسول الملك « أبو فيس » إلى أمير المدينة الجنوبية فأخذوه إلى حضرة أمير المدينة الجنوبية ، فقال الواحد (الفرعون) لرسول الملك «أبوفيس» : ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هذه الرحلة ؟ فقال له الرسول : « لقد أرسل لك الملك « أبوفيس » يقول : مُر بأن يَهجُرَ جاموس البحر بحيرته التى فى ينبوع المدينة الجارى (المدينة هنا طيبة) لأنه (أى جاموس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشانى ليلا أو نهاراً ، إذ أن أصواته المزعجة فى أذنى .

وعندئذ بقى أمير المدينة الجنوبية صامتاً وبكى مدة طويلة ، ولم يكن يعرف كيف يصوغ جواباً لرسول الملك «أبوفيس» ، فقال له أمير المدينة الجنوبية : كيف سمع سيدك عن البحيرة التى فى ينبوع المدينة الجارى ؟ فقال له الرسول : . . . . الموضوع الذى من أجله قد أرسلك (؟) . وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك «أبوفيس» كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز . . . . وقال له أمير المدينة الجنوبية : ارجع إلى الملك «أبوفيس» سيدك ! . . أى شىء تقوله له سأفعله عندما تأتى (؟) [. . . .] وعاد رسول الملك « أبوفيس» مسافراً إلى المكان الذى فيه سيده .

وعندئذ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام وكذلك كل كبار الجند الذين كانوا عنده ، وأعاد عليهم التهمة التى بعث بها إليه الملك « أبوفيس » . وقد ظلوا صامتين

جميعاً لمدة طويلة ، ولم يعرفوا أن يجاوبوا بأى شيء قط حسناً كان أو سيئاً . وأرسل الملك « أبو فيس » إلى . . . .

(وهنا تنقطع القصة فى الورقة التى استعملت بقيتها فى خطابات نموذجية ، وهى أسلوب إنشائى كان بلا شك فى ذلك الوقت أكثر فائدة ، ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن ، لأننا كنا نود أن نعرف نهاية القصة) .

المصادر :

كان أول من فهم مضمون هذه القصة هو « دى روجيه » ، ثم قام بترجمتها بعده عدة علماء ، وأهم التراجم ما يأتى حسب جدتها :

(1) Gunn & Gardiner in The Journal of Egyptian Archeology Vol V. P. 40 ff.

(2) Erman Tht Literature of the Ancient Egyptians Translated by Blackman P. 165 ff.

(3) Maspero Papular stories of Ancient Egypt P. 298 ff.

أما الأصل المصرى القديم فيوجد فى ورقة ساليه

Pap. Sallier 1—3 In the British Museum.

قصة الاستيلاء على يافا

ملخص القصة :

الملك تحتمس قاهر الأعداء يرسل قائده ليستولى على يافا ، ذلك الثغر العظيم الواقع جنوب فلسطين ، فيحاصر القائد المدينة ، وتمتنع عليه ، فيعجز عن اقتحامها فيلجأ إلى الحيلة ، ويغرى أمير المدينة بالخروج إليه لمحادثته ، ولما تقابلا أكرمه واحتفى به ، وأدخل فى روعه أنه سينضم بجنوده إليه ، وأنه سيسلمه زوجه وأطفاله . وباشتراكه مع عصا تحتمس التى كانت تشبه عصا موسى تغلب على العدو ، وفتح بلاده بعد خدعة حربية رائعة .

دراسة القصة .

لقد دون تحتمس الثالث كل حروبه على جدران معبد الكرنك وعلى صحائف أثرية أخرى ، ولم يرد فيما دوّن من ذلك إشارة إلى حوادث هذه القصة .

والذى رواه لنا التاريخ أن تحتمس الأول قد فتح يافا ، ونرى اسم حاكمها فى قائمة غزوات هـذا الملك باسم « مقهور يافا » — (وكان لقب « مقهور » يطلق على كل أمير مغلوب فى هذا العصر ، فكان يقال « مقهور » قادش ، مثلا) .

غير أننا نرى من جهة أخرى أن « تحوتى » الذى جاء فى القصـة أنه استولى على تلك البلدة كان شخصية معروفة فى عهد تحتمس الثالث ، ومن عظماء رجاله البارزين ، ولا بد أنه كان من أعظم قواده وأمهرهم فى السياسة ، ومقبرته قد كشف عنها فى مقابر طيبة . ولقد تكلم عن نفسه ، فأرانا أنه كان موضع ثقـة الملك فى كل الأصقاع الأجنبية وفى جزر البحر الأبيض المتوسط ، وأنه كان المشرف على الممالك الشمالية ، وأنه كان أول قائد صاحب الملك فى كل الأراضى الأجنبية . والظاهر من كل هذا أنه كان ذا شخصية عظيمة ، ولهذا كان اسمه يتردد على الشفاه أمداً طويلا بعد انقضاء عصره . ويوجد الآن فى متحف «دارمستاد» خنجر « تحوتى » وفى متحف « اللوفر » طبق من الذهب أهداه إليه الملك تحتمس أيضاً .

ويبدو أن الشخصيات التى مثلت أدواراً فى هذه القصة لها أصل تاريخى . أما ما نسب إليها من الأعمال فغالب الظن أنه من نسج الخيـال . هذا وأرجو ألا تفوتنا الإشادة بذكر ما لتحتمس الثالث الذى وقعت فى عهده هذه القصة من مجد حربى فاق كل أنداده من ذوى التيجان الفرعونية ؛ وقد ظل اسمه يقذف الرعب فى قلوب الأمم المقهورة التى ضرستها غزواته حتى بعد موته بعدة أجيال . وقد كانت التعويذات تحصن باسمه ، ولم ينقطع أمرها بعـد أن لحق بخالقه ، بل ظل الناس على ذلك قروناً عديدة ، وكان اسمه تميمة سحرية يهزم عند ذكرها الأعداء ؛ وما ذلك إلا من آثار ما خلفه فى النفوس من الذعر والهلع اللذين غرسهما بطشه وجبروته . فلا غرابة إذن فى أن يؤلف المصريون القصص عن عهده ، وأن ينسبوا إليه القدرة على هزيمة الأعداء وإن لم يبرح بلاده ، وأن يجعلوا لعصاه ما لعصا موسى من السحر والغلبة ، فتقتل عدوه ، وتيسر له السبيل إلى فتح يافا .

متن القصة :

والآن بعد ساعة سكرهم قال « تحوتى » لـ . . . . [سأحضر] ومعى زوجتى وأطفالى إلى مدينتك . فمر الحاربين ليحضروا [الجياد] ويعطوها العلف ، أو مر أحد « العبر » يمر . . . . . فأمسكوا بالجياد وأعطوها علفا و . . . . . الفرعون « منخبر رع » فأتوا ليقصوا ذلك على « تحوتى » . وبعدئذ قال أمير يافا « لتحوتى » : إن رغبتى هى فى أن أرى عصا الملك

تحتمس المسماة « الجميلة » . وإنى أستحلفك بحياة الملك « منخبر رع » أن تكون فى يدك هذا اليوم . . . . « الجميلة » وأحضرها . ففعل ذلك وأحضر عصا الملك « منخبر رع » وأخفاها تحت عباءته ، ثم وقف من فوقه (؟) قائلا : انظر إلىّ يا أمير يافا ! هذه هى عصا الملك « منخبر رع » الأسد المصور ابن « سخمت » وقد أعطاه « آمون » والده الطيب القوة ليستعملها ؛ وعندئذ ضرب جبهة أمير يافا فسقط مطروحاً أمامه فوضعه فى . . . . جلد . . . . هو . . . . قطعة النحاس التى . . . . ضرب أمير يافا ووضعوا قطعة النحاس التى تزن أربعة أرطال على قدميه ، وبعد ذلك أمر بإحضار خمسمائة سلة كان قد أعدها لهذا الغرض ووضع فيها مائتى جندى وقد كبلوا أذرعتهم بالأغلال والسلاسل عليها أقفالها (؟) وأعطوهم نعالهم وعصيهم (ازر) وجعلوا كل خيرة الجند يحملونها ، وكان عددهم خمسمائة رجل وقالوا لهم : عند ما تدخلون المدينة يجب عليكم أن تطلقوا سراح رفاقكم (الذين فى السلال) وتقبضوا على كل رجل فى المدينة وتضعوهم فى الأغلال . وعندئذ خرجوا وقالوا لسائس أمير « يافا » : إن سيدك يقول : اذهب وأخبر سيدتك : افرحى لأن الإله « سوتخ » قد أسلم إلينا « تحوتى » وزوجه وأطفاله ، انظرى ! لقد أسرتهم يدى . وتشير إلى هذه السلال المائتين المملوءة بالرجال المكبلين بالسلاسل والأغلال . وذهب أمامهم ليخبر سيدته قائلا : لقد أسرنا « تحوتى » وعندئذ فتحت حصون « يافا » أمام الجند ودخلوا المدينة فخلصوا رفاقهم وقبضوا على كل رجل كان فى المدينة صغيراً كان أو كبيراً ووضعوهم فى السلاسل والأغلال فى الحال . وهكذا استولت قوة فرعون الظافرة على المدينة ، وأرسل « تحوتى » ليلا إلى مصر لسيده « منخبر رع » قائلا : انظر إن « آمون » والدك الطيب قد أسلم إليك أمير يافا مع كل رجاله ومدينته أيضاً ؛ فأرسل لنا رجالا ليأخذوهم أسرى حتى تملأ معبد والدك « آمون » ملك الآلهة بالعبيد من الرجال والنساء الذين سقطوا تحت قدميك إلى الأبد . لقد انتهت القصة بسرور بيد الكاتب الماهر بأنامله كاتب الجيش . . .

ولسنا فى حاجة إلى أن نلفت نظر القارىء هنا إلى أن هذه القصة تشبه فى بعض النقط ما جاء فى « ألف ليلة وليلة » عن (على بابا والأربعين حرامى) . أما الحيل الأخرى فنجدها فى قصص أخرى عند الإغريق والرومان . وأما لغة القصة فهى لا تختلف عن لغة هذا العصر وأسلوبه ، بل نجد فيها التكرار الممل للأعلام والجمل المألوف تكرارها .

المصادر :

لقد وجدت هذه القصة مكتوبة بالهيراطقية فى نفس الورقة التى كتبت عليها قصة الأمير المسحور ، فهما من عصر واحد ولغة واحدة ، وقدترجمت القصة مرارا وأهم التراجم مايأتى :

(1) Peet : Journal of Egyptian Archeology Vol XI P. 225 ff
(2) Maspero Papular Stories of Aneient Egypt P. 108
/3) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 197 ff.
(4) Griffith, The World's Best Literature P. 5250 ff

قصة « إزيس » وإله الشمس « رع »

دراسة القصة :

هذه القصة تعتبر من الأمثلة الطريفة فى الشعر القصصى عند المصريين ، وبخاصة إذا علمنا أنه لم يصلنا إلى الآن مجموعة عظيمة من هذا النوع من الشعر كما نجد ذلك فى « بابل » و«فلسطين» ، ولاشك أنه كان موجودا ، وربما تجود تربة مصر بشىء منه فىالقريب العاجل. ولدينا فى الكتابات المصرية إشارات صريحة تدل على وجوده ، فنعلم مثلا أنه كان يوجد مجموعة من الخرافات خاصة بإله الشمس وقد بقى منها نتف فى «متون الأهرام» ، وكذلك قصة « هلاك الإنسانية » التى أوردناها فى هذا الكتاب ، يضاف إلى ذلك قصة المخاصمة بين « حور » و « ست » التى سنفصل الكلام عنها . ولا نشك فى أن « بلوتارخ » عندما بدأ الكتابة عن « إزيس وأزير » كانت أمامه معلومات طريفة عن هذا الموضوع .

وعلى أية حال فإن الحظ لم يواتنا فى موضوع الخرافات المصرية ، إذ لم يبق لنا منها إلا النزر اليسير ، ولا بد أن مقدارها كان عظيما جدا . غير أننا لسنا فى مركز يسمح لنا بأن نقول إنها كانت تشتمل على تلك الصفات العالية التى يمتاز بها الشعر القصصى فى« بابل» و«فلسطين».

والقصة التى نحن بصددها الآن مثال من هذا الشعر ، وهى ترينا كيف أن « إزيس » خدعت الإله « رع » حتى أخبرها باسمه الخفى . ولا بد أن نفسر ذلك هنا بأن معرفة اسم الشخص تعطى من يعرفه قوة يسيطر بها عليه حسب اعتقادهم فى الأمور السحرية ؛ ومن ذلك نفهم السر فى أن « رع » كان يحرص على إخفاء اسمه ، وسبب خداع « إزيس» له حتى وصلت إلى معرفته .

متن القصة :

كانت « إزيس » امرأة حكيمة الـكلام وكان عقلها أكثر مكرا من ملايين الرجال ، وكانت أعقل من ملايين الآلهة ، وكانت تعادل (؟) ملايين الأرواح ، وكانت تعرف كل ما فى السموات ومافى الأرض مثل « رع » الذى يعمل كل ماتحتاج إليه الأرض .

وقد كان « رع » يدخل السماء كل يوم على رأس نواتيه ويجلس على عرش الأفقين . غير أن الشيخوخة المقدسة جعلت لعاب فمه يسيل (؟) ، وعلى ذلك بصق على الأرض وسقط لعابه عليها ، فجمعته (كشطته) إزيس فى يدها بالتراب الذى كان عليه . وسوته فى صورة ثعبان فخم وصورته فى شكل . . . . غير أنه لم يتحرك كأنه حى أمامها ، ولـكنه امتد على الطريق الذى كان من عادة الإلـه العظيم أن يمر به حسب رغبته فى طريقه . وخرج الإلـه المتعالى فى بهاء ، وفى معيته الآلهة الذين فى القصر ليمشى فى الخارج كما كان يفعل كل يوم . وعندئذ لدغه الثعبان الفخم حتى نفث فيه النار المتقدة التى خرجت منه . . . . فصاح الإلـه المقدس بصوته ، فوصـل صوت جلالته إلى السماء حتى إن تاسوعه صاحوا : « ما هذا ؟ ما هذا ؟ ما هذا ؟ » وآلهته : « ماذا ؟ ماذا ؟ » على أنه لم يجد صوتا ليجيب . وارتعدت شفتاه وزلزلت كل أعضائه لأن السم كان قد أمسك بجسمه كما يمسك النيل بـ . . . .

وعندما استرد الإلـه قلبه ثانية نادى أتباعه : « تعالوا إلىّ أنتم يامن أتيتم إلى الوجود من جسمى ، أنتم أيها الآلهة الذين خرجوا منى . وذلك لأخبركم بمـا حدث لى . لقد لدغنى شىء ردئ ، وقلبى لا يعرفه وعينى لم تره ، ويدى لم تسوه ، ولا أعرفه من بين كل الذين خلقتهم ، ولم أشعر بألم مثله ، ولا شىء أكثر ألمـا منه . وإنى أمير وابن أمير ، وإنى بذرة إلـه اتخذت وجودها من إلـه . وإنى عظيم وابن عظيم . اخترع والدى اسمى ، وإنى واحد له عدة أسماء وعدة أشكال ، وصورتى فى كل إلـه . « أتوم » ؛ و « حور — حكنو » يلتمسان فىّ . وقد أعطانى والدى ووالدتى اسمى ، وقد بقى مخفيا فى جسمى منذ ولدت حتى لا يكون لساحر أو ساحرة سلطان علىّ . والآن عند ما خرجت لأشاهد ما صنعت ، ولأسير فى الأرضين اللتين خلقتهما لدغنى شىء لا أعرفه ، فلم يكن نارا ولم يكن ماء ، ومع ذلك كان قلبى يحترق وجسمى يرتعد ، وتجمدت كل أعضائى . أرسلوا إلى الأولاد المقدسين الذين لهم كلام ناجع ، حكماء اللسان والذين يصل مكرهم إلى السماء » .

عندئذ أتى إليه الأولاد المقدسون كل منهم بعويله (؟) وكذلك أتت « إزيس » بخدماتها ،

ونصيحتها نفس الحياة ، وأقوالها تطرد المرض ، وكلتها تعطى الحياة من أخطأه النفس .
فقالت : « ما الذى حدث ؟ ما الذى حدث ؟ أيها الوالد المقدس ، ماذا ؟ إذا كان قد ألحق بك ثعبان ضررا (؟) أو أى مخلوق من مخلوقاتك قد رفع رأسه ضدك فأنى سألقى به أرضا بالسحر الفعال وأمنعه مشاهدة أشمتك » .

وعندئذ فتح الإلـه الجليل فاه ، وقال : «لقد كنت ذاهبا على الطريق سائرا فى الأرضين وفى الصحراء ؛ لأن نفسى كانت تتوق إلى رؤية ماخلقته . ولـكن تأملى لقد لدغت من ثعبان لم أره . وإنها ليست نارا وليست ماء ، ومع ذلك فإنى كنت أبرد من المـاء وأحر من النار ، وقد تصبب كل جسمى عرقا ، وإنى أرتعد ، وعيناى ليستا قويتين ، ولذلك لا يمكننى أن أرى ، لأن الماء يتصبب على وجهى كما يحدث فى قيظ الصيف » .

وبعد ذلك قالت «إزيس» «لرع» : «أخبرنى عن اسمك أيها الوالد المقدس ، لأن الرجل الذى تتلى باسمه تعويذة سيبقى حيا» . فأجابها «رع» : «إنى أنا الذى خلقت السماء والأرض وأرسيت الجبال معا وسويت ما عليها . أنا الذى خلق الماء ومن ثم وجدت « محورت » ، وأنا الذى خلقت الثور للبقرة ، وعلى ذلك جاء الأب إلى عالم الوجود . وأنا الذى كونت السماء وأسرار الأفقين ، ووضعت أرواح الآلهة فيها . وأنا الذى فتح عينيه ومن ثم جاء النور إلى الوجود . والذى أغمض عينيه فجاء الظلام إلى الوجود . والذى بأمره يجرى النيل . والآلهة لا يعرفون اسمه . وأنا الذى خلقت الساعات ومن ثم جاءت الأيام إلى الوجود . وأنا الذى افتتح الأعياد السنوية وأنشأ النهر . وأنا الذى خلقت نار الحياة لأجل أن توجد أعمال . . . وأنا الإلـه « خبرى » فى الصباح ، و « رع » فى الظهيرة و « آتوم » فى المساء » .

ومع كل فإن السم لم يكف عن مجراه ، ولا خفف ألم الإلـه المظيم . وعندئذ قالت «إزيس» للاله « رع » : إن اسمك لا يوجد بين الأسماء التى تلوتها على ، فأخبرنى به لأجل أن يخرج السم ، وذلك لأن الرجل الذى ينطق باسمه سيعيش . ثم أخذ السم يحرقه بفظاعة ، وأصبح أقوى من اللهيب أو النار ، فقال جلالة « رع» : أعيرينى أذنك أيتهـا البنت « إزيس » وسينتقل اسمى من جسمى إلى جسمك .

وعندئذ خبأ نفسه (أو الاسم) من الآلهة ، وذلك لأن المسافة كانت شاسعة فى قارب ملايين السنين[1] . وعندما حانت ساعة الـكشف عما فى القلب قالت لابنها « حور» : اجعله

---

(١) مركب الشمس الذى يسبح فيه الإله « رع » ومعه أتباعه فى السماء كل يوم من الشرق ثم إلى الغرب ، ومن ثم يذهب إلى العالم السفلى ويسبح فى سمائه ثم يظهر فى الشرق ثانية فى اليوم التالى وهكذا .

عاجزا أمامى ، وذلك بأن يحلف الإله يمينا أنه يفقد عينيه (إذا أصابها بضرر) . وعلى ذلك كشف الإله العظيم عن اسمه للآلهة « إزيس » . ثم قالت « إزيس » الساحرة العظيمة : أيها السائل السام اخرج من « رع » وأنت ياعين حور اخرجى من الإله . . . . ريق الفم . إنى أنا الذى ينفذ ، وأنا الذى أرسل ، تعال إلى الأرض أيها السم القوى ، انظر . إن الإله العظيم قد باح باسمه . إن « رع » يعيش والسم قد مات . وفلان[١] بن فلان يعيش والسم مات . وهكذا تكلمت « إزيس » العظيمة ، أميرة الآلهة التى تعرف « رع » باسمه الحقيقى .

* * *

ويرى القارىء أن هذه القصة لم تكتب بطريقة شائقة ، وذلك لكثرة مافيها من التفصيلات الخرافية ، حتى إن النقطة التى تدور حولها القصة قد صارت غامضة لكثرة مافى القصة من الصفات التى يتحلى بها «رع» . وقد كان فى مقدور الكاتب أن يكتبها فى سطور قليلة ، ولكنه أراد أن يظهر كل صفات رع ، أو بعبارة أخرى يكتب حسب الطريقة المصرية ويرخى لنفسه العنان فى المترادفات .

وإذا أراد القارىء أن يرى الفرق فى الاقتصاد فى التعبير بين المصرية والعبرية مثلا ، فما عليه إلا أن يقرن قصتنا هذه بقصة تشبهها سطحيا فى التوراة ، وأعنى بذلك قصة موسى والثعبان (كتاب العدد — الإصحاح الحادى والعشرون — الآيات — ٤ — ٩) . فالأولى قد كتبت فى صفحات والثانية فى سطور ، والأولى على الطريقة المصرية والثانية على الطريقة العبرية وكلتاهما طريفة فى بيئتها .

المصادر

أحدث التراجم

(1) Eric Peet. A comparative study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 19 ff.

(2) Mûller Egyptian Mythology P. 80 ff.

---

(١) فى التعاويذ السحرية يترك اسم الشخص الذى يراد رقيته خاليا ويستعاض عنه بكلمة فلان . وعندما يعرف اسم الشخص يكتب بدلا من كلمة فلان ابن فلان .

عن ملك وإلهة

مقدمة :

فى متحف « برلين وڤينا » قطع من ورقة بردى فى حالة سيئة تتحدث عن ملك وإلهة وموظف يدعى « حورمين » . وإنا سنورد هنا القطع التى يمكن ترجمتها . وعلى خيال القارىء أن يستكمل الباقى[١] . غير أنه يمكننا أن نقول إن وجود موظف فى منف يحمل اسم « حورمين » النادر ويمضى الملك معه عشرة أيام وتظهر فى بيته البنت الجميلة يجعلنا نفكر قهرا فى شخص حقيق :

القصة :

المشرف على خدر النساء الملكى فى « منف » « حورمين » الشهير . وهذا الرجل العظيم قد كافأه الملك « سيتى » الأول بالذهب حينما بلغ حياة طويلة وعمرا مديدا مباركا، دون أن يرجع إلى الطفولة ، ومن غير أن يرتكب خطأ ما فى البيت الملكى[٢] . ونجد فى كل المتاحف آثارا من قبره فى سقارة[٣] ، فمن الجائز إذن أن تكون خرافة قد علقت بهذا الرجل كما هو الحال مع القائد « تحوتى » (انظر قصة الاستيلاء على « يافا ») .

وكل أنواع الهدايا قد أحضرت إلى الملك وعند الغروب أتت (؟) على رأس القوم الذين كانوا محملين بالهدايا . . . بيتها ، وقالت لجلالته . . . احضر له القدح . هو . . . على السطح ونادى . . . ضابط الجنود الاحتياطى للجيش . . . احضر لى سلات فيها فضة وذهب ، وفعل . . . وبعد أيام مضت على ذلك . . . نظرتها . وأخذت له . . . هذه ثلاث السنوات فيها ، وقد انبطحوا أمام (الملك) ؟ . . .

. . . « سأفعل ما » يمليه قلبى . . . خمسون إناء من الشهد . . . قمح وجعل جلالته . . . وأمر أن يحضر الحمل أمامه . . تعال (؟) إلى « منف » وحينئذ سيعمل لك . . وبعد أيام عدة مضت على ذلك جاء جلالته « منف » إلى « حورمين » المشرف على خدر النساء وأمضوا عشرة أيام . وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك . . . وحولت نفسها إلى عذراء جميلة . . . وبعد

---

(١) حيث لا يمكننى ترتيب القطع الباقية .

(٢) اللوفر C 213 .

(٣) شواهد قبره فى برلين .

أيام عدة مضت على ذلك . . . لا تخف ؟ اصعد انت . . . وبعد أيام عدة مضت على ذلك ركب جلالته (عربة) ؟ ووصلوا إلى المملكة الشمالية . . . وقال القوم لفرعون ما أنت فاعل (؟) . . . لا يرجع أحد ثانية فإن الإلهة (تذبح) الناس . . . وبعد عدة أيام مضت على ذلك . . . . . .

المصادر :

Erman. The Literature of Ancient Egyptians P. 172 — 173.

قصة عن عشتارت

كانت الآلهة « عشتارت » الفينيقية معروفة عند المصريين فى خلال الأسرة التاسعة عشرة . وفى حكم « رعمسيس » الثانى كان لها معابد خاصة فى عاصمته . ولا بد أنه كان لها معابد غيرها فى المدن الأخرى . على أن حشر إلهة أجنبية يمكن أن يكون السبب فى تأليف هذه القصة التى لسوء الحظ لم يبق منها إلا قطع صغيرة محفوظة . والظاهر أن هذه القصة تخبرنا كيف أحضرت «عشتارت» إلى مصر من بلادها[1] ، ويظهر من القطعة الأولى من البردية أن إلهاً يطلب الجزية بوصفه ملكا ، ويظهر أنه كان هناك قضية خاصة بذلك فى المحكمة . و« رننوت[2] » تخاطب «عشتارت» (؟) . انظرى . إذا أحضرت له جزية فإنه سيكون رحيما بك (؟) وإذا لم تحضرى الجزية فإنه سيأخذنا أسرى ، وعلى ذلك أعطيه جزيته من الفضة والذهب واللازورد . . . خشب وقالت « لتاسوع الآلهة » . . . جزية البحر . ليته يصغى إلينا . . . . وفى قطعة ثانية حيث لا يزال الموضوع خاصا بجزية البحر يمكن الإنسان أن يستخلص . ثم أخذت « رننوت » . . . وقالت : اسمع ما أقول . لا تذهب لآخر واعل إلى « عشتارت » فى بيتها ، وتكلم تحت حجرة نومها وقل لها . إذا استيقظت (؟) . . . ولكن إذا نمت فسأعمل . . ليتك تأتى إليهم . . . انظر ، إن « عشتارت » تسكن فى إقليم على البحر . . . بنت « بتاح » الإلهة الغضبى المرعبة . هل النعلان اللتان فى قدميك . . . هل ملابسك التى تلبسها قد مزقت من ذهابك وإيابك الذى تقوم به فى السماء وعلى الأرض ؟

---

(١) وإذا كان هذا التفسير صحيحا فان القصة لابد قد ألفت على نمط خرافة اللبؤة التى هربت إلى بلاد النوبة ثم أحضرها « تحوت » .

(٢) إلهة الحصاد .

وقال . . . .

. . . . ماذا أصنع ضده ؟ وسمعت « عشتارت » ال . . . . . البحر فذهبت ودخلت فى حضرة « تاسوع الآلهة » حيث كانوا . . . . فرآها (الآلهة) العظام ووقفوا أمامها ونظرها (الآلهة) الصغار وانبطحوا على بطونهم ، وهناك قدم لها عرشها وجلست عليه ، ثم أحضر إليها . . . .

. . . . وذهب رسول « بتاح » قائلا : « قدموا الخضوع « لبتاح » و « لنوت » . و « نوت » . . . . الـ . . . التى كانت حول عنقها ووضعتها فى الميزان . . . .

ويجب أن نوافق كاشف هذه القطع قائلين إن ما حفظ كاف ليجعلنا نأسف على فقد ما ذهب .

المصادر :

أول من كتب عن هذه القطعة هو الأستاذ « برش »

(1) Birch, Zeitschrift für Agyptische sprache 1871 P. 119.

ثم طبعها الأستاذ « نيوبرى »

(2) The Amherst Papyri Pls. XIX — XXI.

وترجمها الأستاذ « ارمن »

(3) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians P. 169 — 170.

قصة عفريت

قد وصلت إلينا ثلاث قطع من نسخ محشوة بالأغلاط ، مسطرة على أربع قطع من الخزف لقصة ، ولكن هذه القطع لا تمكننا تماما من فهم مغزاها . وموضوعها أن شخصا مات منذ زمن طويل ، ثم ظهر ثانية لرئيس كهنة « آمون » وأمره مهددا إياه بترميم قبره الذى قد خرّب ونُسى . وبعد بحث متواصل وجد رئيس الكهنة القبر. والملك « رع حتب » الذى عاش فى زمنه المتوفى هو من ملوك العهد الإقطاعى فى نهاية الدولة الوسطى . أما رئيس الكهنة فلا بد أنه عاش فى عهد الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين ، ويعرف ذلك من مدلول اسمه [ورئيس الكهنة الذى نتكلم عنه بوصفه شابا يحتمل أنه هو الذى يتكلم فى الأول

ويشتكى كما يأتى] : أنا لا أرى نور الشمس ولا أتنفس . . . . الهواء ، والظلام فوق يوميا ولا يأتون[١] . . . .

وقال العفريت له : حينما كنت حيًّا على الأرض كنت رئيس خزائن الملك « رع حتب » وكنت ممثلا للجيش[٢] ، وكنت على رأس الرجال وقريبا من الآلهة[٣] .

وفى ثانى شهور الصيف من السنة الرابعة عشرة ذهبت إلى راحتى ، وتوفيت فى عهد الملك « منتوحتب » (؟) فقدم إلى أربع أوان مأتمية[٤] وتابوتا من المرمر ، وأمر ببناء أهرام لى تليق برجل فى مركزى وجعلنى أذهب إلى راحتى (الأبدية) . . . . انظر . إن الأرض من تحتى (؟) صارت بالية (؟) وتتساقط[٥] (؟) . . . .

أما ما يختص بقولك لى : سأجدد الدفن ، فإنى قد سمعت ذلك من قبل أربع مرات ، ولكن ما الذى يفعلونه له (؟) . . . . هذا لا يتم بكل الألفاظ[٦] . . . .

فقال لى رئيس كهنة « آمون » ملك الآلهة «خنسامحب» : أرجو أن تنطق لى بأمر حسن يقضى بأنه يعمل ذلك لى أو يجعله يعمل لى (؟) وكذلك يعطينى خمسة من الأرقاء الذكور وخمسا من الإماء ، فيكون مجموع ما أُعْطَاهُ عشرة ليصبوا الماء لى ، وكذلك يخصص لى حقيبة من القمح يوميا لتقدم إلىّ ورئيس . . . . يصب الماء لى[٧]

وكان العفريت مغضبا وقال له : لأى غرض ذلك الذى تفعله (؟) أليس الخشب معرضا (؟) للشمس . . . . والحجر الذى أصبح باليا لا يمكث زمنا أطول (؟) إنه يتداعى . . . .

وبعد ذكر إرسال أناس للقبر نقرأ : ثم قال له العفريت : «وعليه كذلك أن يخلد اسم والد والدى واسم والدتى » فقال رئيس الكهنة ! « سأجعله يفعل ذلك لك وسأجعله يبنى مدفنا لك . . . . وسأجعله يعمل لك ما يعمل لرجل فى مركزك » . ومن المحتمل أنه يعده أيضا أنه لن يبرد فى الشتاء . ثم بعد جملة غير مفهومة يقول : ثم إن رئيس الكهنة « خنس

(١) يحتمل أن يكون المرض الذى أنزله به العفريت .
(٢) لقب معروف يحمله ضابط من أكبر الضباط
(٣) أى كنت مشهورا جدا
(٤) الأوانى التى تحفظ فيها الأحشاء عند التحنيط
(٥) كان القبر يغوص فى الأرض ويتداعى .
(٦) إذا كنا قد فهمنا معنى الجملة فان العفريت لابد كان قد جاء الكاهن الأكبر ثلاث مرات وفى كل مرة كان يعده بالوعود الجميلة .
(٧) لابد أنه كان قد عمل معه وثيقة واضحة يمكنه تنفيذها .

احب » قعد وبكى . . . . ولم يأكل ولم يشرب . . . . . « لعل ذلك بسبب أنه لم يجد القبر الذى يجب أن يرممه » .

ولما كان من المحتمل أن المتوفى كان موظفا للملك « رع حتب » جاز أنه قد دفن بجواره

وقد أرسل هناك الـ . . « لأمون رع » ملك الآلهة ثلاثةرجال ... فعبر النيل وتسلق إلى قبر بجانب قبر الملك « رع حتب » ، السامى . . . . . . هذا هو القبر الذى كان يبحث عنه ثم نزلوا إلى شاطىء النهر وعبروا إلى رئيس كهنة « آمون رع » رب الآلهة ووجدوه بينما كان يقوم بتأدية وظيفته فى المعبد .

وقابلهم بكلام يحتمل أن يعبر عن بعض الشك فيما إذا كانوا قد وجدوا المكان المقصود . وعندئذ تكلم ثلاثة الرجال بفم واحد : « لقد وجدنا المكان الطيب » ، ثم قعدوا أمامه وفرحوا وكذلك استولى السرور على قلبه حينما قالوا له : «...... الشمس طلعت من الأفق » ، ونادى هو ممثل بيت « آمون » المسمى « منتوكا » (وكلفه) القيام بعمله

وفى المساء عاد لينام فى المدينة وهو . . . .

المصادر :

هذه القطعة يرجع عهدها للأسرة العشرين ، وقد وجدت مكتوبة على أربع قطع من الخزف : واحدة منها فى متحف اللوفر بباريس ، والثانية فى فينا . أما الاثنتان الأخريان ففى متحف « فلرنسا » بايطاليا . وكتب عنها الأستاذ « جولنيشف » فى مجلة

(1) Recuiel De Travaux Vol. III 3 ff. & ibid XVI P. 31.

ثم كتب عنها ثانية « برجمان »

(2) Bergmann Hierat. dem Texte, Vienna 1886 Pl. IV.

وقد ترجمها الأستاذ « مسبرو » مع بعض التصرف فى كتابه .

(3) Maspero. Papular Stories of Ancient Egypt P. 275 ff.

الشجار بين الجسم والرأس

مقدمة :

هذه قصة قد يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين ، وفيها مناظرة بين أجزاء الجسم ، تدور حول من يفضل منها بقية الأعضاء ، وقد كتبها تلميذ قديم ، ووقع فى أغلاط كثيرة فى كتابتها . وقد لاحظ « مسبرو » أنها شبيهة بخرافة « شجار البطن والأمعاء » . ولا نستطيع معرفة مدى وجه الشبه بينهما لأن القصة لم ترد كاملة .

القصة :

تشاجر البطن والرأس لحلّ . . . . متكلمين بصوت مرتفع أمام الثلاثين . وكان لا بد لهؤلاء من أن يكشفوا عن حقيقة الإهانة التى بكت من أجلها عين الرأس ، وأن يقرر الصدق أمام الإلهَ الذى يمقت الظلم . ولما نطق البطن باتهامه صاح الرأس عاليا قائلا بفمه : أنا ، أنا ذلكم الشعاع الذى فى كل البيت ، والذى يحتمل الأشعة ويخضع الأشعة معا .
وكل عضو يرتكن عليّ سعيد ، فقلبى سعيد . وأعضائى تنمو (؟) ورقبتى مثبتة تحت الرأس ، وعيناى تنظران بعيدا ، وأنفى يتنفس وينشق الهواء ، وأذناى مفتوحتان وتسمعان ، وفمى مفتوح ويعرف كيف يجيب ، وذراعاه[١] تنموان وتعملان .
(ويظهر بعد ذلك أن الموضوع خاص برجل متكبر ، يرى أن الأشراف منحطون ، ولا نعرف بالضبط من يقصد بكلامه) ثم يعود الرأس إلى الكلام .
إنى سيدك ، أنا الرأس الذى يريد إخوته أن يتهموه (؟)
وهذا ما قاله الفم له : « أليس هذا خطأ ؟ دع الرأس يكلمنى . أنىّ ذلك الذى يحفظ حياً . . . . »

المصادر :

أول من كتب عنها الأستاذ « مسبرو »
(1) Maspero Etudes Egyptiennes I, P. 260 ff.
ثم ترجمها الأستاذ « أرمان »
(2) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 173 ff.

(١) وهما تابعتان للفم .

قصة إعماء الصدق ثم الانتقام له

ملخصها :

اتهم الكذب الصدق بتهمة كانت نتيجتها أن حكم على الصدق بالعمى ، ووافق « تاسوع الآلهة » على ذلك الحكم ، ويظهر أن هذه التهمة كانت تنحصر فى أن الكذب أودع عند أخيه الصدق مدية يحتفظ بها أمانة عنده ، ولكنها لسبب ما فقدت أو تلفت ، وأراد الصدق أن يعوض أخاه عنها بأخرى مثلها ، ولكن أخاه الكذب كان يتعلل بعلل مختلفة ، وكان يخلع على مديته أوصافاً تضخم من شأنها ، وتعجز الصدق عن الإتيان بمثلها ، فقال عنها : إن جبال « إيل » سلاحها ، وأشجار « قفط » مقبضها ، وقبر « الإله » قرابها وماشية « كار » رباطها . فعجز الصدق طبعاً عن رد مثل هذه المدية ، فحكم عليه « تاسوع الآلهة » بالعمى كما أراد الكذب . وبعد ذلك رغب الكذب فى أن يقضى على حياة أخيه ، ولكنه نجا من حبائله وأخذ الصدق مكانه تحت سفح جبل ، فرأته خادم وأعجبت بجماله وأشفقت عليه فأخبرت سيدتها بأمره ، وأحضرته إليها فأعجبت به ، واتصل بها اتصال الرجل بامرأته ، فأنجبت طفلا جميلا اقتص لأبيه بعد أن نما وأيفع وأوقع به بمثل المكيدة التى دبرها الكذب لأبيه ، وانتهى الأمر بإعماء الكذب وانتصار الصدق عليه .

دراسة القصة :

لا شك أن القارئ يلمح شبها بين هذه القصة وقصة الأخوين فى الهدف الذى ترمى إليه كل منهما ، وترجع كلتاهما إلى عهد الرعامسة . وأسلوب القصة بسيط ، وتعبيراتها متشابهة مملة ، وهى فقيرة فى ثروتها اللغوية ؛ وتلك سمة عرفت عن هذا العصر المتأخر . كما تمتاز بأن أسماء أبطالها ليست من أسماء البشر ، بل من الآلهة أو غيرهم ، وفيها شىء من خوارق العادات فيما يتصل بالسكين والثور . ولقد أبانت لنا بعض عادات المصريين القدماء فى عهد الرعامسة ، كاستخدام عمى الرجال فى حراسة الأبواب وإيداع الثور عند راع مقابل أجر ضئيل ، كما وضعت لنا صورة حية تمثل حياة الفلاح المصرى فى ذلك العصر والحياة المدرسية التى تشبه حياة المدارس فى عصرنا الحالى . ومما استرعى اهتمامنا أسماء بطلى القصة « الصدق » و « الكذب » اللذين خلعا على الأخوين المتخاصمين ، ولم يكن ذلك منتظراً ،

لأن كلمة « صدق » أو « عدالة » فى اللغة المصرية القديمة من الأسماء[١] المؤنثة . على أن إطلاق الأسماء المعنوية على الصور الحسية من الأمور الشائعة من قديم الزمان ، فعندك الإلهة « ماعت » التى تدل على « الصدق » ، « العدالة » ، « الحق » وهذا أقدم مثال للكناية ، وقد استعمله « جون[٢] بنيان » فى كتابه المشهور Pilgrim's Progress

ومغزى القصة فى إظهار الفوارق الأخلاقية بين الصدق والكذب .

وإذا دققنا البحث فى موضوعها لحنا فى ثناياه صورة أخرى لخرافة «حور» و«ست» : فالأخ الأكبر هو الذى يتحلى بالفضيلة ، وهو الذى يتآمر على قتله أخوه الصغير الشرير (كما نرى فى « أوزير وست » . والابن الذى جاء ينتقم لأبيه فى قصتنا يعادل « حور » بن « أوزير »[٣] فى تلك ، والخلاف فى مسلك الأم فيهما .

ومما يثبت لنا أن هذه الخرافة صدى مشوه لأسطورة «أوزير» تلك المحكمة التى انعقدت من « التاسوع الإلهى »[٤] ونظرت فى شكاية كل من الصدق والكذب حينما رفع كلاهما الأمر إليها .

ومن التفاصيل الساذجة فيها استعمال القسم التقليدى الذى كان يستعمل دائماً من بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين ، وهو القسم « بحياة أمون وبحياة الأمير » . وهذا مما يقفنا على تاريخ هذه الورقة على وجه التقريب .

المصادر :

(1) A. H. Gardiner, Late Egyptian Stories, Brussels 1932 P. 30 — 6.

(2) Erman. Forschungen und Forschnitte eighth year no. 4 (Feb., 1932) P. 43 — 4.

(3) Gardiner, Hieratic Papyri in the British Museum Vol. I Text P. 2 ff.

---

(١) ظن بعض علماء اللغة أن الاسم هنا منسوب إلى الصدق (صدق) وبذلك خرج عن كونه مؤنثا ، ولكن الصورة التى ورد بها فى نسختنا ليست صورة الاسم المنسوب .

(٢) فى كتاب « بنيان » سميت أشخاص روايته بأسماء رمزية مثل الحقد ، والأمين ، واليأس ، والجبار ، والعنيد . . . الخ

(٣) لاحظ الأستاذ دى بك العالم الهولندى فى الخطاب الهجائى (ورقة انستاسى الأولى) أن « حور » قد سمى نفسه « حور بن ونفريس » ، وفى فقرة أخرى قال : « إنى أنا ابن الصدق » مما يتفق مع تسمية أوزير بالصدق هنا .

(٤) أى مجموعة الآلهة التسعة . .

متن القصة :

[ومن ثم يقول النص]

وعندئذ قال « الكذب » للتاسوع : دعوا « الصدق » [يحضر] ثم تعمى عيناه الاثنتان ، ثم اجعلوه حارس باب منزلى . ولقد فعل التاسوع وفق كل ماقاله .

وبعد أن انقضت عدة أيام على ذلك رفع « الكذب » عينه ليشاهد فرأى فضيلة « الصدق » ، أخاه الأكبر .

وعندئذ قال « الكذب » لعبدين من عبيد « الصدق » : خذا سيدكما واقذفا به إلى أسد شرير معه عدة لبؤات رفيقات له ، ودعاها [تلتهمه] .

[وعندئذ أخذه العبدان] . وبينما هما يصعدان معه إذ قال « الصدق » لخادميه : لا تأخذانى لأجل أن تضعا آخر . . .

هنا نجد أن الجزء الأكبر من الصفحة الثانية قد ضاع ، وقد تركت لنا بعض جمل ، غير أنه من الصعب أن يفهم الإنسان منها معنى متصلا . ومن المحتمل أن ثلاثة الأسطر والنصف الأولى تقص كيف أن الخادمين قبلا رجاء « الصدق » وكيف أنهما تفاديا الأسئلة التى وجهها إليهما « الكذب » عند عودتهما . والفقرة التالية كذلك تضع أمامنا مسائل معقدة ، غير أنه يظهر أنها تخبرنا كيف أن خادمة للسيدة التى أصبحت فيما بعد والدة ابن « الصدق » (وقد فقد اسمها فى كل مكان من الفقرة) — قد وجدت « الصدق» ، راقدا تحت سفح تل ، وقد تعجبت من جماله فذهبت لتخبر سيدتها بالأمر ، وها هى ذى العبارة بنصها :

وبعد مضى عدة أيام على هذه الأشياء خرجت السيدة . . . من بيتها . . . . وشاهدته نائما تحت سفح التل ، وقد رأت جماله ولم يكن له مثيل فى الأرض قاطبة . وقد ذهبوا (؟) إلى المكان الذى فيه ال . . . . وكانت السيدة [تقول] . تعال معنا وانظر . . . . نائما تحت سفح التل ودعهم يأخذوه ويجعلوه حارس باب بيتنا .

[وعندئذ] قالت السيدة لها (أى للخادمة) : اذهبى وأحضريه حتى أراه . فذهبت وأحضرته ، ولما رأته السيدة رغبت فيه كثيرا ، لأنها رأت جمال جسمه (؟) ، ونام معها فى الليل وعرفها معرفة الذكر لأنثاه ، فحملت منه على أثر ذلك فى هذه الليلة فى طفل صغير .

وبعد مضى عدة أيام على هذه الأشياء وضعت غلاما ، ولم يكن له مثيل فى الأرض قاطبة ، وقد كان أكبر من . . . . وقد كان يشبه الإله الفتى ، وقد وضعوه فى المدرسة وتعلم الكتابة بتفوق كما تعلم كل فنون الحرب ، وتفوق على أقرانه ممن هم أكبر منه سنا فى المدرسة .

وعندئذ قال له زملاؤه : ابن من أنت ؟ إنك بدون أب . ثم سبوه وضايقوه قائلين : حقاً إنك بدون أب .

وعندئذ قال الولد لأمه : ما اسم والدى حتى يمكننى أن أقوله لزملائى لأنهم يضايقوننى كثيراً بقولهم : أين والدك ، وهكذا يقولون لى ويؤلموننى .

عندئذ قالت والدته له : هل ترى ذلك الأعمى الذى يجلس بجوار الباب ؟ هذا هو والدك . وهكذا قالت له .

عندئذ قال لها : كان خيراً لك أن تجمعى أقاربك حتى يطلبوا تمساحا ليحاسبك (ليلتهمك) . ثم أخذ الولد والده وأجلسه على كرسى ووضع مسنداً تحت قدميه ووضع أمامه خبزاً ، وجعله يأكل ويشرب .

وعندئذ قال الولد لأبيه : من أعماك حتى أنتقم لك ؟ فقال له : إن أخى الصغير أعمانى . ثم أخبره بكل ماحدث له .

فذهب الولد لينتقم لأبيه ثم أخذ عشرة أرغفة وعصا ، وحذاء ، وقربة ماء ، وسيفا ، ثم أحضر ثورا جميل المنظر وذهب إلى المكان الذى فيه راعى « الكذب » وقال له : خذ هذه الأرغفة العشرة وهذه العصا وتلك القربة وهذا السيف وهذا الحذاء وارعَ هذا الثور لى حتى أعود من المدينة .

وبعد مضى عدة أيام على هذه الأشياء كان ثوره قد أمضى عدة شهور مع قطيع ثيران « الكذب » .

وعندئذ ذهب « الكذب » إلى الريف ليرى ماشيته فرأى ثور الولد هذا ، وقد كان جميلا جمالا فائقا .

وعندئذ قال لراعيه : أعطنى هذا الثور لآكله . فقال له الراعى : إنه ليس ملكى . . . . وليس فى مقدورى أن أعطيك إياه .

وعندئذ قال له « الكذب » : انظر . إن ماشيتى كلها معك . أعطِ واحدة منها صاحبه .

وعندئذ سمع الولد أن « الكذب » قد أخذ ثوره ، فحضر إلى المكان الذى فيه راعى « الكذب » وقال له : أين ثورى ؟ إنى لا أراه بين الماشية .

عندئذ قال له الراعى : إن الماشية كلها هنا أمامك . خذ منها مايحلو لك .

عندئذ قال الولد له : هل هناك ثور كبير مثل ثورى ؟ فإنه إذا وقف فى « بالامون »[1] ، فإن شعر ذيله يرتكز على سيقان[2] البردى (فى نهاية الدلتا) ، وقرنه على جبل الغرب ، وقرنه الآخر على جبل الشرق ، والنهر العظيم يكون موضع راحته ؛ ويولد له ستون عجلا كل يوم .

عندئذ قال له الراعى : هل هناك ثور بالحجم الذى قلته ؟ فأمسك به الولد وذهب به إلى المكان الذى فيه « الكذب » ثم أخذ « الكذب » إلى المحكمة فى حضرة التاسوع .

عندئذ قالوا للولد : إنك على خطأ . إننا لم نر قط ثورا بالحجم الذى ذكرته .

عندئذ قال الولد للتاسوع : وهل هناك سكينة بالحجم الذى ذكرتموه ، سلاحها جبل « إيل » ، ومقبضها أشجار « قفط » ، وقرابها قبر « الإله » ، ورباطها ماشية « كار » ؟

وعندئذ قال للتاسوع : احكموا بين « الصدق » و« الكذب » لأنى أنا ابن « الصدق » وسأنتقم له .

وعندئذ حلف « الكذب » يمينا بالملك قائلا : بحياة « آمون » وبحياة الأمير إنه إذا وجد الصدق حياً فلتعم عيناى الاثنتان ولأصبح حارس بيت « الصدق » .

عندئذ حلف الولد يمينا بالملك قائلا : بحياة « آمون » وبحياة الأمير إنه إذا وجد حياً فانهم سيعاقبون الكذب ..... وسيضربونه مائة جلدة ، وسيجرحونه خمسة جروح بالغة[3] ، وسيعمون عينيه الاثنتين ، وسيجعلونه حارس باب « الصدق » .

ثم إنه ...... وبذلك انتقم الولد لأبيه ليحسم النزاع القائم بين « الصدق » و« الكذب » .... ال .... لقد أتت النهاية [طيبة]

---

(١) بلدة تسمى البلمون وتقع فى أقصى وسط شمال الدلتا .

(٢) اسم عام لمستنقعات شمال الدلتا .

(٣) هذا العقاب بنفسه هو ما نراه يوقع فى محاكم عصر الرعامسة كما تخبرنا بذلك الوثائق Stela of Nauri Journ. of Egyptian archeology XIII. 193.

قصة المخاصمة بين حور وست

ملخص القصة[1] :

اشتد النزاع بين الأخوين « أوزير » و « ست » على عرش مصر ، فاغتال « ست » « أوزير » ، ولكن الحياة دبت ثانية فى جسمه ، بفضل أخته « إزيس » فترك دنيا الغدر وما فيها ، وهبط يحكم فى العالم السفلى بعد أن نزل عن عرش مصر لابنه « حور » . ولقد كان من الطبيعى أن يبدأ النزاع من جديد بين « ست » و « حور » على العرش مرة ثانية ، فتشاحنا وتخاصما إلى محكمة الآلهة التى كان يرأسها الإله « رع » ، وكان « حور » يعتز فى عراكه بعدالة قضيته ، وبإرثه الشرعى ، وبمساعدة « إزيس » . وكان « ست » يعتد بقوته وجبروته ، ومعاضدة الإله « رع » له . ومن ثم كانت الأحكام الأولية فى هذه القضية فى جانبه خشية بأسه ، وفراراً من أذاه ؛ حتى إذا ضاقت الحلقة ، وتضافرت الأدلة كلها ضده ، بعد تهديد « أوزير » « لرع » ومجلسه ، ولم يجد القضاة من الآلهة فرجة ينفذون منها إلى مناصرته ، أصدروا حكمهم فى جانب الحق ، فآل ملك مصر إلى وارثه الشرعى « حور » .

دراسة القصة :

١ — مقدمة :

فى عام ١٩٢٨ اشترى المستر « شستر بيتى » مجموعة من الأوراق البردية ، عثر عليها فى « دير المدينة » الواقع فى الجهة الغربية من النيل بالأقصر ، ويرجع تاريخها إلى الأسرة العشرين والحادية والعشرين ، أى فى عهد الرعامسة . وتعد من أكبر ذخائر الأدب المصرى القديم التى عثر عليها حتى الآن . والمرجح أن بعضاً من هذه الأوراق لا يزال مخبأ عند بعض تجار العاديات بالأقصر . ولقد أهدى المستر « شستر بيتى » ما اشتراه من هذه الأوراق إلى المتحف البريطانى ، وقام بترجمتها ونشرها فى كتاب خاص الأستاذ « جاردنر » ، فرأينا من بينها وثيقة لها أهميتها الأدبية لما بدا لنا فيها من تجديد فى عالم الأدب المصرى القديم ؛ ولذلك رأينا أن نعطيها مزيداً من عنايتنا ، وأن نتناول عناصرها بشىء من الإطناب والتفسير .

٢ — فقر الأدب المصرى فى الأساطير الدينية :

إن كل مشتغل باللغة المصرية القديمة يدرك أن القصص الخرافية التى ينحصر أبطالها

(١) الجزء الأول من الملخص مفهوم من القصة وإن لم يذكر فيها .

فى محيط الآلهة وحدهم قليلة أو نادرة ؛ فهذه متون الدولة القديمة والوسطى خالية من هذا النوع خلوًّا يثير دهشتنا ، على حين أن كل إلهٍ مهما كان مغموراً نرى لاسمه ذكراً فى متون الأهرام ، أو فى متون الدولة الوسطى التى كتبت على توابيت علية القوم بالمداد . وقد كان معروفاً ما علق بكل إلهٍ من الخرافات ، وما أذيع عنــه من المعجزات فـكان فى تسطير اسمه ما يكفى لتذكير القوم بقصصه ووقائعه من غير حاجة إلى تطويل ، أو مزيد تفصيل وإيضاح . ولم يكن يخلو الأمر بين آونة وأخرى من ظهور ومضة تجلو بعض ما غمض من هذه الدنيا المليئة بالإبهام والإلغاز .

وكان أول ما وصل إلينا من قصص الآلهة ما وجدناه فى كتب السحر وكتب الطب التى تحمل فى تضاعيفها تعويذات سحرية ، ومن تلك : قصة شفاء « رع » على يد « إزيس » ، وقصة إطفاء « إزيس » النار التى انغمس فيها ابنهــا « حور » (وقد وجدناها على لوحة « ماترنخ » الشهيرة) ، وقصة هلاك الإنسانية ، التى يحتمل أنها مقال عن أصل نشوء العالم والطوفان (وقد أوردناها فى هذا الـكتاب) ، وقصة غزوات « حور » (وقد وجدناها منقوشة على جدران معبد « إدفو ») ، وقصة أعمال « شو » بن « رع » الحربيــة العظيمة (وقد عثر على بعضها منقوشاً على مقصورة فى وادى العريش) .

والقصتان الأخيرتان وصلتا إلينا من نقوش عهد البطالسة أيام كانت الخرافات أحاديث السمار فى المجالس ، ينسبونها إلى عهدها القديم ، ويتفكهون بهــا ، ويتندرون بوقائعها . أما قصة مأساة «أوزير» — ولها علاقة وثيقة بقصتنا — فقد كان مصدرها الذى يشفى الغلة ما ورد عنها فى كتابة « ديدور » الصقلى و « بلوتارخ » من مشهورى كتاب اليونان ، لولا ما دس فيها من العناصر الدخيلة التى شوهتها ، وإذاً فليس لنا مرجع لهذه القصة إلا نتف يسيرة مبعثرة فى المتون المصرية ، وبخاصة الدينية منها والسحرية ، تبدو كالشعرات البيض فى الفرس الأشهب ، وهى مع ذلك لا تخلو من تناقض واضطراب .

وقد عزا بعضهم إحجام «هيرودوت» عن وصف مأساة «أوزير» إلى أنه شمله رداء من الرهبة التى ألبسها المصريون أمام آلهتهم ، وأنه انساق فى موجة الورع الدينى التى جرفت المصريين ، فلم يشأ أن يخرج عن هذه الحال بذكر وقائع عن الآلهة قد تمس النعرة الدينية عند المصريين . وهذه الحجة مردودة بما قاله « إيامبلخوس » Iamblichus [1] : « إن

---

(١) De Mysteriis, 6, 7; see Hopfner, Fontes historiae religionis Aègyptiacae, P. 501; and Porphyry, 1 oc. cit., P. 472.

المصريين وحدهم من بين أمم العالم كانوا معتادين تهديد آلهتهم »(١) . ولدينا فى « متون الأهرام » وغيرها من النقوش المصرية ما يعزز هذا الرأى ، وما يثبت أن المصريين لم يكن عندهم من سمو الشعور وعلو الوجدان نحو آلهتهم ما يخلق مثل هذا الجو الذى يخشاه « هردوت » فيمتنع عن ذكر قصة أبطالها من الآلهة .

والذى نميل إليه أن العامل الحقيقى فى فقر الأدب المصرى من الأساطير الخرافية الدينية أو الإلـهيات يرجع إلى سببين :

أولاً : أن هذا النوع من القصص الأدبيـة كان مألوفاً منتشراً بدرجة عظيمة بين طبقات الأمة فى كل مراحل النمو الإنسانى من الطفولة والصبا والفتوة والرجولة والكهولة والشيخوخة ، بحيث أصبحت لا تحتاج إلى تدوين لأنها على كل لسان وفى كل قلب .

ثانياً : أنه كان فى نفوس القوم ميل غريزى إلى حب الكتمان ، فيحسون أن الألفاظ تكون أدل على الهيبة ، وأكسب للاحترام إذا كانت رمزاً أو إشارة أو كان مدلولها غامضاً .

ومهما يكن من الأسـباب التى دعت إلى هذا الفقر فى هذا النوع من الأدب ، فإن العثور على هذه القصة بهذا التفصيل كان كسباً للأدب المصرى ، ولوناً جديداً منه بدا لعلماء الآثار . وقد تكون هناك أساطير إلـهية أخرى خاصة كهذه بالآلهة وحدهم ، وليس للإنسان دور ولو صغير فى مسرحيتهم ، مخبأة فى جوف الأرض ولم يرفع عنها الغطاء بعد .

ومما يضفى على قصتنا أهمية خاصة غير التى كسبتها من موضوعها وأبطالها وممثليها أنها صورت لنا حيـاة البلاط الفرعونى وسياسته فى عصر خاص من عصور التاريخ المصرى كما سنورده بعد .

قصتنا ملحمة أدبية :

يقسم الفرنج الآن الشعر عادة إلى شعر غنائى وهو الذى يعبر به الشاعر عما يضطرب فى قلبه من عواطف ، وشعر تمثيلى وهو الذى يصور حادثة ويتصور لها أشخاصا ينطق كلا منهم بمـا يتفق وشخصيته وموقفه ، وشعر الملاحم أو الشـعر القصصى وهو الذى يقال فى الوقائع الحربية والمناقب القومية فى شكل قصة طويلة « كالياذة هوميروس » و « شاهنامة الفردوسى » . ولـكن الشعر عند قدماء المصريين فى بادىء الأمر غير ذاك ، فهناك المتون السحرية

(١) H. Grapow, Bedrohungen der Götter in Zeitschrift für Agypt. Sprache, 49, 48; Also A. H. Gardiner, art. Magic (Egyptian) in Hastings, Encycl. of Religion and Ethics, Vol. VIII, p. 265.

التى تتضمن تعويذات لما أثرها النافذ فى نفوس القوم ، وتأثيرها القوى على عقولهم ، لما يظن من قدرتها على الإتيان بالمعجزات وخوارق الأمور ؛ وأحسن مثال لها ما جاء فى « متون الأهرام » والنقوش المكتوبة بالمداد على توابيت الدولة الوسطى وغيرها من المتون التى ظهرت بعد هذا العهد . وهناك الأناشيد الدينية التى تصف الإله وأحواله وحياته ومغامراته ومعجزاته ، ومثال هذا النوع « أنشودة الإله أوزير » التى كتبت على لوحة نراها الآن فى متحف باريس[١] ، وجاء فيها كيف حكم « أوزير » على الأرض ، وما أحاطته به « إزيس » من العناية ، وكيف ردت إليه الحياة بعد أن اغتاله أخوه « ست » ، ومن هذا النوع أيضا أنشودة الإله « آمون » العظيم ، وهناك المتون السحرية المختلطة بالخرافات ، ومثالها ما جاء فى لوحة « ماترنيخ »[٢] التى نرى فيها الخرافة والتعويذات السحرية مختلطين ، ومن هذا النوع أيضا قصة شفاء « رع » على يد « إزيس » وقصة هلاك الإنسانية ؛ وهناك الدراما ، وتختلف عما سبق بأنها وحدة متصلة ترمى إلى هدف معين وتدخل فيها الخرافة ، غير أنها تمتزج معها وتفنى فيها فتبدوان شيئا واحدا ، وهى إما أن تمثل موضوعا حقيقيا له أصل تاريخى وإما أن تمثل موضوعا خرافيا يتصل بالآلهة ، وكلا النوعين يظهر للرائى فى ثوب الحقيقة الواقعة . وبدأ هذا النوع أول ما بدأ بسيطا فكان الإنسان يمثل حادثة خرافية فى صورة حقيقية واقعة يتخيلها هو ويجعلها ملموسة أمام النظارة ، ويكون هذا عادة فى المآسى الدينية وغيرها كتمثيل مأساة المسيح عليه السلام أو مأساة أوزير ، وقد تدل الدراما على حادثة سياسية إلى جانب ناحيتها الدينية وتمثل أمام القوم فى ثوب خرافة . ومثال ذلك « الدراما المنفية » التى يقال إنها ألفت فى فجر اتحاد مصر ، فهى تمثل من جهة الاحتفال بتأسيس مدينه « منف » التى شيدها « مينا » ، ومن جهة أخرى لها مغزى دينى خاص بها[٣] ، ولدينا نوع آخر من الدراما يمثل حوادث واقعة استعير لتمثيلها خرافة دينية رمزية ، ومثاله الدراما التى عثر عليها فى « الرمسيوم » ، وهى تمثل موت ملك فى أوائل الأسرة الثانية عشرة (أمنمحات الأول) ، وتتويج ملك آخر (سنوسرت الأول) ، فقد استعير لتمثيلها مأساة موت « أوزير » ثم تتويج ابنه على عرش البلاد من بعده والانتقام لوالده ، وقد مثلت كلها برموز

---

(١) "Hymne d'Osiris", stele Bib. Nat. 20, Roeder, Urkunden zur Religion, P. 22-26

(٢) Müller, "Egyptian Mythology", P.P. 210, 211.

(٣) وهو تمثيل قتل « أوزير » على يد « ست » ثم إحيائه على يد « إزيس » . ثم جعل « حور » يحكم البلاد جملة بعد أن كان الإله « جب » أعطى « ست » الوجه القبلى و « حور » الوجه البحرى وبذلك توحدت البلاد ، وهذا مغزى العيد الذى أقيم فى « منف » التى أصبحت عاصمة البلاد وقد أسسها « مينا » لهذا الغرض

كانت تذكر أولاً ثم تتبع بتفسيرها . ومما تقدم نرى أن الخرافة قد ارتبطت بالحقيقة والحقيقة قد ارتبطت بالخرافة فى قصص المآسى ، فقد تجد أن الخرافة تمثل الحقيقة ، كما تجد أن الحقيقة قد تصور الخرافة وتعبر عنها ، فإذا ما انتهى هذا الارتباط إلى اتحاد تام واندماج كلى لا انفصام لعراه فتبدو الحوادث الخرافية مثلا مصورة فى حوادث زمنية حقيقية ، كان ذلك نوعا ممتازا من القصص نسمح لأنفسنا أن نطلق عليه اسم «الملاحم» أو «الإبييك» ، فالملاحم كما عرفها الكاتب العظيم « جوليس » Jolles هى أن يأخذ الإنسان حادثة من الماضى[1] ثم يلبسها صورة تجعلها تعيش فى الحاضر ، وينطبق هذا التعريف أيضا على « إلياذة هومر » لأنها قصص شعرى عن عصور ما قبل التاريخ وضعه « هومر » فى صورة حية ناطقة تعيش فى زمننا وستبقى حية ما بقى الشعر القصصى . وليس من الضرورى أن تقتصر حوادث القصة على عصور ما قبل التاريخ ، بل قد تضم معها حوادث عصر تاريخى معين وتتألف من مجموعهما قصة واحدة متسقة .

على أن المصريين من ناحيتهم كانوا ينظرون إلى الحوادث الخرافية كأنها حقائق ثابتة واقعة ، لاعتقادهم بأن الوقت الذى سبق ظهور الإنسان كان عصرا حكمت فيه الآلهة وعاشت فيه بمفردها فى دنياها ، فلا فرق عندهم من هذه الناحية بين الحقائق التاريخية والخرافات الإلهية ؛ فتعد من الملاحم أمثال هذه القصص التى امتزجت فيها الخرافة والحقيقة وانصهرتا معا وصبتا فى قالب واحد فنيت فيه شخصية كل من المزيجين فظهرا فى صورة واحدة لا يتميز فيها أحدهما . ومن هذا النوع قصة المخاصمة بين « حور » و « ست » ، إذ بينما نجد الحوادث فيها تجرى على يد الآلهة وحدهم نرى ظل هذه الحوادث نفسها ينطبق على حادث تاريخى معين وقع فى مصر فى وقت معين ، فإذا أبدلنا بالإله « رع » ومن مثل معه من الآلهة فى هذه القصة ملكا جاء فى بداية الأسرة الثانية عشرة ومعه حكام الإقطاع ، رأينا أن هذه الرواية التى مثل الملك وحكام الإقطاع فصولها تنطبق تمام الانطباق على أختها التى كان « رع » وأتباعه من الآلهة أبطالها ونجومها .

ومن الجائز أن تأخذ الملحمة صورة جديدة عما يضاف إليها ويلحق بها من حوادث تنشأ بعد عصرها وتتكون من الجميع وحدة متماسكة الأجزاء فى صورة ملحمة ، وإن كانت فى الواقع تتكون من عناصر مختلفة ، أولها حادث معين من عصور ما قبل التاريخ أضيف إليه

---

(١) راجع Spiegel, Die Erzahlung Vom striete des Horus und seth P. 47.

ثانيا حادث تاريخي يصف واقعة بذاتها ، ولحقت به ثالثا حوادث أخرى تناسبه جاءت في عصر غير عصره ؛ ومثال ذلك خرافة «حور» التي وجدت على جدران معبد « إدفو »[١] ، فنرى فيها أولا حوادث ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ ، ونرى فيها ثانيا حادثة طرد الهكسوس من مصر ، فيمثل « حور » المصريين ويمثل « ست » الهكسوس ويطارد « حور » « ست » حتى يقذف به إلى الحدود الشرقية للدلتا ويطرده من بلاده . ثم نرى فيها ثالثا إشارة إلى غزو « الأشوريين » لمصر ، و « الأثيوبيين » و « الفرس » ، وإلى روح العداء التي ظهرت ضد الفرس في البلاد . كل ذلك تجمع في ملحمة « حور » التي كانت في أول أمرها كما قال الأستاذ « يونكر »[٢] عنها : إنها نضال بين الشمس والظلام .

موقف « أوزير » في القصة :

كنا ننتظر من هذه القصة أن تعرض علينا في إسهاب أمر العداوة والنزاع بين «أوزير» و« ست » واغتيال ثانيهما لأولها ، وعودة الحياة إلى «أوزير» بفضل أخته « إزيس » التي جمت أشلاءه من مظانها ، ونزول « أوزير » إلى العالم السفلي حاكما فيه بعد أن نزل لابنه عن عرش مصر . ولكن القصة أغفلت كل ذلك وجاء استهلالها مطالبة « حور » بعرش والده الذي كان ينازعه فيه «ست» عمه . ومما يسترعي النظر أننا نجد في صلب القصة «ست» يدعي مرة أنه الأخ الأكبر للإله «حور» وأخرى يظهر في ثوب العم . وقد اختفى «أوزير» في طول مراحل القصة وتناوب أهم الأدوار فيها « رع » و« إزيس » ولم يظهر « أوزير » إلا في نهاية المطاف عندما كتب إليه « رع » سائلا أن يمده برأيه القاطع في هذا النزاع المحتدم بين ابنه وأخيه ، فيجيب « أوزير » بصفته حاكما للعالم السفلي بأن يعطي ابنه العرش ، معددا للإله « رع » الذي كان ظهيرا « لست » في كل أدوار النزاع فضله على العالم الذي خلق له القمح غذاء . ولكن « رع » لكون هواه في جانب « ست » يسخر منه في الرد عليه ، وعندئذ يبدي له « أوزير » ناجذيه مهددا « رع » وحاشيته بأشد أنواع العقاب ، وأنه سيصليهم نار جهنم خالدين فيها أبداً لأنه حاكم العالم السفلي ، والمسيطر على كل قواه ، وسيحشر الناس إليه أجمعون . وإذا تكلمت الأسياف أنصتت العقول والقلوب ، فهذا

---

(١) راجع Kees. Kultlegende und Urgeschichte, Nachr. d. ges. d. Wiss d. z. Gottingen, phil hist. Klasse 1930. s. 345 — 362.

(٢) راجع Jnnker : Onurislegende P. 20, 38, 118.

« رع » وأتباعه يصدعون لرأى « أوزير » ويحكمون بما قال .

وفى اعتقادى أن هذه الخاتمة دعاية للإلـه « أوزير » وديانته ضد الإلـه « رع » وديانته التى بلغت أوجها فى عهد الرعامسة .

موقف الإله « رع » :

لقد كان موضوع النزاع أمرا مفهوما ، لا يختلف اثنان فى أن الحق والعـدل يقضى « لحور » على « ست » ، فيمتع بميراثه الشرعى ، ويجلس على عرش أبيه . ولـكن « رع » ذلك الإلـه العظيم كان فى جانب « ست » دائما ولم يكن يحد من غربه أحيانا إلا ذلك المجلس الذى كان يعاونه على نصرة العدالة وهو مجلس الآلهة ، فكان هوى هؤلاء المستشارين فى جانب الحق غالبا مما غاظ « رع » ، وكان أقوامهم وأصلبهم فى نصرة الحق ومعارضة « رع » فى موقفه الإلـه « تحوت » مع أنه معتبر فى الأساطير الدينية وزيره . ولا يمكننا أن نفسر موقف « رع » فى هـذا النزاع إلا أنه موقف سياسى أملته عليه الضرورة . وإذا تدخلت السياسة فى أمر أفسدته ، أو فى قضية محت الحق والعدالة والقانون ، وحكمت للقوة والسلطان ، وليس من علاج لمثل هذه الحال إلا المـكر والخداع ، وهذا ما كان فى هذه القصة ، إذ أن « إزيس » والدة « حور » عندما رأت العرش يوشك أن يفلت من يد ابنها أخذت تستعمل حيلة المرأة ودهاءها وخداعها باذلة ما تستطيع برًّا بابنها وحدبا عليه .

وإن « رع » الذى كان يحكم العالم ويحمل كل الألقاب الملـكية الفرعونية كان بين أمرين أحلاهما مُرٌّ ، فإما أن يجعل « ست » يفوز بالملك لأنه أثير عنده أو اتقاءً لشره ، وهذا ظلم سيلتصق باسمه ، فهو يخافه كما يخاف معارضة مجلس الآلهة الذى كان ينظر معه فى أمر هذا الخصام ، وإما أن يجعـل الأمر « لحور » وهذا لا يطاوعه عليه هواه ، وقد يتعرض بسببه لغضب « ست » البطاش الجبار ، فكان لذلك دائم التردد لا يحسم النزاع ولا يتخذ فيه رأياً قاطعاً ، فيعقد مجلس الآلهة ثم يفضه بعد مناقشة قصيرة لا تصل إلى حد الحـكم الفاصل . وإذا قضى المجلس « لحور » رفض « ست » ما قرره وبدأ المناقشة من جديد كما حدث فى أول جلسة ، ومع كل هذه التيارات النفسية فإنه كان يضطر فى بعض الأحيان إلى تجاهلها إذا كانت الحجج دامغة تأخذ بتلابيبه ، ولا يستطيع أن يجد فيها منفذاً لتحقيق رغبته ، كما حدث عندما احتالت « إزيس » على « ست » وجعلته يحكم على نفسه من غير أن يدرى حقيقة مراميها ، فلم يجد الإلـه « رع » حينئذ بداً من أن يقول له : « لقد حكمت على نفسك بنفسك ، ولا مفر من أن

يسلّم التاج لصاحبه» . ولكن «ست» لم يقتنع ، وطلب مبارزة « حور » ليهرب من حكم « رع » واضطرت السياسة « رع » أن يخضع لطلب « ست » مرة أخرى ؛ ومع موقف «رع» هذا الذى وقفه فى هذه المخاصمة كانت مكانته محفوظة ، وكان احترامه مفروضاً ، حتى إن الإلٰـه « بابى» عندما تطاول عليه أمام التاسوع وقال له : «إن محرابك خلو من المتعبدين» ، ويكنى بذلك عن ضعف شوكته ، وأنه لا أنصار له ولا أتباع . لم يطق التاسوع أن يسمع هذا القذف وطرد الإلٰـه « بابى » من المجلس عقاباً له وترضية للإلٰـه « رع » . وتصف المتون المصرية « رع » بأنه الإله الأعلى لا ينازعه فى سلطانه منازع ، وأن قوله القول الفصل ، وأنه المنتصر على كل عدو ، ولا تقف أمامه أى عقبة . ومن أجل ذلك نعتقد أن الدور الذى لعبه فى قصة المخاصمة بين «حور» و «ست» إن هو إلا دور رمزى ، أو بعبارة أوضح أن « رع » هنا فى هذه القصة كان يمثل شخصية تاريخية ، وأن القصة نفسها صدى لحادثة تاريخية بعينها ، ولا غرابة فى هذا فإن الدور الذى مثله « رع » وأعانه عليه من حوله من الآلهة يحكى قصة رمزية لبلاط ملكى على رأسه ملك توجهه حاشيته ومجلس إدارة بلاده حسبما يريدون .

موقف ازيس :

قلنا فيما سبق إن هذه القصة اختلطت فيها الحقيقة بالخرافة ، وكان من هذا المزيج وحدة متماسكة الأطراف ، وإنها تعتمد على أصل تاريخى . ومن هنا نستعرض فيها حوادث خرافية ممتعة تعطيها حلاوة وقوة ، فتبرز فيها النواحى الإنسانية سائرة فى إخاء تام مع خوارق الأعمال التى تأتيها الآلهة فتساعد على الوصول إلى الهدف المقصود . وقد قام بتمثيل الدور الخرافى فى معظم نواحى القصة الإلٰـهة « إزيس » ، وبذلك لم تحرم قصتنا أن تقوم المرأة بدور ممتع فيها ، يمثل القدرة والمهارة والمكر والخداع وإحكام الأحابيل ، حتى وصلت بهذه العدة إلى ما لم يصل إليه مجلس الآلهة والقانون والشرع . ومبدأ ظهورها فى هذا الدور العظيم حينما خاف بأسها « ست » وأحجم عن الاشتراك فى مجلس الآلهة لأنها عضو فيه وتحضر اجتماعاته ، وقد انصاع المجلس لأمره ، وانتقل إلى «جزيرة الوسط» ليستأنف النظر فى موضوع (وظيفة الملك) وحظر على النوتى «عنتى» أن يعبر بها إلى تلك الجزيرة التى اختاروها مكاناً لاجتماعاتهم . وعندئذ بدأت قدرة «إزيس» على تمثيل دورها تظهر ، وقد آلت على نفسها ألا تترك «ست» حتى يقر على نفسه ويشهد لابنها بعدالة مطلبه ، فتراءت أولاً فى صورة عجوز شوهاء قوست ظهرها السنون ، وأغرت « عنتى » النوتى حتى عبر بها إلى جزيرة الوسط حيث كان الآلهة مجتمعين ، وقدمت له

فى بادىء الأمر رغيفاً أجراً له على مخالفة ما أصدره إليه الآلهة من الأوامر فأبى ، فلما رفعت الغطاء إلى خاتم من الذهب لم يقو « عنتى » على مقاومة هذا الشفيع الغالى وأخذ بريقه فاندفع يعبر « بإزيس » إلى الشاطىء الآخر ، وهناك خلعت رداء الشيخوخة المزرى ولبست ثوب الكاعب الحسناء ترفل فى أثوابها المفهفافة ، فجذبت نظر « ست » إليها وهو جالس فى مكانه بين الآلهة ، فتدله فى حبها وبدأ قلبه يحدثه فى أمرها ، فسعى إليها عنى نفسه بقنيصة يتمتع بها ، وهنا مدت شراكها إليه فوقع فيها راضياً سعيداً ، قالت له : « إن زوجى قد مات ، وترك لى ابناً وحيداً يرعى ماشية والده ، وجاء أجنبى فأكرمته ، ولكنه ضرب ابنى وأراد أن يغتصب ما نملك من الماشية (واستعملت فى تعبيرها عن الماشية كلمة « ياوت » ، ولهذه الكلمة معنى آخر هو « الوظيفة » ، وبذلك استفادت من هذه التورية فى تسجيل ما فاه به « ست » بعد) . فقال « ست » : « وكيف يمكن ذلك وابن الرجل لايزال على قيد الحياة ؟ فلا بد أن تعطى الماشية (الوظيفة على المعنى الآخر للكلمة) لابنك » . وما كادت تسمع هذا الاعتراف الذى أرادته وقصدت إليه من أول الأمر حتى فرحت وانتفضت فصارت حدأة طارت وحطت فوق شجرة وقالت « لست » : انع نفسك الآن فقد حكمت عليها بفمك ، فإن الماشية (ياوت) ليست إلا وظيفة الملك التى تسعى لاقتناصها من ابنى « حور » . . . . . ولما قص « ست » هذه الواقعة على « رع » لم يسعه إلا أن يحكم « لحور » بملك والده راضياً أو ساخطاً .

ولم ينتــه دور « إزيس » بذلك ، بل قامت بمغامرات أخرى فى النزال الذى قام بين « حور » و « ست » وفى إرجاع بصر « حور » إليه عند ما أعماه عمه ، ثم فى إنقاذ ابنها من وهدة السقوط والفحش التى دبرها له « ست » ، بل قلبت القضية وجعلت البئر تستقبل من حفرها لأخيه ، فوضعت نطفة « حور » على شجرة الخس التى اعتاد « ست » أن يأكل منها فلصقت به الرذيلة وانتكس عليه الحكم .

موقف الإله « ست » :

يلاحظ فى قصتنا أن الإلـه « ست » كان غبياً أعمته شهوته فاندفع وراءها ، ووقع فى حبائل « إزيس » ، وكان من جهة أخرى قوياً عنيداً يريد أن يصل إلى أغراضه ، إما بالوعيد الإجرامى ، فقد هدد الآلهة بأن يقتل كل يوم واحداً منهم إذا وقفوا فى سبيله ، وإما بالحيل الدنيئة ، وذلك عندما أراد أن يأتى الفاحشة مع أخيه « حور » حتى يسقط من قدره فلا يصل إلى الملك . وإن الدور الذى لعبه فى هذه القصة كان الدور الذى يلائم شخصيته فى كل أطوار

التاريخ المصرى تقريبا ، فإنه كان يمثل الشر والغدر والظلام . وقد أبرز فى هذه القصة يده على الإله « رع » فإنه كان حاميه من الثعبان « إبوبى » ، وقد ذكره بهذه المنة ليكون فى جانبه عند القضاء . وإذا جعلنا الإلـٰه « ست » رمزاً لشخص تاريخى فإن ذلك الشخص التاريخى الذى يرمز إليه « ست » يكون حاكم إقطاع من الذين كان لهم نفوذ عظيم فى بداية الأسرة الثانية عشرة .

وقد كان « ست » فى عهد الرعامسة أو بعبارة أخرى فى عهد الدولة الحديثة يعتبر إلـٰه الحرب والقوة ، وقد تبددت بمضى المدة شهرته السيئة الماضية ، وكان كذلك معتبراً إلـٰه البلاد الأجنبية ، ولذلك وصت الإلـٰهة « نيت » بأن يزوج من الإلهتين « عنات » و « عشتارت » وهما إلـٰهتان أسيويتان . ونرى فى آخر الأمر أن « رع » رغب فى النهاية أن يتخذه ابناً له يعيش معه ويكون إله الرعد فى السماء . وفى ذلك ما يشير إلى أن « رع » قد انحاز إلى « ست » فى النهاية حتى بعد أن غلب على أمره ؛ لأنه عدو « أوزير » الذى كانت له السيادة والكلمة العليا فى ذلك الوقت ، وبذلك أصبح « ست » يسكن مع « رع » فى السماء وتركا العالم السفلى « لأوزير » يحكم فيه كيف يشاء .

موقف الإله تحوت :

إن الدور الذى قام به الإلـٰه « تحوت » (إله العلم والعرفان) خليق به ؛ فقد كان ينوب عن التاسوع فى أعماله ، فهو الذى قدم العين المقدسة (أى مصر) للاله « رع » ليقرر مصيرها ، وهو الذى ألف الرسائل التى تبودلت بين « رع » من جهة وبين الإلهة « نيت » والإله « أوزير » من جهة أخرى ، وهو الذى حكم فى نداء النطفة عند ما ادعى كل من « ست » و « حور » الغلبة له على قرنه ، وقد كوفىء على عمله هـذا بوضع القرص الذهبى الذى خرج من جبين « ست » على جبينه ، وبواسطة هذا القرص أُحِّد تحوت بالإله القمر ، لأن ذلك القرص كان يمثل القمر نفسه ، على أن هناك رواية أخرى جاء فيهـا أن القرص الخارج من جبين « ست » هو الإله « تحوت » نفسه الذى كان يمثل القمر . ونجد فى المتون الخرافية شيئاً آخر غريباً هو أن تحوت أو القمر وَلَدٌ للإلـٰهين « حور » و « ست » ، وهذا هو الحادث الوحيد الذى نسمع فيه أن الذكرين قد تناسلا . ولـكن الخرافة فى الواقع تخفى فى ثناياها ظاهرة طبيعية هى النضال بين النهار والليل أو بين النور والظلام ، والذى انتهى بتغلب النور على الظلام لخلق القمر الذى شد من أزره . ولـما كان المصرى لا يعرف المنويات صور هذا

النضال بمحسات وحقائق ملموسة ؛ « لحور » وهو النور قد تغلب على « ست » وهو الظلام بالتلقيح فنتج من ذلك القمر الذى أصبح يضىء الكون ويبدد دياجير الظلمات .

الموقف التاريخى الذى توضحه القصة :

قد أشرنا من قبل إلى أن لهذه الملحمة أصلاً تاريخياً توضحه وتشير إليه ، وعلينا أن نوضح الآن هذا الأصل التاريخى الذى تمثله ، والعصر الذى بدأ فيه .

إن « رع » يمثل شخصية الفرعون ، وآلهة التاسوع يمثلون مجلس بلاطه ، ومظاهرة « رع » « لست » على « حور » صاحب الحق الموروث تعنى رغبة فرعون فى تنصيب أحد عظماء قومه فى وظيفة حاكم متخطياً بذلك قانون الوراثة الذى تسير عليه البلاد . وما دمنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فإنه يسهل علينا أن نعرف العصر الذى ترمز إليه هذه القصة ؛ فإن موقف فرعون الذى شرحناه من أحد عظماء القوم لم يحدث إلا مرة واحدة فى تاريخ مصر ، وذلك فى العهد الذى تلا سقوط الدولة القديمة ؛ فإن أمراء الإقطاع قد ازداد نفوذهم ، وصارت المقاطعات التى يحكمونها كأنها ضياع لهم ، يستغلونها فى حياتهم ، ويورثونها أبناءهم بعد مماتهم . ولما جاء ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ووجدوا أن قوة هؤلاء الأمراء عظيمة إلى حد بعيد ، اضطروا أن يسلموا بالأمر الواقع . وبذلك اعترفوا بقانون الوراثة فى تلك المقاطعات ، ولكنهم أخذوا يعملون على هدم هذا النظام شيئاً فشيئاً بتنصيب حكام موالين لهم على تلك المقاطعات والقضاء على الأسر الوراثية كلما مكنتهم الفرص من ذلك . وأكبر دليل على أن هذه السياسة قد نفذت ونجحت هو نقصان عدد مقابر أمراء الإقطاع فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وإن كان محو هذا النظام جملة كان بطيئاً وشاقاً ، ولم تظهر بوادره إلا فى عهد «سنوسرت» الثالث . وقد أراد أحد الفراعنة جرياً على تلك السياسة التى استنوها لأنفسهم أن ينصب حاكما قويا ممن يثق بهم على إحدى المقاطعات بدلا من آخر يستحقها بالوراثة ؛ فقام هذا العراك بين الاثنين ، فصُوِّر ذلك بصورة « رع » يعاضد « ست » فى الخصام الذى جرى بينه وبين أخيه على وظيفة الملك التى آلت « لحور » بطريق الوراثة ، ويريد « ست » ويعضده فى تلك الإرادة « رع » أن يجعلها لنفسه بالقوة والجبروت . فإرث « أوزير » الذى كان يستحقه « حور » يُفَسَّر هنا بمقاطعة ، وإذن فليس الشجار الذى أمامنا واقعاً بين « حور » و « ست » بل بين الملكية وبين حكام المقاطعات الوراثيين فى بداية الدولة الوسطى ؛ فهى قصة تشرح فى

طياتها موقفاً سياسياً تاريخياً يدور حول ما كان يلاقيه الملك فى ذلك الوقت من الصعوبات، وما كان لأمراء المقاطعات من القوة والبطش .

وهناك موقف آخر فى القصة نستطيع أن نجد له مقابلا يفسره فى الأصل التاريخى الذى نتحدث عنه ، ذلك أن « ست » قد أصبح من أصدقاء « رع » مناقضاً بذلك الحقائق التى وردت فى الخرافات المصرية . ولقد برر « ست » هذه الصداقة التى جمعت بين الاثنين مع اختلافهما بقوله : « ماذا حدث لى ؟ ! ! إنى « ست » أعظم الآلهة قوة ، فأنا الذى أقتل عدو « رع » كل يوم لأنى أقف فى مقدمة سفينة الملايين ، على حين أنه لا يوجد إله آخر فى قدرته أن يعمل هذا ، ولهذا أرجو أن تسلم إلىّ وظيفة « أوزير » . . . الخ » . وترجمة ذلك بلغة الواقع أن ذلك الحاكم الذى كان يعضده الملك كان يقوم بدور سياسى مستتر لمساعدة الملك على تعزيز ملكه وبناء سلطانه ، ومن ثم زكاه الملك بدوره ليتقلد هذه الوظيفة .

ونرى كذلك مشهداً آخر فى القصة يترجم عن حقيقة تاريخية ؛ ذلك أن « ست » كانت له مكانة عالية بين أعضاء مجلس الآلهة ، فكان يعامل معاملة حسنة ، وكان فى الوقت نفسه لا يأبه بهم ، يدلك على ذلك أنه لما غضب منهم مرة قال لهم مهدداً : « سآخذ سيفى الذى يزن ٤٥٠٠ رطل وأقتل به واحداً منكم كل يوم » . وترجمة ذلك أن من تسول له نفسه من حكام المقاطعات أن يقوم بعمل عدائى ضد الملك فإنه مستعد لإبادته .

ومما يدل على علاقة «ست» الوثيقة بالإله « رع » ماجاء عند تبادل الآراء بين « رع » والإلهة « نايت » التى كانت تعتبر أمًّا للإله « رع » نفسه عندما سألها عن رأيها فى مصير تلك الوظيفة التى تشاحن الاثنان عليها إذ قالت : أعط ابن « أوزير » الوظيفة ، ولكن فى الوقت نفسه ضاعف أملاك « ست » وأعطه ابنتيك « عنات » و « عشتارت » . فلم هذا الإكرام كله « لست » ؟ وما سبب تلك الحظوة التى جعلت أم « رع » تسعى لترضية «ست» وإعطائه ما يعوضه عن التركة التى ينشدها ؟ السبب واضح وهو أن « ست » هذا ليس إلا الحاكم الذى يفضله الملك أميراً للمقاطعة ، وأنه ما دام قد التوى عليه القصد فلم يقدر أن ينصبه فى المركز الذى طمح إليه فلا أقل من أن يعوضه عن ذلك غنى وجاهاً تطييباً لخاطره ، وجزاء لما قدمه للمليك من أجل الخدمات . على أنا نلاحظ هنا شيئاً ، فإن ذكر إعطاء « عنات » و « عشتارت » « لست » لا يمكن أن يتفق مع تاريخ الدولة الوسطى الذى تنسب إليه قصتنا . وليس من البعيد أن تكون تلك الفقرة دخيلة على القصة أضيفت إليها فى العصر الذى كتبت فيه حينما كانت مصر على اتصال وثيق بالأمم المجاورة التى كانت تعبد فيها هاتان الإلهتان ،

وهذه ظاهرة نجدها فى كثير من القصص المصرى ، فلقد وجدنا فى خرافة « حور » المنقوشة على معبد « إدفو » حوادث ترجع كذلك إلى أقدم عهود التاريخ المصرى ، ومع ذلك قد دس عليها وأضيف إليها حوادث ترجع إلى عهد الهكسوس وغيره.

وقد يظن القارئ أن تشبيه إرث « أوزير » بمقاطعة مع أنه كان ملكا على مصر كلها غير صحيح أو غير دقيق ، ولكن إذا علمنا أن « رع » هو رب العالم كله كما كان يلقب بذلك ، كانت مصر من غير شك بالنسبة إلى هذا العالم الفسيح كمقاطعة من مقاطعاته ، فالتشبيه محبوك من كل أطرافه[1] ، كما أن المرتبة التى كان يسعى إليها وارث «أوزير» قد أطلق عليها فى القصة « حك » وهى وظيفة حاكم المقاطعة ، والتعبير عنها بكلمة (وظيفة) لا شك أنه مقصود حتى يفهم القارئ أن هذه وظيفة تقلد لا تركة تورث ، لموقف البلاد السياسى الذى سبق شرحه .

وقد لحنا فى القصة بعض التناقض ، فهذا « رع » يسمى نفسه مرة « رب العالمين » وأخرى « الملك الطيب لمصر » ، وهذا مجلس التاسوع يطلق عليه أحياناً مجلس الثلاثين .

مجلس الثلاثين :

ومجلس الثلاثين ، وقد يسمى مجلس الثلاثين العظام ، يضم الحكام الذين كانوا يديرون دفة البلاد فى عهد الحكم الإقطاعى ومنهم يؤلف مجلس البلاط ، وقد خلف مجلسُ الثلاثين مجلس العشرة العظام للوجه القبلى ، الذين كانوا يتولون أمور البلاد فى عهد الدولة القديمة ، وفى ازدياد أعضاء هذا المجلس الذى أنشئ لمساعدة الملك وللحد من سلطان حكام المقاطعات تقوية لهم ، وعون على تعزيز الأداة الحكومية ، وداعية إلى القبض على ناصية الحال فى طول البلاد وعرضها ، لأن معظم الأعضاء كانوا يشتغلون فى الوقت نفسه حكاماً للأقاليم ، وسادت هذه الحال فى العهد الإهناسى وعهد الأسرة الحادية عشرة ، وهى الفترة التى طغت فيها سلطة حكام الأقاليم واستمرت إلى أوائل حكم الأسرة الثانية عشرة . وقد كان أعضاء هذا المجلس يمثلون سلطة الملك فى مختلف المقاطعات ، غير أنه استبدل بهم حكاماً انتخبهم بنفسه . وقد لاحظنا أن لهذا المجلس سلطاناً قاهراً فى أوائل عهد الدولة الوسطى ، وكان أعضاؤه يقومون بأهم الأعمال فى كل مرفق من مرافق الدولة ، ولقد كان له هذا السلطان فى قصتنا أيضاً ، فقد رأينا أن التاسوع كان يفصل فى الأمور الخطيرة ، وكان يحد من سلطة الفرعون . وهذا المجلس

---

(١) ويمكننا تفسير هذا الموقف بصورة أخرى وهى أن « بتاح » كان والد كل من « أوزير » و « رع » وأنه خالق كل شىء أى أن العالم كله تحت سلطانه فلا غرابة إذا أعطى « ست » جزءاً من مصر و« رع » الجزء الآخر (انظر ص ١٤٣ هامش رقم ٣) .

بعينه كان يسمى « قنبت » أى المجمع ، ولقد عرفنا تكوينه من نقش وُجد فى « حاتنوب » القريبة من ملوى ، جاء فيه عن أمير مقاطعة « الأرنب » (المقاطعة الخامسة عشرة) المسمى « نِحْرى » الأول ما يأتى : « وقد اجتمع للتشاور مع المجمع « قنبت » دون أن يعرف ذلك أحد ، وقد كان البلاط منشرحاً للآراء التى أدلى بهـا ، وقد كان من الرجال المخلصين ، وقد كان يأتى إليه (المجلس) الحـكام (حكام المقاطعات) من الوجه القبلى » . والظاهر أن اجتماع المجلس هـذا كان سريا كما يدل على ذلك سياق الـكلام ، وكذلك كان اجتماعه لمحاربة العدو ولتسيير دفة الحرب فى الجنوب . ويمكننا هنا أن نجد وجه شبه بين مجىء « نحرى » إلى هذا المجلس ، وندب الإلـٰه « با » من بلدة منديس (تل الربع الحالية) لحضور مجلس الآلهة.

أوزير والعهد الإقطاعى :

جاء فى الأساطير المصرية فى الفصل الخامس والسبعين بعـد المائة من كتاب الموتى أن «أوزير» كان إلهـاً فى صورة ملك ، وقد تناول الأستاذ « كيس[1] » هذا الفصل من كتاب الموتى بالبحث ، واستخلص منه أن «أوزير» كان الإلـٰه الرسمى عند تأسيس المملـكة الإهناسية فى خلال الأسرة العاشرة ، وعلى ذلك كانت تعتبر هذه المملـكة ملـكاً « لأوزير » فى العهد الإقطاعى ، ومن هنا نجد النواة التى نبتت منها فكرة قيام مملـكتين متجاورتين لـكل منهما ملك مستقل ، كما نجد صدى ذلك فى قصتنا ، فكان « رع » يحكم فى طيبة و «أوزير» يحكم فى «هيراكليوبوليس» (أهناس المدينة) وذلك قبل توحيد البلاد على يد «أمنمحات» الأول . وبهذا كان «أوزير» يمثل فى قصتنا مملـكة «إهناس» . والواقع أن هذه المقاطعة فى هذا العهد الذى وصلنا إلى معرفته كانت من أقوى المقاطعات ، وكان الحاكم عليها صاحب صولة وسلطان يخشى جانبه وترهب سطوته ، ومن هنا كانت كلمة « أوزير » فى قصتنا فصل الخطاب .

ولقد قلنا إن هذه القصة تمثل حقائق تاريخية سياسية . فهل يتمشى ذلك مع تحدث ملك إلى الأحيـاء وهو فى عالم الأموات ؟ والجواب ما قلناه من أن الملاحم المصرية تجتمع فيها الحقيقة مع الخرافة ، ويتكون من المزيج المنصهر وحدة ترمى إلى هدف معين وهذا ما نراه هنا .

ومما يدل على أن هذه القصة لم تكتب فى عصر الرعامسة إغفال ذكر اسم الإلـٰه « أمون » مع أن كاتب القصة يقول : إنها كتبت فى طيبة فى عهد رعمسيس الرابع ، أى أيام أن كان الإله « أمون » هو الإله الأعظم للدولة ، فلو كانت قصتنا قد كتبت فى عصر الرعامسة لجاء ذكر « أمون » كما جاء فى أنشودة « أمون » العظيمة الموجودة بالمتحف المصرى ، والتى يرجع

(1) Kees, Agyptische, Zeitschrift 65, 1930. 65 ff.

تاريخها إلى عصر الدولة الحديثة والتى قالت : إن « أمون » كان القاضى فيما نشأ بين « حور » و « ست » من النزاع .

ومما يجب ذكره أن وصف بلاط « رع » فى القصة ينطبق على حاله أيام العهد الإقطاعى وأوائل الدولة الوسطى ، فنشاهد أن إدارة الملك لم توطد فى مقر واحد ثابت ، بل كانت تنتقل من مكان إلى مكان ، وقد رأينا هذه العادة فى أهرام ملوك الأسرة الثانية عشرة مما يدل على أن قصتنا ليست من العصور الحديثة وأنها كما أثبتنا ذلك فى مناسبات مختلفة ترجع إلى العهد الإقطاعى . وإذا بحثنا الأمر من الناحية اللغوية ، وجدنا فى القصة تعبيرات وأساليب لا يحذقها كتاب عهد الرعامسة ، وتدل بمميزاتها على أنها من عهد الدولة الوسطى ، وهـذا الموضوع يهم طبعاً بصفة خاصة المشتغلين بأمر اللغة المصرية القديمة . ومن شاء التوسع فيه فليرجع إلى ما كتبه الأستاذ « جاردنر » ثم الأستاذ « سبيجل » فى هـذا الموضوع فى المراجع التى أشرنا إليها . على أنا نكتفى هنا بالإشارة إلى الموقف الذى حاول فيـه « ست » أن يعتـدى على « حور » اعتداءً منـكراً ، فقد جاء هـذا الحادث فى ورقة « كاهون » (Heiratic Papyri From Kahun Vol. I Pl. I — III & Vol. II P. 4.) وفى كتاب الموتى فى الفصل الثالث عشر بعد المائة . وترجع أقدم رواية لها إلى الدولة الوسطى فى متون التوابيت التى نشرها «لاكو» ، وكذلك نجد محاربة «ست» و«حور» متشكلين فى صورة جاموس البحر قد جاء ذكرها فى ورقة « ساليه » رقم ٤ ، ويحتمل أنها من هذا العصر . ونجد أيضاً خرافة قتال « ست » للثعبان « أبوبى » عدو إلـه الشمس فى كتاب الموتى فى الفصل الثامن بعد المائة ، ويرجع أصلها إلى نقوش الدولة الوسطى (انظر (Sethe A. Z. 59. P. 77 ff.) ، كما نرى قصة « أوزير » ومملـكته التي وعد أن يحكم فيها والتى كان منشؤها أهناس المدينة فى العهد الإقطاعى قد وردت فى كتاب الموتى فى الفصل الخامس والسبعين بعد المائة ، ويرجع أصلها كذلك إلى الدولة الوسطى . ومن كل ما تقدم يمكننا أن ننسب قصتنا إلى الدولة الوسطى ، ولا يمنع هذا أن يكون الـكاتب الذى صقلها قد أسبغ عليها سمة أساليب عصر الرعامسة .

أسلوب القصة ولغتها وطريقة انشائها :

نلاحظ فى أسلوبها البساطة التى انحطت إلى حد الابتذال والتعبير بلغة العامة . وهذا عين ما نجده فى أساليب الدولة الحديثة ؛ ذلك إلى أن مفردات القصة قليلة فى عددها ، عادية فى نوعها ، إذا استثنينا بعض ألفاظ وتراكيب أغفلها كاتب عهد الرعامسة الذى صاغ القصة

من جديد ليظهرها فى ثوب يلائم عصره ، وأكثر التعبيرات سذاجة ما جاء على لسان «ست» «لرع» يقص عليه مادار بينه وبين «إزيس» من الحديث . وفى نسج القصة تكرار ممل دفعنا واجب الأمانة إلى تسجيله كما رأيناه . كما أوردنا الألفاظ المكشوفة فى صورة تهدى القارىء إلى ما أراده منها واضع القصة .

وبين أسلوب هذه القصة وأسلوب قصص الدولة الوسطى الرائع فرق كبير يتضح جليا إذا قرنتها بأخرى من إنتاج هذا العصر كقصة «سنوهيت» مثلا ، وكذلك نجد بينها وبين كتابات عصر الرعامسة فارقاً كبيرا تلمسه إذا قستها بالخطاب الوارد فى ورقة أنستاسى الأولى وسنوردها بعد .

ولابد أن يكون القاص لقصتنا هذه قد أراد أن تكون غذاء للعامة فانحدر بأسلوبها إلى مستواهم كما يفعل قاصو القرى الآن فى مجالس الفلاحين . ومن هذا النوع قصة الملك «خوفو» والسحرة ، وقصة الأخوين ، وقصة الأمير المسحور ، وغيرها ، وقد تشابهت فى طريقها وأسلوبها وكثير من تعبيراتها . وقصتنا من ناحية أخرى متصلة الحلقات تسير فى سردها إلى نتيجة منطقية ناجحة .

المصادر :

أول من كتب عن هذه القصة هو الأستاذ جاردنر ثم كتب عنها سبيجل الألمانى . وهاك المصادر :

(1) Gardiner, "The Chester Beatty Papyrus No. I," p.p. 8 — 26, Pls I — XVI.

(2) J. Spiegel, "Die Erzählung vom streite des Horus und seth in Pap. Beatty I".

(3) Blackman, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. 19, 1933, p. 200 f.f.

(4) Gardiner, "Late Egyptian stories", p.p. 37 — 60.

متن القصة :

[لقد حدثت] المحاكمة بين «حور» و «ست» صاحبى الصورة الخفية ، العظيمين ، وأكبر أميرين وجدا .

جلس الطفل[١] أمام رب العالمين[٢] ، مطالبا بوظيفة والده « أوزير » صاحب الطلعة البهية ، [وابن] « بتاح »[٣] ، والذى ينير [أرض الغرب] بضوئه ، على حين كان الإله « تحوت » يُقَـرب العين[٤] [المقدسة] إلى الأمير الجليل فى « عين شمس » . (أى إله الشمس) .

ثم تكلم « شو »[٥] بن « رع » أمام [آتوم] الأمير العظيم فى عين شمس وقال : « إن العدالة هى رب القوة فنفذها بقولك : » أعط الوظيفة (أى وظيفة الملك) إلى « حور »

---

(١) يقصد بالطفل هنا « حور » ، وقد كان المعتاد أن يقف الشاكى فى المحاكم المصرية أمام المحكمة ليقدم شكايته ، ومن المحتمل أن « حور » قد مثل هنا جالسا لأنه كان طفلا صغيرا لا يقوى على الوقوف ، وسنرى فى سياق القصة أن « رب العالمين » يقول له « إنك ضعيف الأعضاء وأن وظيفة الملك لهذا السبب كبيرة عليك ، يضاف إلى هذا أننا نشاهد تمثال « حربوخراد » أى حور الطفل جالسا على حجر أمه « إزيس » .

(٢) المعنى الحرفى « لرب العالمين » هو « الرب إلى النهاية » وهذه التسمية تحتل المكانة الثانية للدلالة على اسم إله الشمس فى هذا المتن وقد وردت ٢٠ مرة . أما الاسم الذى يحتل المكانة الأولى فهو « رع — حور — أختى » وقد ذكر ٢٢ مرة . أما الاسم « رع » بدون أداة التعريف « پ » فيذكر هنا فى تعابير قديمة فى أصلها مثل « شو » بن « رع » . ومن أسماء إله الشمس التى ورد ذكرها هنا كثيرا « آتوم » بوصفه « الأمير القوى الذى فى عين شمس » . وكذلك فإن « الثور » الذى يسكن فى عين شمس يقصد به إله الشمس . هذا وقد يسمى هنا إله الشمس باسم « خبرى » كما سيرد بعد فى هذا المتن .

(٣) « بتاح » هو إله « منف » وقد ذكر هنا بوصفه خالق كل شىء ، وهذا ما يفسر لنا فى هذا المتن أبوته للاله « أوزير » و « رع » . ولا يبعد أن الأفضلية التى أعطيت للاله « بتاح » فى هذه القصة تجعلنا نفكر فى أنها ترجع إلى أصل منفى أو على الأقل نجد التأثير المنفى فيها ، لأن « بتاح » هو إله « منف » العظيم .

(٤) العين المقدسة هنا التى يقدمها « تحوت » للاله « رع » الذى كنى عنه « بالأمير الجليل فى عين شمس » هى بلاد مصر أو تاجها . وهى الموضوع الذى تدور حوله المخاصمة بين « حور » و « ست » . وذلك أنه لما اعتزل « أوزير » الملك ونزل إلى العالم السفلى ليحكم فيه أصبح عرش البلاد خاليا وتنازعه كل من « حور » و « ست » . وقد جاء « تحوت » بالعين المقدسة التى هى مصر نفسها ووضعها أمام الآلهة ليحكموا لمن يُعطى وظيفة الملك أتعطى « حور » أم « ست » ؟ ولذلك فإن تفسير العين المقدسة بمصر فى هذا الموقف مقبول جدا . والواقع أننا نجد فى العصور المتأخرة أن البلاد المصرية كان يرمز لها بالعين المقدسة (وازيت) . وكذلك كان يرمز لتاج مصر بالعين المقدسة . وقد بحث هذا الموضوع الدكتور « سبيجل » الألمانى بالتفصيل فى دراسته لهذه القصة : Spiegel. Die Erzahlung Vom Streite Des Horus und Seth P. 85 ff.

وفى هذه الدراسة نجد أن « تحوت » يقوم بإعطاء العين (أى مصر) سيدها الذى يستحقها وهو « حور » .

(٥) « شو » : بكر أولاد « رع » ولهذا السبب كان خليقا أن يقوم بدور المتكلم عن « التاسوع »

عندئذ قال « تحوت » للتاسوع [(١)] : « حقا وألف ألف مرة (حقا) » .

وهنا صاحت «ازيس» عاليا وفرحت جدا ، وخرجت أمام رب العالمين وقالت: « يأريح الشمال هبي غربا ! وأنعشي « قلب وتنفر » (أوزير) بهذا الخبر وهو أن ابنه سيكون خلفه .

ثم قال «شو» بن «رع» : « قرب العين (الى حور) فان فى ذلك عدالة للتاسوع » .

وعندئذ قال « رب العالمين » : « مامعنى أنكم تتخذون تدابيركم وحدكم ! »

وهنا تكلم [التاسوع] وقال : « ليته يأخذ خاتم الملك « لحور » وليت التاج الأبيض يوضع على رأسه » . فوجم « رب العالمين » [برهة طويلة] وغضب من التاسوع . ولكن عندئذ تكلم « ست » بن « نوت » : « دعه يخرج معى لأجعلك ترى أن يدى تقبض على يده فى حضرة التاسوع ، لأنه لايعرف أحد طريقة التغلب عليه » .

وعلى ذلك قال له «تحوت» : « إذن سوف لايمكننا أن نعرف من الكذاب . فهل ينبغى للإنسان على ذلك أن يعطى وظيفة « أوزير » إلى «ست» فى حين أن ابنه موجود هنا ؟ »

وهنا غضب «رع — حور — اختى » جدا — لأن رغبة الاله «رع» كانت أن يمنح «ست» العظيم القوة بن «نوت» الوظيفة (وظيفة الملك) — وعندئذ صاح « انوريس »[(٢)] عاليا أمام التاسوع وقال : « ماذا ينبغى إذن أن نفعله ؟ »

وحينئذ تكلم « آتوم » الأمير العظيم الذى يقطن «عين شمس» : « فلينادَ « با » رب[(٣)]

---

(١) التاسوع : كلمة التاسوع تقابل فى المصرية « بسزت » وهى جماعة مؤلفة من تسعة آلهة وهو الاسم الرسمى لجماعة الآلهة من نسل إله الشمس « رع — آتوم » وذلك حسب العقيدة الشمسية التى كان مركزها مدينة « عين شمس » . وهذا التاسوع فى الأصل كان يحتوى على « آتوم » نفسه وأربعة أزواج من آلهة وهم « شو » و « تفنت » ، ثم « جب » و « نوت » ثم « أوزير » و « إزيس » ، ثم « ست » و « نفتيس » .

وبعد ذلك زاد عدد أعضاء التاسوع حتى أصبح عددهم (نظريا) ١٨ أو ٢٧ إلها ، غير أنه لم تصلنا قائمة بأسمائهم .

(٢) « أنوريس » وبالمصرية (إن — حرت) ومعناه ذلك الذى أحضر الواحدة البعيدة أى العين المقدسة وهى عين الشمس ، وهو إله يعبد فى بلدة طينة بالقرب من العرابة المدفونة ، وهو هنا معاضد للاله « حور » .

(٣) « با » رب « منديس » وهو إله فى صورة « تيس » يعبد فى بلدة « منديس » وهى قرية تل الربع الحالية الواقعة فى الجزء الأوسط من شرق الدلتا . وقد كان مشهوراً بأنه المظهر الحى لكل من الإله « رع » و « أوزير » أى أن كلا من هذين الإلهين كان يتقمص هذا التيس ، وفضلا عن ذلك فقد كان رب التناسل العظيم ، ولذلك فإنه كان بلا نزاع أعظم الآلهة صلاحية ليثبت شرعية « حور » للملك . وربما كانت هذه هى الأسباب التى دعت للالتجاء إليه ، وسنرى فى سياق الحديث هنا أنه لم يكن ميالا ليعطى حكمه فى هذه القضية . ولكننا نرى أنه فيما بعد كان يظهر ميله للاله «ست» =

«منديس» ، والإله العظيم الحى ، الذى يقطن كذلك فى «سهل»[1] أمام « آتوم » .

وكذلك أحضر معه « بتاح »[2] — تاتنن » وقال لهما : « افصلا بين الشابين واردعاهما عن أن يقفا متخاصمين كل يوم » .

وهنا أجاب « با » رب « منديس » الاله العظيم الحى ، على ماقيل له : « لا تدعنا نتخذ أية تدابير على غير علم تام . فليرسل خطاب إلى « نيت »[3] العظيمة أم الاله . وما تقوله سوف ننفذه » .

ولكن « التاسوع » قال لـ « با » رب « منديس » ، الإله العظيم الحى : « لقد فصل بينهما سابقا فى القاعة (المسماة) « الوحيدة للعدل » .

وعندئذ تكلم التاسوع إلى «تحوت» أمام رب العالمين : « اكتب خطابا إلى « نيت » العظيمة أم الاله باسم «رب العالمين» الثور الذى يقطن عين شمس » .

فقال «تحوت» : « سأفعل ذلك حقا .سأفعل ذلك » .

وعندئذ جلس ليؤلف الخطاب فكتب : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « رع — آتوم » محبوب « تحوت » رب الأرضين وإله عين شمس ، ونور الشمس الذى يضىء الأرضين بجمالها ، والنيل العظيم فى وفائه « رع حور أختى » — إلى « نيت » العظيمة أم الإله التى أنارت فى الأزل . « ليتك تعيشين فى صحة وشباب غض ياروح رب العالمين الحى ، الذى يقطن عين شمس وملك مصر الطيب . إن خادمك هنا : (أنا) (يعنى نفسه) الذى أسهر الليل من أجل « أوزير » وأهتم كل يوم بأحوال الأرضين .

= أما فيما يختص بالشك الذى كان يحوم حول شرعية « حور » فقد بحث فى كتاب بلوتارخ Plutarch De Iside ch 54 وكذلك راجع Lacau, Textes Religieux, XVII .

(١) هذا الوصف الذى نعت به الإله « با » رب « منديس » المقصود به هنا أن يوحده مع الإله « خنوم » رب « سهل » وهى جزيرة واقعة فى إقليم الشلال الأول . غير أن « خنوم » .لا ينسب إلى « سهل » إلا نادرا جدا .

(٢) يلاحظ أن « با » رب « منديس » عندما حضر جاء معه الإله « بتاح تاتنن » وهو رب الأرض وصورة من الإله « بتاح » ، غير أن السبب فى مصاحبته معه هنا غير واضح ، ولكن لدينا متن يوضح لنا ذلك وهو مكتوب على لوحة من عهد « رعمسيس » الثانى : وبعد ذلك تكلم « بتاح تاتنن » رب الآلهة لابنه ... رعمسيس : « إنى والدك وقد أنجبتك ، وكل أعضائك آلهة وقد تقمصت « با » رب « منديس » واجتمعت مع والدتك لأجل أن تجعل خلقتك مثل خلقة الإله (راجع Bneasted Ancient Records III P. 400.)

(٣) « نيت » هذه الإلهة كانت مشهورة بأنها والدة « رع » . وقد مثلت هنا بصفتها إلهة محترمة من جيل قديم تسكن منفردة فى مدينتها (صا الحجر) بالدلتا .

أقسم بحياة سبك[1] الذى يعيش حقا إلى الأبد . « ما الذى ينبغى أن نفعله مع هذين الشابين اللذين قضيا ثمانين حجة أمام العدالة ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يفصل بينهما ؟ فهل لك أن تكتبي عما يجب أن نفعله ! »

وعندئذ أرسلت « نيت » العظيمة وأم الاله جوابا إلى التاسوع متضمنا : اعطوا وظيفة « أوزير » ابنه « حور » ولا تقترفوا تلك الفعال الذميمة التى ليست فى موضعها ، وإلا فإنى سأغضب وستسقط السماء على الأرض ، وليبلغ رب العالمين الثور الذى فى عين شمس : ضاعف أملاك « ست » وأعطه « عنات » و « عشتارت »[2] ابنتيك وأجلس « حور » مكان والده « أوزير » .

ووصل جواب « نيت » العظيمة أم الاله إلى « التاسوع » حينما كانوا جالسين فى القاعة (المسماة) « حور أمام القرون » وسلم الجواب ليد « تحوت » . وعندئذ تلاه « تحوت » أمام رب العالمين ، وأمام التاسوع كله . فقالوا بفم واحد : « هذه الإلـهة على حق » .

فغضب رب العالمين على « حور » وقال له : « إنك ضعيف الأعضاء . ولهذا فإن الوظيفة (أى الملك) كبيرة عليك جدا ، أنت أيها الغر ذو الفم الكريه الطعم[3] !

فغضب « أنوريس » لذلك ألف ألف مرة وكذلك « التاسوع » كله ، والمحلفون[4]

---

(١) الاله « سبك » وهو يمثل فى صورة تمساح هو ابن الإلهة « نيت » . وكان يعبد فى الدلتا بجوار والدته « نيت » وقد بقى اسمه للآن فى أسماء بعض البلاد المصرية مثل « سبك الثلاث » و « سبك الأحد » الخ .

(٢) « عنات » و « عشتارت » هما إلهتان ساميتان ، وتذكران كثيرا معاً فى المتون المصرية وفى ورقة « عشتارت » تسمى هذه الإلهة بنت الاله « بتاح » . والمساومة التى عرضت هنا لا توجد فى أى نص مصرى آخر . غير أنها تطابق تماما آراء العصر الذى كتبت فيه الورقة إذ كان « ست » يعتبر إلها أجنبيا معاديا فى ذلك الوقت .

(٣) راجع بلوتارخ (Plutarch De Iside ch. 19) : وقد اجتمعت « إزيس » « بأوزير » بعد موته وحملت منه طفلا ولد فى غير موعده وكان ضعيفا فى أعضائه واسمه « حربوخراد » (أى حور الطفل) . والواقع أن « حربوخراد » يمثل على الدوام بطفل جالس ومن ثم لا يمكنه الوقوف

(٤) المحلفون الثلاثون كانوا يكونون منذ العهد الإقطاعى المجلس الأعلى لمصر وقد كان هذا المجلس فى عهد الدولة القديمة يتألف من عشرة حكام وهذه الزيادة أتت من اشتداد سلطة حكام الأقاليم . وكان هذا المجلس بمثابة رادع لهم ليقلل من سلطانهم وقد أخذ هذا المجلس بالتاسوع المصرى . وهذا المجلس كان يدير الحكومة المصرية فى عهد الدولة الوسطى . وربما جاء من هنا وجه الشبه بينه وبين التاسوع الذى كان على رأسه الإله « رع » وهو ما يقابل الملك . راجع

Spiegel Die Erzahlurg. et P. 74 etc.

الثلاثون ، ولـكن الالـه « بابى[1] » قفز (من مكانه) وقال « لرع حور أختى » : « إن مقصورتك خاوية (أى لا يعبدك أحد) » . فتألم « رع حور اختى » لهذا الجواب الذى قيل له ، فاستلقى على ظهره وحزن قلبه جد الحزن .

وعلى ذلك خرج «التاسوع» وصاحوا عاليا فى وجه الالـه «بابى» ، وقالوا له : «اخرج من هنا ! إن الجرم الذى أتيته عظيم جدا » . وذهبوا إلى مآويهم .

وقد أمضى الالـه العظيم يوما مستلقيا على ظهره فى حجرته ، وكان قلبه فى شدة الحزن وظل فى عزلة .

وبعد فترة طويلة من الزمن جاءت « حتحور »[2] سيدة شجرة الجميز الجنوبية ووقفت

---

(١) « بابى » : هو إله غامض جدا لا نعرف عنه الشىء الـكثير ، وقد ذكر فى متون الأهرام حيث وصف بأنه ذو أذنين حمراوين ودبر ملون (Pyr 1349 a) . ويحتمل لذلك أنه قرد وهو مايطابق الخصص الذى فى ورقة « شستر بيتى » التى نحن بصددها ، وكذلك يوافق سلوكه السىء . وفى كتاب الموتى (فصل ١٢٥) يظهر أنه مؤحد مع المارد « أما » الذى يلتهم قلوب الأشقياء فى يوم الحساب . وكذلك قد تكلم بلوتارخ فى كتابه (Plutarch De Iside ch 49) عن إله اسمه « بيون » وهو على حسب قول بعضهم كان صاحب « ست — تيفون » . وقد قال عنه « مانيتون » إنه « ست » نفسه .

(٢) لا شك أن « حتحور » تمثل هنا إلهة الجمال « إفرديتى » اليونانية وترسم دائما عارية الجسم

« حتحور والـكشف عن العورة »

حتحور : إن الطريقة التى حليت بها الإلهة « حتحور » خاطر والدها [رب العالمين « رع » ترى فى ظاهرها من الأمور المعيبـة التى تدل على الفحش والدعارة ، ولـكن كشف النساء عن عورتهن عند قدماء المصريين كان يعتبر عادة دينيـة . وقد ذكر لنا « ديدور » وصفا لهذه العادة فى عبادة العجل ابيس (Diodor I. 85,3) وهى تنطبق على ما جاء فى قصة المخاصمة . ويؤيد ذلك ما ذكره الأستاذ فيبر (weber) إذ عثر على تمثال من الخزف فى متحف ليبزج (Leipzig Inv. Nr. 3634) فى كتابه (Berliner Terrakotten text. b 119. A. 5.) وقد مثل وهو يقوم بتلك الحركة . وكذلك قد ذكر هيردوت شيئا عن تلك العادة نفسها عند سفر القوم للاحتفال بعيد الإلهة « باست » . وهى فى ظاهرها عادة وحشية إلا أنها بلا شك ترجع إلى نفس تلك العقيدة . والواقع أن ذكر هذه العادة هنا مما يثبت لنا أن الإغريق قد نقلوها عن المصريين حتى إننا عندما نقرؤها فى كتبهم ننظر إليها على أنها وحشية فاحشة ، ولـكن الـكشوف الحديثة تضع الأمور فى نصابها . والواقع أن هذه العادة تعبر عن منتهى الخضوع والخشوع وأن الإله هو الذى يعرف عورات النساء . ولـكن مما يلفت النظر هنا هو ضحك الإله « رع » من العمل الذى أتته أمامه « حتحور » بكشف عورتها ، لأن ذلك منتهى ما يمكن من علامات الخضوع والدعاء ، ولايأتيه إلا عامة الشعب ، ولذلك فإن قيام ابنته به أمامه لم يكن إلا لشدة محبتها له وإرضائه بأعظم شىء يدل على الخضوع يمكن لامرأة فى عالم الدنيا أن تأتيه . فكيف إذا أتته إلهة ؟

أمام والدها «رب العالمين» وكشفت عن سوأتها أمامه، فضحك الإلـه العظيم منها، وعلى أثر ذلك قام من مضجعه وجلس مع التاسوع وقال «لحور» و «ست»: «تكلما عن نفسيكما» !

فتكلم «ست» العظيم القوة وابن «نوت» وقال: أما فيما يختص بى فإنى «ست» أعظم الآلهة قوة بين التاسوع، ولذلك فإنى أقتل عدو «رع» يوميا لأنى (أجلس) فى مقدمة «سفينة الملايين»، وليس هناك إلـه آخر فى قدرته أن يعمل هذا، و (لذلك) أرجو أن أتسلم وظيفة «أوزير». وعندئذ قالوا (أى التاسوع): «إن «ست» بن «نوت» على حق».

وعندئذ صاح «أنوريس» و «تحوت» عاليا قائلين: «هل ستمنح تلك الوظيفة لأخ من جهة الأم فى حين أن ابنا من العصب لا يزال موجودا؟» وهنا تكلم «با» رب «منديس» الإلـه العظيم الحى قائلا: «هل ستعطى الوظيفة هذا الغر فى حين أن «ست» أخاه الأكبر لا يزال موجوداً[1]؟

وعندئذ صاح التاسوع صيحة عظيمة أمام «حور» (؟) وقالوا له: «ما هذه الكلمات التى فهت بها وليست جديرة بأن تسمع» !؟

وهنا تكلم «حور» بن «إزيس»: هذا ليس بالحسن فى الواقع بأن أظلم أمام التاسوع وأن تغتصب منى وظيفة والدى «أوزير».

وغضبت «إزيس» من التاسوع وأقسمت بالله أمام التاسوع قائلة: «بحياة والدتى الإلهة «نيت» وبحياة «بتاح تاتنن» ذى الريش العالى وحانى قرون الآلهة، إن هذه الألفاظ ستوضع أمام «آتوم» الأمير الجليل قاطن عين شمس، وكذلك أمام «خبرى»[2] ساكن سفينته» وعلى ذلك قال لها التاسوع: «لا تثورى فإن الحقوق ستعطى من كان على حق وإن كل ما قلته سينفذ».

فاغتاظ «ست» بن «نوت» من التاسوع عندما قالوا هذه الكلمات لإزيس الجليلة أم الإلـه. وعندئذ قال لهم «ست»: سآخذ سيفى الذى يزن ٤٥٠ رطلا وأقتل به واحداً منكم كل يوم .. ثم أقسم «ست» يمينا لرب العالمين قائلا: «لن أتناقش بعد أمام العدالة مادامت «إزيس» هنا».

---

(١) نجد فى هذه الفقرة رأيين متضاربين فيما يتعلق «بحور» و «ست». فعلى حسب الخرافات الأقدم عهدا نجد أن «حور» و «ست» كانا أخوين متناظرين. وعلى حسب رواية أخرى أقل قدما من سابقتها ولكنها مع ذلك ترجع إلى أزمان سحيقة، كان «ست» و «أوزير» ابنى الإلهة «نوت» وعلى ذلك لم يكن «ست» الأخ الأكبر لحور بل خاله أو عمه.

(٢) اسم للاله «رع» وقت الظهيرة.

وعندئذ تكلم « رع حور أختى » إليهم : « اعبروا إلى «جزيرة الوسط» وافصلوا بينهما وقولوا لـ « عنتى » لا تعبر بأية امرأة فى صورة إزيس » . وعلى ذلك عبر التاسوع إلى «جزيرة الوسط» وجلسوا يأكلون .

وهنا حضرت «إزيس» واقتربت من«عنتى»[1] النوتى عندما كان جالسا بقرب قاربه ، ولكن غيرت نفسها فى شكل امرأة عجوز ، وسارت منحنية ، وكانت تلبس خاتما من ذهب فى إصبعها ، وخاطبته قائلة : «لقد أتيت إليك لتعبر بى إلى «جزيرة الوسط» ، لأنى حضرت بهذا الوعاء من الدقيق إلى الصبى الصغير ! لقد كان يحرس بعض الماشية فى «جزيرة الوسط» منذ خمسة أيام إلى هذا اليوم وهو جوعان » . فقال لها : لقد قيل لى لاتعبر بأية امرأة .

فقالت له : هل ماقيل لك خاص « بإزيس » ، ذلك الذى تكلمت به ؟

فقال لها : « ما الذى ستعطينه إياى حتى أعبر بك إلى « جزيرة الوسط » ؟

فقالت له « إزيس » : « سأعطيك هذا الرغيف »

وعندئذ قال لها : « ماذا يكون رغيفك ؟ هل ينبغى لى أن أعبر بك إلى جزيرة الوسط — على حين أنه قيل لى : لاتعبر بأية امرأة — من أجل رغيفك ؟ »

وعندئذ قالت له : « سأعطيك الخاتم الذهبى الذى فى يدى »

فقال لها : « أعطينى الخاتم الذهبى » .

فأعطته إياه وعلى ذلك عبر بها إلى « جزيرة الوسط » وبينما هى سائرة تحت الأشجار، إذ نظرت فرأت التاسوع وهم جالسون يأكلون فى حضرة « رب العالمين » فى نزله ، فنظر « ست » ولمحها وهى آتية من بعيد . فتلت تعويذة من سحرها وغيرت نفسها إلى عذراء جميلة الجسم لم يكن لها مثيل فى الأرض قاطبة فأحبها حبا جما

---

(١) إن القليل الذى نعرفه عن هذا الإله يرجع الفضل فيه إلى الأستاذ زيته فى كتابه (Urgeschechte Und Alteste, Religion der Agypter Par. 51 and 53.)

و «عنتى» فى الأصل إله فى صورة صقر وينعت « عنتى » أى صاحب المخالب . وكان فى الأصل يقطن المقاطعة الثانية عشرة من الوجه القبلى (مقاطعة الثعبان) ووظيفته نوتى ، وهى التى يعرف بها هنا فى قصتنا ، ولم تكن معروفة من قبل ، ويمكننا بالمتن الذى فى أيدينا أن نقتفى أثرها كما أشار «زيته» إلى ذلك فى متون الأهرام (وازن سطرى 792 a و 1359 a) وكذلك نلحظ فى الرسم المقوس الذى تحت الصقر أنه لا بد أن يكون قاربا وبخاصة أن هذا القارب له سكان . والعقاب الذى وقع عليه هو قطع الجزء الأمامى من قدميه أى مخالبه التى يدافع بها عن نفسه . ومن أجل ذلك كان يطلق عليه صاحب المخالب (أى الصقر صاحب المخالب) وهذه من الأمور التى ذكر فيها السبب والنتيجة فى القصة .

وحينئذ قام « ست » بعد أن كان جالسا يأكل مع التاسوع العظيم ، وذهب ليقابلها ، ولم يكن قد رآها أحد سواه — فوقف خلف شجرة وصاح بها وقال لها : « إنى أريد أن أكون معك أيتها الفتاة الجميلة » !

فقالت له : « آه ياسيدى الرفيع ! ماحدث لى أنى كنت امرأة راعى ماشية . وقد جئت منه بولد . وقد مات زوجى وأصبح الصغير يرعى ماشية والده ، ثم حضر غريب وجلس فى حظيرتى وخاطب ولدى قائلا : « سأضربك وسأستولى على ماشية والدك وسأطردك » . وهكذا تكلم إليه ، ورغبتى هى أن أجعلك تحميه » . وعندئذ قال لها « ست » : « هل ينبغى للإنسان أن يعطى الماشية الغريب فى حين أن ابن الرجل موجود هنا . ؟ »

وعلى ذلك غيرت « إزيس » نفسها إلى حدأة [1] وطارت ثم حطت على قمة شجرة ثم نادت «ست» وقالت له : « انع نفسك . إن فمك هو الذى قالها ، وإن رأيك هو الذى قضى عليك . ما الذى تريده أكثر من ذلك ؟ »

فوقف باكيا . ثم ذهب إلى المكان الذى كان فيه « رع حور اختى » وبكى . وعندئذ كلمه « رع حور أختى » : « ماذا جرى لك ثانية ؟ »

فأجاب ست قائلا : « هذه المرأة الشريرة قد اعتدت علىّ كرة أخرى وقد خدعتنى مرة ثانية ، فقد غيرت صورتها إلى عذراء جميلة أمامى ثم قالت لى : « ماحدث لى أنى كنت زوج راعى ماشية وقد مات بعد أن وضعت منه ابنا وأنه يرعى بعض ماشية والده ، وأن غريبا أتى إلى حظيرتى مع ابنى فأعطيته طعاما ، وبعد مضى عدة أيام على ذلك قال الغريب لابنى : « سأضربك وسأستولى على ماشية والدك وستكون ملكى » . وهكذا كلم ابنى . وهكذا قالت لى » .

فكلمه « رع حور أختى » : « وماذا قلت لها ؟ »

فقال له «ست» : « قلت لها : هل ستعطى الماشية (ياوت) الغريب وابن الرجل لا يزال موجودا هنا . وعلى ذلك قلت لها يجب أن يضرب المتطفل على وجهه بعصا ثم يطرد ، وينبغى أن يجلس ابنك فى مكان والده — وهكذا قلت لها » .

---

(١) لقد حكم « ست » بنفسه على نفسه دون أن يعلم ، لأنه هو الذى كان يريد أن يغتصب وظيفة اليتيم . وقد تقمصت « إزيس » حدأة وسخرت منه ، وهذه الصورة التى تحولت إليها « إزيس » هى من مميزاتها ، وذلك لأننا نعرف أنها حينما كانت تبكى عند نعش أخيها « أوزير » كانت تعرف باسم الحدأة الكبرى ، كما كانت أختها « نفتيس » تعرف باسم الحدأة الصغرى . ولكن الدور الذى لعبته هنا فى صورة حدأة يختلف كثيرا عن سابقه . إذ هنا أرادت أن تثبت شرعية ابنها لحكم البلاد بحيلة .

فقال له « رع حور أختى » : « انظر . إنك حكمت على نفسك بنفسك ، فماذا تريد زيادة على ذلك ؟ » . فقال له « ست » : « مر بحضور « عنتى » ليوقع عليه عقاب صارم وسله : لماذا سمحت لها أن تعبر ؟ هكذا ينبغى أن يقال له » .

وعندئذ أحضر « عنتى » النوتى أمام التاسوع وقطعوا الجزء الأمامى من ساقيه وكفر «عنتى»[١] بالذهب إلى يومنا هذا وقال فى حضرة التاسوع العظيم : « لقد أصبح الذهب ممقوتا لمدينتى » . عندئذ عبر التاسوع إلى الشاطىء الغربى[٢] وجلسوا على الجبل . ولكن عند المساء أرسل « رع حور أختى » وآتوم سيد الأرضين و (رب) عين شمس إلى التاسوع الرسالة التالية : ما الذى تفعلونه بمكثكم هنا إلى الآن ؟ إنكم ستجعلون الشابين يمضيان كل حياتيهما أمام العدالة ، فعندما يصلكم خطابى يجب عليكم أن تضعوا التاج الأبيض على رأس « حور » بن « إزيس » ، وينبغى أن ترفعوه على عرش والده « أوزير » .

وعندئذ غضب « ست » غضبا شنيعا ، ولكن التاسوع قال لست : لماذا أنت غاضب ؟ ألا ينبغى أن يفعل كما قال « آتوم » رب الأرضين فى عين شمس و « رع حور أختى » ؟ وعلى ذلك وضع التاج الأبيض على رأس « حور » بن «إزيس» ، فصاح « ست » عاليا أمام التاسوع وعصف ثم قال : « هل ستعطى الوظيفة أخى الصغير ، وأخوه الأكبر ما زال موجوداً هنا ؟ »

وعندئذ حلف يمينا وقال : ينبغى أن ينزع التاج الأبيض من رأس «حور» بن « إزيس» وينبغى أن يلقى به فى الماء حتى يمكننى أن أتنازع معه على وظيفة « الحكم ! » (ياوت)

ووافقه على ذلك « رع حور أختى » فقال « ست » لـ « حور » : « تعال وليتقمص كل منا جاموس بحر ، ودعنا نغص فى الماء الذى فى «الأخضر العظيم» (كناية عن البحر[٣]) ومن يطف على سطح الماء قبل مضى ثلاثة أشهر لا يعط هذه الوظيفة » .

---

(١) هذه العبارة من العبارات النادرة فى القصة التى يوجد فيها السبب والنتيجة . وظاهر أنه كان هناك شريعة تحرم استعمال الذهب فى بلدة الإله « عنتى » . غير أننا لا نجد ذلك مذكورا فى أى متن مصرى آخر .

(٢) يقصد بذلك حدود الأراضى المنزرعة غربى الدلتا . ويقابلها من الجهة الشرقية منطقة أخرى منزرعة فى نهاية حدود الدلتا .

(٣) نجد هذه الحادثة مذكورة فى كتاب (نتيجة الأيام السعيدة والأيام المشئومة) (Pap Sallier IV Recto 2,6) . غير أننا نجد فى هذا المصدر الأخير أغلاطاً كثيرة ، ولكنها دونت بنفس التعابير التى فى قصتنا هنا . وهاك الترجمة حرفيا للنصف الأول منها : « الشهر الأول من فصل الفيضان (يوم ٢٦) =

وعندئذ غطس كلاهما فى الماء وقعدت « إزيس » تبكى وقالت : إن « ست » قد قتل ابنى « حور » . ثم أخذت كية من الغزل وفتلت حبلا ، ثم أخذت رطلا من النحاس وصهرته وصنعته سلاحا للماء (شصا) ثم ربطت فيه الحبل وألقته فى الماء فى المكان الذى غطس فيه « حور » و « ست » ، فاشتبك الشص[١] فى جلالة ابنها « حور » فصاح « حور » عاليا ونادى : النجدة يا والدتى « إزيس » يا أمى ! مُرى شصك حتى ينفك عنى . إنى « حور » ابن « إزيس » . فصاحت « إزيس » عاليا آمرة شصها : « انفك عنه . انظر . إنه ابنى « حور » طفلى هوذا » . فانفك شصها عنه .

وبعد ذلك ألقت به فى الماء ثانية فاشتبك فى جلالة « ست » ، فصاح « ست » عاليا وقال : ماذا فعلت ضدك يا أختى « إزيس » . مرى شصك أن ينفك عنى . إنى أخوك من أمك يا « إزيس » . فآلمها قلبها من أجله جدا . ثم ناداها « ست » قائلا : « هل تحبين الغريب أكثر مما تحبين أخاك من أمك ؟ » . فأمرت « إزيس » شصها قائلة : « انفك عنه . انظر . إنه أخو « إزيس » من الأم ذلك الذى عضضته » . وعلى ذلك انفك الشص عنه .

من أجل ذلك غضب « حور » من « إزيس » أمه وخرج ، وكان وجهه وحشيا كأنه فهد من الوجه القبلى ، وكان سكينه الذى يزن ستة عشر رطلا فى يده ، فقطع[٢] رأس والدته

= شؤم . شؤم . لا تقم بعمل أى شىء فى هذا اليوم لأنه اليوم الذى تحارب فيه « حور » مع « ست » وضرب أحدهما الآخر ثم رقدا على جنبيهما وتقمص كل منهما جاموس بحر عند باب (؟) رب « خرعاحا » (مصر القديمة) ومضّيا ثلاثة أيام وثلاث ليال على هذه الحال . ثم جعلت « إزيس » شصها يصيبهما فأصاب وجه « حور » وعندئذ صاح قائلا : "إنى ابنك « حور »" . وعلى ذلك نادت الشص قائلة : "تنح عن ابنى « حور »" . وبعد ذلك أرسلت الشص ثانية فأصاب وجه أخيها « ست » وعلى أثر ذلك صاح بصوت عال وحزن . فنادت الشص قائلة [اقبض بشدة (؟)] وعندئذ ناداها « ست » مرات عدة : « هل تريدين أن تعادى أخاك من أمك ؟ » ثم صار قلبه حزينا جدا . وعندئذ نادت الشص قائلة « تنح ، انظر . إنه أخى من أمى » . فانفك الشص عنه وقام كل واحد منهما وولى ظهره لصاحبه

(١) كانت الطريقة التى يتبعها المصرى فى صيد جاموس البحر هى أنه يربط شصا فى خيط ثم يرمى به فى الماء بوساطة رمح . وبعد أن يصاب جلد الحيوان بعدة شصاص كان يجر إلى الشاطىء بعد أن يكون قد نزف كية عظيمة من الدم وذلك مما يسبب ضعفه على المقاومة (Gardiner Tomb of Amenmhet P48.)

(٢) الجزء الثانى من الفقرة التى ترجمنا الجزء الأول منها من ورقة سالية يتفق مع ماجاء فى قصتنا وهو : « وكان جلالة « حور » غاضبا جدا مع والدته وكان مثل فهد من الوجه القبلى وقد ابتعدت من أمامه فى هذا اليوم الذى أعلن فيه الحرب على المشاغب (؟) (أى ست) وعندئذ قطع رأس « إزيس » ثم تقمص الإله « تحوت » صورة الإله « حكا » (وهو إله السحر) وأعاده (أى الرأس) كرأس بقرة (؟) وما =

« إزيس » ووضعه فى حضنه ، وصعد إلى الجبل . وعلى ذلك تقمصت « إزيس » تمثالا من الظرّان بدون رأس . ثم قال « رع حور أختى » « لتحوت » : « من هذه التى حضرت ؟ إنها حقا بدون رأس » . فقال « تحوت » « لرع حور أختى » : « يا سيدى الطيب إنها « إزيس » العظيمة أم الإلـه ، وقد قطع ابنها «حور» رأسها » . وصاح « رع حور أختى » عاليا وقال للتاسوع : « سنسرع ونوقع عليه عقابا صارما ! »

وعلى ذلك صعد التاسوع إلى الجبل ليبحثوا عن «حور» بن «إزيس» . ولـكن «حور» قد مضى الليل تحت شجرة « شنوشع » فى إقليم[1] الواحة ، وقد وجده « ست » وقبض عليه وألقاه على ظهره على الجبل واقتلع عينيه من مكانهما ودفنهما فى الجبل . غير أن محجرى عينيه أصبحا بيضتين ، ثم نمتا فصارتا زهرة اللوتس[2] وأضاءتا الأرض .

وعندئذ رجع « ست » وخاطب « رع حور أختى » كذبا : إنى لم أجد « حور » . والواقع أنه وجده .

ثم ذهبت «حتحور» سيدة شجرة الجميز الجنوبية ووجدت « حور » كما كان مضطجعا يبكى فى الصحراء ، فأمسكت بغزالة وحلبتها وقالت « لحور » : « افتح عينك حتى أضع فيها هذه النقط من اللبن . ففتح عينه ووضعت فيها نقط اللبن ، ووضعت فى العين اليمنى ، ووضعت فى اليسرى ، وقالت له : « افتح عينك ففتح عينه » فتأملتها ووجدتها سليمة .

وعندئذ ذهبت إلى « رع حور أختى » لتقول : « إن « حور » قد وُجد وقد اقتلع عينيه «ست» ولـكنى قد أعدتهما ثانية . انظر . إنه آت » .

= زال الإنسان إلى اليوم يقدم قربانا باسمها وباسم « تحوت » إلى اليوم .

والمقصود من هذه الخرافة هو محاولة تفسير رأس البقرة الذى تظهر به الإلهة « حتحور » وثانيا تأحيد « إزيس » بـ « حتحور » . غير أن قصتنا لم تذكر لنا السبب ولذلك حذف منها كل الجزء الخاص بإعادة الرأس بوساطة « تحوت » .

(١) الفصل التالى من القصة كما هو مذكور هنا لم يعرف بعد فى النقوش المصرية . ولدينا خرافة قديمة جدا تقص علينا كيف أن « ست » اقتلع عين « حور » وأن « حور » انتقم لنفسه بجب خصيتى «ست» . ولـكن فى الفقرة التى نحن بصددها نلاحظ أن عينى «حور» لا عينا واحدة قد نزعتا ، وكذلك أن « حتحور » لا « تحوت » هى التى أعادت نظر الإله إليه . على أننا نجد أن الفرق بين الحادثين عظيم جدا لدرجة تجعل الإنسان يتساءل عما إذا كان كل منهما له أصل خاص به .

(٢) يظهر أن هذه إشارة للفكرة القائلة إن « حور » رب السماء وأن عينيه هما الشمس والقمر . أما الجملة التى تلى ذلك فتشير إلى حادث لم يعرف بعد فى المتون المصرية بهذه الصورة ، غير أننا نعرف أن الإله « رع » أى إله الشمس يولد من زهرة اللوتس

وعندئذ قال التاسوع : فلينادكل من «حور» و«ست» ويفصل بينهما . فأحضرا أمام التاسوع ، وتكلم رب العالمين أمام التاسوع العظيم إلى « حور » و « ست » وقال : « اذهبا واسمعا ماسأقوله لكما ، وكلا واشربا وبذلك ستكونان فى سلام ، تنحيا عن المشاحنة كل يوم ! »

وإذ ذاك قال « ست » « لحور » : « تعال وسنمضى يوما سعيداً فى بيتى » .

فقال له «حور» : « بالتأكيد وعن طيب خاطر ! »

ولما حل المساء فُرش (السرير) لهما واضطجع الاثنان وفى الليل دس « ست » قناته المنتشرة بين فخذى «حور» . ولكن حور وضع يديه فى فخذيه وتلقى بهما نطفة « ست » . وعندئذ ذهب « حور » ليقول لوالدته : « النجدة يا « إزيس » يا أمى ! تعالى وانظرى ما آتاه « ست » معى ! »

وفتح يده وجعلها تنظر إلى نطفة «ست» . فصاحت عاليا وقبضت على سكينها وقطعت[(١)] يده وألقت بها فى الماء ، ثم صنعت يدا تماثلها وأخذت قطعة مرهم حلو ووضعتها على قناة « حور » فانتصبت ، ثم وضعتها فى اناء وجعلت نطفة «حور» تجرى إليه . وبعد ذلك ذهبت « إزيس » ومعها نطفة « حور » فى الصباح إلى حديقة « ست » وسألت بستانى «ست» : « ما العشب الذى يأكله « ست » معك » ؟

فقال لها البستانى : « إنه لا يأكل أى عشب معى هنا إلا الخس »[(٢)] .

---

(١) إن حادثة قطع اليدين (لا يد واحدة كما فى قصتنا) قد جاء ذكرها فى الفصل ١١٣ من كتاب الموتى ، ونجد بداية هذا الحادث فى رواية متون الدولة الوسطى وهى : « إنى أعرف سر « هيرا كنبوليس » إنه يدا « حور » وهما اللتان قطعتهما أمه وقد قذفت بهما فى الماء قائلة : « إنكما ستكونان الاثنتين المفصولتين عن « حور » حتى بعد أن تكونا قد وجدتا ثانية كالتين وجدتهما أنا ثانية .

وعندئذ قال « رع » : « لقد شوه ابن « ازيس » هذا بما اقترفته أمه بنفسها ضده . دع « سبك » (إله فى صورة تمساح) يحضر إلينا من نهاية الماء لأجل أن يصطادهما لتتمكن أمه « إزيس » من إعادتهما إلى مكانهما (الأصلى) . » ولسنا فى حاجة للتعليق هنا على أوجه الشبه والاختلافات التى توجد بين الخرافتين .

(٢) لقد برهن الدكتور « كيمر » فى مجلة (Zeitschrift Fur Agypt. Sprache 59. 140) على أن النبات « عبو » المذكور هنا والذى ترجمناه بكلمة «خس» هو نوع من أنواع الخس الذى ينبت فى مصر (Lactuca. Sativa. L) وهو النبات الذى يظهر غالبا مرسوما وراء صور الإله « مين » . وقد عزا الدكتور « كيمر » بحق العلاقة بين هذا الاله وبين الخس إلى العصارة التى تشبه اللبن المستخرجة من هذا النبات ، وذلك أن القوة التناسلية التى تحدثها هذه العصارة يمكن تشبيهها باللبن الذى هو رمز الخصب وعدم العقم من جهة ، ولمشابهة هذه العصارة للنطفة الآدمية . وهذه الآراء قد تثبت بالفقرة التى جاءت فى قصتنا ، وكذلك أثبتها الطب الحديث . والسبب الذى من أجله كان «ست» منغمسا فى أكل =

وعلى ذلك وضعت «إزيس» نطفة « حور » عليه (الخس) . ثم حضر « ست » حسب عادته كل يوم وأكل الخس الذى تعود أكله فصار حاملا من نطفة « حور » ؛ وعلى ذلك ذهب «ست» ليقول لحور : «تعال . دعنا نسرع لنتخاصم معا أمام العدالة» . فقال له «حور» « بالتأكيد وعن طيب خاطر ! » وعلى ذلك ذهب الاثنان إلى المجلس ووقفا أمام التاسوع العظيم وقيل لهما : « تكلما عن شخصيكما ! »

فقال « ست » : لتعط لى وظيفة الحكم . أما عن « حور » وهو الشخص الذى يقف هنا فإنى قد فعلت معه مايعمل الرجل (مع المرأة) . وإذ ذاك صاح التاسوع عاليا : ابصقوا فى وجه « حور » . غير أن «حور» سخر منهم . وعندئذ أقسم «حور» يمينا بالله قائلا : «إن كل ما قاله «ست » كذب . مر بأن تنادى نطفة « ست » ، وسنرى من أين تجيب » . فوضع « تحوت » رب « كلام الإله » ، وكاتب الصدق للتاسوع ، يده على ساعد «حور» وقال : تعالى يا نطفة « ست » . فأجابته من ماء المستنقع ، ثم وضع « تحوت » يده على ساعد « ست » وقال : تعالى هنا يانطفة «حور » ! فقالت له (أى النطفة) : « من أين ينبغى لى أن أخرج ؟ » فقال لها « تحوت » : « اخرجى من أذنه » ! وعند ذلك قالت له : « هل أخرج من أذنه وأنا النطفة الإلهية ؟ » . وعلى ذلك قال لها : « اخرجى من جبينه » ! فخرجت مثل قرص من الذهب على جبين «ست » ، فغضب « ست » جدا ومد يده ليقبض على القرص الذهبى ، فأخذه « تحوت » ووضعه حلية فوق رأسه[1] هو . ولكن التاسوع

= الخس مثل الإله «مين» أنه كان يريد تقوية الناحية الجنسية عنده ، ولكن بلعه « نطفة » «حور» مع الخس جعل « ست » يصبح حاملا مخنثا بعد أن كان معروفا بقوته وبطشه (وازن ذلك بما جاء فى قصة الأخوين حينما بلعت امرأة الملك قطعة الخشب وأصبحت حاملا) .

(١) هذه الفقرة بأكلها تحتوى على رواية معدلة لقصة قديمة جاء فيها أن « تحوت » قد ولد من جبين « ست » . فمن المعلوم أن هذا الحادث الذى ذكر هنا كان معروفا عند المصريين منذ أقدم العصور مع الفارق أن « تحوت » فى الرواية القديمة لم يكن المحكم بل كان هو نتيجة نطفة « حور » التى كانت فى «ست» . وأقدم برهان لدينا يرجع إلى الدولة الوسطى انظر (Rec Trav 34 P 144) حيث تجد أن المتوفى يوحد نفسه مع « تحوت » ويقول لأوزير : « إنى ابن ابنك وبذرة بذرتك ، والإله الذى فصل الأخوين . » ونجد على تمثال من العصر الصاوى (Turin, 74) أن تحوت قد سمى مرتين : « تحوت ابن الإلهين الذى خرج من الجبين » . وفى معبد « ادفو » يوجد متنان يشيران إلى هذا الحادث (Rochemontiex Edfu I, 82 & II 44) ففى المتن المطول نشاهد الملك وهو يقرب الخس للاله «مين» قائلا : « خذ لنفسك العشب الأخضر الجميل الذى أقبض عليه (؟) لأجل أن يمكنك أن تدفق سائلك السرى الذى فيه (أى الذى فى الخس) وليكن من عاملته كامرأة أن يبلعه ويحمل منك ولدا يخرج من الجبين مثل المحكم لأجل أن يمكنك أن تبرأ أمام مجلس العدالة » . ويلاحظ هنا أن الإله «مين» قد أحد =

قال : « إن « حور » على حق و «ست » على باطل » . وعندئذ غضب « ست » جداً وصاح صيحة عالية عندما قالوا : « إن « حور » على حق و « ست » على باطل » .

وعلى ذلك أقسم « ست » يمينا بالله بهذه الكلمات : « لا ينبغي أن يُعطى الوظيفة حتى ينزل معى لنصنع لنفسينا سفينتين من الحجر ، ونتحارب سويا والذى يتغلب على زميله يُعطى وظيفة الحكم » .

فصنع « حور » لنفسه سفينة من خشب الأرز وغطاها بطبقة من الجبس وألقى بها فى الماء عند الغروب ، ولم يره أحد فى كل العالم . ولكن رأى «ست» سفينة « حور » وظن أنها من حجر ، فذهب إلى الجبل وقطع قمته وصنع لنفسه سفينة من الحجر ذرعها مائة وثمانية وثلاثون ، وفى هذا الوقت نزلا فى سفينتيهما فى حضرة التاسوع فغرقت سفينة «ست» فى الماء فتقمص «ست» جاموس بحر وسبب غرق سفينة «حور» .

وعندئذ أمسك « حور » بشص ورمى به جلالة « ست » فقال له التاسوع : « لا ترمه به » . وإذ ذاك أخذ معدات الماء (يعنى بذلك القلع والسكان والجداف) ووضعها فى سفينة ، وسار منحدراً فى النهر إلى «صا الحجر» ليتحدث إلى «نيت» أم الإله فقال : «اعملى على أن يفصل بينى وبين «ست» ، فمنذ ثمانين عاما ونحن أمام العدالة ولم يعرف أحد كيف يفصل بيننا . ومع ذلك لم يعترف له بالحق دونى ، ولكن لألف مرة قبل ذلك كنت المحق الظاهر عليه كل يوم ، وعلى الرغم من ذلك لم يبال بأى شىء قاله التاسوع . وقد تخاصمت معه فى قاعة المحكمة (المسماة) « طريق العدالة » ، وقد كان الحق فى جانبى وقد تخاصمت معه فى قاعة المحكمة

= مع « حور » ولذلك يسمى « حور — مين — نخت » أى حور — مين المنتصر . ومن الجائز أن هذه التسمية المركبة قد تكون نتيجة لهذه الخرافة .

أما الرواية القصيرة فتشتمل على ما يأتى : «إنك [تدفق] نطفتك فى حسم العدو (أى «ست») حتى يحمل وحتى يخرج ابنك (تحوت) من جبينه » والفرق الوحيد الهام الذى نشاهده فى رواية قصتنا هى العبارة التى تقول إن قرصا من الذهب خرج من جبين الإله «ست» لا الاله « تحوت » نفسه ، وترى أن قرص الذهب يصبح مرتبطاً مباشرة بالاله « تحوت » عندما يضعه على رأسه بمثابة حلية . ولا نزاع فى أن الخرافة كانت خارقة لحد المعقول فى نظر مؤلف قصتنا إذ كيف يمكن أن يكون « تحوت » فى وقت واحد محكما بين « حور » و « ست » وابنا « لست » . والظاهر أن هذه الخرافة كان يرمز بها للحرب بين النور والظلمة أو الليل والنهار أى بين « حور » و « ست » وأن « حور » وهو النهار تغلب على « ست » وهو الليـل وكانت نتيجة إتيان « حور » « لست » أن ولد الأخير القمر ، ولذلك يسمى ابن الالهين . وقد شرحنا ذلك فى درس القصة .

(المسماة) « حور — ذى القرون — البارزة » ، وقد كان الحق فى جانبى . وقد تخاصمت معه فى قاعة المحكمة (المسماة) « حقل البوص »[١] وكان الحق فى جانبى . وقد تخاصمت معه فى قاعة المحكمة (المسماة) « بركة الحقل »[٢] وقد كان الحق فى جانبى » .

ثم تكلم التاسوع مع « شو » بن « رع » فقال : « لقد كان « حور » بن « ازيس » على حق فى كل ماقال . ثم تكلم « تحوت » إلى رب العالمين قائلا : « مر بإرسال خطاب إلى « أوزير »[٣] حتى يمكنه أن يفصل بين الشابين . وعندئذ تكلم « شو » بن « رع » : « حقا وألف ألف مرة حقا ما قاله « تحوت » للتاسوع » . والآن تكلم رب العالمين إلى « تحوت » : « اجلس واكتب خطابا إلى « أوزير » وإنا نريد أن نسمع ما الذى سيقوله » .

وإذ ذاك جلس « تحوت » ليؤلف خطابا إلى « أوزير » فكتب[٤] : « الثور الأسد — الذى

---

(١) حقل البوص (سخت أرو) هو اسم معروف يطلق على « حقول الجنة » عند المصريين ، وهو المكان الذى يمكن المتوفى أن يواصل فيه حرفة الزراعة بنجاح عظيم .

(٢) لم يعثر على اسم هذه القاعة فى غيرهذه القصة . ومن المحتمل أن هذا الاسم يشير إلى البركة التى جاوبت منها نطفة « حور » ولا بد أن تكون هى بعينها التى ألقت فيها « إزيس » اليد النجسة

(٣) إن الدور الذى يلعبه « أوزير » فى هذه القصة هو أنه ملك متوفى يحكم فى الغرب فى العالم السفلى ، ولذلك نجده مذكورا باسم « ونن نفر » « الكائن الطيب » وإذا استثنينا الفقرة التى نحن بصددها الآن وهى التى وصفت فيها وظيفته وقوته بصورة حية مدهشة فإنا لا نعرف شيئا تقريبا عنه فى قصتنا . ونجد أنه قد ذكر مرة بأنه ابن الإله « بتاح » وكذلك بوصفه ابن « رع » . ولكن يرجع سبب ذلك إلى أنه كان فى هذه الحالة يمثل فرعون الذى كان يدعى ابن الشمس . أما الاسم الملكى أو الخرطوش الذى يحتوى اسمه « عظيم الفيض — رب الكثرة » فإنه يشير إليه بوصفه خالق الغلال . غير أنه لا يوجد بهذه الصورة إلا فى قصتنا . على أن من يقرأ قصتنا لا بد أن يفهم منها أن القارىء يعرف ضمنا كل تاريخ مأساة « أوزير » . هذا ما يقوله الأستاذ « جاردنر » عن مركز « أوزير » فى هذه القصة . أما « سبيجل » فإنه قد برهن على أن « أوزير » هنا كان يمثل ملك « أهناس » المدينة وأن قصة الآلهة هنا إن هى إلا صورة رمزية لحالة مصر فى العهد الإقطاعى وما قام من الحروب والمشاحنات بين حكام الإقطاع فى أوائل الأسرة الثانية عشرة . (انظر كتاب مصر القديمة جزء أول ص ٤١٥)

(٤) يلاحظ هنا أن ألقاب مرسل الخطاب هى التى ذكرت هنا . والمرسل هو « إله الشمس » . ونشاهد أن ألقابه خمسة الألقاب التى يحملها فرعون مصر وهى خمسة الأسماء التى تفسر لنا الصفات التى كان يتميز بها الملك (وقد تكلمت عنها فى كتاب مصر القديمة جزء أول ص ١٦٦) . فمثلا بصفته « ملك الوجهين القبلى والبحرى » كان ينعت بأنه « الثور الذى يقطن عين شمس » . ويلاحظ هنا أن اسم الملك الحورى العادى قد اختصر إلى « الثور » بدلا من « حور الثور المنتصر » وهو اللقب الذى حل بدلا من « حور » فقط منذ حكم تحتمس الثالث . أما لقب الالهتين (نبتى) (أى العقاب والصل) ولقب « حور =

يصطاد لنفسه — والإلٰهتان (نبتى) — الذى يحمى الآلهة وقاهر الأرضين — و«حور» الذهبى بارىء الناس فى الأزل — ملك الوجه القبلى والبحرى — الثور الذى فى عين شمس . ابن «بتاح» المنير فى الأرضين (؟) والذى يضىء بوصفه والد تاسوعه ليغذى نفسه من الذهب ومن الطرائف المقدسة — فى حياة وعافية وصحة — : اكتب لنا عما ينبغى أن نفعله مع «حور» و «ست» ، فنحن لا نريد أن نفعل شيئا مادمنا لسنا على علم (تام) » .

وبعد ذلك وصل الجواب إلى الملك ابن « رع » غزير الفيضان ورب القوة ، وهنا صاح صيحة عالية عندما قرىء الجواب أمامه .

فجاوب بسرعة عظيمة إلى المكان الذى كان فيه رب العالمين موجودا مع التاسوع فكتب : « لماذا تستعمل مع ابنى « حور » القوة ؟ هل كنت أستعمل معكم القوة ! وانى أنا الذى أوجدت الشعير والحنطة ، والذى أطعم الآلهة[1] وكذلك المخلوقات الحية بعد الآلهة . على أنه لا يوجد إلٰه ولا آلهة فى مقدوره أو مقدورها أن يفعل ذلك » .

وقد وصل جواب أوزير إلى المكان الذى فيه « رع حور أختى » أثناء جلوسه مع التاسوع فى الحقل الأبيض فى (بلدة) « سخا » .

= الذهبى » فانهما يقدمان كالمعتاد . ويلاحظ فى الألقاب التى فى قصتنا أن المؤلف حينما أراد أن يذكر اللقب الخامس الذى يعرف عند علماء الآثار بالاسم تمييزا له عن الصفة الرابعة ، لم يكن فى الإمكان استعمال عبارة « ابن الشمس » وهو اللقب المعتاد ، لأن ذلك يظهر سخيفا إذا وصف « رع » بأنه «ابن رع» أى الشمس . على أن هذه النعوت نفسها غريبة فى بابها ولم تكن منتظرة . فمثلا نجد أن لقب «الأسد الذى يصطاد لنفسه » قد صيغ على وتيرة لقب حورى أعطى للملك « مرنبتاح » وهو « الفهد الذى يزق لنفسه » الخ . وهكذا نجد معظم هذه الألقاب غريبة فى بابها .

(١) لا نزاع فى أن القول الصريح فى قصتنا أن « أوزير » هو الذى خلق القمح فريد فى المتون المصرية . والواقع أن علاقة هذا الإله بالمحاصيل الزراعية كان يعبر عنه بطريقة أخرى فى كل ما وصلنا من النقوش المصرية . فقد كان الاعتقاد القديم أن « أوزير » كان مؤحدا مع القمح ، وكان يقال عنه إنه هو « نبر » إله القمح . انظر (Lacau Textes Relig no LX III.)

وكذلك يمثل لنا نفس الفكرة أسرة « أوزير » المصنوعة من الغرين الصالح للزراعة والقمح الذى كان يوضع عليها لينبت فى القبور ، وكذلك التماثيل التى كانت تصنع فى عيد كيهك وهو عيد إحياء «أوزير» يضاف إلى ذلك ما جاء فى « بلوتارخ » وغيره من كتاب اليونان مفسرا لهذا الرأى (Plutarch De I side ch 65) . على أن مظهر هذا الإله فى هذه الصورة قد بحثه سير جيمس فريزر فى كتابه : Sir james Frazer Osiris, Attis and Adonis Vol II PP 89 ff. وكذلك بحث فى Journ. Egypt. Arch. II, 121—5 & A. Moret La mise au Mort du Dieu en Egypte.

وقد كان الرأى السائد فى العصر الإغريقى الرومانى أن « إزيس » هى التى كشفت عن القمح ولكن استعماله وزراعته يرجع الفضل فيهما إلى « أوزير » . راجع Plutarch De Iside Ch. 31 & Diodorus Siculus I. 14.

وقد قرىء فى حضرته وفى حضرة التاسوع وقال « رع حور أختى » : أجب بدلا منى عن هذا الخطاب بغاية السرعة وا كتب إلى « أوزير » ، ردا عليه : « هب أنك لم توجد بعد ، وهب أنك لم تولد قط فإن الشعير والحنطة كانا — لا بد — موجودين ! » .

وإذ ذاك وصل جواب « رب العالمين » إلى « أوزير » وقرىء أمامه .

وعندئذ أرسل إلى « رع حور أختى » ثانية ما يأتى : « قد يكون كل ما فعلت أنت يا خالق التاسوع حسنا جدا حقيقة . إنه قد سمح للعدالة بذلك أن تهبط إلى العالم السفلى ، ولكن تنبه إلى المركز الذى تجد نفسك فيه ، أما الأرض التى أمكث فيها فإنها ملأى برسل غضاب[1] ، لايخافون أى إله أو آلهة . فإذا تركتهم يخرجون منها فإنهم يحضرون قلب أى إنسان يرتكب خطيئة وسيصيرون معى هنا . والا لم أبق فى الغرب[2] وأنتم جميعا فى الخارج (أى فى عالم الدنيا) ! من يوجد بينكم أقوى منى ؟ ولكنهم فى الواقع افتروا الكذب . و « بتاح » العظيم القاطن جنوب جداره رب « عنخ تاوى » (منف) وخالق السماء ألم يتكلم إلى النجوم التى فيها قائلا : ينبغى أن تذهبى إلى الغرب كل ليلة حيث يوجد الملك « أوزير » .

ولكن ينبغى أن يذهب بعد الآلهة البشر وعامة الخلق للراحة (الموت) أيضا فى المكان الذى[3] أنت فيه — هكذا قال لى . ؟ (أى بتاح) » .

---

(١) إن فكرة الرسل هنا تقابل فى التوراة والإنجيل والقرآن الملائكة الذين ينفذون أوامر الإله . ولدينا أدلة على وجودهم فى النقوش المصرية فى « كتاب الموتى » وفى « متون الأهرام » . ففى الفصل التاسع والعشرين من « كتاب الموتى » نجد مايناسب الفقرة التى فى قصتنا تعويذة لمنع أحد قلب الانسان منه ، وهى : «ابتعد أنت يارسول أى إله ، هل أتيت لتحرمنى قلبى هذا الذى أعيش به ؟ إنى لن أعطيك إياه ، قلبى هذا الذى أعيش به . . . »

(٢) يظهر أن الغرب أو العالم السفلى هنا يقصد به أن يكون مكانا للنفى خاصا بالأشقياء وبعبارة أخرى مايقابل جهنم عندنا .

(٣) لقد عثر على وصف ممتع للغرب (الجبانة أو عالم الآخرة) فى قصيدة من أواخر الأسرة الثامنة عشرة .Proc. Soc. Bib. Arch, 35, 168)

« إن كل أقاربنا يرتاحون فيها منذ الأزل . وكذلك من سيولدون : (الملايين) منهم تلو (الملايين) سيأتون إليها جميعا ولا يتباطأ أحد عنها فى مصر ، وليس هناك فرد واحد لايقترب منها » . وكذلك فى العصور المتأخرة نجد فى قصة « خامواس » (Griffith. Stories of the High Priest of Memphis PP 46—8) إن الموتى قد مثلوا داخلين إلى الغرب (يعنى) ليحاكمهم «أوزير» ، فالشقى يدفع به إلى المارد المسمى «اما» (الملتهم) ، أما الفاضل فإن مكانه بين الأبرار الذين يخدمون «أوزير»

وبعد ذلك وصل خطاب « أوزير » إلى حيث كان رب العالمين الذى كان مع التاسوع ، فتسلم «تحوت» الجواب وقرأه أمام «رع حور أختى » والتاسوع .

فقالوا : «إن «العظيم فى فيضانه ورب الطعام» محق فى كل ماقاله» . وهنا قال «ست» : اذهبوا إلى «جزيرة الوسط» ، وعلى ذلك يمكننى أن أخاصم معه (هناك) . وعلى ذلك ذهب إلى «جزيرة الوسط» وقد أعلن أن « حور » صاحب الحق عليه . وعندئذ أرسل « آتوم » رب العالمين فى عين شمس إلى « إزيس » قائلا : ابتى « بست » مكبلا بالأغلال . وعلى ذلك أحضرت « إزيس » « ست » مكبلا بالأغلال مثل السجين .

فقال له « آتوم » : لماذا لم تقبل أن يفصل بينكما (حسب القانون) ، بل بحثت لتغتصب لنفسك وظيفة «حور» ؟ فقال «ست» : ليس الأمر كذلك ياسيدى الطيب قط — مر بأن ينادى «حور» بن « أوزير » ثم يعطى وظيفة والده « أوزير » .

فأحضر « حور » بن « إزيس » ، ووضع التاج الأبيض على رأسه وأجلس على عرش والده « أوزير » . ثم قيل له : « إنك ملك مصر الطيب ! وإنك الرب الطيب لكل بلاد أبد الآبدين ! »

وعندئذ رفعت « إزيس» صوتها عاليا أمام ابنها «حور» وقالت : « إنك الملك الطيب وإن قلبي لفى سرور عندما تنير الأرض ببهائك » .

وإذ ذاك تكلم «بتاح» العظيم القاطن جنوب جداره ، رب « عنخ — تاوى» (منف) : ما الذى ينبغى أن يعمل لست (الآن) ؟ إذ تأمل . فإن «حور » قد جلس فى مكان والده « أوزير » . وعندئذ قال « رع حور أختى » : « أتمنى أن يسمح « لست » بن « نوت » أن يسكن معى بمثابة ابن ، وكذلك ينبغى أن يرفع صوته فى السماء (يرعد) وأن يخاف الإنسان فى حضرته » .

وعندئذ أتى من يبلغ « رع حور أختى » : « أن «حور » بن « إزيس » قد نصب حاكما » . وعلى ذلك فرح « رع حور أختى » فرحا شديدا وقال للتاسوع : « أقيموا الأفراح فى كل البلاد « لحور » لابن إزيس ! » . ولكن «إزيس» قالت : « إن «حور» قد نصب حاكما ، والتاسوع فى سرور ، والسماء فى حبور ، وهم يأخذون أكاليل الأزهار عندما يشاهدون «حور» بن « إزيس » ، وكيف أنه نصب حاكما عظيما لمصر »

أما التاسوع فإن قلوبهم كانت فرحة وكل البلاد فى حبور عندما رأوا « حور »

ابن « إزيس » ، وكيف أنه قد أخذ وظيفة والده « أوزير » سيد « أبو صير » . لقد انتهى بخير فى طيبة فى مكان الصدق (؟)

قصة سياحة ونأمون

ملخص القصة :

كان القارب الرسمى المشهور المسمى « وسرحات » الذى كان يستعمله « آمون » طيبة فى حاجة إلى خشب من أرز لبنان ، وكان ذلك سهلا مادامت مصر قوية . ولكن حوالى سنة ١١٠٠ق.م. كانت مصر ضعيفة فلم يكن لديها المال ولا النقود لجلب مايلزم لإعادة بناء القارب من الخشب ، ومع ذلك فقد جمع المال بطريق التبرع واتفق على إرسال آمون نفسه إلى « بيلوس» « جبيل » ، وقد اختير لهذا الغرض تمثال للآله يسمى « آمون الطريق » وصاحبه « ونأمون » أحد موظفى المعبد (أسن رجال القاعة) ، وأخذ معه خطابات توصية « لسمندس » ، و« تنتامون » لمده بما يحتاج إليه فى طريقه إلى بيلوس « جبيل » .

وصل ونأمون إلى « تانيس» مقر « سمندس » و « تنتامون » . وفى الشهر الرابع وصل إلى « دور » فى بحر سوريا العظيم . وهناك سرقت نقوده فشكا إلى أميرها فلم ينصفه ، فاستمر فى سياحته إلى « زاكار بعل » أمير «جبيل» ، وقد قابل بعض الأهالى فسلبهم كيس نقود تعويضا عما سُلبه ، فغضب أمير «جبيل» لما حدث وأمر بطرده من ثغره ، ولكن «ونأمون» لم ينفذ الأمر ، ودار حوار بينهما حول السفر والإقامة وسبب المجىء إلى بلاده ، وطلب ثمنا لما يراد منه ، وانتهى الأمر بإرسال سبع قطع من الخشب إلى مصر ، وأرسل « سمندس » «وتنتامون» هدايا كثيرة فرح لها الأمير ، وحشد جمعا من الرجال والثيران لإعداد الخشب المطلوب . وبعد أن جهز الخشب على شاطىء البحر جاءت سفن من « زاكار » للقبض على «ونأمون» وسجنه وللحيلولة دون سفر الخشب إلى مصر ، فأبى الأمير أن يقبض عليه فى أرضه وأرسله بعيدا عن بلاده ، فساقت الريح سفينته إلى أرض «إرسا» وخرج أهلها ليقتلوه ، فلجأ إلى ملكتها ، ثم كسرت البردية بعد ذلك ، فلم يعلم كيف نجا « ونأمون » من أخطاره ؟ وهل حقق الغرض من رحلته أم رجع كما ذهب .

دراسة القصة :

هذه القصة تعد من أدب الدولة الحديثة الراقى ، وإذا قستها بغيرها من قصص الدولة الوسطى كقصة «سنوهيت» الراقية المغزى والتعبير ، أو قصة «الغريق» السهلة التناول المذبة الأسلوب ، وجدت أهم ميزة لقصتنا هذه الوصف الحى الذى تضعه أمامنا ، والحوار الحاد الممتع الذى تعرضه على أسماعنا . وأهم من هذا وذاك البيئة التى أظهرها القاص فيها ، والجو الذى نقل القارىء إليه ، والنواحى النفسية التى تناولها كإبراز أخلاق «ونأمون» أهم شخصية فيها ، وبيان أن الأسرة العشرين التى انحطت قوتها أعجز من أن تجلب لمصر مااعتادت الأسر القوية أن تفعله ؛ فلم يكن فى مقدور حاكمها أن يصدر أمراً فى مصر لينفذ فى لبنان . ولقد سرد الكاتب قصته بطريقة جميلة حتى لترسخ فى ذهنك صورة أمير « جبيل » فى حجرته العليا ، وظهره مستند إلى شرفتها ، وأمواج البحر السورى تتلاطم من خلفه ، وحتى تشارك ونأمون أساه لهروب أحد أتباعه بما كان عنده من ذهب وفضة ، وحتى لترثى لخذلانه عند ما طولب بإبراز مايتسلح به من توصية أو عدة ، وحتى لتبكى معه سوء طالعه عندما رأى الطيور تنزح للمرة الثانية إلى مصر وهو على حاله من الخيبة والفشل فى سوريا مقيم .

وقد وضع الكاتب أمام أعيننا صورة مدهشة لتدهور الدولة المصرية وسقوطها ، مشربة باعتقاد رقيق مؤثر فى قوة آمون ، وقدرته على انتشالها من وهدتها وإعادتها لما كانت عليه فى غابر الأزمان .

وهذه القصة جديرة بأن توضع جنبا لجنب مع بعض أحسن القصص التى وردت فى التوراة مثل قصة « يونس ورسالته» أو « قصة راعوث فى وسط القمح » ، مع فارق واحد هو أن قصتنا قد سبقت كلاً منهما بنحو خمسة قرون ، كما أنها تقدم لنا صورة حية عن السياحة وعن التجارة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وتساعدنا على تصور ذلك العالم على حقيقته كما كان ، ذلك العالم الذى لاتزال صورته نتمتع بها فى قصة « الأوديسا » بأسلوبها البسيط الخالى من المحسنات العميقة القديمة . هذا إلى أن القاص يستميلنا أكثر من هذا بنكاته الدقيقة التى تجرى على لسانه من غير تكلف أو اصطناع .

المصادر :

عثر على هذه البردية الأستاذ جولنيشف الروسى ، وهى الآن فى موسكو وقد ترجمها وعلق عليها سنة ١٨٩٩ وأهم من ترجمها أو كتب عنها :

(1) Erman, Zeitschrift fur Aegyptische Sprache, XXXVIII, p.p. 1. f.f.

(2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", (translated by Blackman), p. 174.

(3) Eric Peet, "A comparative study of the Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p. 47. f.f.

(4) Maspero, "Popular Stories of Ancient Egypt," p. 202.

(5) Wiedmann, Altagyptische Sagen und Märchen, (Leipzig, 1906), p.p. 94 — 113.

(6) Breasted, "Ancient Records of Egypt", Vol. IV, p p. 274 f.f.

متن القصة

فى اليوم السادس عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف سنة خمس سافر فى هذا اليوم « ونأمون » أكبر رجال قاعة إدارة « آمون » الكرنك ليحضر الخشب للسفينة الكبرى المعظمة الخاصة «بأمون رع» ملك الآلهة ، وهى التى على النهر وتسمى «وسرحات آمون » . فى اليوم الذى وصلت فيه إلى «تانيس » مقر «سمندس» و«تنتامون» أعطيتهما خطابات « آمون رع » ملك الآلهة . وقد قرئت فى حضرتيهما وقالا : « نعم سنفعل كما قال سيدنا « آمون رع » ملك الآلهة ، وقد مكثت إلى الشهر الرابع من الصيف فى « تانيس » ثم أرسلنى «سمندس» و« تنتامون » مع قائد المركب «منجبت[١] » . وفى اليوم الأول من الشهر الرابع من فصل الصيف نزلت فى بحر سوريا المظيم . وقد وصلت إلى « دور » وهى مدينة «للزكار»[٢] وقد أمر «بدر» أميرها باحضار (؟) رغيف لى وإناء من النبيذ وساق ثور[٣] . وقد ولى الأدبار أحد رجال سفينتى سارقا : أوانى من الذهب . . . يبلغ مقدارها خمسة دبن[٤]. وأوانى فضة أربعاً يبلغ مقدارها عشرين دبنا . وفضة فى كيس يبلغ مقدارها ١١ دبنا ، فجموع ماسرق خمسة دبن من الذهب وواحد وثلاثون دبنا من الفضة ، وكان فى الكيس قطع من الفضة كانت تستعمل للتعامل زيادة على الأوانى (هذا مبلغ عظيم كان لا بد أن يستعمل معظمه لشراء الخشب) .

وفى الصباح نفسه (؟) استيقظت وذهبت إلى حيث كان الأمير وقلت له : « لقد سرقت

(١) كما سيتضح بعد : هو اسم قائد سورى أى فينيق

(٢) شعب كان قد غزا ساحل فلسطين منذ ثمانى سنوات مضت .

(٣) هدية له .

(٤) الدبن ٩١ جراما

فى ثغرك . ولما كنتَ أمير هـذه الأرض وشرطيها فابحث عن نقودى . وفى الحق أن المال ملك « آمون رع » ملك الآلهة ورب الممالك ، وهو ملك سمندس وملك « حرحور » سيدى ، وملك عظماء مصر الآخرين[١] ومن ملـكك أنت ومن مال «ورت» ملك«مكمر» و « زاكار بعل » أمير «جبيل»[٢]. فقال لى : أأنت مؤذ أم مسالم[٣] ؟ انظر . أنا لا أفهم شيئا فى هذا الموضوع الذى حدثتنى عنه . لأنه لو كان اللص الذى دخل السفينة وسرق المال من بلادى حينئذ كنت أدفعه لك ثانية من خزانتى إلى أن يعرف اللص المذكور . ولـكن الذى سرقك هو منك وتابع لسفينتك . فانتظر هنا بضعة أيام حتى أبحث عنه .

وقضيت تسعة أيام مقيما فى ثغره ، ثم ذهبت إليـه وقلت : « انظر . إنك لم تجد نقودى (فسأقلع أنا) مع القائد ومن سيسافرون ».

وفى الـكسر الـكبير الذى فى الورقة البردية فى هذا المـكان يمكن أن نقدر أن عبارة كالآتية قد قيلت . قامت مناقشة حادة بين «ونأمون» وأمير «دور» إذ قال له «الزم الصمت» وقد أساء له إنسان النصيحة بأن يعمل مثل غيره على أن يسترد ماله ثانيـة بنفسه أى : يذهبون ليبحثوا عن سارقهم — ومن ثم أتى إلى «صور» ؟

وأتيت فى الفجر من صور (واستمر فى سياحته إلى زاكار بعل أمير « جبيل » . ولسوء الطالع قابل بعض أهالى «زاكار» فى خلال سياحته وظن أنه محق فى أن يعوض على نفسه السرقة التى كان هو فريستها فى مدينتهم من متاعهم ، فسلب منهم كيسا) (؟) : وَجدْتُ فيه ثلاثين دبنا من الفضة . فأخذتها . فاشتكوا ولـكنه أجاب : (حقاً أنها) نقودكم غير أنها ستبقى معى إلى أن توجد نقودى . وعلى ذلك أوجد لنفسه أعداء من أهالى « زاكار » ثم ذهبوا ، ووصل هو إلى ثغر « جبيل » . وهناك بحث لنفسه عن مكان أمين : وقد خبأت فيه « آمون الطريق » ووضعت فيه متاعه[٤] . ولـكن أمير «جبيل» لم يظهر ارتياحه لزيارة رجل لم يكن على وئام مع «الزاكاريين» ، فأرسل إلىّ أمير جبيل وقال : « اخرج من ثغرى» (لم يبق من جواب « ونأمون » على هذا الطلب إلا الـكلمات الأخيرة) : « إذا كان هنا

---

(١) الذين جمعوها

(٢) هؤلاء هم الأمراء الفينيقيون الذين سيزورهم والذين سيكون لهم نصيب من النقود عندما يجدها ثانية .

(٣) يحتمل أنه يريد أن يقول يمكنك أن تغضب لجوابى . غير أن هذا الأمر لا يعنينى لأن السارق ليس من رعاياى

(٤) نقود زاكار ومتاع ونأمون

أناس على سفر فدعهم يأخذونى إلى مصر » . (والظاهر أن « ونأمون نفسه كان مستعداً تماماً ليتخلى عن هذه الرحلة الفاشلة ، غير أنه لم يكن لديه أى فرصة ليسافر آمنا إلى وطنه إذا لم يضمن له أمير «جبيل» مكاناً أميناً على ظهر مركب مسافر إلى مصر . ثم يستمر المتن) : وأمضيت تسعة عشر يوما فى ثغره ، ولـكنه استمر يبعث إلىّ كل يوم قائلا : « اخرج من ثغرى» . وبينما كان يُقدم القرابين لآلهته أصاب الإلـه أحد شبانه النبلاء [١] فصار مخبولا وقال : « احضر الإلـه هنا ؟ أحضر الرسول الذى معه إنه آمون الذى أرسله ، إنه هو الذى جعله [٢] يأتى . »

وهكذا استمر الشاب المخبول فى خبله طول الليل ، فى حين أنى وجدت سفينة مقلعة إلى مصر وكنت أنقل كل ماعندى على ظهرها ، وكنت أرقب الظلام حتى إذا أسدل ستاره أُنزل الإلـه حتى لاتراه عين أخرى . وأتى إلىّ رئيس الثغر قائلا : « امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير » ، فقلت له : ألست الذى لايفتأ يأتينى كل يوم قائلا : اخرج من ثغرى ولم تقل قط «ابق ؟» . والآن سيدع الأمير المركب التى وجدتها تسافر ، ثم تأتى أنت إلىّ ثانية قائلا : « فلتذهب » ؟

فذهب وأخبر الأمير بذلك ، ولـكن الأمير أرسل إلى قائد المركب قائلا : « امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير » .

ولما جاء الصباح أرسل إلىّ وأحضرنى أمامه والإلـه بقى فى ... الذى كان فيه على ساحل البحر ، فوجدته قاعداً فى حجرته العليا وظهره متكىء على النافذة وأمواج بحر سوريا العظيم تتلاطم من خلفه ، فقلت له : «رحمة (؟) آمون» ! فقال لى : ما المدة التى قضيتها منذ أتيت من مقر آمون [٣] إلى الآن ؟ . فقلت له : خمسة شهور كاملة إلى الآن .. فقال لى : « أحقا تتكلم الصدق ؟ وأين إذاً مكتوب رئيس كهنة آمون الذى يجب أن يكون معك » فقلت له : أعطيتها « سمندس » و« تنتامون» . فغضب جداً وقال لى : « انظر . ليس لديك كتابة ولا خطاب ، فأين على (أقل) تقدير سفينة خشب الأرز التى أعطاها إياك «سمندس» ؟ وأين نواتيها السوريون ؟ حقا إنه لم يسلمك لربان هذه السفينة لتذبح وتلقى فى البحر فمن أين إذاً أتوا ؟ بالإلـه ، وأنت أخبرنى من أين أتوا بك ؟ » وهكذا تكلم إلى وقد قلت له : « ولـكنها سفينة

---

(١) يقصد بالشبان الوصفاء أو من على شاكلتهم

(٢) وقد كان نبأ حضور تمثال الإله أخذ ينتشر بين حاشية الملك

(٣) الأسئلة الآتية كلها ترمى إلى اعتبار ونأمون محتالا .

مصرية ونواتيها مصريون يسيحون « لسمندس » وليس لديه ملاحون سوريون [1] » فقال لى : « ولكن يوجد فى ثغرى عشرون سفينة مشتركة مع «سمندس» ، وفى «صيدا» التى مررت بها سائحا أيضا خمسون مركبا مشتركة مع «بركات أيل [2]» وهى تسافر إلى بيته » .

وقد كنت صامتا فى تلك اللحظة الرهيبة . فأجاب قائلا : « لأى داع أتيت إلى هنا ؟ » فقلت له : «أتيت من أجل الخشب اللازم للسفينة العظيمة الشأن ملك «آمون» ملك الآلهة، وقد كان والدك وجدك معتادين أن يفعلا ذلك وأنت ستفعل كما فعلا أيضا »

وهكذا تكلمت معه . فقال لى : « حقيقة قد فعلا ذلك ، وإذا أعطيتنى شيئاً مقابل تنفيذ هذه الرغبة فعلتها . وفى الحق أن قومى قد أنجزوا هذا الأمر ، ولكن الفرعون قد أرسل ستة مراكب هنا محملة بسلع مصر وقد أفرغوها فى مخازنهم ، فعليك إذاً أن تحضر لى أنت بعض الشىء أيضا ، ثم ذهب وأحضر سجلات والده اليومية وأمر بقراءتها بصوت عال فى حضرتى ، وقد وجد أن مادخل فى سجله يبلغ ألف دبن من كل أنواع الفضة [3]

وقال لى : « إذا كان حاكم مصر سيد أملاكى وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة ولا ذهباً حينما يقول « نفذ أمر آمون » . على أنها لم تكن هدية ملك [4]، التى أعطوها والدى . وأنا لذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك [5] . وإذا بعثتُ إلى لبنان فإن السماء تفتح وتكون الأشجار ملقاة هنا على شاطىء البحر [6] . أعطنى القلاع التى أحضرتها معك لتقلع بسفنك التى تعود بالخشب إلى مصر . أعطنى كذلك الحبال التى أحضرتها معك لتربط بها بإحكام [7] ؟ الـ ... شجر الذى سأقطعه حتى أصنعها ... لك ... لأنك من غير كل هذا لا يمكنك أن تسافر بالخشب ، وإذا صنعتها لك قلاعا لسفنك فإن أطرافها ستكون ثقيلة أكثر من اللازم وتنكسر إلى قطع ، وتهلك أنت فى وسط البحر . وتأمل إن آمون يرعد

---

(١) أسئلة لا قيمة لها . فما دام صاحب السفينة مصريا فالبحارة الفينيقيون يمكن اعتبارهم مصريين كذلك

(٢) ومعنى هذا الاسم « نعمة الله »

(٣) يقصد أوانى وقطعا فنية

(٤) يريد أن يعلق أهمية على أن النقود كانت مقصورة على ثمن شراء الخشب فقط

(٥) فهو بكل احتقار يعين بالذات الكاهن الأعلى

(٦) ولما كانت هذه الأشجار نامية على جبال عالية فإن تساقطها من أعلى يدفع بنا إلى الظن أنها ساقطة من السماء

(٧) أحمال من الخشب إذا لم تكن مربوطة بإحكام تكون خطرا على السفينة

فى السماء ويجعل « سوتخ[١] » يثور (؟) فى وقته . لأن آمون[٢] قد أمد كل البلاد ، وقد أمدهم كما أمد أرض مصر التى أتيت منها فقد أمدها أولا . لأن الشغل الدقيق قد أتى منها إلى مقرى ، وكذلك التعليم أتى منها ليتصل إلى مقرى . فما هذه السياحات الصبيانية التى جعلوك تقوم بها !» فقلت له : « صه . إنها ليست سياحات صبيانية مطلقا التى أقوم بها ، فليست هناك سفينة على الماء الا وهى ملك لآمون . فانه هو البحر ولبنان ملكه وهى التى تقول عنها « إنها ملكى » لأنها مزرعة للسفينة « وسرحات آمون » رب كل سفينة . وفى الحق هكذا تكلم « آمون رع » ملك الآلهة قائلا « لحارحور » سيدى : أرسلنى[٣] واجعلنى أسافر مع هذا الإلٰه العظيم . ولكن تأمل . لقد جعلت هذا الإلٰه العظيم يمضى ٢٩ يوما ، وبعد ذلك نزل إلى ثغرك وأنت تعلم تماماً أنه كان هنا ! وهو لا يزال على ما كان عليه أبديا ، وأنت تقف الآن وتريد أن تساوم عن لبنان مع ربها آمون . أما من جهة قولك : إن الملوك السالفين أرسلوا فضة وذهباً فإذا كانوا قد قدموا الحياة والصحة فإنهم كانوا فى غنى عن إرسال هذه الأشياء . وقد فضلوا أن يرسلوا إلى آبائك هذه الأشياء بدلا من الحياة والصحة[٤] .

«والآن من جهة « آمون رع » ملك الآلهة فإنه هو رب الحياة والصحة ، وقد كان رب آبائك الذين قضوا مدة حياتهم يقدمون القربان لآمون ، وأنت كذلك خادم لآمون . والآن إذا قلت : نعم سأفعلها ونفذت أمره فانك ستعيش وتفلح وتكون فى صحة جيدة وستكون محسنا إلى كل الأرض وإلى قومك . ولكن لاتأخذ شرها لنفسك أى شىءخاص « بآمون رع » ملك الآلهة ، حقا أن السبع يحب متاعه !

« دع كاتبك يحضر إلى حتى أرسله إلى «سمندس» و «تنتامون» قائدى الأرض ، وهما اللذان قد منحهما آمون الجزء الشمالى من أرضه ، وسيرسلان كل مايحتاج إليه وسأكتب أنا إليهما قائلا : ارسلها (أى الأشياء) حتى أعود للجنوب وأرسل لك كل ما أنا مدين به لك » وهكذا تحدثت له . وقد سلم خطابى إلى يد رسوله ثم حمل خشب قمر المركب والمقدمة والمؤخرة وكذلك أربع قطع أخرى ، أى أن المجموع كان سبع قطع ، وأمر بإرسالها إلى مصر .

---

(١) يعتبر « سوتخ » إله العاصفة وهو إله أسيوى الأصل

(٢) يتكلم عن آمون « كالإله الأعلى » وشعبه يجب أن ينظر إليه بعين الاحترام مراعاة للإله ولمصر

(٣) نأمون نفسه هو الذى أمر بسفر تمثاله بوساطة الوحى

(٤) الحياة والصحة هى البركة التى يمنحها الآلهة . وهذا ما أحضر لك بوساطة تمثال الإله . وهذه بلا شك أفضل من المال الذى كنت تتسلمه فى الزمن الماضى .

وقد ذهب رسوله إلى مصر وعاد إلى فى سوريا فى أول شهر من الشتاء وأرسل إلى « سمندس » و « تنتامون » .

	عدد	
ذهب	٤	أباريق وإناء كاكنت .
فضة	٥	أباريق .

ملابس من الكتان الملكى عشر قطع .

	عدد	
كتان جيد من الوجه القبلى	١٠	خرد
بردى جميل :	٥٠٠	
جلود ثيران :	٥٠٠	
حبال :	٥٠٠	
جولق عدس :	٢٠	
سلة سمك :	٣٠	

وكذلك أحضروا لى[1] : ملابس من كتان الوجه القبلى الجيدة : ٥ قطع وكتاناً جديداً ن الوجه القبلى : ٥ خرد .

	عدد	
عدس	١	جولق
سمك	٥	سلات

ففرح الأمير وخصص ثلثمائة رجل وثلثمائة ثور على رأسها ملاحظون لقطع الأخشاب ، وقد قطعوها وبقيت ملقاة طول الشتاء . وفى الشهر الثالث من الصيف جُرّت إلى شاطىء البحر .

وأتى الأمير ووقف عليها (أى الأشجار المقطوعة) وأرسل إلى قائلا : تعال . ولما أُحضرت بالقرب منه سقط ظل مروحته على ، ولكن بنأمون[2] ساقيه وضع نفسه بينى وبينه قائلا : « إن ظل فرعون ربك قد سقط عليك » وقد غضب (الأمير) قائلا : « دعه وهذه » . وأُحضرت بالقرب منه وأجاب قائلا لى : « تأمل . إن الأمر الذى قد أداه آبائى فى الزمن الماضى قد أديته أيضا ، وإن كنت أنت من ناحيتك لم تفعل لى مافعله آباؤك لى . انظر . إن آخر

(١) أرسل هذا « تنتامان » له شخصيا

(٢) رجل مصرى . غير أنا لا نعرف كيف نحدد خبث هذه الحركة

قطعة من خشبك قد وصلت الآن وها هى قد كُوِّمت . والآن افعل كما أريد وتعال لشحنها ، لأنها فى الحقيقة أعطيت لك . ولكن لاتأت لتشاهد أهوال البحر(١) ، فاذا كنت ستشاهد هول البحر فشاهد هولى أيضا . وفى الحق لم أفعل معك مافعلوه مع رسل « خاموس(٢) » حينما قضوا ١٧ سنة فى هذه الأرض ، وقد ماتوا حيث كانوا .

ثم قال لساقيه : « خذه وأره قبورهم حيث يرقدون » وقلت له : « لا تُرنى إياها ! أما عن « خاموس » فإنه أرسل لك رجالا رسلا وكان هو نفسه رجلا وأنا ليس معى أحد من رسله ومع ذلك تقول : « اذهب وانظر إلى زملائك(٣) » ألا يحسن بك أن تفرح وتأمر بعمل لوح تذكارى لك وتنقش عليه « آمون رع » الإله أرسل إلىّ رسوله « آمون الطريق » ومعه « ونأمون » رسوله من البشر من أجل الخشب اللازم لسفينة « آمون رع » ملك الآلهة العظيمة الفاخرة ، وأنى قطعتها وشحنتها وأرسلتها فى سفنى المجهزة بملاحى ، وقد أرسلتهم إلى مصر ليلتمسوا لى حياة عشرة آلاف سنة من آمون ، أكثر مما هو مقدر لى وسيحقق ذلك . وحينئذ عندما يأتى رسول من أرض مصر فى الزمن المقبل عالم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية فإنه سيقرب لك ماءً فى الغرب مثل الآلهة(٤) الذين هنا . فقال « إنها لشاهدة عظمى على ماقد قصصته على » فقلت له : أما من جهة الأشياء العدة التى قلتها لى فانى لو وصلت إلى مقر كهنة آمون ونظر إلى ماوصيت(٥) به فحينئذ سيجبيك إلى هذه التوصية بعض الشيء(٦) . وذهبت إلى ساحل البحر حيث كان الخشب محزوما ولمحت إحدى عشرة سفينة تقترب فى البحر وهى من متاع « زاكار » وقد أتت بالأمر : خذوه سجيناً ولاتسمحوا لسفينة له أن تذهب إلى أرض مصر . وعند ذلك قعدت وبكيت . ثم أتى كاتب خطابات الأمير إلى وقال لى : « ماذا يؤلمك ؟ » فقلت له : « لا ريب أنك ترى الطيور التى تذهب إلى مصر للمرة الثانية(٧) . انظر إليها ! إنها تذهب إلى البرك الباردة ، ولكن إلى أى وقت سأُترك هنا ؟ ولاشك أنك ترى هؤلاء الذين أتوا ثانية ليأخذونى سجيناً » . فذهب وأخبر

---

(١) أى أسرع وسافر ولا تجعل رداءة جو الفصل سببا فى بقائك هنا

(٢) يحتمل أن يكون رعمسيس التاسع . ونحن هنا لسنا فى موقف يمكننا أن نخمن فيه ما حدث بالضبط . ولكن على أية حال فإن هناك إشارة إلى تهديد فى هذه الحادثة

(٣) ومعنى ذلك أن مهمتى لها صبغة إلهية

(٤) أى الملوك الأموات الذين فى الغرب (أى الآخرة)

(٥) الخشب الذى تسلمه (٦) أى سندفع حمولة الخشب الثانية

(٧) لقد مضى عام كامل منذ مغادرته طيبة . وبعد ذلك يقول بشىء من المبالغة إنه يرى الطيور المسافرة للمرة الثانية تسافر إلى مصر

الأمير بذلك . فأخذ الأمير يبكي بسبب الأخبار المحزنة جداً التي قيلت له ، وأرسل إلى كاتب خطاباته وأحضر إلى قدحين من النبيذ وكبشا وزيادة على ذلك أحضر لى « تنتنوت » وهى مغنية مصرية كانت معه قائلا لها « غنى له ولا تجعلى قلبه تسكنه الهموم » ، وأرسل إلى قائلا : « كل واشرب . ! ولا تجعل قلبك مسكناً للهموم ، وستسمع كل ما أقوله غداً » وعند الصباح أمر . . . . ينادى ووقف فى وسطهم وقال لرجال « زاكار » : « ما معنى مجيئكم هذا ؟» فقالوا له : « قد أتينا وبحثنا وراء السفن التى يجب أن تحطم وهى التى ترسلها إلى مصر مع . . . . زملائنا » . فقال لهم : « أنا لا يمكننى أن آخذ رسول آمون سجيناً فى أرضى . دعونى . أرسله بعيداً ، وعندئذ اقتفوا أثره لتأخذوه سجيناً (يظهر أن هذا كان نص القانون الدولى وقتئذ) .

فوضعنى على ظهر السفينة وأرسلنى بعيداً عنه . . . إلى ثغر البحر ، فساقتنى الريح إلى أرض « أرسا »[1] وخرج أهل المدينة ليقتلونى وقد ساقونى بينهم إلى مكان سكن « حتب » ملكة المدينة ، وقد وجدتها حينما كانت آتية من أحد بيوتها داخلة إلى بيت آخر لها[2] وقد حييتها وقلت للناس الذين وقفوا بجانبها : « يوجد من غير شك واحد من بينكم يفهم المصرية » فقال أحدهم : « أنا أفهمها » فقلت له : قل لسيدتى : « لقد سمعت أنه يقال من أول طيبة حتى إلى مكان « آمون » إن الظلم يفعل فى كل مدينة ، ولكن الحق يفعل فى أرض « إرسا » ، والآن كذلك يفعل الظلم كل يوم هنا » . فقالت لى : «ولكن ما الذى تعنيه بما تقول ؟ » فقلت لها : « إذا كان البحر قد هاج وساقتنى الريح إلى الأرض التى تسكنينها فإنك لن تسمحى لهم أن يقبضوا على ليذبحونى مع العلم بأنى رسول «آمون» ، فتدبرى الأمر جيداً . إنى فرد سيجرى البحث عنه باستمرار[3]. أما من جهة « ملاحى » أمير « جبيل » الذين يبحثون عنهم ليقتلوهم فإن سيدهم لو عثر على عشرة من ملاحيك كذلك سيقتلهم » وعلى ذلك أمرت بإحضار الناس فأحضروا أمامها وقالت لى : «ارقد ونم» . وهنا كسرت ورقة البردى ولا نعلم كيف هرب « ونأمون » من هذه الأخطار الجديدة ، وهل أفلح فى إحضار الخشب إلى مصر ؟ وهل دفع ثمنه ؟ وهل « آمون الطريق » الذى لم يستفد منه شيئاً قط فى السياحة رجع سالما ثانية إلى الكرنك[4] أو لم يرجع ؟

---

(١) إرسا هى « قبرص » ولكن لا نعلم كيف تخلص من « زاكار » سليما

(٢) أى كانت فى الشارع . (٣) لأنه شخصية كبيرة

(٤) «الكرنك» هو معبد الإله آمون العظيم فى «طيبة» والظاهر أن هذه الكلمة محرفة عن لفظة « الخورنق » وهو القصر المشهور . وقد جاءت هذه التسمية عن طريق العرب عند فتح مصر لما بين البناءين من التشابه . واسم معبد « آمون » بالمصرية هو « إبت — سوت » .

١

الحكم والتأملات

مقدمة :

تدل نتيجة البحوث التى قام بها علماء الآثار فى تاريخ أدب العالم القديم أن مصر كان لها قصب السبق فى الإنتاج الأدبى فى باب الحكم والتأملات . فإن « بابل» و « آشور » لم تتركا شيئا يستحق الذكر نسبيا فى هذا المضمار .

أما فلسطين جارة مصر فقد أنتجت فيه إنتاجا عظيما ، وبخاصة فى باب الأمثال والتعاليم الدينية وحكم سليمان و « المزامير » وكتاب « أيوب » وغيرها مما نجده فى التوراة من هذا النوع من الأدب .

والفكرة السائدة التى علقت بأذهان معظم المتعلمين أن الحكم المصرية والتعاليم التى وصلت إلينا عن المصريين ، كان الغرض الذى يرمى إليه الكاتب من تدوينها هو أن يكون موظفا كفئا وأن يؤدى عمله على الوجه الأكمل ، ويكون فى مقدوره أن يكتب عن عمله تقريراً ليساعده على الظهور فى مجال الحياة وحسب . ولكن من يمعن فى النظر إلى كتب الحكمة المصرية يجد أن الكاتب المصرى لم يكن غرضه الوظيفة أو جمع ثروة فى الحياة فقط ، بل كان يرمى إلى معان أسمى من ذلك ومقاصد أنبل ، تخلد ذكره وترفع من شأن قومه ؛ لأنه كان يرمى إلى أن يفتح أمامهم أبوابا لدرس الحياة فى نواحيها المختلفة ، ويرشد المرء إلى الطريقة التى يمكنه بها أن يتحدث مع غيره ، ويجيب عما يسأل عنه بأجوبة سديدة قولا وكتابة ، مما يمهد له سبل الفلاح فى الحياة الدنيا ويجعله مقبولا فى الآخرة . .

ولقد كان الكاتب يشعر بأنه إذا أجاد فى نشر تعاليمه القيمة خلد اسمه ، وعاشت حكمته على مر الأيام والدهور ، من أجل ذلك جرت العادة أن يختار المؤلف أعز الناس إليه ليضع أمامه تعاليمه وحكمه حتى يحفظها ويعمل بها ويتوارثها نسله ، ولكنه من جهة أخرى كان ينظر إلى مؤلفاته الأدبية نظرة من يريد لها البقاء ، فكان يعطيها عين العناية ، ويبذل فى تأليفها جهد الطاقة ، لأنها عنده أرفع مكانة من كل أغراض الحياة ، وأبقى من البروج المشيدة من « النحاس والحديد » ، لأن كل صروح الحياة فى نظره عرض زائل . أما كتاباته وتآليفه الأدبية فهى التى ستبقى بعد زوال كل شىء ، وحتى بعد زوال نسله

وقد طالعتنا الكشوف الحديثة بفقرة من كتاب على بردية من عهد الرعامسة ، تضع أمامنا صورة ناطقة تغير الاعتقاد القديم عن الكاتب المصرى ومراميه ، وفى الوقت نفسه تذكر لنا بعض أسماء الكتاب الذين خلّدت كتاباتهم أسماءهم . فمنهم من نعرفهم ومنهم من نجهلهم تمام الجهل ، مما يدل على قلة ما وصل إلينا عن الأدب المصرى .

وسنورد هذه الفقرة هنا بدون تعليق مفصل ، ونترك الحكم فيها للقارىء ليرى كيف أن المصرى يقدر الأدب للأدب ، ولتكون بمثابة مقدمة لهذا الفصل وهى :

« ولكن إذا فعلت هذه الأشياء فإنك تصبح كاتبا حاذقا ، والكتاب المثقفون الذين يرجع عهدهم إلى عهد ورثة الآلهة ، وهم الذين تنبئوا بالمستقبل ، قد بقيت أسماؤهم خالدة ، رغم أنهم تواروا عنا لانتهاء أجلهم ، ورغم أن كل ذريتهم قد أصبحت نسيا منسيا . على أنهم فى ذلك لم يقيموا أهراما من نحاس ، ولا صفائح قبور من حديد ، ولم يكن فى مقدورهم أن يخلقوا ورثة من الأولاد الذين ينبغى لهم أن يذكروا أسماءهم ؛ بل جعلوا لأنفسهم خلفاء من بعدهم من الكتب والتعاليم التى ألفوها . فقد نصبوا إضمامات البردى التى كتبوها لتكون كاهنا مرتلا ، وألواح الكتابة لتكون ابناً باراً ، وكتب التعاليم لتكون أهرامهم ، والقلم ابنهم ، ووجه الحجر (الذى يكتب عليه) زوجتهم (؟) وقد جعلوا الناس صغيرهم وكبيرهم أطفالاً لهم ، لأن الكاتب رئيسهم ، وقد أقيم لهم (بوابات) ومقابر (؟) ، غير أن مصيرها كان إلى الدمار . وكذلك طمست صفائح قبورهم بالأقذار ، ونسيت وانقرض كهنتها ، ولكن أسماءهم كانت تذكر عن مؤلفاتهم التى وضعوها ، وبقدر ما كانت عليه من الإتقان كان يكتب لذكر واضعها البقاء والخلود . فكن كاتبا ، وضع ذلك فى قلبك ، وبذلك يمكث اسمك ، وإن مؤلفاً واحدا لأعظم فائدة من لوحة قبر منحوتة ، ومن جدران قبر (؟) أحكم تأسيسها ، لأن هذا يكون لك بمثابة مقاصير وأهرام فى قلوب من

ينطقون باسمه (الكتاب) . حقا إنه من الخير أن يكون اسم الإنسان فى فم الناس فى الجبانة . فالرجل يموت وجثته تصير جيفة قذرة ، وكذلك تصبح كل ذريته ترابا . ولكن الكتب (التى يؤلفها) تجعله مذكورا فى فم من يلقيها . وإن كتابا واحدا لأكثر نفعا من بيت مؤسس ، ومن قبر فى الغرب . وإنه لأجمل من قصر منيف ، ومن نصب تذكارى (أقيم له) فى معبد . فهل يوجد إنسان مثل « حردادف » ؟ وهل يوجد آخر مثل « أمحوتب » ؟ . على أنه ليس فى عصرنا واحد مثل « نفرى » و « خيتى » ، وهو الرئيس بينهما وإنى أذكرك باسمين « بتاح — أم — تحوتى » و « خمخبر — رع — سنب » . وهل يوجد من يماثل « بتاح حتب » أو « كارس » ؟ وهؤلاء هم الحكماء الذين تنبئوا بالمستقبل وقد وقع فعلا ما تفوهوا به ، وقد وجد كلام مدون فى كتبهم . وقد منحوا أولاد غيرهم ورثة لهم ، كأنهم أولادهم الحقيقيون . وقد اختفوا ولكن سحرهم قد امتد تأثيره إلى كل الناس (؟) الذين قرءوا تعاليمهم ، ولقد ذهبوا ونسى اسمهم ، ولكن الكتابة جعلت المرء يذكرهم »

ولا بد أن أول ما يلاحظ القارىء فى هذه الفقرة أن كاتبها يتمدح بفضل المؤلفين . وقد أسعدنا الحظ هنا أن يذكر لنا ثمانية من عظماء الكتاب نعرف بعضهم بأسمائهم ، وبعضهم بتآليفهم ، والبعض الآخر نجهله تماما . على أن معظم من نعرفهم يرجع عهدهم إلى الدولة القديمة ، مما يدل على أنها كانت ينبوع الأدب فى ذلك العهد كما ذكرنا ذلك من قبل . فنعرف « حردادف » الذى ذكره الكاتب أولاً وقد عاش فى عهد الملك « خوفو » ، وقد جاء ذكره فى قصة « خوفو » والسحرة . وكذلك جاء ذكره فى قصيدة الضارب على العود . وكذلك نعرف « أمحوتب » الحكيم المشهور الذى عاصر الملك « زوسر » أحد ملوك الأسرة الثالثة . أما « نفرى » فمجهول لنا تماما . وأما « خيتى » فقد برهن الأستاذ « جاردنر » على أنه مؤلف التعاليم التى نسبت إلى « دواوف » خطأ وتعاليم الملك أمنمحات الأول . ومن المدهش أن يذكر لنا فى هذه الفقرة اسم « الشاعر الحكيم » « خمخبر — رع — سنب » الذى حفظت لنا

من تآليفه لوحة كتابة محفوظة الآن فى المتحف البريطانى ، وسنوردها فى باب التأملات .
أما « بتاح حتب » فهو الحكيم الذى سنورد حكمه فى افتتاح هذا الفصل . والاسم الأخير الذى جاء فى هذه الورقة وهو « كارس » لا نعرفه قط ، وربما تجود الأيام بشىء من كتاباته فى كشف جديد . والواقع أن الأدب الحكيم فى مصر كما وصف لنا فى تلك الفقرة الفذة يمكن تقسيمه إلى فرعين : التعليمى والتأملى . ومعظم ما وصل إلينا منهما ينسب إلى الدولة القديمة والعهد الإقطاعى والدولة الوسطى ، وقليل منه ينسب إلى الدولة الحديثة .

وسيرى القارىء فيما وصلنا من الحكم والأمثال والتعاليم أنه كان هناك نمو مطرد فى أفق المؤلف من جهة مجال الموضوعات التى تحت حسه تمشيا مع المدنيـة واتساع رقعة البلاد ، وما أحرزه المصريون من التقدم فى العمران وفى الأمور الدينيـة . وسيدرك ذلك القارىء عندما يوازن بين حكم « بتاح حتب » الذى ينسب إلى الدولة القديمة وبين حكم « أمنموبى » وتعاليمه التى تنسب إلى أواخر الدولة الحديثة . فكل من هذه وتلك تبحث فى المبادىء القويمة ، ولكن شتان بين الدائرة الضيقة التى تنحصر فيها التعاليم الأولى والدائرة الثانية الفسيحة الأرجاء التى تنتشر فى نواحيها التعاليم الثانية ، فالأولى تنحصر فى البيت وما يحيط به والوظيفة وما تتطلبها . والمعاملات مع الناس ، أما الثانية فتشمل الحياة من كل نواحيها ، وعالم الآخرة وما يستدعيه ، وما إلى ذلك مما ستراه . وسيرى القارىء أن الحكيم المصرى كان يحدد أهدافه التى يرمى إليها فى تعاليمه فى بداية مؤلفه ، ثم يذكر بها القارىء فى نهايتها ، وهو ما نشاهده فى تعاليم « بتاح حتب » وتعاليم « خيتى » ، وتراها واضحة جلية فى تعاليم « أمنموبى » ، وكذلك تحس بها فى تعاليم « آنى » وإن كانت غامضة بعض الشىء لما فى المتن من الأخطاء

وسيتناول بحثنا هنا الحكم والتعاليم أولاً ، مرجئين فحص موضوع التأملات إلى ما بعد ذلك

الحكم والتعاليم

أهم ما وصل إلينا من هذا اللون من الأدب ثمان وثائق ، وهى حسب ترتيبها التاريخى : حكم وأمثال « بتاح حتب » ، وتعاليم « كاجمنى » وهما من الدولة القديمة . وتعاليم « مريكارع » من العهد الإقطاعى ، ووصايا امنمحات لابنه « سنوسرت » وتعاليم « سحتب اب — رع » وتعاليم خيتى من الدولة الوسطى ، وتعاليم « آنى » وتعاليم «أمنموبى» من الدولة الحديثة . ويرى القارىء من ذلك أن لدينا سلسلة متصلة الحلقات من هذا اللون من الأدب تمثل كل عصر من عصور التاريخ المصرى .

غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن بعض هذه التعاليم وإن كانت تنسب إلى الدولة القديمة إلا أنها لم تصل إلينا من نسخ أصلية من هذه الدولة ، بل وصلت إلينا من نسخ يرجع عهد أقدمها للدولة الوسطى ، ولذلك نجد أن هناك فروقا فى الأساليب وفى المتن بين النسخ القديمة وبين نسخ عصر الدولة الحديثة . وذلك لأن الكتاب كانوا يحورونها أحيانا تحويراً كبيراً حسبما يتفق مع ذوق العصر ولغته . بل قد نرى أحيانا أن بعض الجمل كانت تشرح لغموضها على التلاميذ كما سنشاهد ذلك فى بعض المتون حتى فى الدولة الحديثة ، يضاف إلى ذلك أن معظم هذه النسخ التى ترجع إلى عهد الرعامسة كانت محشوة بأخطاء التلاميذ الذين كانوا يكلفون نقلها . ومما يؤسف له أنها هى التى وصلت إلى أيدينا ؛ فإذا اتفق أنه وصلت إلينا نسخة واحدة من هذا النوع كان من الصعب بل من المستحيل فهمها . ولكن لحسن الحظ قد وقع فى أيدينا أكثر من نسخة لبعض هذه التعاليم . ولا تزال الكشوف تخرج لنا من آن لآخر نسخا أخرى من هذه المؤلفات القيمة فتسهل علينا حل بعض ما استغلق علينا منها . من أجل ذلك سنضطر إلى استعمال النسخ القديمة أو الحديثة مفضلين الأسهل منهما . وعندما نجد اختلافا بينا فى التعبير أو المعنى نعرض كليهما . ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذه التعاليم لكثرة استعمالها وشيوعها كان التلاميذ يكتبونها على قطع من الخزف وشظيات من الحجر الجيرى الملساء ؛ والسبب فى ذلك طبعاً غلاء ورق البردى وعدم كفايته لعدد جم من التلاميذ ، ومعظم هذا الخزف يرجع إلى عهد الرعامسة ، وعثر منه حديثاً على كميات هائلة مكتوبة وعليها فقرات عدة من هذه الحكم والتعاليم .

أمثال وحكم بتاح حتب(١)

كان المصرى عندما يشعر بدنو أجله يكتب وصيته فيقسم أملاكه ، وغالبا ما كان ينقش صورة من هذه الوصية على جدران مقبرته . على أن الأمر لم يكن يقتصر على ذلك ، بل كان أحيانا يخلف لابنه الأكبر نصائح وتعاليم عن تجاربه فى الحياة وفى وظيفته لتكون عونا له على أداء عمله الحكومى وعلى الضرب فى الحياة على أحسن حال . وسيدرك القارىء أن الحكيم كان دائما يشير إلى ما يرمى إليه فى تعاليمه فى افتتاحها وفى نهايتها

وأقدم من خلف لابنه نصائح من هذا النوع هو « بتاح حتب »

وقد ذكر لنا أنه كان وزيرا للملك « إسيسى » (٢٦٧٠ ق . م تقريبا) . وتدل النقوش على أنه كان لهذا الملك وزير يحمل هذا الاسم ، ولا يزال قبره معروفا لنا فى سقارة حتى الآن . وبالرغم مما يحوم من شكوك حول نسبة هذه الوثيقة إلى هذا الوزير ، فإنه من المؤكد أنها قديمة جدا . قد وصلت إلينا منها ثلاث نسخ يرجع عهد اثنتين منها إلى الدولة الوسطى ، والثالثة كتبت فى الدولة الحديثة . ومن الجائز أن بعض هذه النصائح قد فاه بها هذا الوزير العظيم ، كما يحتمل أن بعض أمثال التوراة التى تنسب إلى سليمان قد فاه بها حكيمنا فعلا .

ومهما يكن من أمر هذه التعاليم فإن الغرض منها إرشاد التلميذ وغيره إلى السير الحكيم والأخلاق الحسنة ، ثم ليكون أسلوبها هدفا مثالياً يحتذيه التلميذ فى تعبيره ، ليصبح ذا بصر بفنون الكلام ، وليعبر عما فى نفسه بلغة مختارة جديرة بموظف محترم ، وهذا هو السر فى ذيوعها فى عهد الدولة الوسطى ثم فى الدولة الحديثة .

ونجد فى النسخة التى من عصر الدولة الحديثة السبب الذى من أجله ألف « بتاح حتب » تعاليمه هذه . فيقول : لجلالة الملك « إسيسى »

« قد حلت الشيخوخة . وبدا خرفها ، وامتلأت الأعضاء آلاماً ، وظهر الكبر كأنه شىء جديد ، وأضحت القوة أمام الهزال ، وأصبح الفم صامتا لا يتحدث ، وغارت العينان ، وصمت الأذنان . . . . . . وأضحى القلب كثير

(١) وازن العالم « ديفو » بين كل النسخ التى عثر عليها من هذه التعاليم فى كتاب خاص
E. Devaud Les maximes de Ptah-hotebs, Fseiburg 1916

النسيان غير ذاكر أمسه والعظام تتألم من تقدم السن ، والأنف كتم فلا يتنفس ، وأصبح القيام والقعود كلاهما مؤلما ، والطيب أصبح خبيثا ، وكل ذوق قد ولى فتقدم السن يجعل حال المرء سيئا فى كل شىء .

فمرنى أصنع لى سندا (عكازة[1]) لكبر سنى ، ودع ابنى يحتل مكانى ، فأعلمه أحاديث من يسمعون ، وأفكار من سلفوا ، وهم الذين حرموا السلف فى الأزمان الخالية ، وليتهم يعملون لك بالمثل ، حتى يتقى الشجار بين الناس وتخدمك مصر .

فأجاب جلالته : « علمه أولاً الحديث . . . . وإنى أرجو أن يكون مثالا لأولاد العظماء ، وليت الطاعة تكون رائده ، ويدرك كل فكرة صائبة ممن يتحدث إليه . فليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه »

ولا أشك فى أن القارىء يرى فى هذا الوصف البديع للشيخوخة وفيما يهدف الناصح إليه من وراء تعليم ابنه ، صورة مدهشة من حيث الدقة فى التعبير ونفاذ البصيرة وضعها كاتب منذ آلاف السنين .

أما النسخة القديمة فمقدمتها تختلف عن هذه . فقد جاء فيها :

« الكلام الحسن التعبير الذى نطق به الأمير العظيم . . . . الوزير « بتاح حتب » عندما كان يعلم الجاهل العلم وقواعد الكلام المنسجم . فيا فلاح من يصغى إليها ويا شقاء من يحيد عنها » .

ويبدو من هذا العنوان الذى كتب فى نسخة الدولة الوسطى أن الاهتمام بصياغة الكلام والأسلوب الحسن من أهم مايعنى به الكاتب فى هذا العهد . كما نوهنا عن ذلك من قبل .

ولقد وافق الملك وزيره « بتاح حتب » على تعليم ابنه (ابن الوزير) ليعده للقيام بأعباء الواجبات الحكومية وللحياة حتى يكون مساعداً وخلفاً له ، فأخذ الوزير المذكور يسدى

---

(١) يقصد ابنه

النصح لابنه بألاَّ يسيء استعمال الحكمة التي سيلقّنها . بل عليه أن ينهج سبيل التواضع فنراه يقول :

« لا تكونن متكبرا بسبب معرفتك ، ولا تكونن منتفخ الأوداج ، لأنك رجل عالم ، فشاور الجاهل والعاقل ، لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها ، وليس هناك عالم مسيطر على فنه تماما . وإن الكلام الحسن أكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم ، ومع ذلك فإنه يوجد مع الإماء اللائى يعملن فى إدارة أحجار « الطواحين[1] » .

ثم يعقب ذلك اثنتان وأربعون فقرة تنتظم نصائح مختلفة . ولكن المؤلف لم يبذل أي جهد فى ترتيبها أو تنظيمها ، بل كتب كل فقرة منها عفو الخاطر حسبما كان يجول فى ذهن رجل مُسن قد حنكته تجارب الحياة ومسئولياتها ، وأراد أن يطرحها عن كاهله إلى كاهل ابنه . ونرى فى حكمه الاهتمام القوى وحسن الذوق واستعمال الذهن الذى اعتاد أن يطلق عليه القلب

وقد كان أبرز الصفات القيمة التى يجدر بالشاب أن يتصف بها عنده هى أن يكون قادراً على الإصغاء والطاعة ، فتجده يقول :

« إن الاستماع مفيد للابن الذى يصغى (يطيع) . وإن المستمع يدخل مثل إنسان قد استمع . ومن يستمع يصبح مستمعا ، فيكون حسن الإصغاء وحسن الكلام . وإن من يستمع يكون مالكا للفائدة ، لأن الإصغاء مفيد للسامع . والإصغاء أحسن من أى شىء . لأن من نتائجه الحب الجميل .

أجمل بالابن الذى يصغى عندما يتحدث إليه والده ! . فإنه سيصل إلى الشيخوخة بسبب[2] ذلك . وإن المستمع يحبه الله . ومن لا يستمع تبغضه الآلهة ، والعقل هو الذى يشكل صاحبه فيكون مستمعا أو غير مستمع . وعقل الإنسان هو حياته وسعادته وصحته ، أجمل بالولد الذى يرى الواجب فى أن يصغى إلى

---

(١) يعنى أفقر الفقراء

(٢) يطول عمره أى يبارك له فيه لكثرة ما أفاد

والده ! . وما أعظم فرح الإنسان الذى يقول له الناس : « إنه ابن فضيلة كفضيلة سيد يستمع ! »

« أما المستمع الذى يقال له ذلك فإنه يكون فاضلا منذ الولادة ، ومحترما فى نظر والده ، وذكراه تكون فى أفواه الأحياء الذين على الأرض ما داموا أحياء . أما الغبى الذى لا يستمع فلن ينال نجاحا ، إذ أنه يعتبر العلم جهلا والطيب خبيثا ، ويعرض نفسه كل يوم للوم ، لما يأتيه من كل شىء مكروه ، ويعيش على ما يموت الناس فيه ، والقول الخبيث غذاء فمه ، وأخلاقه إذن تكون معروفة للحكام ، ويموت حيًا كل يوم ، ولن يعامله الناس مطلقا بسبب السيئات الكثيرة التى يرتكبها كل يوم »

فمن ذلك يتضح أنه منذ القرن السابع والعشرين كان السلوك أمراً يقوَّم ، وحكمة ذات معيار ، يرثها الابن عن والده ، وكان للنجاح فى الحياة المكانة السامية ، وكانت السبل التى تحقق الوصول إليه عظيمة الأهمية ، ولذلك استغرقت هذه الأمور نحو ثلث نصائح « بتاح حتب » ، فبعض هذه النصائح يوحى بالتخلق بالحذر فى حضرة العظماء ، وبعضها يعرفنا آداب المائدة فى حضرة الرئيس ، فيقول :

« إذا اتفق أنك كنت من بين الجالسين[1] على مائدة أكبر منك (مقاما) فخذ ما يقدم لك حينما يوضع أمامك ، ولا تنظرنَّ إلاّ إلى ما وضع أمامك ، ولا تصوبن لحظات كثيرة إليه ، لأن ذلك مما تشمئز منه النفس (كا)[2] إذا أحفظها الإنسان . وانظر بحيائك إلى أسفل إلى أن يحييك ، وتكلم فقط بعد أن يرحب بك ، واضحك حينما يضحك ، فان ذلك سيكون ساراً لقلبه ، وما

(١) كان المصريون يجلسون عند الأكل على موائد منخفضة ، ونظن أن المضيف المجد كان يجلس على مائدة فى الوسط والضيوف حوله على موائدهم

(٢) (كا) هى تلك القوة الكامنة فى الإنسان التى يتوقف عليها سلوكه كما تتبين ذلك هنا . ولذلك يجب على الإنسان أثناء المحادثات الاجتماعية أن يتلافى كل ما يضايق نفس (كا) الآخر

تفعله يكون مقبولا ، لأن الإنسان لا يعلم ما فى القلب [١] . والرجل العظيم يتوقف عزمه على أوامر نفسه ، حينما يجلس أمام الطعام . والرجل العظيم يعطى من بجواره »

وقد خصص الناصح جزءاً كبيراً من حكمه لبيان الطرق السديدة الموصلة إلى حسن سير الأعمال الرسمية فقال :

« إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع ، فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة ، واحترمه حسبما وصل إليه ، لأن الثمرة لا تأتى عفوا ، ولا تعيدن قط كلمات حمقاء خرجت من غيرك فى ساعة غضب . التزم الصمت فإن هذا أحسن من أزهار (تفتف) . وتكلم فقط إذا كنت تعلم بأنك ستحل المعضلات . وإن الذى يتكلم فى المحفل لمفتن (يعنى فى الكلام) ، وصناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى .

وعليك أن تقدم للأمير نصيحة تساعده ، لأن قوتك تتوقف على مزاجه ، وبطن الرجل المحبوب يملأ ، وظهره يكسى تبعا لذلك . . . .

« كن عميق القلب نزر الكلام ... وكن ثبت الجنان طالما تتكلم ، فعسى أن يقول الأمير الذى يسمع كلامك : ما أسد الكلام الذى يخرج من فمه ! »

ولا نزاع فى أن الدافع لمثل تلك النصيحة هو اتباع سياسة دنيوية مبنية على اليقظة والتفطن ونرى أن ذلك السياسى المحنك كان ذا نظرة ثاقبة فى انتهاز الفرصة لمصلحته ، مع أنه لم يحرم فى الوقت نفسه حاسة الإدراك لما هو أثمن من ذلك ، إذ أن علمه بتقلبات الدهر قد علمه التواضع ، ولذلك قال ينصح ابنه :

« إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القدر وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا . . . فلا تنسين كيف كانت حالك فى الزمن الماضى ، ولا تتغن بثروتك التى أتت إليك منحة من الإله (الملك) ، فإنك لست بأحسن

---

(١) يجب أن تكون متحفظا فى حضرة الرجل العظيم لأنك لا تعرف طبائعه

من أقرانك الذين حل بهم ذلك (أى الفقر) »

وفضلا عما تقدم فقد رأى أن حياة الموظف الدنية محفوفة بالمخاطر ، ولذلك يقول ناصحاً :

« احترس من الأيام التى يمكن أن يأتى بها المستقبل » .

وإذن يكون من أصالة الرأى أن يمنح غيره أموالا كثيرة بحسن نية لما يخبئه المستقبل . كما يقول :

« أشبع أصدقاءك بما جدّ لك بسبب نيلك الحظوة عند الإله (أى الملك) ، إذ لا يوجد إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد ، وإذا اعترى حظوته لدى الملك شىء فإن الأصدقاء هم الذين لا يفتئون يقولون مرحبا . . . . . فعليك أن تستبقى ودهم لوقت السخط الذى يهدد الإنسان . ولكن سترى فيما بعد ، أنه حينما تسوء حظوتك فإن فضيلتك ستكون فوق أصدقائك »

وتراه هنا ينصح الإنسان بأن يتحرى أخلاق أصدقائه فيقول :

« إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسأله ، ولكن اقترب منه وكن معه وامتحن قلبه بالمحادثة ، فإذا أفشى شيئا قد رآه أو أتى أمرا يجعلك تخجل له فاحذر عندئذ حتى من أن تجيبه » .

ولقد كانت مسئوليات الأسرة فى نظره أهم من الأصدقاء ، فتراه يتحدث عنها قائلا :

« إذا كنت رجلا ناجحا فوطد حياتك المنزلية وأحبب زوجتك فى البيت كما يجب » .

وفى نسخة حديثة يقول :

« إذا كنت رجلا ناجحا فأسس لنفسك بيتا واتخذ لنفسك زوجة تكون سيدة قلبك » .

فنرى فى المتن القديم أنه يجعل الحب أساسا لبناء عش الزوجية . ولكنه الحب العملى الذى يجب على الزوج لزوجته ، ولذلك يستمر قائلا :

« أشبع جوفها واستر ظهرها » .

ومطالب المرأة كثيرة لاتقف عند حد ، ولكن ما تعتز به المرأة الحديثة وتشاركها فيه أختها القديمة فى مصرنا من التطور ينحصر فيما غلا من الروائح والدهان . ولم ينس حكيمنا أن يذكر بها ابنه إذ قال :

« إن علاج أعضائها هو الدهان » .

وبذلك يرى ذلك الوزير المحنك أن الزوج الكيس هو الذى يجعل زوجته سعيدة أولا بالمحبة التى يلزمه أن يفسح لها فى قلبه المكان الأول ثم يتبع ذلك بقضاء حاجتها من غذاء وملابس ، ثم الكماليات كالعطور ، ونراه يقول :

« اجعل قلبها فرحا ما دمت حيًّا فهى حقل مثمر لسيدها » .

وهذا التشبيه الأخير جاء فى القرآن بعد مضى خمسة وثلاثين قرنا فى قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم » (سورة البقرة آية ٢٢٢) .

أما عن الأبوة فقد كان « لبتاح حتب » آراء خاصة فيها إذ يقول :

« إذا كنت رجلا ناجحا وكان لك بيت ، وولد لك ابن اكتسب رضاء الإله (الملك) فإذا عمل صالحا ومال إلى طبعك ، وسمع نصائحك وكانت خططه ذات نتائج حسنة فى بيتك ، وكان معتنيا بمالك كما يجب ، فابحث له عن كل شىء حسن ، فهو ابنك الذى ولدته لك نفسك (كا) ، ولا ينفرنّ قلبك منه ، ولكن إذا عمل سوءا وأعرض عن خططك (أى أوامرك) ولم يعمل حسب نصائحك وصارت خططه لا قيمة لها ، وتحدى كل ما تقوله . . . عندئذ أقصه لأنه ليس ابنك ولم يولد لك . . . »

ومع أن ذلك الوزير كان يفقه جيداً الرغبة فى النجاح الدنيوى ، وإحراز الثروة إلا أنه كان يرى ألا تطغى المادة على الروابط الأسرية . فتراه يقول :

« لا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملحا فى الحق ، ولا تطمعن فى مال أقاربك ، فإن الالتماس باللين يجدى أكثر من القوة . فإن القليل الذى

يختلس يولد المداوة (حتى) عند صاحب الطبع اللين (يعنى الحليم) »

ولما كان الطمع من أهم الصفات الذميمة الداعية لتفكك روابط الأسرة المتماسكة قال يحذر منه :

« إذا أردت أن يكون خلقك محموداً ، وأن تحرر نفسك من كل قبيح فاحذر الشراهة فإنها مرض عضال ، والصداقة معها مستحيلة ، لأنها تجعل الصديق العذب مراً ، وتقصى ذا الثقة عن سيده ، وتجعل كلا الأبوين قبيحا ، وكذلك الاخوان ، وتفرق بين الزوج وزوجه وهى حزمة فيها كل أنواع الشر ، وعيبة بها كل شيء مرذول ، وإن الرجل الذى يتبع طريقة حقة فى سلوكه ويسير على صراط سوى يعيش طويلا ، ويكسب الغنى بذلك . ولكن الشره لا قبر له »

وقد شفع « بتاح حتب » هذا البحث الذى يدل على ما للروابط الأسرية عنده من القيمة العظيمة فى بيت الإنسان ، بوجوب احترام أهل بيت غيره ، ولو كان من غير ذوى قرباه . فنجده يحذر الزائر تحذيراً شديداً من محاولة الاقتراب من النساء ، بل يحتم عليه أن يتباعد عنهن بقدر المستطاع فيقول :

« إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله ، سيداً كنت أم خادما أم صاحبا ، فاحذر القرب من النساء ، فإن المكان الذى يكن فيه ليس بالحسن ، ومن الحكمة إذن ألا تحشر نفسك معهن ، ومن أجل ذلك يذهب ألف رجل إلى الهلاك بسبب متعة قصيرة تضيع كالحلم ، ولا يجنى الإنسان من معرفتهن غير الموت »

وقال فى هذا المعنى أيضاً :

« وعندما يفتتن الإنسان بأعضائهن البراقة (حرفيا : أعضاء من الزجاج) فإنها تصير بعد ذلك مثل حجر «هرسنت» (أى شيئاً تافها مثل الحلم) . والموت يأتى فى النهاية »

وتسود حكمة « بتاح حتب » روح الشفقة الكريمة ، ولم يجعلها تنحصر فى أسرته ، بل جعلها تمتد إلى من حوله ، ولذلك يأمر ابنه بأن يسلك مسلكه فى ذلك إذ يقول له :

« كن طلق الوجه ما دمت حيّا »

ثم يستمر فى كلامه بحالة تُشعِر بأنها كانت أصلا للمثل المشهور ، لا فائدة من النحيب على لبن مهراق (وهذا يشبه المثل : العايط فى الفايت نقصان من العقل) .

وهذا المرح العظيم الذى نراه فيما يأتى من قول الوزير يتفق وما ينشده من طلب الراحة والفراغ إذ يقول :

« اتبع لبك مادمت حيّا ، ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ، ولا تنقصن من الوقت الذى تتبع فيه قلبك ، لأنه مكروه عند النفس (كا) أن ينتقص من وقتها ، ولا تشغلن نفسك يومياً بخلاف ما يتطلبه بيتك ، وعندما يواتيك الثراء متع نفسك ، لأن الثراء لاتتم (فائدته) إذا كان معذبا »

ولا شك فى أن من كانت روحه مرحة بهذا الوصف ينبغى أن تكون الشفقة عنده من الأمور المألوفة . واستمع إلى قوله فى ذلك :

« إذا كنت حاكما فكن شفيقاً حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسئ معاملته إلى أن يغسل[1] بطنه ، وإلى أن يقول ماجاء من أجله . . . . . . وإنها لفضيلة للقلب أن يستمع مشفقاً »

ولا نزاع فى أن تكون هذه الشفقة ذات علاقة وطيدة بالمعاملة الحسنة القائمة على الحق . ولاغرابة إذن إذا وجدنا أن الحق والعدالة قد اتخذا لهما مكانة فى حكمه تسمو على كل مكانة فيقول :

« إذا كنت حاكما تصدر الأوامر للشعب فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها ، إن الصدق جميل وقيمته خالدة ، ولم يتزحزح عن مكانه منذ خلق ، لأن العقاب يحل بمن يعبث بقوانينه . . . وقد تذهب المصائب بالثروة ، ولكن الصدق لا يذهب بل يمكث ويبقى ،

(١) يبوح بكل ما فى صدره

والرجل المستقيم يقول عنه (إنه متاع والدى قد ورثته عنه) »

لذلك كان لزاما على الشاب أيضاً أن يبلغ رئيسه الحقائق ولو كانت مرة على نفسه : ولاشك فى أن هذه السبل كانت تتطلب قوة خلق عظيمة ؛ وهذا ما كان يرجوه ذلك الحكيم من ابنه إذ يقول :

« حصّل الأخلاق . . . . . واعمل على نشر العدالة ، وبذلك تحيا ذريتك »

وكذلك يذكر ابنه :

« بأن الفضيلة التى يتحلى بها الابن لها قيمتها عند الأب ، والخلق الحسن يبقى شيئاً مذكوراً »

ويقول أيضاً :

« وإذا استمعت ووعيت ما ألقيته عليك فان كل صنيع لك سيكون على غرار عمل الأجداد . أما صحة هذه الأشياء فالفضل فيها يرجع إليهم (أى الأجداد) ، وذكراها لن تمحى من أفواه الناس ، لأن نصائحهم جديرة بالتقدير ، وكل كلمة ستنقل ولن تمحى من هذه الأرض أبدا ، وسيكون للكلام قيمة حسبما تنطق به الأمراء . . . . وعندما يصيب رئيسك شهرة جديرة بالتقدير فإنها ستبقى حسنة أبداً ، وستخلد كل مزاياها . أما الرجل الحكيم فإن روحه تنعم باستمرار بقاء فضيلته على الأرض . والرجل العاقل يعرف بعمله ، وقلبه ميزان لسانه ، وشفتاه تصيبان القول عندما يتكلم ، وعيناه تبصران عندما ينظر ، وأذناه تسمعان ما يفيد ابنه الذى يقيم العدل ويبرأ من الكذب »

وقد يجوز أن ذلك الوزير المسن قد عبر عن روحه الخلقية بأوجز عبارة حينما حذّر من الطمع فيما سلف ، وأننا نجده الآن فى صورة الظافر المنتصر إذ يقول فى غير مناسبة تربط بين قوله هذا وبين ماتقدم :

« إن الرجل الذى اتخذ العدالة معياراً له ، وسار وفقا لجادتها يكون ثابت المكانة »

وختم « بتاح حتب » نصائحه لابنه بعبارة تحبب إلى نفسه العدالة إذ يقول له فى منتّهاها :

تأمل ! « إن الولد النجيب الذى يهبه الإله يقوم بأداء أكثر مما يأمره به والده ، فهو يقيم الحق وقلبه يسير على صراطه . وبقدر ما تصل إلى ما وصل إليه الناس ، سيكون جسمك سليما وسيكون الملك مرتاحاً لك فى كل مايجرى . وكذلك ستصل إلى السن التى وصلتُ إليها ، والسنين التى عشتها على الأرض ليست بالقليلة ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة وحبانى الملك بمكافأة تفوق كل مكافآت الأجداد لأنى أقمت العدل للملك حتى ضمنى القبر »

ومما سبق يتضح أن حكم « بتاح حتب » كانت ذات مكانة راجحة فى الجهات العليا من وادى النيل ، وبخاصة إذا علمنا أن أحد ألقاب الملك « وسركاف » الذى عاش فى عهده هذا الوزير « مقيم العدل » . وقد أفاض وزيرنا فى العدل وفضائله .

ويتناول أكثر من نصف حكم هذا الرجل العظيم أخلاق الإنسان وسلوكه ، وما بقى يختص بالبحث فى الإدارة وسلوك الإنسان الرسمى ، ويلاحظ بوجه عام أن تلك الحكم ترشد إلى اللطف والاعتدال والحزم الذى يصحبه التثبت . فهى بذلك فى الواقع تنم عن منتهى ما كان عليه الوزير من حسن الذوق وسلامته فى تقدير الأمور ووزنها بالميزان الصحيح عند ما وصى ابنه باتباعها والسير على نهجها ، فيجب أن يعرف بأن الحياة العظيمة القيمة هى التى يحظى فيها الإنسان بقسط وافر من المتعة ، وعليه أن يحافظ على ساعات الراحة والدعة حتى لا يتسرب منها شىء إلى أعباء الوظيفة أو غيرها . ذلك إلى أنه يجب على المرء أن يكون بادى البشاشة والطلاقة لأنه لافائدة من النحيب على ما فاته .

وبالجملة فإن النغمة التى تغلبت على فلسفة نصائح ذلك الوزير السهلة التناول هى الوازع الخلق الحقيقى ، وأبرز الواجبات التى تظهر فيها ما عبر عنه بقوله :

« أقم العدل وعامل الجميع بالعدالة »

على أنه ليس من باب المصادفة أن تذكر مثل تلك الحقائق المقنعة فى إضمامة من البردى القديم تبعث فينا جواً مشبعاً بالرحمة والمحبة واحترام الوالدين والبر بهما مما يوطد دعائم الأسرة ويوثق العلائق بين أعضائها ، وتنأى بنا فى الوقت نفسه عن الشره الذى يقضى على الوئام

ويفكك الروابط . بل ان تلك العواطف دروس قصد إليها ذلك العالم الاجتماعى فانتقلت إلى البيئة المحيطة به وانتشرت فيها . وسعادة الأسرة وسلامة العلاقات بين أفرادها هى الثمرة الظاهرة لهذه التعاليم .

وعلى ذلك نجد فى حكم « بتاح حتب » برهاناً قاطعاً للحقائق التى وجدت فى نقوش المقابر والمعابد التى رسمت فوق جدرانها والتى تدل على أن حياة الأسرة هى التى هيأت للإنسان فى بادىء الأمر الشعور بالمسئوليات الخلقية .

من أجل كل ماذكرنا بقيت أمثال « بتاح حتب » منارة يستضاء بها فى معايير الأخلاق وفى الأسلوب الكتابى .

ولا أدل على ذلك من أن جملا مفردة من نصائحه كانت تعيش بعد مئـات السنين من وضعها . مثال ذلك أن رجلا اسمه « أمنمحات » عاش فى عهد الأسرة الثامنة عشرة يقول متحدثا عن نفسه وعن رئيسه :

« لم أصوب إليه لحظات عدة ، بل ألقيت بوجهى إلى الأرض عنـدما تحدث إلى »

وكذلك نقرأ على أثر يمجد فتح الملك « سنوسرت الثالث » لبلاد النوبة :

« إنه ليس ابنك ، إنه لم يولد لك »

المصادر :

أهم من كتب عن هذه التعاليم ما يأتى :

(1) Pieper " Die Agyptische Literatur " PP. 19. ff.

(2) Peet, " A comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia " P.P. 100. f.f.

(3) Breasted, " The Dawn of Conscience " P.P. 129 f.f.

(4) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians" P.P. 54-65.

(5) Griffith. " The World's Best Literature ".

(6) Petrie, " Religion and Conscience in Ancient Egypt" (translation by Griffith).

(7) Dévaud, " Les Maximes de Ptahhotep." (Fribourg, 1916)

(8) Meyer, (The Oldest Books in the World" New york, 1900).

تعاليم كاجمنى

لم يصلنا من هـذه التعاليم إلا جزء صغير محفوظ مع تعاليم « بتاح حتب » فى « ورقة باريس » . فلابد أنها مشابهة لها . ومن المحتمل أن الجزء المفقود قد جاء فيه أن الملك « حونى » الذى ينسب حكمه إلى أواخر الأسرة الثالثة قد أمر وزيره بأن يفرغ تجاريب حياته فى كتاب لتكون بمثابة مواعظ لأبنائه ، ومن بينهم وزير يدعى « كاجمنى » . ونحن لا نعرف وزيرا بهذا الاسم من ذلك العصر ، والوزير الذى نعرفه بهذا الاسم عاش فى الأسرة السادسة أى بعد ذلك ببضع مئات من السنين . فنرى فى الفقرة الأولى التى وصلت إلينا أن الوزير يتكلم عن الحزم والتبصر فى الكلام فيقول :

« . . . . والمتواضع يبقى صحيحا ، ومن يستقم فى معاملته يمدح ، وتفتح الخيمة للمتواضع ، والحذر فى كلامه يفسح له مكان رحب ، ولكن السكين ترهف لمن يحيد عن الصراط . . . . »

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الكلام عن آداب المائدة فيحض على التعفف وضبط جماح النفس عند تقديم ألوان الطعام الشهى فيقول :

« إذا جلست مع أناس كثيرين (للأكل) فانظر إلى الطعام بعدم مبالاة وإن كنت تشتهيه ، فإن ضبط النفس لا يكلف الإنسان أكثر من لحظة . وإنه لمن العار أن يكون الإنسان شرهاً ، فقدح ماء يروى الغلة ، وإن كان الفم مفعما فإن ذلك مما يقوى القلب ، والشىء الطيب يحل محل الطيب (إن لونا بسيطا جيدا يغنيك عما هو أحسن منه) كما أن القليل يحل محل الكثير ، وإن الرجل الشره تعس لداعى جسمه . . . . . وإذا جلست مع إنسان شره فلا تأكلن إلا بعد أن يفرغ من وجبته . وإذا جلست مع سكير فلا تأخذن (من الشراب) إلا بعد أن يشبع شهوته . ولا تتكالبنّ على اللحم فى حضرة . . . . . . خذ حينما يقدم لك ولا ترفضنها ، وفكر فى أن ذلك يريحه »

وبعد ذلك ينتقل حكيمنا إلى حض الإنسان على عدم الفخر فيقول :

« لا تكونن فخورا بقوتك بين من هم فى سنك ، واحذر من أى فرد يغالبك (؟) ، لأن الإنسان لا يعرف ماذا يكون حظه ، وما يفعله الله عندما ينزل العقاب »

الخاتمة :

ونادى الوزير أولاده بعد أن أتم مقاله عن أحوال بنى الإنسان وعن أخلاقهم كما عركها بنفسه فقال لهم :

« أصغوا إلى كل ما فى هذا الكتاب كأنى قد تكلمته . . . . وعندئذ سجدوا على بطونهم وقرءوه كما هو مكتوب ، وقد كان محببا إلى قلوبهم أكثر من أى شىء آخر فى الأرض قاطبة ، وقد قاموا وقعدوا حسبما جاء فيه (أى أنهم ساروا حسب تعاليمه) وعلى أثر ذلك عين « كاجمنى » مشرفا على العاصمة ووزيرا »

المصادر :

(1) Prisse Papyrus (Paris).

(2) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians," P.P. 66. ff.

(3) Griffith, " Notes on Egyptian Texts of the Middle Kingdom," " Proceedings of the Society of Biblical Archaeology," Vol. XIII, (1980)

« التعاليم التى لقنت للملك مريكارع »

هذه الوثيقة تنسب لملك من الأسرة العاشرة لم يعرف اسمه لنـا بعد على وجه التحقيق ، وقد كتبها لابنه المسمى « مريكارع » والظاهر أن الملك مؤلفها قد وضعها فى آخر لحظة من حياته . على أن هذه الوثيقة العظيمة الشأن لم تصل إلينا إلا عن نسخة كتبت فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . ونحن نعلم أن « مريكارع » قد عاش فى عصر الثورة الاجتماعية التى قلبت نظام البلاد رأساً على عقب فى النصف الثانى من الألف الثالثة قبل الميلاد . وتدل الأحوال على أن الملك والد « مريكارع » لم يكن يقبض على زمام الأمور فى كل مصر وكانت عاصمة ملكه هيراكليوبوليس (اهناس المدينة) .

وقد تغلب هذا الملك المسن على مدينة طينة فى العرابة المدفونة ، التى كانت ضمن أملاك « أنتف العظيم » أمير طيبة (انظر تاريخ مصر جزء ١ ص ٤٢٠)

ومما يؤسف له جد الأسف أن ناقل الوثيقة قد ارتكب أغلاطا كثيرة مما جعل كثيراً من أجزائها غير مفهوم ، فضلا عمـا بها من فجوات كبيرة . ومع ذلك فإنها تعد من أعظم الوثائق التى وصلت إلينا عن هذا العصر ، لأن ذلك الرجل المسن لم يقتصر فيها على النصائح الأدبية والاجتماعية ، بل أضاف إلى ذلك تعاليم دينيـة منقطعة النظير ، وتجارب سياسية كشفت لنا عن صفحة مجيدة فى نوع الحكم الذى كانت تسير عليه البلاد فى ذلك العهد فى مدن الدلتا ، ووصفت لنا الأقوام الذين كانوا يهددون مصر على حدودها ، والعلاج الناجع لكبح جماحهم (وقد تكلمت عن هذا فى كتاب أقسام مصر الجغرافية)

ولا نزاع فى أن الصراع الهائل الذى قام بين الفوضى والنظام أيام العهد الاقطاعى فى المدة التى تلت سقوط الدولة القديمة لم يجد حتى الآن ما يُعبّر عنه تعبيراً تاما . إذ تنقصنا كل الوثائق التاريخية البحتة عن هذه الفترة ، ولا بد أن الحياة المتحضرة فى أمهات البلاد التى كانت مزدهرة فى عصر الدولة القديمة مثل «منف» و«عين شمس» وغيرها من المدن التى كانت مركزاً للقوة والثقافات المدنية والخلقية كانت لاتزال باقية على ماهى عليه . أما « أهناس المدينة » فلا نعلم عنها شيئا إلا أنها كانت عاصمة ملكنا الحكيم الذى أهدى إلى العالم تلك التعاليم العظيمة التى كان يريد بها أن تكون نبراسا يسير على هديه ابنه « مريكارع » .

وتلك الوثيقة كما قلنا مدونة على بردية محفوظة الآن بمتحف « ليننجراد » ، وهى تحمل

بين سطورها أدلة قاطعة تثبت أنها كتبت فى العصر الذى تنسب إليه ، ويمكن أن نعدها صوتا حقيقيا للملك « أهناس » والد « مريكارع » . وهذا الملك المحنك يرجع بنا بنظراته الصائبة إلى الوراء لنستعيد ماضى تلك الدولة القديمة ، مما يدل على عظم احترامه وشدة محبته للحكمة التى تمخضت عنها تلك الأزمان ، إذ نرى ذلك السياسى المحنك يتحدث عن الرجل الحكيم فيقول :

« إن الصدق « ماعت » يأتى إليه مختمرا حسبما كان عليه الأجداد ، فعليك إذن أن تقلد أجدادك . وتأمل ! إن كلماتهم مدونة فى المخطوطات فافتحها لتقرأها وقلد معرفتهم ، وبتلك الطريقة يصير صاحب الصناعة على علم »

وإذا رجعنا إلى الوراء أمكننا أن نلحظ فى تلك الكلمات تأثير نصائح « بتاح حتب » الذى عرف فى نصائحه الكلام بأنه صناعة ، والمتكلم الماهر بأنه محترف . ولابد أنه كان ضمن تلك المخطوطات إضمامة البردى التى تحتوى على نصائح « بتاح حتب » . ولابد أن ملك « أهناس » قد أمر بفتحها وقراءتها على سمعه ، حتى يمكنه التبصر فيما تحويه من الحكم التى كانت قد مضى عليها وقتئذ ما يقرب من أربعمائة سنة ، ولذلك يقول الملك المسن :

« كن صانعا للكلام لتكون قوى البأس ، لأن قوة الإنسان هى اللسان ، والكلام أعظم خطرا من كل حرب ، وهذا القول أشبه بقولنا « القلم أشد بأسا من السيف »

وكذلك يتفق ذلك الملك الحكيم مع « بتاح حتب » فى أن اللسان الذرب يحتاج إلى توجيه حكيم ، إذ يضيف إلى ما سبق قوله :

« إن الرجل الفطن لا يجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة فى زمانه »

ولقد كان من المستحيل بداهة أن يتجاهل ذلك الملك الصعوبات التى كانت قائمة فى موقف البلاد السياسى إذ ذاك . ولذلك أسدى النصيحة للأمير الصغير بالمحافظة على العلاقات السليمة التى كانت قائمة بينه وبين الوجه القبلى المستقل كما ذكرنا . وقد خصص جزء كبير للعناية بحدود البلاد المصرية المكشوفة المعروفة من جهة آسية شرقا ولوبيا غربا[1] .

(١) لقد فصلت الكلام على هذا الموضوع فى « مصر القديمة » جزء أول ص ٤٢٥ الخ .

أما فى سياسة البلاد الداخلية فقد تجلت لنا فطنة ذلك السياسى العظيم إذ نجده يعترف اعترافا صريحا بقوة الأسر الشريفة العظيمة التى استقلت كل واحدة فى مقاطعتها ، ولذلك فإنه سار فى معاملتهـا على تلك السياسية التى اتبعها كثير من ملوك أوروبا فيما بعد ، وهى سياسة المهادنة والمحالفة مع فطنة عظيمة فى الوقت نفسه تشعر بضرورة البحث عن الكفايات المغمورة فى الأوساط الدنيا ، وتكوين رجال جدد يمكن استخدامهم ضد رجال الإقطاع القدامى ، ولذلك يقول :

« أعل من شأن الجيل الجديد ليحبك أهل الحاضرة . . . . . . إن مدينتك مفعمة بالشباب المدرب الذين هم فى سن العشرين . ضاعف الأجيال الجديدة من أتباعك على أن يكونوا مزودين بالأملاك ، وعلى ألا ترفع من شأن ابن العظيم على ابن الوضيع ، بل اتخذ لنفسك الرجل بحسب كفايته ، ومع ذلك فإنه ليس من الفطنة أن تهمل الأسر الشريفة العريقة »

وكذلك يقول :

« عظم من شأن أشرافك لينفذوا قوانينك ، لأنهم إذا لم يكونوا أهل يسار فإنهم لا يقومون بالعدل فى إدارتهم للأمور . إن الرجل الغنى فى بيته لا يتحيز (يعنى فى حكمه) لأنه صاحب عقار ، وليس محتاجا ، ولـكن الرجل الفقير (يعنى فى وظيفته) لا يتكلم حسب العدالة (ماعت) لأن الرجل الذى يقول : « ليت لى » لن يكون محايدا ، بل ينحاز إلى الشخص الذى يحمل فى يده رشوة . فالعظيم من كان أصل شرفه عظيما ، والملك الخطير من كانت له حاشية ، والرفيع من كانت أشرافه أغنياء . وإذا تكلمت الصدق (ماعت) فى بيتك فإن الأشراف المتسلطين على الأرض سيخافونك ، والملك ذو العقل المحايد يفلح حاله ، لأن داخل (القصر) هو الذى يبعث الاحترام فى الخارج »

وفضلا عن المسئولية فيما يختص بالعدالة الدنيوية يعظ الملك ابنه بأن على الملك واجبات

هامة فى المعبد ، وأنه محتوم عليه أن يصرف جميع عنايته لإقامة جميع الشعائر المقدسة مما يظهر بكل وضوح اعتماده التام على العطف الإلهى ، وليست المظاهر هى كل شىء ، بل يجب أن يكون لها سند من العمل والعقيدة القلبية ، فليست الهيبة وحدها ضمانا كافيا لرضاء الله إذ لم تصحبها استقامة .

ولذلك نجد الوالد يحض ابنه فى وصيته التى تعد من أنبل ما جاد به التفكير الخلقى على أن يحفظ فى ذهنه :

« إن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور (يقدم قربانا) من الرجل الظالم »

فلا بد لذلك الشاب عندما يتربع على العرش أن يحكم طبقـا للصفات الخلقية الباطنة . لذلك يقول :

« أقم العدل لتوطد مكانتك فوق الأرض ، وواس الحزين ولا تعذبن الأرملة ، ولا تحرمن رجلا ميراث والده ، ولا تضرن الأشراف فى مراكزهم ، ولا تتول العقاب (أى بنفسك) ، فإن ذلك لا يرفعك ، ولكن تولّه بالجلادين من غير إسراف ، وبذلك تستتب الأرض . . . . . والله عليم بالرجل الثائر ، والله يجازى عسفه بالدم . . . . ولا تقتلن رجلا تعرف قدره ، وتكون قد جوّدت معه الكتابة (أى كنت معه تلميذا فى المدرسة) »

أما التخلق بالوداعة التى طالما وصّى بها « بتاح حتب » فقد بالغ فى الحض عليها ملكنا الحكيم إذ يقول مستحلفا ابنه :

« لا تكونن فظا لأن الشفقة محبوبة ، وأسس آثارك على حب الناس ، وسيحمد الناس الله على مكافأتك لهم ، مقدمين الشكر على شفقتك ومصلّين لعافيتك »

وقد لاحظنا فيما سبق أن « بتاح حتب » كان كثير الاهتمام بالمستقبل فى هذه الدنيا ، بسبب تقلبات الحظ التى تغدر بالإنسان فى هذا العالم وتطوح بمركزه ، ولكن الملك فى تلك الوثيقة ينصح ابنه « مريكارع » بأن يفكر فى مستقبله فى عالم الآخرة فيقول :

« إنك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقى عند مقاضاته ، وتسوء العاقبة إذا كان المتهم هو الواحد العاقل (يعنى « تحوت » الذى يدير المحكمة يوم القيامة) ؛ ولا تضعن ثقتك فى طول العمر لأنهم (يعنى القضاة) ينظرون إلى مدة الحياة كأنها ساعة واحدة ، ولكن الإنسان يبعث ثانية بعد الموت وتوضع أعماله بجانبه كالجبال ، لأن الخلود مثواه هناك (أى الآخرة) والغبى من لا يكترث لذلك . أما الإنسان الذى يصل إلى الآخرة دون أن يرتكب خطيئة فإنه سيثوى هناك ويمشى مرحا مثل الأرباب الخالدين (يعنى الأبرار المتوفين) »

ويرى هذا الملك الصالح أن الحياة الصالحة فوق الأرض هى العماد الأعظم الذى ترتكز عليه الحياة الأخروية فيقول :

« إن الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها »

ولا شك فى أنه يقصد بذلك هنا طريقها المعتاد للخلق القيم الكريم . وقد كان القبر فى نظره فى الوقت نفسه من الأشياء الهامة حيث يقول :

« زين مثواك (أى قبرك) الذى فى الغرب ، وجمّل مكانك فى الجبانة بصفتك رجلا مستقيما مقيما للعدالة ، لأن ذلك هو الشىء الذى تركن إليه قلوبهم (أى أهل الاستقامة) »

ولما كان أهم أمر فى حياة الإنسان هو علاقته بربه فى الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة فإنه يقول ناصحا لابنه أيضا :

« يمر الجيل متنقلا إلى جيل آخر بين الناس ، والله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه . . . وإنه الواحد الذى يبهر بما تراه الأعين . فاجعل الإله يخدم بالصورة التى سُوّى فيها ، سواء أكانت من الأحجار الكريمة أم من النحاس ، لأنه

كالماء الذى يحلّ محله الماء ، إذ لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئاً بل يكتسح الذى (يخفيه) »

وهذه الكلمات الهامة التى جاءت على لسان رجل من قادة الفكر فى مصر منذ أكثر من أربعة آلاف سنة مضت ليست إلا محاولة منه ليميّز بين الإله وبين الصنم التقليدى الذى كان يوجد فى المعبد ، ويظهر فى الاحتفالات الرسمية ، ويهتف له الشعب ، ولكن كينونة الإله كالماء يكتسح السدّ أمامه ولا يمكن أن يبقى محبوسا فى الصورة المحسوسة (أى الصنم) بل يبهر الناس بما تراه العيون ، وهذا الإله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه فلا يمكن إدراكه ، كجسم من الماء يمتزج فى جسم آخر مثله من الماء . ومن الجائز أن هذا الحكيم يريد بعبارته « كالماء الذى يحل محله الماء الخ » أن الإله الذى شُبّه بالماء إذا دخل فى أى جسم سواء أكان من الأحجار الكريمة أم من النحاس أم من أية مادة أخرى لابد واجد لنفسه منفذا يخرج منه أو يظهر قوته ، ولذلك فإن تصوير الإله فى أى شيء مادى ليس بالأمر الهام .

ولدينا فى تلك الوثيقة سلسلة أفكار عن إله الشمس نجد فيها الفكر المصرى القديم يقترب من عقيدة التوحيد ، إذ نرى الكاتب يعترف بوجود طائفة من الآلهة يقومون مقام القضاة فى عالم الآخرة ، وبذلك يبتعد بعداً واضحاً عن الاعتراف بوحدانية الإله . على أنه من جهة أخرى يقترب جداً من الاعتراف بالتسلط الخلقى لإله واحد لدرجة أن كلمة إله صارت تدل فى مواضع — مع شيء من التناقض — على مدلولها الحقيقى . ويمكن أن نلاحظ صوغ هذه التأملات بصيغة التوحيد زيادة على ما ذكرنا فى الصورة الآتية التى صور فيها الحكيم الأهناسى الخالق والحاكم الرءوف فى خاتمة تأملاته إذ يقول :

« إن الله قد عنى عناية حسنة برعيته ، فقد خلق السموات والأرض وفق رغبتهم وخفف الظمأ بالماء ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وهم الصورة التى خرجت من أعضائه ، وهو يرتفع إلى السماء حسب رغبتهم ، وخلق النبات والماشية والطيور والسمك غذاء ، وهو كذلك يعاقب ، فذبح أعداءه وعاقب أطفاله بسبب ما دبروه حينما عصوا أمره ، ويضع النور حسب رغبتهم ،

وكذلك يجعلهم ينامون ويسمعهم عند ما يكون ، وجعل لهم حكاما فى البيضة (أى وهبوا الحكم قبل الولادة) لتحمى ظهور الضعفاء منهم »

والإشارة هنا إلى أن الإله ذبح أعداءه توجيه إلى أسطورة هلاك الإنسانية التى ذكرناها فى باب القصص . ونجد فى تلك الأسطورة ناحية خلقية تدل على حرمان الإنسان العطف الإلهى ، وكذلك نتعرف فيها سيادة إله الشمس سيادة خلقية مطلقة . وقد كان واضحا فى ذهن الملك الأهناسى المسن محاولة الموازنة بين تصوره السامى للزاد الخلق وبين التقاليد الموروثة الخاصة بقيمة العتاد المادى ولذلك يقول لابنه :

« أقم آثارا باقية للإله لأنها تجعل اسم صانعها يبقى ، ودع المرء يعمل ما فيه صلاح روحه بتأدية الطهور الشهرى وبلبس النعلين الأبيضين وزيارة المعبد ، وإماطة اللثام عن الرموز الدينية ، والدخول فى قدس الأقداس وأكل الخبز فى المعبد . وضاعف القربان وأكثر من عدد الرغفان ، وزد فى القربان الدائم لأن فى ذلك خيراً لفاعله ، واجعل آثارك ثابتة حسب ثروتك ، لأن يوما واحدا (أى عمل يوم واحد) قد يبقى إلى الأبد ، ورب ساعة واحدة تنفع للمستقبل . والله عليم بالفرد الذى يقوم له بأية خدمة »

على أن محاولة الموازنة بين ما يحتاج إليه الإنسان من مادة ، وما يحتاج إليه من أخلاق ظاهرة فى الكلام القيم اقتبسناها فيما سبق عند ما كان الملك المسن يقول :

« إن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور الظالم ، ومع ذلك قرّب للإله ليكافئك بالمثل بقربان تزوّد بها مائدة القربان ، وبالنقوش لأن ذلك هو ما يخلد اسمك . والله يعلم من يقرّب له القربان »

فنجد هنا اعترافا صريحا عن قيمة الحياة الصالحة فى نظر الإله وهو الذى لا يقبل أن تقوم الهدايا عنده مقام الأخلاق .

وأهم المصادر التى اعتمدنا عليها ما يأتى :

(1) Pieper "Die Agyptische Literatur", pp. 30. ff.

(2) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 154 ff.

(3) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 75. ff.

(4) Gardiner, "The Journal of Egyptian Archeology", Vol. I, p. 20. ff.

(5) Golenischeff, "Les Papyri Hieratiques Nos. 1115, 1116 A et 1116 B de l'Ermatiige Imperial á St. Petersbourg". (1913).

التعاليم المنسوبة إلى « أمنمحات » الأول

كتبها « خيتى » بن « دواوف »

عن أقدم نسخة عرفت حتى الآن

تدل الشواهد على أن تعاليم الملك « أمنمحات » لابنه « سنوسرت الأول » كانت تحتل مكانة عظيمة بين الوثائق الأدبية التى خلفتها لنا الدولة الوسطى .

غير أن البحوث الحديثة تكاد تثبت أن هذه التعاليم لم يفه بها « أمنمحات الأول » وأنها كتبت بعد وفاته ، لتكون بمثابة دعاية سياسية لابنه « سنوسرت الأول » الذى تولى الحكم بعده مباشرة ، وقد دلل الأثرى الكبير الأستاذ « دى بك » على ذلك بأدلة قوية مقتبسة من صلب متن التعاليم نفسها ، وكذلك من وثيقة عثر عليها بين أوراق «شستربيتى» . فقد جاء فى هذه الورقة مانصه وأنه : « هو (أى الكاتب خيتى) الذى كتب مؤلفا يسمى « تعاليم الملك سحتب — اب رع » عندما ذهب ليستريح منضما إلى السماء وداخلا بين أرباب الجبانة[١] »

وقد تشكك الأستاذ « جاردنر » فى أن « خيتى » هذا هو مؤلف هذه التعاليم قائلا إنها قد تنسب إليه بسبب جهل أحد الكتاب فى عهد الرعامسة . راجع :

Gardiner melanges maspero I. P. 491 ff.

غير أنه من جهة أخرى يرى أن هذه التعاليم قد كتبت فى عهد « أمنمحات » الأول وإن كان لايجزم بالطريقة التى دونت بها . وكل ما قاله فى هذا الصدد لايخرج عن كونه مجرد حدس وتخمين .

فقال : « إنه من المحتمل عندما أشرك « أمنمحات » ابنه «سنوسرت» فى حكم البلاد فاه أمام رجال بلاطه بنصائح غالية تحمل فى طياتها ما لاقاه من المصاعب والمصائب ، وما قام به من عظيم الأعمال ، وما جعله يشرك ابنه معه فى حكم البلاد . ولا يبعد أن رجال الحاشية الذين أعجبوا بهذه النصائح وتلك الحكم الثمينة التمسوا من الملك أن يدونها ، فكلف بدوره كاتبا ملكيا بذلك » .

ثم قال الأستاذ « جاردنر » إنه يمكن أن يقاس ذلك بالخطاب الذى ألقاه الملك عند تولية الوزير كما نجد ذلك فى مقبرة « رخمرع » وغيرها من المقابر .

---

(١) "Chester Beatty Papyrus IV", Gardiner, "Hieratic Papyri in the British Museum", Vol. 3, p, 43.

أما الأستاذ « دى بك » فيرى أن الملك « أمنمحات » قد قتل فى مؤامرة قامت ضده فى القصر ، ويدلل على ذلك بجمل فى صلب متن التعاليم وببراهين أخرى ، إذ يقول : إنه جاء فى صلب المتن الجملة التالية :

« ولو كنت استللت سلاحى بيدى لكنت جعلت هؤلاء المخنثين يولون الأدبار ، ولكن لا شجاع فى الليل ولا أحد يحارب وحيدا ، ولا يحرز النصر بدون عضد »

فاذا اعترفنا أن « أمنمحات » يشير فى هذه الفقرة إلى مؤامرة ناجحة ضده ، وهذا على مايظهر هو الرأى الصحيح ، وأن ما جاء فى ورقة « شستربيتى » من أن « خيتى » هو مؤلفها كان لابد لنا من أن نأخذ بنظرية من يقول « إن الملك كان يتكلم ، أوكان مفروضا أن يتكلم من قبره » . على أن ذكر الميت الذى يترجم حياة نفسه ، خاصة لا تقتصر على المتن الذى نتحدث عنه ، بل نجدها فى متون جنازية أخرى . يضاف إلى ذلك أن هذه ليست هى الظاهرة الوحيدة فى تعاليم هذا الملك التى تذكرنا بأسلوب الكاتب الذى يترجم حياة نفسه . وأكبر دليل على ذلك ما يأتى :

« لقد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وقد جعلت الرجل المغمور الذكر يصل إلى غرضه مثل صاحب المكانة »

وكذلك نجد فى فقرة أخرى وهى من الصنف الذى نعثر عليه فى تراجم الأموات :

« أنا الذى أنشأت الغلال والذى أحبه « نبر » (إله الحبوب) والفيضان قد حيانى باحترام (أى كان معتدلا فى أيامى) ولم يجع إنسان فى سنى حكمى ، ولم يعطش خلالها أحد ، وكل ما أمرت به كان فى موضعه الصحيح »

ولا شك فى أن أى عالم أثرى يقرأ هذه الفقرة دون أن يعلم أنها من تعاليم « أمنمحات» لا يشك فى أنها كانت على لوحة مأتمية .

ولدينا فقرة أخرى يمكن أن تعتبر تفسيراً للظروف التى انفجرت فيها المؤامرة ، وهى فى الوقت نفسه تمدنا بسبب من الأسباب التى بها نجحت فى بادىء الأمر وهى الفقرة التى يقول فيها « أمنمحات » :

« انظر إن المصيبة قد حلّت بى عند ما كنت بدونك »

والقول بأن الثورة قد بدأت و « سنوسرت » بعيد عن العاصمة يتفق تماماً مع بداية قصة « سنوهيت » إذ تقرأ هناك أن « أمنمحات » قد مات عند ما كان ابنه عائداً من حملته إلى بلاد لوبيا . على أن السرعة التى عاد بها « سنوسرت » ليصل إلى مقر الملك مع كتمان الأمر عن جيشه ، والرسالة التى بعث بها لإحضار أولاد الملك الذين كانوا يرافقون ذلك الجيش ، وذعر « سنوهيت » الغريب وهربه ؛ وسؤال الشيخ الفلسطينى « لسنوهيت » عما إذا كانت قد حدثت كارثة فى العاصمة ، ثم محاولة « سنوهيت » اقناعه بعدم حدوث أى شىء شاذ ، (وأن كل ما حدث هو أن « أمنمحات » قد رحل إلى الأفق . . . . وأن ابنه قد دخل القصر وتولى ميراث والده) واعترافه بأن موت « أمنمحات » لا تعرف نتائجه ، كل هذه الحقائق توحى إلينا أن هذا الموت لم يكن طبيعيا مما يتفق وما جاء فى سياق التعاليم .

ثم يأتى بعد ذلك فى المتن (هذا إذا كان ما ترجم هو المتن الصحيح) :

« قبل أن يسمع رجال البلاط أنى سأسلمك (الحكم) وقبل أن أجلس معك »

وإنى أفهم من هذه الكلمات أن « أمنمحات » قد حال بينه وبين إعلان ابنه ملكا على البلاد بصفة رسمية موته المفاجىء .

وإذا كان هذا الرأى هو الصحيح عن محتويات هذه التعاليم فما هو إذن الغرض منها وما القصد الذى من أجله كتبت ؟

والجواب عن ذلك أن هذه الوثيقة مقال سياسى فى صورة قطعة أدبية صيغت دعاية لتعضيد حزب «سنوسرت» الأول ، فقد رأينا أن «سنوسرت» بعد موت والده قد أسرع إلى مقر الملك ، وقد وصل فى الوقت المناسب ليمنع ما يخشى من الأحداث ، وقد أفلح فى تسلم مقود المملكة التى كان والده قد أعدها له .

ولكن لابد أن يكون تيار المعارضين قويا ، إذ كان المنافسون له على وشك الوصول إلى مآربهم ، وربما كان لديهم من الأسباب الحقة مايبرر موقفهم ويقوى حجتهم ويضعف من « سنوسرت » واستحقاقه العرش .

فمن المحتمل أن يكون « سنوسرت » قد لجأ إلى قوة السلاح الأدبى لتهدأ النفوس عقب الضربات القاصمة التى أودت بحياة الملك الكبير .

فقد كتب أديب بإيماز من «سنوسرت» أو بوازع من نفسه هذه التعاليم يظهر فيها الملك

المتوفى بسلطانه العظيم يعضد «سنوسرت» ويخاطبه من قبره بوصفه الملك الشرعى على البلاد ، ومتهما أولئك الأوغاد الذين أودوا بحياته . ولما كان غرضه من هذه التعاليم أن يعضد ابنه جاء فى مستهلها بما يؤكدها ويثبت صدقها فذكر الجملة التالية «يقول لابنه فى رسالة صادقة»(١)

وقد كان من الأمور الطبيعية فى التفكير المصرى أن يأتى الوالد المتوفى من عالم الأموات لمساعدة ابنه على الأرض ، وذلك لأن موتى المصريين كانوا دائماً حاضرين ، وكان لديهم من القوة مايؤثر على حظوظ الأحياء . فكثيراً مانجد الحى يطلب مساعدة المتوفى وحمايته ، وقد عثر على كثير من الخطابات التى أرسلها الأحياء إلى الأموات مما يوضح لنا تأصل هذه الفكرة فى معتقدات المصريين .

وإذا كان من الممكن الاتصال بالموتى بالرسائل ، وإذا كان فى مقدور المتوفى أن يقرأ مايرد إليه من رسائل الأحياء فمن المعقول المنطق — وكان المصريون منطقيين فى مثل هذه الأمور — أن يكتب الأموات بأنفسهم للأحياء . ولهذا عثرنا على عدد قليل من الخطابات أرسلها الأموات للأحياء مقابل مايصل إليهم من أقاربهم ، ومن بين هذه الوثائق ورقة « هاريس » التى وصفها « ستروف » الأثرى الروسى بأنها تزييف ولكنه قديم ، وقد ذكر فيها أن الملك رعمسيس الثالث المتوفى (وقد كان كذلك فريسة لمؤامرة نسوية) قد أفرد أحد أولاده بأن يكون الوارث الشرعى للعرش ، ويرجو من الآلهة والشعب أن يعاضدوه ، وبذلك أفسد الغرض الذى لاقى من أجله الملك حتفه . ولا شك فى أن المتن الذى بين أيدينا الآن بمثابة مثال مبتكر من نفس هذا النوع من المقالات السياسية التى كتبت للدعاية .

على أن الحرب بالأسلحة الكتابية أو الأدبية لم تكن من مبتكرات الملك « أمنمحات » الأول . وإذا كان من الممكن أن يصل إليه صدى من تعاليمه فى العالم السفلى الذى غُيّب فيه فانه لا بد أن يذكر بابتسامة نبوءات « نفرروهو » عنه بأنه هو المخاص المنتظر الذى سينشر فى البلاد عهد سعادة ورخاء . فقد كانت تلك النبوءات دعاية له فى أول عهده عند ما كانت شوكة الحزب المنتمى للأسرة الحادية عشرة لاتزال قوية . وقد كان من نتائج هذه الدعاية أن ضمت إلى جانبه شعور القوم الدينى ومهدت له السبيل إلى اعتلاء عرش البلاد

وفى اعتقادى أن هذه التعاليم تعد من نوع هذه الوثائق . ورغم أننا لا نرى أمامنا صورة ذلك الملك المسن اليقظ الصارم الذى لم تخدعه الأوهام ، فإن لدينا فى مقابل ذلك مقال دعاية سياسية ليس بأقل حيوية ولا إنسانية من شخصه .

---

(١) جاء فى بحث جديد للأستاذ «جن» (راجع J. E. A. Vol 27 B. 4 etc) أن «امنمحات» ظهر لابنه فى رؤيا صادقة (حلم) بعد موته وهذا هو الرأى القديم

التعاليم

التعاليم التى ألّفها جلالة الملك « سحتب اب رع » ابن الإله « رع » « أمنمحات » الأول متحدثا عن رسالة صادقة لابنه رب العالمين يقول :

« أنت يا من ظهرت إلها (أصبحت ملكا) اصغ لما سألقيه عليك حتى تصير ملكا على البلاد وحاكما على شواطىء النهر ، وحتى يمكنك أن تفعل الخير (أكثر مما ينتظر) . خذ الحذر من مرءوسيك لأن الناس يصغون لمن يُرهبهم . ولا تقتربنَّ منهم على انفراد ، ولا تثقنّ بأخ ، ولا تعرفنّ لنفسك صديقا ، ولا تصطفينّ لك خلانا لأن ذلك لا فائدة منه »

وبعد أن حذَّر ذلك الملك العظيم ابنه الثقة ببنى الإنسان عامتهم حتى الأخ ، حذَّره كذلك اتخاذ الخلان . لأن تجاربه الشخصية عرفته أن أقرب الناس إليه هم الذين اغتالوه .

وبعد ذلك ينتقل الملك إلى نصح ابنه بألا يتكل على أحد آخر فى أن يحافظ عليه ، وذلك بعد أن رأى بعينى رأسه أن إحسانه وعطفه قد قوبلا بإنكار الجميل . قال :

« وعندما تكون نائما كن الحارس لشخصك حرصا على قلبك ، لأن الرجل لا صديق له فى يوم الشدة . فإنى قد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وجعلت من لا ثروة له مثل صاحب الثراء . وقد كان آكل خبزى هو الذى جند الجنود ضدى ، والرجل الذى مددت له يد المساعدة هو الذى أحدث لى بها المتاعب ، والذين يرتدون فاخر كتانى عاملونى كالذين فى حاجة إليه ، والناس الذين يتضمخون بعطورى قد لوثوا أنفسهم وهم يستعملونه (بخيانتى) »

وانتقل « أمنمحات » بعد ذكر هـذه الصورة التى تدل على الشك فى الناس والتشاؤم منهم إلى حث خلفه وهم لا يزالون يذكرون تأملاته المحزنة وما آتاه من الأعمال الحربية العظيمة أن يعوا هذه المعلومات فى نفوسهم ، وذلك لأن الخلف دائما ينسى ما قام به السلف ، ومع ذلك فإن الإنسان لا يمكنه أن يصل إلى السعادة الحقيقية إلا بالمعرفة . اسمع إليه وهو يقول :

« وأنتم يا نسلى من الأحياء ويا من سيخلفوننى من الناس . اعملوا على أن تكون أحزانى كأنها أشياء لم يسمع بها ، وكذلك اجعلوا ما قمت به من عظيم الأعمال الحربية لا يرى . وذلك لأن الإنسان يحارب فى ساحة الوغى وقد نسى (ما جرى) بالأمس ، ومع ذلك فإن الإنسان الذى يتناسى العلم لا تتم له سعادة »

وينتقل الملك بعد ذلك إلى وصف الحالة التى كان عليها حينما هاجمه المتآمرون ، قال :

« لقد كان ذلك بعد العشاء حينما دخل الليل . وكنت قد أخذت ساعة من الراحة واضطجعت على سريرى ، وكنت متعبا ، وأخذ قلبى يجد وراء النوم ، ثم شعرت كأن أسلحة تلوح ، وكأن إنسانا يسأل عنى ، فانقلبت كأنى ثعبان الصحراء (أى قمت منتصبا) ».

وبعد هذه القطعة أخذ «أمنمحات» يصف موقفه الحرج عند الهجوم عليه ، وهنا تختلف الآراء كما أوضحنا فيما مضى فيقول « دى بك » : إن الملك اغتيل فعلا . أما « جاردنر » فلا يعتقد ذلك . ولهذا نجد أن كلا منهما يترجم الجملة التى تشير إلى ذلك حسبما يظن :

« وقد استيقظت (على صوت الحرب) وكنت وحيدا ووجدت أنها حرب جنود . ولو كنت أسعفت بالسلاح فى يدى لكنت قد شتت شمل المخنثين شذر مذر . ولكن لا شجاع فى الليل ، ولا يمكن أن يحارب الإنسان وحيدا ، إذ لا نصر بدون معين »

يرى بعد ذلك « أمنمحات » أنه قد أصبح طاعناً فى السن وليس فى مقدوره أن يحكم البلاد وحده . ولما لاحظ أنه قد أصبح غير قادر على أن يتنبأ ويعوق المؤامرة التى دُبِّرَت ضده نزل عن الملك لابنه « سنوسرت » ، وهو الذى أشركه معه فى حكم البلاد ، ولذلك يقول :

« تأمل لقد أريق الدم وأنت بعيد عنى ، وقد سلمت لك (الملك) قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط . وعلى ذلك دعنى ، أفعل ما تريد ، وذلك لأنى

لم أحتط لنفسى ضد هذه (المؤامرة) فإنى لم أفطن لها من قبل . هذا فضلا عن أن قلبي لم ينتبه إلى تراخى الخدم » .

ينتقل بعد ذلك « أمنمحات » إلى التنويه بأن هذه المؤامرة قد دُبِّرت فى الخدور . وقد وضع المؤلف هذه الحادثة فى ثلاثة أسئلة قد اختلف كثيراً فى ترجمتها . ونظن أن الأستاذ « جاردنر » قد قارب الحقيقة إذ يقول :

« هل حدث أن النساء اصطففن فى ميدان المعركة ؟ وهل من لا يرعى حرمة القانون قد شبّ فى القصر ؟ أو هل الماء الذى كسر السد قد انطلق ، وعلى ذلك خاب الفلاحون فى عملهم ؟ »

ويمكن فهم السؤالين الأولين تماما . أما الثالث فإنه استعارة تشبيهية من الطراز الأول ؛ إذ من المحتمل أن نفهم منها أن الشعور بالولاء الذى نمَّاه الملك قد تلاشى ، فأصبح الوئام الذى كان يسود القصر مقضياً عليه جملة ، ولذلك شبهه بتوزيع مياه الفيضان فى وقت الزرع بوساطة القنوات الصغيرة تشق الحقول وتقسمها إلى مربعات مثل رقعة الشطرنج ، فإذا حدث خلل فى هذه القنوات فإن كل المساحة تغمرها المياه ، وبذلك يضيع تعب الفلاحين سدى .

على أن ما يأتى لا يثبت أن المؤامرة قد خابت ، ويمكن فهم نتيجتها ضمناً من قوله :

« وسوء الحظ لم ينتبنى منذ ولدت ، هذا فضلا عن أنه لم يتأت لإنسان قط أن يقوم بمثل ما قمت به من الأعمال العظيمة بوصفى رجلا شجاعا »

ثم ينتقل « أمنمحات » إلى تعداد ما أحرزه من النجاح فى ميدان الأعمال المادية فيقول :

« لقد اقتحمت طريقى إلى الفنتين (أسوان) ونفذت حتى مناقع الدلتا . ووقفت عند نهاية حدود الأرض وشاهدت وسطها ، ووصلت إلى معاقل الحدود بقوة ساعدى وباهر أعمالى العظيمة »

ثم يأتى ذكر أعمال الخير التى قام بها الفرعون المسن مادحاً إياها قائلا :

« لقد كنت مؤسسا للمحاصيل الزراعية محبوبا من الإله « نبر » رب الغلال وقد حيَّانى النيل فى كل رقعة من الأرض المكشوفة ، ولم يجع إنسان فى سنى

حكمى ، ولم يسغب أحد خلالها (السنون) . ولكن القوم جلسوا فى سلام عما عملت لهم وتحدثوا عنى وكل ما أمرت به كان فى موضعه الحق . ولقد أذللت الأسود واصطدت التماسيح ، وقهرت أهل واوات ، وأسرت قوم الماتو ، وجعلت الأسيويين يمشون كالكلاب ، وأقمت بيتا مزينا بالذهب وسقفته من اللازورد ، .... ورقعته ...... وأبوابه من النحاس وأقفاله من البرنز وقد صنعتها لتبقى إلى زمن لا نهاية له ، والأبدية تخشاها ، لأنها لا يمكنها أن تقضى عليها »

ويأتى بعد ذلك عدة جمل لا يمكن فهمها لأن المتن مشوه .

ولا نزاع فى أن كاتب هذه التعاليم قد رسم لنا صورة التشاؤم والريبة التى بعثتها أحوال البلاد فى ذلك العصر ، رغم ما قام به « أمنمحات » من إعادة النظام القديم الذى كانت عليه البلاد بقدر ما استطاع ، إذ كانت الأحوال قد حتمت عليه أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا وشبوا فى عهد ذلك الانحطاط الذى عقب عصر الأهرام ، وكانت قلوبهم قد أشربت حب الفوضى والفساد اللذين هوى إلى حضيضهما الشعب المصرى عدة قرون ولم ينقذه منها فى ذلك الوقت إلا « أمنمحات » ، وإن كانت بقاياهما قد ظهرت ثانية فى حادثة اغتياله على يد من أحسن إليهم . لذلك بدا شعور النفوس فى المجتمع المصرى فى ذلك العهد مملوءًا بالريبة والشكوك إلى حد أن ذلك الشعور قد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفنون فى ذلك العصر ، وأعنى بذلك فن نحت التماثيل البشرية ، فظهر فى هيئات التماثيل الخالدة التى تمثل لنا ملوك الدولة الوسطى سمة الرزانة والوجوم التى تلمح فى أقوالهم ونصائحهم والتى كانوا ينظرون بها فى عصرهم إلى الحياة الدنيا . وعندما ننعم النظر فى تلك الوجوه التى تدل على الجرأة والبطولة أمثال « سنوسرت » الثالث « وأمنمحات » الأول والثالث وقد ظللتها سحائب اليأس والقنوط ، نرى أن نفس هذه الوجوه تعد كشفاً جديداً فى ميدان الفن يميط لنا اللثام من غير شك عن روح ذلك العصر الذى يعتبر أقدم عصر معروف تخلص من الأوهام ولم ينخدع بها . وسنرى ذلك جليا فى باب التأملات عند الكلام على موضوع شجار بين إنسان سئم الحياة وبين روحه .

المصادر

أهم المصادر التى يرجع إليها ما يأتى :

(1) Gardiner, "The Earliest Manuscripts of the Instruction of Amenemmes I", "Melanges Maspero", Vol. 1, pp. 479 ff.

(2) Peiper, "Die Agyptische Literatur", pp. 37. ff.

(3) Peet, "A Comparative Study of the Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia", pp. 107 ff.

(4) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 205 ff.

(5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 12. ff.

(6) Maspero, "Les Ensignements d'Amenemhait 1er".

(7) Griffith, "A. Z.", Vol. XXXIV, pp. 35 ff.

(8) Battiscombe. Gunn Journal of Egyptian Archeology Vol 27 P 2. (Notes on Ammenemes I.)

تعاليم « خيتي بن دواوف » لابنه « بيبي »

لقد ظلت هذه التعاليم تعرف باسم تعاليم « دواوف » إلى أن برهن الأستاذ « جاردنر » على أن اسم كاتبها هو « خيتي بن دواوف » وأن « خيتي » كتبها لابنه « بيبي »

وقد وصلت إلينا نسخ كثيرة من هـذه التعاليم بعضها على أوراق بردية ، وبعضها على لوحات خشبية ، وفقرات على قطع الخزف ، وشظيات من الحجر الجيري الأبيض الأملس ، وأقدم فقرات وصلت إلينا منها هي التي اهتدى إلى حلها « بيانكوف » ، ويرجع عهدها إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كتبت على لوح من الخشب بقي لنا بعض أجزاء منه . وهي بلا شك ترجع إلى عهد العصر الإقطاعي كغيرها من قطع الأدب ، ولا غرابة فإنه هو العصر الذي ازدهر فيه الأدب بدرجة عظيمة (راجع تعاليم أمنمحات) .

وهذا النوع من التعاليم الذي سنسوقه للقارئ كان محبباً بصفة خاصة عند مدارس الدولة الحديثة ، ولذلك نال مكانة ممتازة ، غير أن الطريقة التي عبث بها التلاميذ في المتون كانت معيبة لدرجة يقصر أمامها كل وصف ، فلا يكاد القارئ يتم قراءة فقرات منها حتى يتساءل بيأس عما كان مكتوباً في الأصل[1] ، لأن ما كتبه التلاميذ كلمات لا معنى لها غالباً ، وقد يكون السبب في ذلك عدم فهمهم ما نقلوه ، أو عدم إقبالهم على عملهم وإجبارهم عليه . ولـكن من حسن الحظ أن القطع التي عثر عليها « بيانكوف » وقرنها بمـا يقابلها في النسخ الأخرى قد حلت لنا بعض معضلات هذه التعاليم وإن كان الجزء الأكبر منها لا يزال غامضاً بعض الشيء في نقط ومغلقا تماماً في أخرى .

ويرجع السبب في حظوة هذه التعاليم وانتشارها في مدارس عهد الرعامسة إلى أنها كانت تتغنى بفضل المدارس والتربية المدرسية وبامتداحها لمهنة الـكاتب ، وهي بالضبط كالرسائل التي كانت تتبادل بين المدرسين في عهد الدولة الحديثة .

وعصر هذه التعاليم قد أصبح محققاً إذا كان « خيتي » هذا هو الذي كتب تعاليم الملك « أمنمحات » الأول . ويفتتح الحـكيم « خيتي » هذه التعاليم كالعادة بذكر اسمه وابنه الذي من أجله كتبت هذه النصائح فيقول :

(١) وجدت هذه المتون إما على ألواح من الخشب أو على ورق البردي أو على شظيات من الحجر الجيري ومعظم هذه الوثائق كان مدفونا مع أصحابها .

« تعاليم ألفها مسافر فى حجرة سفينة » اسمه « خيتى » بن « دواوف » لابنه « بيبى » حينما سافر مصعدا فى النهر إلى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أولاد الحكام »

وهذا العنوان وحده يكشف لنا عن حقائق خطيرة من الوجهة التعليمية والتاريخية . فمنه نعلم أنه كان يوجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد علية القوم فى عاصمة الملك ، وأن العاصمة كانت وقتئذ فى الوجه القبلى ، لأنه كان على « خيتى » أن يقلع بسفينته مصعداً فى النهر . ومن الجائز أنها كانت وقتئذ « أهناس المدينة » أو « طيبة » ، هذا إلى أن هذه المدرسة كان يعلم فيها أولاد حكام المقاطعات ومن فى طبقتهم . وسنرى أن « خيتى » يقول لابنه وستكون رئيساً لمجلس « قنبت » ، وهو ذلك المجمع الذى كان يدير حكومة البلاد فى العهد الإقطاعى (انظر قصة المخاصمة بين « حور » و « ست ») وكان معظمه فى ذلك الوقت من حكام المقاطعات .

ونجد أن أول ما يلقى « خيتى » على ابنه من النصائح هو أن يرسم له صورة قبيحة للجاهل ، ثم يغريه بأن يحب العلم أكثر من حبه لأمه ، ويقول له إنه عاجز عن تصوير جماله له ، ثم يشير إليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل الحرف ، وأنه لو تعلمها فإن القوم يهنئونه على ذلك فيقول :

« لقد رأيتَ من ضُرب ، فعليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب ، ولقد شاهدت من أعتق من الأشغال الشاقة . تأمل ! لا شىء يفوق الكتب .

اقرأ فى نهاية « كمت » (لعله اسم كتاب قديم ؟) تجد فيه هذه : إن الكاتب عمله فى كل مكان فى حاضرة الملك ولن يكون فقيرا[1] . والرجل الذى يعمل على حسب عقل غيره لا ينجح . ليتنى أجعلك تحب الكتب أكثر من والدتك . وليت فى مقدورى أن أظهر جمالها أمام وجهك . إنها أعظم من أى حرفة . . . . وإذا أخذ (التلميذ) فى سبيل النجاح وهو لم يزل طفلا فإن الناس

---

(١) قد يحتمل أن كل وظيفة يشغلها لها صلة بالبلاط ، وعلى ذلك فللكاتب نصيب قبل غيره فى الأرزاق التى توزع هناك

تهنئة ، ويكلف تنفيذ الأوامر ، ولا يعود إلى البيت ليرتدى ثوب العمل (مثل أرباب الحرف الأخرى »

بعد ذلك يصف الأب لابنه الفرق بين مهنة الكاتب وما ينال صاحبها من الشرف وبين المهن الأخرى التي يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض محترفها للأخطار فيقول :

« على أننى لم أرَ قط قاطع أحجار كلف برسالة ولا صانعا أرسل فى مهمة »

ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب وحقارة بالنسبة لمهنة الكتابة . ويقدم لابنه درساً فى الحياة الاجتماعية ، ويستعرض أمامه نواحى مصر الصناعية ، ونصيب كل صانع من متاعبها ، يذكر ذلك فى شىء من المبالغة ، ولكنه يكشف لنا فى الوقت نفسه عن نوع الحرف التى كان يتخذها أبناء العصر المظلم الذى يتحدث عنه .

وإذا كان القارئ الأجنبى لا يحفل بهذا العرض كثيراً فإن القارئ المصرى يستهويه أن يراه ، لأن فيه صفحة مضى عليها أربعة آلاف سنة ، يستطيع أن يقرنها بصفحة مصر الحاضرة فيرى أن الأخيرة تكاد تطابق الأولى مع طول العهد بينهما ، وأن هذه المطابقة تشتد وتقوى فى الدساكر والقرى حيث يضعف تأثير المدنية الحديثة .

فيتكلم أولاً عن صانع المعادن فيقول :

« ولكنى رأيت النحاس يقوم بعمله عند فوهة الأتون وأصابعه كجلد التمساح (أى أنها مجعدة وخشنة كجلد التمساح) ورائحته أكثر كراهية من البيض والسمك »

ثم ينتقل إلى الخراط فيقول :

« وكلّ صانع يقبض بمهارة على المخرطة[1] (؟) فإن الإعياء يناله أكثر ممن يفلح الأرض ، وميدانه الخشب وفأسه المخرطة (حرفيا المدن) وفى الليل

(١) لا شك أن حكيمنا يبالغ فى هذه الصورة التى يضعها أمام ابنه . لأنه مما لاشك فيه أن بعض أصحاب هذه الحرف كان يحب مهنته لذاتها . وإلا لما وصلت إلينا تلك القطع الفنية النادرة فى إتقانها من أيدى هؤلاء الصناع .

حينما يطلق سراحه يعمل فوق طاقة ساعديه . وفى الليل يشـعل النور »

(أى يستمر فى عمله فلا راحة له)

ثم ينتقل إلى الـكلام على البناء وما يناله من التعب الجثمانى فيقول :

«والبناء يبحث عن عمل له (؟) فى كل أنواع الأحجار الصلبة . وعندما ينتهى منه تـكون ذراعاه قد تـكسرتا ، ويصبح مُضنى ، وعندما يجلس امرؤ كهذا عند الغبش فإن فخذيه وظهره تكون قد حطمت »

بعد ذلك يتناول حرفة الحلاق فيظهر لابنه أنها مضنية ، صاحبها لابد أن يجول فى الشوارع ليبحث عن عمل يسد رمقه بما يكسبه منه . فنراه يقول :

« والحلاق يحلق متأخرا إلى الغروب . . . . ويجول من شارع إلى شارع ليبحث عمن يحلق له ، وينهك ذراعيه لأجل ملء بطنه ، كالنحلة التى تأكل وهى تكد[1] . »

وكذلك يظهر له المتاعب التى يلاقيها التاجر (؟) الجوال ليحصل على ثمن سلعه فيقول :

« والتاجر (؟) يسيح إلى الدلتا ليحصل على ثمن سلعته ، ويكد فوق طاقة ساعديه ، والبعوض يقتله (لما يحمله من الجراثيم) . . . . »

ويتناول بعد ذلك أحقر الحرف وهى صناعة اللّبِن فيقول :

« وصانع اللّبِن (ضرب الطوب) الصـغير الذى يصنعه من غرين النيل يقضى حياته بين الماشـية (؟) وهو على أية حال مختص بالـكروم والخنازير

(فى المصرية تورية بين كلمة كروم وخنازير ، وربما كان ذلك هو السبب فى ذكرها هنا)

وملابسه تكون خشنة . . . . وهو يشتغل بقدميه ويدق . . . . »

والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة عند المصريين ، حتى إن حكيمنا هنا قد رصد لهـا فقرتين غير ما ذكر ، ولـكن الفقرة الثانية فيها بعض الغموض فيقول :

(١) أى أنه يأكل أثناء عمله . وهذا ما نشاهده الآن فى القرى المصرية

« دعنى أحدثك فضلا عن ذلك عن البنَّاء الذى يكون غالبا مريضا (؟) وملابسه قذرة وما يأكله هو خبز أصابعه ، ويغسل نفسه مرة واحدة . . . . وهو أتعس مما يمكن أن يتحدث عنه الإنسان بحق (؟). فهو كقطعة حجر (؟) فى غرفة طولها عشر أذرع فى ست . . . . والخبز يقدمه إلى بيته ، وأطفاله يضربون ضربا . . . » (وهذه القطعة غامضة فى الأصل)

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستانى . ويظهر أنه يقصد به زارع الخضر والفاكهة على السواء فيقول :

« أما البستانى فيحضر أثقالا وذراعه ورقبته تتألمان من تحتها . وفى الصباح يروى الكراث وفى المساء الكروم (لأن ذلك أحسن وقت لريها عند ما تكون محملة بالفاكهة) . . . . فحرفته أسوأ من أية حرفة . »

ثم ينتقل إلى وصف حالة الفلاح ، وهو ذلك الوصف الذى ينطبق على حالة فلاح مصرنا ؛ فالأمراض تفتك به وصاحب الأملاك يستنفد كل محصوله ، فهو كالحيوان الضعيف الذى يعيش بين الأسود فهو لابد مأكول . فيقول الحكيم :

« أما الفلاح فحسابه مستمر (أى أن صاحب الأرض يطالبه دائما بتأدية ما عليه من الديون) إلى الأبد ، وصوته أعلى من صوت الطائر « آبو » . . . . . (دائما يشكو) ، وهو كذلك أكثر تعبا ممن يمكن التحدث به ، وحالته كحال الذى يعيش بين الأسود ، وهو فى غالب الأوقات مريض (؟) وعندما يعود إلى بيته فى الغروب ، فإن المشى يكون قد مزقه إربًا إربًا » (أى أن طول الطريق يجهده إجهادا كبيرا فوق ما لاقى من التعب خلال اليوم)

يتناول بعد ذلك « خيتى » حكيمنا الناسج الذى يعمل وهو جالس طول اليوم، فيشبهه بقعيدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقَب دائماً ، فإذا تباطأ عن العمل يوماً ضرب بالسوط . وفى رواية أخرى انتزع من مكان راحته كما تنتزع زهرة السوسن من البركة . وإذا

أراد أن يخرج من مصنعه ليستنشق الهواء فلا يصل إلى ذلك إلا بالرشوة . فيقول :

« وحال الناسج داخل مصنعه أتعس من حال المرأة ، فركبتاه تكونان فى بطنه ، وهو لا يمكنه أن يستنشق الهواء وإذا أمضى يوما دون عمل انتزع (من مكان راحته) مثل ما تنتزع زهرة السوسن (فى رواية أخرى فإنه يضرب بسوط ذى ٥٠ شعبة) أو (فإنه يضرب كسائمة الضحية ٥١ سوطا) . وهو يقدم لحارس الباب خبزاً ليسمح له بالخروج فى ضوء النهار »

بعد ذلك يصف هـذا الحكيم المحنك لابنه « حرفة » من الحرف التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، ولـكنها قد اختفت فى عهدنا تدريجاً بانتشار المدنية ، وأعنى بذلك صناعة «السهام» التى لم يفتأ يستعملها المصرى لأنها كانت من أهم أسلحة الحرب ، فيصف كيف يحتم على صاحبها أن يذهب إلى الصحارى والجبال حيث الظرّان الذى تصنع منه السهام ، وما فى ذلك من بعد المسافة ، وما يعانيه هو وحماره ، وما يستلزمه من المـال لمن يرشده إلى الطريق فى وسط تلك الفيافى والقفار ، وما يتطلبه كل ذلك من وقت ونصب . فيقول :

« وصانع السهام يكون تعسا عندما يرحل إلى الصحراء ، وإن ما يعطيه حماره لكثير . هـذا فضلا عن أنه عمل يستغرق وقتا طويلا . ويعطى كذلك الذين فى الحقول والذين يرشدونه إلى الطريق كثيرا أيضا . وعند ما يصل إلى بيته فى المساء فإن السير يكون قد أنهكه »

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى من التى أخذت تتلاشى فى مصر وإن كانت لم تزل باقية فى بعض الجهات المتطرفة التى لم تصلها المدنية الحديثة ، وأعنى بها نقل البريد برجال خصصوا بذلك . فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه إلى بلد أجنبى يترك وصيته خوفا من عدم عودته ، لما فى رحلته من المخاطر ، وحتى إذا عاد إلى مصر ثانية فإنه لا يعود مرتاح النفس ، لأن التعب يكون قد أضناه ، فيقول :

« وحامل البريد عند ما يسافر إلى بلد أجنبى يوصى بأملاكه لأولاده خوفا من الأسود والأسيويين ، وهو يعلم ذلك وهو فى مصر . وعندما يعود إلى

بيته يكون تعسا لأن المشى قد كسره . وسواء أكان بيته من النسيج أو اللّبِن (؟) فإنه لا يعود منشرح القلب[١] . (وفى رواية أخرى : وعندما يصل إلى بيته مساء فإن قلبه يكون فرحا) »

ويعقب ذلك كلام على حرفة لم نصل إلى كنه معناها ، والغرض من ذكرها هنا هو أن يظهر له بشاعة رائحة محترفها ، ولذلك سنورد الكلمة هنا بأصلها المصرى :

« أما الـ « ستنوى » فإن رائحة إصبعه تكون نتنة ، والرائحة التى تتصاعد منها هى رائحة جثة ، وعيناه تكونان مثل . . . . (؟) . . . . بسبب المسوح . . . . وهو لا يُقضى عنه « ستناوى » وهو يقضى وقته فى تقطيع الخرق (؟) وما يمقته هو الملابس »

ثم يشفع ذلك بالتحدث عن حرفة يظهر أنها تشبه السابقة فى قذارتها ، وأعنى بها حرفة الإسكاف . فيصف الحكيم لابنه كيف أن هذا التعس يحمل أوانيه التى فيها آلاته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء وجسمه يهزل وقد يجبر على قطع الجلد بأسنانه فيقول :

« والإسكاف يحمل أوانيه إلى الأبد (وفى نسخة أخرى : يحمل آلاته إلى الأبد) . وصحته تكون كصحة الجيفة ، وما يعض عليه هو الجلد »

ثم يأتى بعد ذلك الكلام على حرفة الغسال ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التمساح ، مما يدل على كثرة هذا الحيوان فى ذلك العصر فى النيل ، وما يلاقيه بسببها من تعب جثمانى ، وما يشعر به من تعس عندما يضع مئزر سيده ليؤدى فيه عمله . فيقول :

« والغسال يغسل على الموردة ، وإذ ذاك يكون جارا قريباً للتمساح (فى صورة إله) وعندما يخرج الوالد (الغسال) متجها نحو الماء المضطرب فإن ابنه وابنته يكونان فى عمل هادىء منعزل عن كل عمل آخر ، وعندئذ يقول ابنه وابنته : إن هذا ليس بعمل يجد فيه الإنسان راحة ، وهو منفصل عن أى عمل

---

(١) لأن أولاده يكونون قد قسموا ملكه ظنا منهم أنه قد مات فى طريقه

آخر . وغذاؤه يكون مختلطا بمكان حساباته . وليس فيه عضو سليم . وإذا ارتدى مئزر المرأة فإنه وقتئذ يكون تعسا ، وهو يبكى حينما يمضى وقته حاملا الا « مكاتن » . . . . ويقال له — « الغسيل » — اسرع إلىّ . . . . »

ويعقب هذا بحرفة أخرى ليست من نوع الحرف السابقة ، بل هى حرفة لهو ، ولذلك يقول عنها إنها تجعل صاحبها يهمل أعماله ، وأعنى بها حرفة صيد العصافير ، فيقول :

« وصائد العصافير تراه فى منتهى التعس عندما يشاهد ما فى السماء ويهمل أعماله (وفى رواية أخرى : وعندما تطير الطيور المتنقلة[1] فى السماء يقول: ليت عندى شبكة هنا . ولكن الله لا يهيء له نجاحا (؟) »

بعد ذلك ينتقل إلى حرفة صيد السمك ، ويصف الحكيم لابنه ما فيها من أخطار التمساح ، فيقول :

« إنى مخبرك كيف أن حرفة صياد السمك أكثر تعسا من أية حرفة أخرى . فإنه يشكو منها . أليس عمله على النهر حيث يختلط بالتماسيح (؟) . وإذا لم يقل له الإنسان يوجد تماسيح فإن خوفه يعميه »

وهنا ينتقل الكاتب الحكيم إلى إطراء حرفة الكتابة . فيقول :

« إن صاحبها هو الذى يصدر الأوامر »

ثم يصفها بأنها أحسن من كل الحرف التى استعرضها أمامه فيقول :

« تأمل .! فإنه لا توجد حرفة من غير رئيس لها إلا صناعة الكاتب فهو رئيس نفسه[2] . فإذا عرف الإنسان الكتب فإنه يقال عنه بحق : إنها مفيدة لك . . . وما أقوم به فى سياحتى إلى الحاضرة تأمل ! إنى أقوم به حباً فيك . ويوم فى المدرسة مفيد لك وما تعمله فيه يبقى مثل الجبال »

---

(١) تؤلف الطيور المتنقلة عنصرا هاما فى طعام المصريين

(٢) هذه الفكرة هى الغرض الذى يرمى إليه الكاتب من كل أقواله

ويعقب هذه الكلمات الحكيمة بعض فقرات غير مفهومة وتدل مقدمتها هذه :

« دعنى ألق عليك فضلا عما سبق كلمات لأعلمك » على أنها تبحث فى موضوع جديد ؛ ومن المحتمل أنها إضافات قد أدخلت على المتن الأصلى فيما بعد . فمنها فقرة تعلم الإنسان حسن السلوك فى حضرة العظيم . فيقول حكيمنا :

« إذا دخلت ورب البيت فى داره مشغول بآخر قبلك فعليك أن تجلس ويدك فى فمك . ولا تسألن عن أى شىء ، وفضلا عن ذلك لا تتكلمنّ بكلمات غامضة ، ولا تنطق بلفظة وقحة . . . . ثم إذا حضرت من المدرسة وقد أعلن وقت الظهر لك وأنت سائر تصيح فرحا فى الطرقات ، فحينئذ . . . . وإذا أرسلك رجل عظيم برسالة فأدها كما ألقيت عليك ولا تنقص منها ولا تزد ..... »

ويلى ذلك نصيحة غالية فى القناعة فى المأكل والمشرب من أحسن ما قيل فى هذا الباب إذ يقول :

« كن قنوعا بطعامك ، إذا كان يكفيك ثلاثة رغفان وشرب قدحين من الجعة ، فإذا لم يكن بطنك قد اكتفى بعد فحاربه (؟) »

ثم إن الحكيم يحض ابنه على أن يستمع لكلمات الرجل العظيم ويتخذ لنفسه صديقاً من سنه . فيقول :

« انظر . إنه لحسن أن تفض الجمهور وتستمع منفردا إلى كلمات العظيم . . . اتخذ لنفسك رجلا صديقا من جيلك »

وفى النهاية نرى « خيتى » يقول لابنه إنه قد وضعه على الطريق الإلهية وإن ربة « حصاد الكتاب » على كتفه منذ يوم ولادته ، أى أنه لن يقاسى آلام الحاجة ، وأنه بفنه يصل إلى أعلى وظيفة فى البلاط ، بأن يصبح عضواً فى المجلس الأعلى للحكام (قنبت) ، بل قد يكون الرئيس فيه بما أوتيه من علم وحكمة ، ثم يخبره أن هذا الطريق ممهد أمامه وأمام أولاد أولاده . فيقول :

« انظر . إنى قد وضعتك على طريق الإله ، وإن « رننوت »[1] الكاتب (أى ربة الحصاد للكاتب) قد أصبحت على كتفه منذ يوم ولادته . وهو يصل إلى باب مجلس « القنبت » عندما يصل إلى سن الرجولة . تأمل ! إنه لا يوجد كاتب قد حرم القوت الذى هو متاع بيت الملك عاش فى صحة وفلاح . و« مسخنت » (إلهة الكتابة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعه على رأس المجلس الأعلى (قنبت) . ويجب على الإنسان أن يشكر والده ووالدته اللذين وضعاه على طريق الأحياء . والآن تأمل ، فإن هذا (أى ما نصحتك به) ما أضعه أمام وجهك ووجه أولادك . وقد انتهى هذا بسلام »

المصادر :

أهم المصادر التى يمكن الرجوع اليها فى دراسة هذه التعاليم ما يأتى :

(1) Papyrus Sallier II; and Papyrus Anastasi VII (British Museum, London).

(2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 30.

(3) Peet, "A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", pp. 104 ff.

(4) Piankoff, "Quelques Passages des Instructions de Douaf sur une Tablette du Musee du Louvre", "Revue d'Egyptologie", Tome II. (1933) pp. 51 — 74.

(5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 67 ff.

(6) Maspero, "Genre Epistolaire", pp. 48 ff.

(١) يظهر أن « رننوت » ربة الحصاد كان لها علاقة بعادة نعرفها من التماثيل ، وذلك أن يكتب الإنسان اسم سيده بطريقة « الوسم » أو الوشم على الجزء العلوى من الذراع ، وبذلك يكون الكاتب ملكاً للالهة التى تمده بالخير الوفير .

(تعاليم سحتب أبرع)

كان الفرعون «أمنمحات» الثالث (١٨٤٤ — ١٧٩٦ ق م) من أعظم ملوك الأسرة الثانية عشرة . فقد بلغت البلاد أوج مجدها فى عهده بعد أن كانت فى حالة فوضى واضطراب فى عصر العهد الإقطاعى ، وقد بدأ روح الوحدة يدب فى جسم الدولة خلال حكمه بفضل جيل الوظفين الجديد الذى عمل ملوك هذه الأسرة على إنشائه ليلتف حولهم ، وليكون لهم نصيراً وظهيراً على تسيير أداة الحكم فى البلاد والقضاء على حكام المقاطعات الذين كانوا أكبر عقبة فى سبيل توحيد نظام الحكومة والنهوض بها . فلا غرابة إذن أن نرى هؤلاء الوظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة لمليكهم فى نفوس أولادهم . وقد بلغ بهم حب الفرعون درجة جعلت تعاليم بعضهم لأبنائه تدور حول حب الفرعون وخدمته والإخلاص له ، لا أن ترشدهم إلى الحياة الصالحة السعيدة كما كانت التعاليم التى وصلت إلينا حتى الآن . بل إن الكاتب الذى فعل ذلك غالى ، فلم يشأ أن يكتب تعاليمه على ورق بردى ، بل نقشها على صفحة حجرية وجعلها شاهداً لقبره حتى يضمن خلودها ويراها أولاده فى كل وقت يزورون فيه قبره ، لأن القبور كما نعلم كانت تحاط بكل عناية فى كل أزمان التاريخ المصرى ، وكان بكر أولاد المتوفى يُنصَّب عادة كاهناً يزورها ويقدم لوالده القربان كل يوم .

ولا غرابة فى أن تشيع هذه العادة فى ذلك العهد . ولم يصلنا بكل أسف إلا هذه اللوحة الحجرية التى تحدثنا عنها . وقد يكون لكاتبها صلة خاصة وثيقة بالملك أكثر من غيره ، فغالى فى حبه لمولاه ونقش هذه التعاليم إظهاراً لولائه للفرعون وليسير أولاده على نهجه فى حبهم وولائهم له . والواقع أن كاتب هذه النصائح كان موظفاً كبيراً فى المالية ، ويقول إن الملك قد مدحه أمام (الملايين) وإنه كان صديقاً حميماً لسيده الذى كان يطلعه على أسراره الخفية . وقد صاغ الكاتب عقود المدح لهذا الفرعون وأظهر عظمته ، ومثله أمام أولاده بأنه يفوق كل إله وأنه هو الذى يعطى من يشاء ويحرم من يشاء . ويرى القارئ أن المؤلف ينصح أولاده أن يحاربوا فى جانب الملك مما يتفق وروح العصر الذى كان عصر نضال وحروب لتثبيت عرش الملكية بتوحيد البلاد تحت حكم ملك واحد .

وقصارى القول أن هذه اللوحة كانت نوعا من الدعاية للملكية فى ذلك العهد ، ولكنها دعاية فريدة وحاذقة فى بابها . ومن الجائز أنها كانت عادية منتشرة وقتها ، غير أنه لم يصلنا نحن منها إلا هذه الوثيقة وصيغتها :

المتن :

« إنى أتحدث عن أمر عظيم ، وأجعلكم تصغون إليه . وإنى أنقل إليكم فكرة للأبدية[1] وحكمة للحياة الصحيحة ، ولأجل أن تمضوا مدة الحياة فى نعيم . احترموا الملك « نى معات رع » بأجسامكم ، وألفوا بين قلوبكم وجلالته . إنه هو الفهم الذى فى القلوب ، وعيناه تفحصان كل إنسان . وإنه « رع » الذى يرى الناس بأشعته . وإنه يضىء الأرضين أكثر من الشمس ، ويجعل الأرضين أكثر نضارة من نيل عال ، وإنه ملأ الأرضين قوة وحياة

والأنوف تصير باردة حينما يجنح إلى الرعب[2] . وعندما يكون طلقا يتنسم الناس الهواء ، وهو يعطى من يخدمونه القوة الحيوية ، ويعد بالطعام من يسير على نهجه . والملك قوة حيوية وفمه[3] الرخاء بعينه

وإنه هو الذى يطعم من سيكون ، وإنه الإله « خنوم »[4] لكل الأجسام والمبدع الذى يخلق كل الناس ، وهو « باستت »[5] التى تحمى الأرضين ، ومن يحترمه ينج من ساعده ، ولكنه الإلهة « سخمت » لمن يتعدى أمره . حاربوا لاسمه ، ودافعوا عن حياته حتى تنجوا من الكريهة (الغدر) . ومن كان صاحبا للملك فانه سيكون محترما ، ومن كان عدواً للملك . فلا قبر له وجسمه يلقى فى الماء

فافعلوا ذلك لتصح أجسامكم . نعم ، إن ذلك لمجد لكم إلى الأبد »

المصادر :

(1) Stele, Cairo Museum, No. 20538.
(2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 84 — 85.

(١) أى تفكرون فيها دائما

(٢) يعنى أن نفس الحياة الذى يعطى الجسم حرارة يخرج من الأنف فاذا انقطع أصبح الأنف باردا وذهبت الحياة عنه

(٣) الذى ينطق بأوامره

(٤) كما أن خنوم يسوى الأجسام فهو كذلك ينشىء العظماء

(٥) باستت هى الإلهة الشفيقة لها رأس قطة . أما « سخمت » فهى الإلهة المرعبة ولها رأس أسد .

(نصائح «آنى»)

لقد كانت دراساتنا فى باب الحكم والنصائح والتعاليم حتى الآن مستقاة مما وصل إلينا من الدولتين القديمة والوسطى على ما يظهر ، وإن كان بعضها قد أعيد كتابته بلغة الدولة الحديثة تمشياً مع التطورات الأدبية والاجتماعية ؛ إذ قد لاحظنا فى أثناء دراساتنا للوثائق الخاصة بذلك العصر أن الكتاب الواحد قد كتب فى عصر الدولة الوسطى مثلا ثم أعيدت كتابته فى الدولة الحديثة مع ظهور تغيير جوهرى عن النسخة القديمة . ولا أدل على ذلك من أمثال « بتاح حتب » التى عثرنا على نسخ منها من الدولة الوسطى وأخرى من الدولة الحديثة . وما يدرينا ! لعل الأيام تسعدنا فجأة بنسخة من الدولة القديمة التى تنسب إليها تلك الأمثال والحكم الغالية .

أما فى الدولة الحديثة فقد وصلت إلينا حتى الآن وثيقتان : واحدة تمثل أدب هذا العصر أو على الأقل كتبت بلغة هذا العصر التى تسمى باللغة الحديثة . وهذه الوثيقة هى نصائح « آنى » لابنه « خنسحتب » . وإذا أردنا أن نحدد تاريخ هذه الورقة من أسماء الأعلام التى وردت فيها فهى بلا شك كانت أعلاماً مستعملة فى عهد الدولة الحديثة ؛ فاسم « آنى » وابنه « خنسحتب » من الأسماء المتداولة منذ الأسرة الثامنة عشرة ، غير أن الكاتب « آنى » نسب نفسه إلى بيت الملك « نفر كارع تارى » الذى ينسب إلى الأسرة الثامنة ، رغم أنه سمى نفسه وابنه باسمين من أعلام الدولة الحديثة ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى ما كان للأدب القديم وبخاصة أدب الأمثال والحكم من منزلة ، فكل ما كان قديماً له فى نظر القوم روعته واحترامه . وهذا ما نشاهده فى الأدب العربى ، فكم من قصيدة كتبت فى العصر العباسى أو العصر الأموى ثم نسبت إلى شعراء الجاهلية لتكون أوقع فى النفوس وأبهج للعين وأحلى للأذن . ومع ذلك فقد كان من السهل كشف الحقيقة فى كل من الأدب العربى والأدب المصرى ، وذلك من التعابير والاصطلاحات اللغوية التى كان يتميز بها كل عصر من عصور الأدب .

واللغة التى كتبت بها هذه النصائح يرجع تاريخها إلى بداية العصر الذى استعملت فيه اللغة المصرية الجديدة وهو نهاية عصر « الهكسوس » . ولا أدل على ذلك من أن النسخة التى وصلت إلينا قد نقلها تلميذ من تلاميذ الأسرة الثانية والعشرين حسب رأى الأستاذ « أرمن » .

وقد وجدنا بها أغلاطا كثيرة جداً لدرجة أصبح من المستحيل معها تقريباً فهم فقرات بأكملها . ومن المحتمل جداً أن هذا التلميذ لم يفهم كثيراً من محتويات الكتاب ، لأن اللغة الحديثة التي كتب بها لم تكن لغة العصر الذى عاش فيه ؛ بل كانت لغة القوم الذين عاشوا قبل زمنه بنحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة . ولدينا دليل مادى على ذلك ، إذ وجدنا فى متحف « برلين » أدوات كتابة لتلميذ عاش فى خلال الأسرة الثانية والعشرين ، ومن بينها لوحة كتابة مكتوب عليها الكلمات الافتتاحية لنصائح « آنى » . غير أننا لاحظنا أن التلميذ لم يفهم هذه الجمل الافتتاحية ، ولذلك وجدنا معها شرحها باللغة التى كانت مألوفة له . فنقرأ :

« أول التعليم الوعظى (= فاتحة التعاليم الوعظية) لمؤلفه الكاتب « آنى » (= التى ألفها الكاتب آنى) التابع لبيت « نفر كارع تارى »

وهذا طبعاً ما نجده بالضبط عندما نقرأ مؤلفا قديماً لم يكن فى مقدور القارئ فهمه فيسهل أمر فهمه بالشرح والتعليق عليه .

وهذه النصائح كما قلنا من قبل تقليد حديث لكتب الحكمة القديمة . والواقع أنها تشبهها من ناحية أنها تعليم والد لابنه ، إلا أن المجال هنا على ما يظهر أوسع أفقاً ، ويشتمل على حيوية وتجارب أكثر مما نجده فى تعاليم « بتاح حتب » وغيره ممن كتبوا فى هذا الموضوع . غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أنه قد وصل إلينا فى نسخة واحدة كما قلنا مشوهة لحد بعيد ؛ ولذلك فإن قيمة هذه الوثيقة الحقيقية لا يمكن أن نقدرها قدرها الذى يليق بها فى الأدب المصرى إلا إذا عثر على نسخ منها خالية من تلك الأغلاط الفاحشة . ومع كل فهى على حالتها تعد من أحسن ما وصل إلينا من الأدب المصرى فى النصائح والحكم والتجارب والمعاملات الإنسانية من حيث الأخلاق والدين والسلوك فى الحياة الدنيا .

وسنتناول هنا الموضوعات التى عالجها « آنى » بقدر ما يسمح به فهمنا للمتن ، تاركين ما غمض منها للوقت الذى تجود به تربة مصر علينا بنسخة أخرى من هذا المؤلف العظيم ، وعندئذ تلقى علينا ضوءاً جديداً لفهمها .

يفتتح هذا الحكيم كتابه معدداً لابنه ما تحمله نصائحه من فوائد وما سيعود عليه منها لو اتبعها فيقول :

« إنى مخبرك بكل فاضل ، وعما يجب أن تعيه فى لبك ، فاعمل به ، وبذلك تكون محمودا ، ويبتعد عنك كل شر . . . وسيقال عنك (إذا اتبعت ما أقول)

إنه على خلق عظيم ، ولن يقال : « إنه قد أتلف وإنه بليد » . وإذا تقبلت كلماتى فإن كل شر سيبتعد عنك »

ثم يتلو هذه النصيحة الأولى عدة نصائح أخرى فى الحذق فى الكلام وقلته وعدم التفاخر بالقوة ، غير أنها كلها قد استعصى علينا فهمها ، إلى أن نصل إلى نصح حكيمنا لابنه فى أن يتخذ لنفسه زوجة وهو لا يزال فى ريعان الشباب ليكون له خلف صالح يسعد بهم ويربيهم فى حياته ، فيقول :

« اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شابا لتنجب لك ولدا . ويجب أن تنتجه لك وأنت لا تزال صغير السن . ويجب أن تعيش لتراه قد صار رجلا (؟) فما أسعد الرجل الكثير النسل ! فهو يحترم بسبب أولاده »

وبعد أن تكلم لابنه عن تأسيس الأسرة أراد أن يذكره بجانب ذلك بتقوى الله وأداء ما عليه من الواجبات نحوه فيقول :

« احتفل بعيد إلهك . . . . وإن الله يغضب على من يستخف به . واجعل شهودا يقفون عند قربانك (التى تقربها لله) فإنه لأحسن شىء لمن يؤديه (؟). وإن الغناء والرقص والبخور لمتعلقة بخدمته (؟) . أما تقبله الاحترام فمن حقوقه فقدمها للإله حتى تعظم اسمه »

(وجاء فى القرآن الكريم « واذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »)

ينتقل بنا بعد ذلك « آنى » إلى تعليم ابنه المعاملات الاجتماعية ، فيعلمه أولاً أدب الزيارة ، فلا يدخل بيتاً إلا بعد الاستئذان ، وعندما يدخل يغض طرفه عن كل عيب ولا يتكلم عن شىء رآه معيباً فى زيارته ، فيقول :

« لا تدخلن بيت غيرك . . . . . . ولا تمعن فى النظر إلى الشىء المنتقد فى بيته ، إذ يمكن لعينك أن تراه . ولكن الزم الصمت ، ولا تتحدثن عنه لآخر فى الخارج ، حتى لا تصبح جريمة كبرى تستحق الإعدام عندما تسمع (؟) »

---

(١) راجع Hieratic Papyri in the British Museum V ol I Text P. 50 حيث تجد أن أحد كتاب عصر الرعامسة قد اقتبس هذه الفقرة وغيرها ووضعها بحذق فى صورة رسالة لابنه

وبهذه المناسبة يحذره الزنا ويذكره بأن المرأة لغز ملتوفلا ينخدع بإغرائها، وبأن ارتكاب الفاحشة يعاقب عليه بالقتل أمام القانون . فيقول :

« خذ حذرك من المرأة الأجنبية تلك التى ليست معروفة فى بلدتها ولا تغمزنّ لها بعينك . . ولاتبغ معها (؟) ، فهى ماء عميق لا يعرف الرجال التواءاته (تياراته) . والمرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم « إنى جميلة » ، ولذلك عندما تكون بعيدة عن أعين الرقباء تقف أمامك لتوقعك فى حبائلها . . . . وإن ذلك (الزنا) لجرم عظيم يستحق الإعدام عندما يرتكبه الإنسان . ثم يعلم بذلك الملأ ، لأن الإنسان يسهل عليه بعد ارتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب كل ذنب »

يتحدث بعد هذا « آنى » فى فقرة صغيرة عن سمعة الرجل أمام القضاء بعد أن تكلم عن سمعته أمام الناس بالنسبة للمرأة فيقول :

« لا تدخلن وتخرجن فى قاعة العدل (المحكمة) حتى لا يفوح اسمك (من كثرة القضايا). ولا تتكلمنّ كثيرا، وكن صامتا لتكون سعيدا، ولا تكن ثرثارا»

ويطالعنا بعد ذلك بتعليم ابنه معنى التقوى الحقيقية نحو الله ثم نحو أبويه فيقول :

« إن بيت الله يمقت الهرج ، فصلّ بقلب محب ولا تجهر بصلاتك ، وبذلك ستقضى كل حوائجك ، وسيسمع (الله) ما تقول ويتقبل قربانك »

هذا عن الإله . أما عن الأبوين فيقول :

« قرب الماء لأبيك وأمك اللذين يسكنان فى وادى الصحراء (الجبانة) .... ولا تنس أن تؤدى هذا حتى يعمل لك ابنك بالمثل »

ثم نرى « آنى » يحض ابنه على الابتعاد عن المسكرات شارحا له فى صورة حية ناطقة مايبدو على السكير من سوء الحال فيقول :

« لا تُلزمنّ نفسك (من باب الفخر) بأنك تستطيع أن تشرب إبريقا من الجعة، فإنك (بعد ذلك) تتكلم ويخرج من فيك قول لا معنى له . وإذا سقطت وكسرت ساقك فلن تجد أحدا يمد يده إليك (ليساعدك). أما إخوانك فى الشراب

فيقفون قائلين ، « أبعدوا : هذا الأحمق » . وإذا حضر إنسان ليبحث عنك ليستجوبك فستكون طريح الثرى ، ومثلك (فى هذا) كالطفل الصغير »

ثم يذكره بعد هذا بألا يتردد على البيوتات المريبة فيقول :

« لا تخرج من بيتك إلى بيت لا تعرفه (؟) ، واجعل كل بيت تحبه معروفا (حتى لا يرتاب أحد فى سلوكك) »

وبعد أن تكلم عن كل هذه الأشياء الفاضلة التى يجب على ابنه أن يرعاها فى الحياة انتقل إلى تذكيره بالموت وأنه يجب عليه أن يعد لنفسه قبراً ليثوى فيه ، وهـذا أمر كان يهتم به كل مصرى قديم طوال حياته ، إذ كان إعداد القبر فى المنزلة الأولى . فيقول :

« أعدّ لنفسك مأوى جميلا فى وادى الصحراء ، وهى الحفرة التى ستوارى جثمانك ، فاصنعه أمام عينيك فى مشاغلك . . . . مثل السلف العظام الراقدين فى مدافنهم (؟) . وإن الذى يبنى القبر لنفسه لن يقابل باللوم (على ذلك) . وإنه لجميل أن تعد لنفسك كذلك على هذا النحو (قبرا) . وسيأتى إليك الرسول (الموت) وسينصب نفسه أمامك ، فلا تقولن . « إنى لا زلت صغيرا جدا لتختطفنى ، لأنك لا تعرف حتفك . والموت يأتى ويختطف الطفل الذى لا يزال يرضع ثدى أمه ، كما يختطف الرجل عندما يصبح مسنا »

يأتى بعد هذه الفقرة فقرة طويلة بعض الشىء ينصح فيها « آنى » ابنه بأن يكون يقظا فى المعاملات الاجتماعية ، غير أن معظمها غير مفهوم لنا تماماً :

« تأمل ! إنى أقص عليك أشياء أخرى طريفة ، يجب عليك أن تعيها فى لبك . فأدّها وستكون بذلك سعيدا ، وسيبتعد عنك كل سوء . . . . . »

ثم يشير على ابنه بعد هذه المقدمة بأن يتخير صديقه بعد التجربة على ألا يتنزل إلى طبقة العبيد ويأخذ منهم صديقاً فيقول :

« ابتعد عن الرجل العادى ولا تتخذنه خدنا لك ، بل اصطف لنفسك

صديقا مستقيما عادلا . وعندما ترى ما فعله (؟) . . . . . . ولا تتخذن لنفسك صديقا كان عبداً لآخر سيء السمعة . . . . فإذا اقتفى أثره إنسان ليقبض عليه وليأخذ من كان فى بيته (أى العبد) فإنك ستكون تعسا وتقول : « ما العمل » ؟ . . . . »

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بأن لايغتر بالمال ، وأنه ليس مصدر سعادة وألا يعتمد على مال غيره ولا يبنى قصوراً على ما سيرثه من مال جده . فيقول :

« يبنى الإنسان بيتا لنفسه ، (وهب) أن قطعة أرض صارت ملكا لك وقد خُوّطت بسياج من النبات المزهر أمام حقلك الخصب ، وغرست فيها شجرة الجميز . . . . وأنك قد ملأت يدك بكل الأزهار التى تتصورها العين ، ولكن مع كل هذه (الأشياء) قد يكون الإنسان شقيا . . . . لا تتكلن على مال إنسان آخر ، واحذر أن تفعل هذا ، ولا تعتمدن على متاع الآخر . . . . ولا تقولن « إن والد أمى له بيت » . . . لأنه إذا جاءت القسمة مع إخوتك فان نصيبك لا يكون (إلا) مخزنا . « وإذا أراد الله أن يولد لك طفل . . . . . . »

ثم يحض حكيمنا ابنه على احترام غيره فيقول :

لاتقعدن إذا كان غيرك أكبر سناً واقفاً أو آخر يشتغل فى مهنة (معك) زمناً أقدم منك .

وينتقل بنا « آنى » إلى موضوع المعرفة ومكانتها فى المجتمع والكاتب وسمو حرفته ، فيقول :

« إذا كنت ماهرا فى الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله . إذن خصص نفسك للكتب وضعها فى لبك ، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازا ، كل وظيفة يعين فيها الكاتب فإنه (لا بد) يستشير فيها الكتب (وبذلك يلازمه النجاح) . فليس هناك ولد لملاحظ الخزانة ولا وارث لملاحظة الحصن

.... الوظائف لا أولاد لها ..... (وفى هذه الحالة يحصل عليها الأكفاء الذين تعلموا كثيرا) »

ثم يعود « آنى » إلى تحذير ابنه ليكون محترساً فى كلامه خوفا من الخطل فى القول ويعلمه أن جوفه يتسع لحفظ كل ما يريد أن ينطلق به لسانه فيقول :

« لا تفضين بما فى قلبك إلى ... رجل .... فإن كلمة خاطئة خرجت من فيك إذا أعادها من سمعها تجعل لك أعداء ، وإن الإنسان ينزل به الخراب من جراء لسانه . وإن بطن الإنسان أوسع من مخزن الغلال ، فهو مفعم بكل أنواع الأجوبة . وعليك أن تنتخب خير الكلام وتتحدث به ، واجعل القبيح سجينا فى بطنك . وفى الحق ستكون دائما معى ، وستجاوب من يضرنى بقول الكذب ، ومع ذلك فإن الله يحكم فى صالح المحق ، وعندئذ سيأتى عقابه ويلحق به (يظهر أن المؤلف يشير إلى عدوّ قد ألحق به ضررا قد ذكر فى الجزء المفقود من نصائحه فى أول الكتاب) . »

وبعد ذلك يعود مرة ثانية إلى العلاقة التى يجب أن تكون بينه وبين ربه فيحثه على تقديم القربان ، وعلى ألا يفتات حقوقه ، ولا يسأل عن صورة ربه ، ولا يمشى الخيلاء فى موكبه مما يذكرنا بقوله عزوجل فى القرآن : « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » ، وأن الله هو الذى يجعل من يشاء عظيما . ثم يشير من طرف خفى إلى أن الله واحد ممثل فى الشمس ، وأما الآلهة الذين على الأرض فهم صور مختلفة له فيقول :

« قدّم قربانا لآلهتك واحفظ نفسك من التعدى (على حقوقه) ولا تسأل عن صورته ، ولا تمش الخيلاء حينما يخرج فى موكبه (أى الإله) ولا تتزاحم على حمله (فى الموكب) ... ودع عينك تعرف قيمته ، واحترم اسمه لأنه هو الذى يعطى القوة (ملايين) المخلوقات . وستقصر العظمة على من يجعله هو عظيما . إن إله هذه الأرض هو الشمس التى فى الأفق و (لكن) صورته على الأرض ، فليقرب إليها البخور كل يوم »

وبعد أن عرّف حكيمنا ابنه كيف يعامل ربه انتقل به إلى معاملة الوالدة وما لها من فضل عليه فى حمله وتربيته مما يذكرنا بقول الله تعالى : « وبالوالدين إحسانا » فيقول :

« ضاعف مقدار الخبز الذى تعطيه والدتك ، واحملها كما حملتك ، ولقد كان عبؤها ثقيلا فى حملك ولم تتركه لى قط أبداً ، وحينما ولدت حملتك كذلك ثانية بعد شهور حملك حول رقبتها ، وقد أعطتك ثديها ثلاث سنوات ، ولم تشمئز من برازك ، ولم تكن متبرمة ولم تقل « ماذا أفعل أنا » . ولقد ألحقتك بالمدرسة عندما تعلمت الكتابة ، وقد وقفت هناك يوميا (خارج المدرسة) ... بالخبز والجعة من بيتها . وحينما تصبح شابا وتتخذ لنفسك زوجة وتستقر فى بيتك اجعل نصب عينيك كيف وضعتك أمك وكيف ربتك بكل الوسائل . فليتها لا تضرك بألا ترفع أكف الضراعة إلى الله ، وليته لا يسمع عويلها[1] »

ثم عرج بعد ذلك الحكيم ناصحا لابنه أن يكون شفيقا على الناس كذلك ، وألا يثق بالثروة لأنها كمجرى الماء لا يبقى على حال ، فمن يكون غنيا اليوم قد يصبح فقيرا فى الغد ، فيقول :

« لا تأكلن الخبز إذا كان هناك آخر يتألم من عدمه دون أن تمد يدك إليه بالخبز ، فواحد غنى وواحد فقير . . . . ومن كان غنيا فى السنين الخوالى قد أصبح هذا العام سائسا . ولا تكن شرها فيما يختص بملء بطنك . وإن مجرى الماء الذى كان يجرى فيه الماء فى السنة الماضية قد يتحول هذا العام الى مكان آخر ، وقد أصبحت البحار العظيمة أماكن جافة وأصبحت الشواطىء هوات (أى بحارا) . . . »

ثم يعود ثانية « آنى » إلى التحدث عن الزيارة وآدابها فيقول لابنه :

« لا تذهبن إلى بيت إنسان بحرية . بل ادخله فقط عندما يُؤذَن[2] لك . وحينما يقول هو لك (أى رب البيت) أهلا بك بفمه . . . . (وتأتى بعد ذلك

---

(١) فى هذه النصيحة إشارة لما تلاقيه الأم من ألم الغيرة عندما يتزوج ابنها وتلك سنة طبيعية تجدها فى كل زمان ومكان

(٢) قد جاء فى القرآن الكريم (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) الآية

جملة مبهمة) اعطه الإله واعطه يوما ثانيا للإله والغد مثل اليوم ، وسترى ما يفعله الإله إذا لُطخ اسم الذى لطخك »

ويحتمل أن هذا الكلام يشير إلى إنسان قد ارتكب خطيئة وسيتولى الله عقابه عليها .

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بأن يتجنب الشغب . فيقول :

« لا تدخلن فى زحام إذا رأيت أنهم مستعدون للضرب . . . حتى لا تلام فى المحكمة أمام القضاة بعد تأدية الشهادة (؟) ابتعد عن أهل الشر . . . »

ثم ينصح ابنه بعد أن أصبح رب بيت أن يكون حكيما فى سلوكه مع زوجه حتى يبتعد عن كل شجار أو خلاف فيقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجك فى بيتها إذا كنت تعرف أنها ماهرة فى عملها ، ولا تقولن لها : أين هى ؟ أحضريها لنا ، إذا كانت قد وضعتها فى مكانها اللائم . واجعل عينك تلاحظ فى صمت حتى يمكنك أن تعرف أعمالها الحسنة (وأنها) لسعيدة اذا كانت يدك معها . . . . . . وبذلك يتجنب الرجل تحريك الشجار فى بيته »

ثم يُذكّر « آنى » فى الوقت نفسه ابنه بأن يحذر النساء الأجانب فيقول :

« لا تذهبن وراء امرأة حتى لا تتمكن من سلب لبك »

ولم يفت « آنى » أن يضع لابنه الخطط فى معاملة الرئيس حتى يكون سعيدا معه فيقول :

« لا تجيبن رئيسا فى حالة غضبه ، بل ابتعد من أمامه . واذكر حلو الكلام حينما ينطق بمره لأى إنسان ، واعمل على تهدئة قلبه ، فإن الأجوبة الشديدة تحمل غضبا (تؤدى إلى ضربك) وبذلك تنهار قواك . وإن الغضب يصوب نفسه نحو أعمالك فلا تنغصن نفسك ، على أن الرئيس سيلتفت ويثنى عليك بسرعة بعد فوات ساعته المخيفة (ساعة غضبه) . وإذا كانت كلماتك مهدئة

للقلب فإن القلب يميل لاستيعابها . وجدّ فى أن تكون صامتا واخضع لما يفعل » .

وبعد أن رسم له الطريقة الرشيدة فى معاملة رئيسه لم يفته أن يلفت نظره إلى أن يكون على وفاق مع رجال الشرطة ، فيقول :

« اتخذ من شرطة شارعك صديقا ولا تجعلنه يثور عليك ، وأعطه من طرائف بيتك حينما يكون منها فى بيتك (فى أيام العيد) ولا تتغاض عنه وقت صلاته ، بل قل له « المديح[١] لك » .

يتلو ذلك قطعة غير مفهومة ثم محادثة هى خاتمة الكتاب . وبعد أن فرغ « آنى » من إلقاء نصائحه على ابنه أجابه الأخير بأنه يتمنى أن يكون مثله ، ولكن شتان مابينه وبين والده الذى كان صاحب همة عالية ومطامح سامية ، وأنه ربما يتعذر عليه أن يصل إلى ما وصل إليه « آنى » فيقول :

« آه ياليتنى مثلك . . . حتى أعمل حسب تعاليمك وحتى يرقى الابن إلى مرتبة والده . . . إنك رجل صاحب مطامح عالية ، فكل كلماتك مختارة ، وإن الولد الذى يتصور خبثا فى نفسه يقول . . . فى الكتب . إن كلماتك مريحة لقلبي ولبي يميل إلى استيعابها ، وإن قلبي لفرح . ولكن لا تجعلن فواقك يتجاوز الحد فى غزارته . . . إن الولد لا يعمل حسب التعاليم التى تثقف حتى لو كانت كل الكتب على لسانه[٢] »

غير أن الوالد لما سمع هذا الجواب من ابنه أخذ القلق يساوره وأخذ يضرب له الأمثلة الطريفة فى الطاعة ويحثه على اتباع ما ألقاه عليه من النصائح فيقول « آنى » مجاوبا ابنه « خنسحتب » :

« لاتثقن فى هذه الأشياء (؟) الخطرة ، وتجنب أن تعود إلى الشكوى

---

(١) وهذا ما يقابل عند المسلمين قول الإنسان « حرما »

(٢) ومعنى هذه الفقرة : أن الولد يقول لوالده لا تغال فى طلباتك ، وإلا فإنه رغم أنى أفعل حكمتك فى فى فلن يتسنى لى أن أعمل حسبما جاء فيها

فإن قلبي لا يصغى إليها ، فإن الثور المحارب الذى قتل ما فى الحظيرة من ثيران لا يمكنه أن يغادر الحلقة (إذ يجب عليه) أن يأخذ أوامره من سائقه ، وكذلك الأسد المفترس يخفف من ثورته ويمر بكآبة على الحمار ، والجواد يخضع لنيره ... والكلب يصغى للكلام ويتبع سيده ، والحيوان « كيرى » يحمل ... إناء الذى لم تتحمله والدته . والإوزة تحط على البركة الباردة حينما تصاد ، وبذلك تنتفض فى الشرك (حزنا) . والعبيد قد تعلموا الكلام المصرى وكذلك السوريون وكل الأجانب . وقد تكلمت كذلك عن كل الحرف التى يمكن أن تسمع عنها وأعرف ما يجب أن يفعل »

أما الجواب الذى أجاب به « خنسحتب » أباه فبهم ، ومن المحتمل أنه يشير إلى الحقيقة القائلة (بأن كل الناس لا قيمة لهم) . فيقول :

« إن هناك جما غفيرا من الأدنياء ، وليس هناك فرد يعرف تعليمه ، وإذا وجدت إنسانا حازما فإن الأكثرية أغبياء » .

(ومن المحتمل إذن أنه يعاهد والده على الطاعة) فيقول :

« كل كلماتك ممتازة ... وإنى أعطيك المواثيق بأن أضعها على طريقتك (التى رسمتها) »

وعلى ذلك يجيب الكاتب « آنى » على ماقاله ابنه ببعض أمثال حكيمة لا تزال تأخذ بالألباب وتستهوى النفوس لأنها تنفذ إلى الأعماق . فيقول :

« ولّ ظهرك لتلك الكلمات الكثيرة التى ينبو عنها السمع ، فإن العصا المعوجة الملقاة فى الحقل والمعرضة للضّح والفىء يحضرها الصانع ويجعلها مستقيمة ويصنع منها سوطا للشريف ، ولكن قطعة الخشب المستقيمة هى التى يصنع منها لوحا (للكتابة) » [1]

---

(١) ويقصد الكاتب أن الإنسان يمكنه أن يثقف كل إنسان وإن كانت النتيجة تختلف . وبقى أن نعرف هل هذا الحكيم يفضل السوط الجميل أو اللوح (؟)

آه أيها القلب الذى لا يمكنه أن يتبصر فى العواقب ، هل كانت آراؤك فى أن تعطى المواثيق أو أنك تفشل »

ومن الجائز أن « آنى » يعبر فى الجزء الباقى عن أمله فى أن يكون ابنه الذى يعرف القوة التى فى يده (أى يشعر بقوة نفسه) ، عاقلا كالطفل الذى فى حضن أمه ، فإنه عندما يبلغ سن التمييز لا يريد الاستمرار فى الرضاعة بل يجد فمه (أى يتكلم) ليقول أعطنى خبزا » .

المصادر :

هـذه التعاليم لا تزال غامضة وتحتاج إلى درس جديد وأهم المصادر التى يمكن الرجوع إليها حتى الآن هى :

(1) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 319 f.f.

(2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 234 f.f.

(3) Speigel, "Die Praambel des Amenemope und die Ziellsetzung der Agyptischen Weisheitsliteratur", p. 15.

تعاليم «أمنموبى»

مقدمة :

لابد أن القارئ، قد لاحظ فى نصائح « آنى » نموا وتطورا كبيرين فى الوعى الإنسانى يرجعان فى أصلهما إلى المؤثرات الاجتماعية ، ثم إلى التفكير العميق فى هذا العصر ، إذ نجد أن المتعبدين يعترفون بالوعى الإنسانى ويذكرون من غير تحفظ أنه أمر الله نفسه . على أن تلك الفكرة كانت قد ظهرت قبل بداية عهد الامبراطورية المصرية بنحو خمسمائة سنة . ولكن فى العصر الذى نحن بصدده الآن ، أى العصر الذى يعد عصر الورع الشخصى صار « الضمير » هو الإيحاء الإلهى الحق ، وذلك مالم يحدث من قبل أبدا ، وفى تلك الأحوال لم يكن هناك بالطبع إخفاء للخطيئة أو إنكار لها بعد وقوعها من المخطىء ، إذا كان المتعبد فى ذلك الوقت يشعر بأن أمره كان معلوما عند ربه لأنه كان يضع نفسه بدون تحفظ فى يد الله المرشد والمهيمن على كل حياته وحظه ، ومع أن إرضاء المجتمع كان لا يزال الأمر الهام وأن الإحساس بضغط المؤثرات الاجتماعية كان لا يزال موجودا ، فإن المسئولية أمام الإله العليم بكل شىء كانت مع ذلك فوق كل شىء . وهذا الموقف الجديد الذى شاهدنا بوادره فى التعاليم الماضية قد كشف لنا غطاؤه فى مقال ممتع وأعنى به تعاليم « أمنموبى » . وقبل أن نتكلم عن محتوياتها والرسالة التى أدتها إلى العالم يجدر بنا أن نتكلم ببعض الإيجاز عن تاريخها فنقول :

وجدت هذه التعاليم مكتوبة على ورقة بردية محفوظة الآن فى المتحف البريطانى . وقد حصل عليها السير « ولس بدج » عام ١٨٨٨ ومعها ورقة أخرى تشتمل على جزء من كتاب الموتى وقد بقيت تعاليم « أمنموبى » فى زوايا النسيان إلى أن نشر الأستاذ « بدج » بعض قطع منها فى عيد شمبليون .

(1) Recueil d'Etudes Egyptologiques dediees à la Memoire de Jean François Champollion, (Paris, 1922). pp. 341 — 346, ("The Precepts of Life by Amen-em-apt", described by E. A. Wallis Budge).

وفى العام التالى طبع الأستاذ « بدج » متن كل التعاليم بالهيراطقية ثم كتبه بالهيرغليفية وترجمه وعلق عليه فى :

(2) Wallis Budge, "Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum", with Description and Summary of Content (Second Series, London, 1923) pls. 1 — 14.

وبعد ذلك قام بدرسها الأستاذ « لنجا » الأثرى الدنماركى ، وخطا خطوات واسعة فى إعطاء معناها الحقيق وأعقب ذلك درس الأستاذ « إرمن » لهذه الوثيقة .

(3) "Das Weisheitbuch des Amen-em-Ope", Orientalische Literaturzeitung (1924), pp. 241 — 252.

وفى يناير سنة ١٩٢٤ طبع « بدج » هـذه النصائح مرة ثانية وأضاف على الترجمة بعض إصلاحات .

(4) "The Teaching of Amen-em-apt", (London, 1924).

وبعد ذلك طالعنا الأستاذ « إرمن » بمقال عن هذه النصائح والتعاليم برهن فيه على أن هذه الوثيقة كانت مصدرا أخذت منه حكم سليمان عليه السلام .

(5) Erman, "Eine Agyptische Quelle der Sprüche Salomos", Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften, philosophisch-historische klasse (1924), pp. 86 — 93.

تم تناول هذا الموضوع ثانية الأستاذ « لنجا » فى كتابه .

(6) "Das Weisheitbuch des Amen-em-ope".

وقد طبعه فى عام ١٩٢٥ .

وقام بترجمة هـذه الوثيقة الأستاذ « جرفث » فى « مجلة الآثار المصرية » ووازن بينها وبين أمثال سليمان .

(7) Griffith, "The Journal of Egyptian Archaeology, "Vol. XII, pp. 191 ff.

ويجد القارىء فى الترجمة الأخيرة بعض تحسينات جديدة فى قراءة الأصل الهيراطيقى .

وأخيرا نجد الأستاذ برستد قد تناول هذه الوثيقة ببحث ممتع فى كتابه «فجر الضمير» .

(8) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 320 — 330, 331, 364—366, 371, 372 — 382.

العصر الذى كتبت فيه التعاليم

وقد اختلف علمـاء الآثار فى تحديد تاريخ هذه الوثيقة . غير أن الرأى الأخير يجعل عصرها ينحصر مابين الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين ، وهذا هو رأى كل من الأستاذ « إرمان » والأستاذ « لنجا » .

وقد كان رأى الأستاذ « إرمان » يرتكز على أن هـذه التعاليم تشبه تعاليم « آنى » السالفة من حيث المـادة واللغة ، ومن حيث الشيوع فى الاستعمال ، إذ الواقع أن تعاليم « أمنموبى » كان لهـا شهرة عظيمة لدرجة أنها كانت تستعمل بمثابة كتاب مطالعة[1] وتمرين فى المدارس فى عهد الدولة الحديثة ؛ فقد عثر على لوحة فى متحف « تورين » من الخشب عليها طبقة من الجص مكتوب على كل من وجهيها فقرات من هذه التعاليم . وهـذا ما لاحظناه سابقا فى ورقة « آنى » .

(١) Journal of Egyptian Archeology Vol XII P. 193 .

المـــتن

المقـــدمة

١ بداية درس الحياة .

٢ والإرشاد إلى الخير .

٣ وكل قواعد الاندماج بين كبار الموظفين .

٤ وعادات معاملة رجال القصر .

٥ ليعرف كيف يجيب (شفويا) عن سؤال يلقى عليه[١] .

٦ وأن يرد (كتابة) على مسألة لمن يستفسر عنها[١] .

٧ ليرشده إلى سبُل الحياة (أى مواقف الحياة المختلفة) .

٨ وليجعله يفلح على الأرض[٢] .

٩ ويجعل قلبه يدخل فى محرابه[٣] .

١٠ وبذلك يبعده من الشر[٤] .

١١ ولينجيه من فم[٥] الناس .

١٢ وبذلك يكون ممدوحا فى أفواه القوم .

ب المُؤلف[٦]

١٣ ألفه ملاحظ الأراضى الحاذق فى عمله .

---

(١) معنى السطرين الخامس والسادس هو المقصود من كل هذه النصائح .

(٢) يفلح على الأرض أى ينجح فى حياته

(٣) يقصد بهذه الجملة أن قلبه يساعده على الاحتفاظ بسكينة وكرامة . وما يستحق الذكر هنا أنه منذ النصف الثانى من عهد الدولة الحديثة كان الجعران الجنازى وهو الجعران الذى كان يوضع مكان قلب الميت ليمثله يوضع فى حلية على شكل محراب ويتدلى على الصدر

(٤) يعود ضمير الغائب فى « يبعده » على القلب الذى يقوده بعيداً عن الشر

(٥) فم الناس أى ألسنة السوء .

(٦) يبدو لنا من عنوان هذا الكتاب أنه يشتمل على مقطوعتين كل منهما ستة سطور : فالأولى تبشر بالإرشاد إلى الفلاح الدنيوى والثانية تبشر بالإصلاح الخلقى

١٤ وهو نتاج[١] كاتب مصرى .
١٥ ملاحظ الغلال ومدير المكاييل[٢] .
١٦ وهو الذى يدير محصولات الغلال لسيده .
١٧ والذى يقيد الجُزر والأراضى الجديدة[٣] .
١٨ بالاسم العظيم لصاحب الجلالة (أى باسم الملك) .
١٩ ويضع العلامات عند حدود الأرض المنزرعة .

٢ : ١ وهو الذى حفظ ذكرى الملك بنقوشه[٤] .
٢ ومسح الأرض السوداء .
٣ الكاتب الذى يقرر الأوقاف الإلٰهية الخاصة بالآلهة كلها .
٤ والذى يمنح الإيجار من يشاء .
٥ ملاحظ الغلال والقابض على زمام الأطعمة .
٦ والذى ينقل مخازن الغلال .
٧ الثاوى حقا فى « تاور » بطينة .
٨ والمغفور له فى « آبى »[٥] .
٩ وصاحب القبر الهرمى الشكل فى غربى « سنوت »[٦] .
١٠ وصاحب الضريح فى « العرابة » .
١١ « امنموبى بن كانخت » .
١٢ المبرأ فى « تاور » .

---

(١) هذه الكلمة قد تشير إلى أن المؤلف ابن كاتب مصرى أى « كانخت » أو إلى كتابه كأنه ثمرة كاتب مصرى وفى هذه الحالة الأخيرة يؤكد المعنى بمقابلته بالجملة السالفة

(٢) مدير مكاييل (واز) وهى عين حورس . وهذا هو الاسم المقدس لمكيال الغلال

(٣) الجديدة أى المتخلفة عن فيضان النيل

(٤) يلاحظ فى هذا السطر وما بعده أنه أظهر ولاءه للملك ثم تناول خدماته للآلهة والناس باختصار

(٥) السطران السابع والثامن يشيران إلى الموت فقط ومعناها أنه عاش ساكن فى القبر وله مدفن حقيقى فى « تاور » وهو المكان المقدس فى العرابة المدفونة ، وله مدفن تذكارى فى « أخميم »

(٦) اسم بلدة بانوبوليس (إخميم) وكانت هذه البلدة واقعة على الشاطىء الشرقى للنيل ويشير المتن إلى موقع مقبرته الهرمية الشكل فى غربى «سنوت» والظاهر أن الضريح كان موضوعا فى مكان فى الجهة الأخرى من النهر بعيدا عن جبانات « بانوبوليس » التى كانت منحوتة فى صخور الصحراء الشرقية

الابن الموجهة إليه هذه التعاليم[١]

١٣ لابنه أصغر أولاده .

١٤ وهو صغير إذا قيس بأقاربه .

١٥ المشرف على أسرار « مين » ثور أمه .

١٦ صاحب سقاية الإلـه « وننفر »[٢] .

١٧ المنصب « حور » على عرش والده .

١٨ وحارسه فى محرابه المعظم .

١٩ غاسل (؟) ملابس « إزيس » العظيمة .

٣ : ١ وحارس (؟) أم الإلـه .

٢ ومفتش البقرات السود التابعة لمعبد الإلـه « مين » .

٣ والمحافظ على (صورة) « مين » فى محرابه .

٤ واسمه الحقيق « حار — مع — خر »[٣] .

٥ وهو ابن نبيل من « آبى » .

٦ وابن لاعبة الصنج للآلهين « شو » « وتفنوت » .

٧ ورئيس خدر « حور » المسمى « توسرى » (أو رئيس ضارب الصنج للالـه حور المسمى « توسرى») .

الفصل الأول[٤]

واجب التلميذ

٨ يقول الفصل الأول .

٩ أسلم أذنيك واستمع إلى (الكلمات) التى تقال .

---

(١) وصف المؤلف هذا الفصل وصفا أدبيا تحاشى فيه أن يضع الألقاب الرسمية . وإنه لمن الصعب جدا أن نحدد بالدقة ألقاب هـذا المؤلف إلى أن تتسع معلوماتنا عن نظام الحكم فى مصر بعد عصر الدولة الحديثة .

(٢) « وننفر » معناه الـكائن الطيب وهو اسم من أسماء الإله « أوزير »

(٣) أى حور المبرأ

(٤) هذا الفصل مقدمة يكلف فيه التلميذ الانتباه إلى التعاليم

١٠ واشحذ فكرك لتفسرها (أى تفهمها) .

١١ وإنه لمن الخير أن تضعها فى لبك[١] .

١٢ ولكن الويل لمن يهملها .

١٣ دعها (أى التعاليم) تستقر فى صندوق بطنك[٢] .

١٤ حتى تُكوّن بها قفلا لقلبك .

١٥ فاذا جاءت عاصفة من الكلام .

١٦ فإنها (التعاليم) ستكون بمثابة (وتد) (رادع) للسانك .

١٧ وإذا أمضيت مدة حياتك . وهذه الأمور فى قلبك .

١٨ فإنك ستلقى بها نجاحا .

٤ : ١ وستجد فى كلماتى ذخيرة الحياة .

٢ وسيفلح جسمك على الأرض[٣] .

٣ الفصل الثانى[٤]

الإنسانية ونصائح منوعة

٤ احذر أن تسلب فقيرا بائسا .

٥ وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح .

٦ ولا تمدنّ يدك لتمس رجلا مسنا (بسوء) .

---

(١) وازن ٢٧ : ١٣ — ١٤ وسفر الأمثال فصل ٢٢ : ١٧ — ١٨

(٢) يعنى فى قرارة نفسك

(٣) أى وستنجح فى حياتك ، وازن هذين السطرين بما جاء فى تعاليم بتاح حتب

(٤) قد قسم هذا الفصل أربعة أقسام : فالأول والثانى مقطوعات رباعية والثالث مركب من ثمانية سطور تصف كيف يقع الرجل الشرير فى الخطر المحدق ، ويلى ذلك ستة سطور يتبين منها كيف أن الرجل الرحيم ينجى الشرير مقابلا الإساءة بالاحسان ، والقسم الأخير يحتوى على سطرين موضوعهما يظهر فى الفصل التالى .

والعلاقة بين هذه الأقسام الأربعة ليست واضحة إلا أنها تبحث فى السلوك وأحوال أخرى مختلفة :

ا : كن متلطفا مع الضعيف والمسن

ب : تباعد عن الفروع فى عمل خاطىء ولا تجتهدن فى تبرير أعمالك الخاطئة

ح : كن رحيما مع المذنب عندما تنتابه المصائب

ء : فكر قبل الكلام .

٧ ولا تسخرن من كلمة رجل هرم .

٨ ولا تجعلن نفسك رسولا فى مهمة ضارة (أى رسول سوء) .

٩ ولا ترغبن فى مصاحبة من قد أداها .

١٠ ولا تصخبن مع من قد آذيت .

١١ ولا تردن عليه بجواب لتجعل الحق فى جانبك .

١٢ ومن فعل فاحشة فان المرفأ يفلت منه[1] .

١٣ وأرضه المبللة تحمله بعيدا[2] .

١٤ وكذلك إعصار الشمال يهب ليقضى على حياته .

١٥ ويتحد مع العاصفة .

١٦ أما الرعد فقاصف والتماسيح خبيثة .

١٧ وأنت أيها الرجل الأحمق . ماحالك ؟

١٨ إنه يصيح وصوته (يصل) إلى (عنان) السماء .

١٩ وأنت أيها القمر (تحوت) الذى ثبّت جريمته .

٥ : ١ حرك الدفة حتى يمكن الرجل الخبيث أن يعبر إلينا (؟)

٢ لأننا لا نرتكب ما ارتكبه[3] .

٣ ارفعه ومد يدك إليه .

٤ وأسلمه إلى ذراعى الإله .

٥ واملأ جوفه بخبزك

٦ حتى يشبع ويبى (؟)

٧ وهناك شىء آخر محبب إلى قلب الإله :

٨ هو التأنى قبل الكلام .

---

(١) [فإن المرفأ يفلت منه] أى « وليس جديرا بإدراك غايته »

(٢) أى « ونفسه الشريرة تمعن به فى سبل الهلاك »

(٣) أى لا نفعل فإذا جاء إلينا صار منا ولا يعمل سوءا

٩ الفصل الثالث[١]

الحزم فى المناقشة

١٠ لاتشتبكن فى جدال مع أحمق .
١١ ولا تخزنه بالألفاظ[٢] .
١٢ تأن أمام متطفل ، وأعرض عمن يهاجم .
١٣ ونم ليلة قبل التكلم[٣] .
١٤ لأن العاصفة تهب مثل النار فى الهشيم .
١٥ والرجل الأحمق فى ساعة غضبه .
١٦ يجب أن تنسحب من أمامه واتركه لمكايده (أو سامحه فيها)
١٧ والله يعلم كيف يجيبه (يجزيه) .
١٨ وإذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأشياء فى قلبك .
١٩ فإن أولادك سيبصرونها .

٥ : ٢٠ الفصل الرابع[٤]

الرجل الأحمق والرجل الحليم

٦ : ١ أما الرجل الأحمق الذى يخدم فى المعبد .

---

(١) يتناول هذا الفصل البحث فى الحزم عند إجابة الخصم فهو بذلك تعقيب على السطرين الأخيرين من الفصل السابق

(٢) أى ولا تجرحه بالألفاظ

(٣) أطل التفكير قبل الكلام

(٤) ينقسم هـذا الفصل إلى مقطوعتين كل منهما تحتوى على ستة سطور ، فيهما يقابل بين حظ الرجل الأحمق والرجل الرزين ، وكل منهما فى خدمة المعبد ، فالأول شبه بشجرة برية تستعمل لبناء السفن أو تحرق ليصنع منها الفحم

ويمكن الموازنة بين أوجه الشبه والخلاف فى أشخاص يتوكلون على الإنسان وعلى الإله بما هو مذكور فى نبوءة « أرميا » فى الفصل السابع عشر : ٥ . « هكذا قال الرب ملعون الرجل الذى يتوكل على البشر و يجعل اللحم ذراعا له وقلبه ينصرف عن الرب » ٦ . « إنه يكون كالأثل فى البادية ولا يرى الخير إذا أقبل ، بل يسكن الرمضاء فى البرية الأرض السبخة التى لا ساكن فيها » ٧ . « مبارك الرجل =

٢ فمثله كشجرة نبتت فى الغابة (؟)

٣ ففى لحظة تفقد خضرتها .

٤ ويكون مصيرها فى مرفأ الأخشاب .

٥ أو (؟) تنقل بعيدا عن مكانها .

٦ والنار كفنها (مثواها) .

٧ أما الرجل الحليم حقا : فهو الذى يضع نفسه جانبا (حيث يجب) .

٨ فمثله كشجرة باسقة فى حديقة .

٩ تنمو يانعة وتضاعف ثمرتها .

١٠ فتقف أمام سيدها .

١١ وثمرتها حلوة وظلها ظليل .

١٢ وينتهى مصيرها فى الحديقة[١] .

١٣ الفصل الخامس[٢]

الأمانة والرزانة فى المعبد

١٤ لا تسيئن استعمال أنصبة المعبد .

١٥ ولا تكونن جشعا (حتى) تجد الخير العميم (أكثر مما كنت تنتظر) .

١٦ ولا تعزلن خادم إله .

١٧ لكى تؤدى خدمة لآخر .

= الذى يتوكل على الرب ويكون الرب معتمده » ٨ . « إنه يكون كالشجر المغروس على المياه الذى يلق أصوله فى الرطوبة ولا يرى الحر إذا أقبل بل يبقى ورقه أخضر ، وفى سنة القحط لا خوف عليه ولا يكف عن الثمار .

(١) جاء فى القرآن الكريم (وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها —) الآية

(٢) ينقسم هذا الفصل إلى ثلاث مقطوعات :

فالمقطوعة الأولى : تحض على احترام أملاك المعبد

والمقطوعة الثانية : تذكر الإنسان بأن الأمور تتقلب كالنيل

والمقطوعة الثالثة : معناها كن رزينا وثق بالله

وقد تكون الفكرة مستترة وقد يحتمل أن يزيد دخل المعبد أو عمله مما يتوفر منه ولذلك فان الرجل المتسرع الذى لا ضمير له لا يتأخر فى اختلاسه ولكن القدر قد يطوح به فى الغد .

١٨ ولا تقولن إن « اليوم مثل الغد » .

١٩ فكيف تكون نهاية هذه الأشياء ؟

٧ : ١ فإن الغد يأتى واليوم رائح .

٢ وقد تصبح اللجة العظيمة حافة من الأمواج[1] .

٣ وتنكشف التماسيح ويصير جاموس البحر على اليابس .

٤ والسمك يلقف الهواء .

٥ وبنات آوى تصير بطانا والطيور المفترسة تصبح فى عيد .

٦ والشباك تصبح خاوية .

٧ أما من حيث الحلماء كلهم فى المعبد .

٨ فإنهم يقولون إن الشىء العظيم رضا رع رضا طيبا[2] .

٩ احرص تماما على الرجل الحليم وبذلك تجد الحياة .

١٠ وسينعم جسمك على الأرض .

١١ الفصل السادس[3]

التعدى على أرض الغير

١٢ لا تزحزحن الحد الفاصل (بين الحقول) .

١٣ ولا تحولن موقع خيط المقياس .

١٤ ولا تطمعن فى ذراع أرض

١٥ ولا تقذفن بحدود الأرملة (أى لا تتعد عليها).

---

(١) أى يصير ماؤها ضحضاحا

(٢) الفكرة المقصودة هى الخضوع لإرادة « رع »

(٣) الجزء الأول من هذا الفصل الطويل يحتوى على مقطوعتين وعلى مقطوعة مزدوجة تحض على عدم اغتصاب أرض الغير بدون حق ، ويتلو ذلك مقطوعتان تناولتا البحث فى الموضوع مرة أخرى . والجزء الثالث ينصح السامع بأن يرضى بزرع أرضه وذلك فى مقطوعتين يتبعهما مقطوعة على الفقر مع السعادة .

ووجه الشبه كبير بين أمثال هذا الفصل وسفر الأمثال . وازن سفر الأمثال ٢٢ — ٢٨ ، ٢٣ — ١٠ ، ١١ . والمقطوعة الأخيرة بسفر الأمثال ١٥ — ١٦ ، ١٧ وكذلك ١٦ — ١٠ (من سفر الأمثال) .

١٦ وإن المسلك الذى عبّده الزمن[1] .

١٧ من يغتصبه ظلما فى الحقل .

١٨ بأن يتصيده بالأيمان الكاذبة .

١٩ فإن بطش القمر يوقعه فى حبائله

٨ : ١ وراقب جيدا من ارتكب ذلك على الأرض .

٢ لأنه يكون ظالما للضعيف .

٣ وهو عدو يعمل لخرابك [للإضرار بك] .

٤ والغدر بفقدان الحياة فى عينه .

٥ وبيته عدو للمدينة .

٦ ولكن أجرانه تخرب .

٧ وأمتعته تنتزع من يد أطفاله .

٨ وأملاكه تُعطَى غيره .

٩ احترس من أن ترمى (تغير) حدود الأرض المزرعة .

١٠ خوف أن يحملك الفزع [يستولى عليك الفزع] .

١١ والإنسان يستعطف الإله بقوة ربه .

١٢ عندما يُعَيِّن حدود الحقل .

١٣ ارغب حينئذ فى أن تجعل نفسك سعيدا

١٤ واحذر رب العالمين .

١٥ ولا تتعدين على حرث آخر .

١٦ وخير لك أن تكون مستقيما بالنسبة له (الحرث) .

١٧ ازرع الحقول حتى يمكنك أن تجد ماتحتاج إليه .

١٨ وتجنى خبزك من حرثك .

١٩، ٢٠ وإن المكيال الذى يعطيكه الله خيرلك من خمسة آلاف تكسبها بالبغى .

٩ : ١ فإنها لاتمكث يوما واحدا فى المخزن ولا فى الجرن .

٢ ولا يعمل منها طعام فى وعاء الجعة .

---

(١) يقصد الطريق التى يوجد بين حدود الحقول ، وقد عبدته الأيام فأصبح ملكا للجميع .

٣ ولا تمكث إلا لحظة فى المخزن .

٤ فعند ما يأتى عليها الصباح تغيض .

٥ والفقر على يد الله .

٦ خير من الغنى فى المخازن .

٧ وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير لك .

٨ من ثروة مع شقاء .

٩ الفصل السابع[1]

البحث وراء الثروة

١٠ لا تندفعن بقلبك وراء الثروة

١١ إذ لا يمكن تجاهل « شاى » و « رننت » (إلهى الحظ) .

١٢ ولا تضمن أفكارك فى أمور فى الخارج .

١٣ فكل إنسان مقدر له ساعته (ساعة الحظ)[2] .

١٤ ولا تجهدن نفسك فى طلب المزيد .

١٥ عند ما تكون قد حصلت (بالفعل) على حاجتك .

١٦ لأن الثروة لو أتت لك من طريق السرقة .

١٧ فانها لا تمكث معك (سواد) الليل .

١٨ إذ عند مطلع الفجر لا تكون فى بيتك بعد .

١٩ وسترى مكانها ولكنها لن تكون (هناك) .

٢٠ (فربما) قد فغرت الأرض فاها فتأخذها وتبتلعها .

---

(١) هذا الفصل يتمم الفصل السابق ويقع فى أربعة أقسام :

الأول : مقطوعة ثنائية تحث على ضرورة التسليم لما قدر على الإنسان .

الثانى : اثنا عشر سطرا عن الثروة التى لاتدوم

الثالث : ستة أسطر عن مزية القناعة

الرابع : أربعة أسطر عن صلاة الرجل القنوع

(٢) [مقدر له ساعته] أى أن خيره موكل بحظه

١٠ : ١ وتغوص بها فى (تاى) فى العالم السفلى .
٢ أو أنها تعمل لنفسها كهفا كبيرا بقدر حجمها .
٣ ثم تغيض بنفسها فى مخزن الغلال .
٤ أو أنها تعمل لنفسها أجنحة مثل الإوز .
٥ وتصعد إلى السماء .
٦ لا تفرحن من أجل ثروة أتت من طريق السرقة .
٧ ولا تئنن من الفقر .
٨ فإن مفوق السهام (النابل) الذى يكون فى المقدمة ويندفع إلى الأمام .
٩ تهجره جنوده فى الخطر .
١٠ وكذلك قارب الشره يترك ويعوقه الطين .
١١ وقارب الرجل الرزين يقلع (مع النسيم) .
١٢ ويجب عليك أن تتعبد إلى « أتون » حينما يشرق .
١٣ وقل : « امنحنى السلامة والصحة » .
١٤ وسيمنحك ما تحتاج إليه طول الحياة .
١٥ وتأمن الخوف .

١٦ الفصل الثامن (١)

لا تقل شرا

١٧ ضع طيبتك فى جوف الناس (فى أعماق نفوسهم)
١٨ حتى يحييك كل إنسان .
١٩ لأن الإنسان يرحب بالصّل (الثعبان الذى على جبين الملك)
٢٠ ويبصق على الثعبان « أبوبى »

---

(١) يحتوى هذا الفصل على ثلاثة أجزاء :
١ — مقطوعة رباعية فى أهمية الشهرة الحسنة . فإن « الصل » له خطورته كأى ثعبان آخر إلا أنه يحيا بالفرح فى حين أن الثعبان « أبوبى » عدو « رع » منبوذ
٢ — يتلو ذلك مقطوعة سداسية تحض على التباعد عن الكلام الخبيث
٣ — ومقطوعة أخرى سداسية تنصح بإخفاء التقرير الضار

٢١ احفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة .

١١ : ١ وبذلك ستصبح المفضل عند الآخرين .

٢ وستجد مكانك فى المعبد

٣ وطعامك من خبز قربان ربك .

٤ وستحترم فى شيخوختك وتُوارى فى كفنك .

٥ وستكون فى مأمن من بطش الإلٰه .

٦ لا تصيحن : جريمة فى وجه إنسان(١)

٧ عند ما يكون سبب فراره خفيا (وأخف حالة هرب الهارب)

٨ وإذا كنت مستمعا لتحكم فى شىء سواء أكان خيرا أم شرا .

٩ فافصل ذلك فى الخارج حيث لا تسمع(٢)

١٠ وضع تقريرا حسنا على لسانك(٣) .

١١ أما ماقبح فأخفِه فى بطنك .

١٢ الفصل التاسع(٤)

تجنب الرجل الأحمق وصبره

١٣ لا تخالطن الرجل الأحمق .

١٤ ولا تدنُ منه لتحادثه .

---

(١) أى لا تفضحن إنسانا بهتك سره

(٢) أى فكون رأيك فى نفسك

(٣) أى وتلطف فى تقريرك

(٤) على الرغم من طول هذا الفصل فإن أجزاءه وحدة مرتبطة بعضها ببعض وهو يحتوى على ستة وثلاثين سطرا . ويظهر أن السطر التاسع عشر المكتوب بالمداد الأحمر بداية الجزء الثانى من الفصل من جهة العدد فقط وليس للمعنى دخل

ومعنى المتن كله أنه يجب على الإنسان ألا يصاحب الأحمق ولا يقلده

والفصل يبتدىء وينتهى بمقطوعة ترمى إلى هـذا الغرض . وبين هاتين المقطوعتين : أولا ثمانية سطور تحض على عدم إجابة الرئيس بحمق . ويتلو ذلك أربعة وعشرون سطرا قد يجوز تقسيمها إلى ثلاثة أقسام تصف الرجل الأحمق .

والمقطوعتان الأولى والأخيرة تشبهان فى سفر الأمثال (الفصل ٢٢ — ٢٤ ، ٢٥)

١٥ واحفظ لسانك سليما من مجاوبة رئيسك .

١٦ واحذر من أن تذمه

١٧ ولا تجعله يرى بكلامه ليحبلك (ليوقعك فى أحبولة) .

١٨ ولا ترخ العنان لجوابك .

١٩ ويجب أن تناقش الجواب مع رجل على شاكلتك .

٢٠ واحذر الاندفاع فى النطق به .

١:١٢ فإن الكلام يكون سريعا عند ما يؤذى القلب .

٢ أكثر من الريح أمام الماء (؟) كالزوبعة التى تسبق المطر .

٣ فالإنسان يبنى ويهدم بلسانه .

٤ ومع ذلك فإنه يقول قولا مقذعا .

٥ ويجيب بجواب يستحق الضرب

٦ (لأن) حولته الشر .

٧ ويقوم بسياحة مثل كل العالم (ويخلق الشجار بين الناس) .

٨ غير أنها مثقلة بالألفاظ الكاذبة .

٩ ومثله كمثل النوتى[1] فى نسج (؟) الكلام .

١٠ يروح ويغدو بالمشاحنة .

١١ وعند ما يأكل ويشرب فى الداخل

١٢ يسمع جوابه فى الخارج

١٣ والواقع أن يوم إظهار جريمته .

١٤ يكون بؤسا على أطفاله .

١٥ ليت الإله « خنوم » يحضر حقا حقا (؟)

١٦ عجلة صانع الفخار لصاحب الفم النارى .

١٧ حتى يشكل ويصهر القلوب (مثل الأوانى) (ويصلح من سبله) (وأنه مثل.....)

١٨ وهو كابن الذئب فى ساحة المزرعة .

١٩ يحول إحدى عينيه معاكسة للأخرى .

١:١٣ ويثير الشجار بين الإخوة .

---

(١) الذى يعبر فى النهر جيئة وذهابا

٢ ويسير كالسحاب أمام كل نسيم

٣ وينقص من لون الشمس

٤ و يخضب (؟) ذيله مثل التمساح الصغير

٥ وينكمش فى نفسه جالسا

٦ وشفتاه حلوتان ولسانه بارد ؟ (أى مر)

٧ ولكن اللهيب يتقد فى جوفه

٨ فلا تقفزن لتنضم إلى هذا (الزميل)

٩ وإلا ينهب بك الفزع

١٠ الفصل العاشر

الإخلاص

١١ لا تصاحبن قرنك الأحمق على الرغم منك

١٢ ولا تحزنن قلبك من أجل ذلك

١٣ ولا تقولن له « السلام عليكم » رياءً

١٤ عندما يكون فى باطنك حقد (تدابير قطيعة)

١٥ لا تتكلمن مع إنسان كذبا

١٦ فذلك ما يمقته الله .

١٧ ولا تفصلن قلبك عن لسانك

١٨ حتى تكون كل طرقك ناجحة .

١٩ وكن ثابتا أمام غيرك من الناس

١:١٤ لأن الإنسان فى مأمن فى يد الله .

٢ وإن المقوت من الله من يزور فى كلام

٣ لأن أكبر شىء يكرهه هو النفاق (؟)

٤ الفصل الحادى عشر[١]

التابع

٥ لا تطمعن فى متاع تابع .
٦ ولا تتطلعن (جوعا) لخبزه .
٧ والواقع أن متاع التابع شجا للحلق .
٨ ومقيء للزور
٩ وعند ما يحصل عليه بالأيمان الكاذبة .
١٠ تنعكس رغبته ببطنه[٢] .
١١ والنجاح (؟) يخطىء (؟) الإنسان الخائن .
١٢ ويخيب كل من الحسن والقبيح .
١٣ وعند ماتخيب أمام رئيسك .
١٤ وتكون ركيكا فى كلامك .
١٥ فان تضرعاتك تجاب باللعنات .
١٦ وخضوعك بالضرب .
١٧ ولقمتك الضخمة من الخبز تلتهمها وتقيئها .
١٨ فأنت إذن قد جردت من متاعك .
١٩ دقق جيدا فى امتحان التابع .
١٥:١ حينما تصله العصى (أى يضرب) .
٢ وعند ما يكون كل أهله فى الأغلال .
٣ فأين المنفذ[٣] ؟ (أو ومن منهم يستحق القتل)
٤ وحتى عند مايصفح عنك أمام رئيسك .
٥ فإنك تكون محقرا أمام مرءوسيك .

---

(١) المقطوعتان الأولى والأخيرة تلخصان الموضوع الأساسى وهو يوصى فى الواقع بالقناعة بما ناله الإنسان من نصيب فى هذه الدنيا .
(٢) أى يلتوى عليه القصد فما يريد أن يبتلعه فى بطنه يلفظه ثانية
(٣) ربما يقصد من ذلك أن ينادى على الجلاد

٦ ويجب أن تتباعد عن التابع على الطريق .
٧ وستراه ، وأبعد نفسك من متاعه .

٨ الفصل الثانى عشر

الرافع الشريف

٩ لا تطمعن فى متاع شريف .
١٠ ولا تعطين مقداراً عظيما من غذاء الخبز تبذيرا
١١ وإذا نصبك على إدارة أعماله
١٢ فابتعد عما يخصه حتى يثمر ما تمتلكه
١٣ ولا تشاركن رجلا أحمق
١٤ ولا تخالطن رجلا خائنا
١٥ وإذا أرسلت لنقل التبن
١٦ فابتعد عن مكيال الغلال ، (لأنك لم ترسل لتقوم بذلك)
١٧ وهتك ستر الرجل فى أمر حقير ،
١٨ يعوق استخدامه كرة أخرى أيضا

١٩ الفصل الثالث عشر

كاتب الحسابات الطيب

٢٠ لا تضرن رجلا بجرة قلم على بردية[1]
٢١ لأن ذلك يمقته الله
١٦: ١ ولا تؤدين شهادة كذبا
٢ ولا تزحزحن إنسانا آخر بلسانك
٣ ولا تفرضن ضريبة على شخص لا يملك شيئا
٤ ولا تستعملن قلمك فى الباطل
٥ وإذا وجدت فقيرا عليه دين كبير

(١) أى لا تخطن على رقعة ما يضر إنسانا

٦ فقسمه ثلاثة أقسام

٧ وساعه فى اثنين وأبق واحدا

٨ وستجد ذلك سبيلا للحياة

٩ وستضطجع بالليل وتنام نوما عميقا (وستهدأ)

١٠ وفى اليوم التالى ستجد أنها (ما فعلتها) أخبار سارة (على الألسنة)

١١ وخير للإنسان مدح الناس وحبهم له

١٢ من الثراء فى المخازن

١٣ وخير للإنسان (أكل) الخبز مع قلب سعيد

١٤ من الثراء مع الكدر

١٥ الفصل الرابع عشر

الكرامة

١٦ لا تحترمن شخصا [لا تفرض على نفسك الذلة لشخص] .

١٧ ولا تجهدن نفسك لتبحث عن يده (أى مساعدته) .

١٨ إذا قال لك « خذ رشوة » .

١٩ إذ ليس بالرجل المعدم من يقبلها (؟) (أو أن ذلك ليس بالأمر الهين) .

٢٠ ولا تكن خجلا (أمامه) وتحنى نفسك (له) .

٢١ ولا تلقين بنظرك إلى أسفل .

٢٢ وسلم عليه بفمك وقل له « سلام عليك »

١٧ : ١ وعندما يقلع عن ذلك فإن موهبتك ستظهر .

٢ ومع ذلك يجب ألا تقصيه عند ما يقترب منك أول مرة

٣ فإن أمراً آخر (فرصة أخرى) سيقصيه بعيدا (عنك) .

٤ الفصل الخامس عشر

الإله « تحوت » والكاتب

٥ اعمل خيرا حتى تعرف من (؟) أنا .

٦ ولا تغمسن قلما فى المداد لتفعل ضررا .

٧ فإن منقار « ايبيس » هو أصبع الكاتب .

٨ واحذر إزعاجه .

٩ فالقرد يسكن فى بيت « الأشمونين » .

١٠ غير أن عينيه تطوفان حول الأرضين .

١١ فاذا رأى من يَضرّ بأصبعه .

١٢ فإنه يرمى بطعامه إلى اللجة العميقة .

١٣ أما الكاتب الذى يضر بأصبعه .

١٤ فإن ابنه لن يحفظ فى السجل .

١٥ فاذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأمور فى قلبك .

١٦ فإن أطفالك سيرونها .

١٧ الفصل السادس عشر

الموازين المغشوشة والمزيفة

١٨ لا تتلاعبن بكفتى الميزان ولا تطففن الموازين .

١٩ ولا تنقصنّ من أجزاء مكاييل الغلال .

٢٠ لا ترغبنّ فى مكاييل الحقول (أى الضريبة) .

٢١ ثم تهمل مكاييل الخزانة[1] .

٢٢ فإن القرد يجلس بجوار الميزان (الإلـه تحوت) .

١٨ : ١ وقلبه اللسان (الميزان) .

٢ وأين يوجد إلـه عظيم مثل « تحوت » .

٣ الكاشف لهذه الأشياء ليصنعها ؟

٤ لا تصنعنّ لنفسك موازين منقوصة .

٥ فإنها تزخر بالجيوش (؟) بقوة الإلـه .

٦ وإذا رأيت إنسانا يغش .

(١) أى كِلْ بدقة محصول الفلاح ولا تهتم بما يدفع للخزانة ، وعليك أن تلاحظ أن مايدفعه الفلاح هو ما يجب عليه دفعه وخذ من دخل الخزانة نصيبا لك .

٧ وجب عليك أن تمر به مبتمدا .
٨ ولا تفتالن النحاس .
٩ واجتنب الكتان الجيل .
١٠ ومافائدة عباءة من نسيج « مك »[١]
١١ إذا كانت ضلالا أمام الله .
١٢ وإذا كانت قشرة الذهب توضع فوق السبيكة لتظهرها ذهبا خالصا .
١٣ فإنها فى الفجر تكون من قصدير .

١٤ الفصل السابع عشر

كيل الغلال

١٥ احذر إساءة استعمال مكاييل عين حور (وازيت) .
١٦ أو الغش فى أجزائها .
١٧ ولاتكونن ظالما مثل « وبن ناخت »[٢] .
١٨ ولا تجعلها خالية فى بطنها (أى تجعل لها قعرا مغشوشا) .
١٩ وأوف مكيالها حسب حجمها بالدقة (؟)
٢٠ ويدك تكيل بالحق .
٢١ ولا تتخذن لنفسك مكيالا ذا حجمين (سمتين) .
٢٢ لأنك إذن ستعمل فقط للجة العميقة .
٢٣ لأن المكيال هو عين رع .
١٩: ١ وماعقته هو الرجل المدلس .
٢ وكيال الغلال الذى يضاعف الغش .
٣ تبث عينه التهمة ضده .
٤ لاتتسلمن جزية الفلاح على حصاده .

---

(١) نوع من الكتان المختار .

(٢) يحتمل أن يكون « وبن ناخت » بطل قصة أو لعل المعنى هو لا تأتين قسوة فى ضوء مجموعة النجوم المعروفة باسم « القارد » وهذه المجموعة قد وجدت فى جداول النجوم الموجودة فى مقبرة رعمسيس السادس ورعمسيس التاسع . ومن المحتمل أنها كانت تظهر فى وقت الحصاد أو غير ذلك .

٥ ثم تعقد وثيقة ضده ليُضار .
٦ ولا تتآمرن مع كيال الغلال .
٧ ولا تلعبن لعبة « ترتيب الداخل »[١] (؟)
٨ وإن أرض درس الشعير لها قوة (قوة خارقة للمادة) إغراء أكبر
٩ من الحلف بالعرش العظيم[٢] (أو فى المكان العظيم) .

١٠ الفصل الثامن عشر

تقافم الهم

١١ لا ترقد فى الليل متخوفا من الغد .
١٢ وعندما يطلع النهار فما شكل الغد ؟
١٣ إذ لا يعلم الإنسان ما سيكون عليه الغد [إن حوادث الغد فى يد الله] .
١٤ والله دائما فى فلاحه [تدبيره المحكم]
١٥ والإنسان دائما فى خيبته [ظنونه الطائشة] .
١٦ والكلمات التى يقولها الناس شىء .
١٧ والأشياء التى يفعلها الله شىء آخر [أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد]
١٨ ولا تقولن « ليس لى جريمة » (ليس ذلك بخطأ منى) .
١٩ ولا تجهدن نفسك للبحث عن الشجار .
٢٠ فإن الجريمة من عند الله .
٢١ وهو الذى يختمه بأصبعه .
٢٢ وليس هناك فلاح مع الله .
٢٣ ولا خيبة أمامه .
١:٢٠ فإذا وجهه إلى الحصول على الفلاح .
٢ فإن الإنسان يفسد ذلك فى لحظة .
٣ كن حازما فى قلبك وثابتا فى عقلك .

---

(١) هذه اللعبة ليست معروفة ولكن ما يقصد منها مفهوم على وجه عام
(٢) يشير إلى محراب الاله أو عرشه

٤ ولا تتحرك (؟) مع لسانك .
٥ لأن لسان الإنسان كسكان القارب .
٦ ورب العالمين هو القائد .

٧ الفصل التاسع عشر

الكلام في المحكمة

٨ لا تدخلن قاعة المحكمة قبل نبيل .
٩ ثم تزيف كلماتك .
١٠ ولا تتذبذبن في جوابك .
١١ عندما يكون أشهادك قد وقفوا .
١٢ ولا تخترعن في إيمانك ربك .
١٣ بكلام في مكان التحقيق (عبارة عن احتجاج بالبراءة وبعد ذلك اعتراف بالجريمة)
١٤ قل الصدق أمام الشريف (القاضي) .
١٥ وألا يكون له سلطان على جسمك .
١٦ فإذا حضرت أمامه في اليوم التالي .
١٧ فإنه يقبل كل ما تقوله .
١٨ وسيذكر قولك في الداخل[1] أمام مجلس الثلاثين .
١٩ وستكون مفيدة (؟) كرة أخرى أيضا .

٢٠ الفصل العشرون

الأمانة في الوظيفة

٢١ لا تفسدن رجلا في قاعة المحكمة .
٢٢ ولا تزعجن الرجل المحق (؟)
٢١ : ١ ولا توجهن كل التفاتك إلى فرد قد لبس (؟) ملابس بيضاء ناصعة .
٢ بل اقبله في خرقه البالية .

---

(١) في قاعة المحكمة .

٣ ولا تقبلن هدية رجل قوى .
٤ ولا تظلمن الضعيف من أجله .
٥ لأن العدل هبة عظيمة من الله .
٦ وسيعطيها من يشاء .
٧ وحقا فإن قوة من يماثله (أى الإله) .
٨ تنجى الفقير البائس من ضربه .
٩ لا تؤلفن لنفسك وثائق مزيفة .
١٠ لأن ذلك خيانة عظمى (تستحق) الإعدام .
١١ لأنها أيمان عظيمة . . . .
١٢ وتكون موضع تحقيق من المبلغ (عنها) .
١٣ لا تزيفن فى الدخل على دفاترك .
١٤ وبذلك تفسد تدبير الإله .
١٥ لا تجلبن على نفسك غضب الإله .
١٦ بدون قرار « شاى » « ورننت » .
١٧ وسلم الأمتعة لأربابها .
١٨ وابغ الحياة لنفسك .
١٩ ولا تدع قلبك يبنى فى بيتهم (لا تغتصب متاعهم)
٢٠ وإلا كانت عظامك لخشبة الإعدام .

٢١ الفصل الحادى والعشرون

الصمت

١:٢٢ لا تقولن : « أوجد لى رئيسا قويا .
٢ لأن رجلا فى مدينتك قد أضر بى » .
٣ ولا تقولن « أوجد لى مخلصا .
٤ لأن رجلا يكرهنى قد أضرّ بى » .
٥ وفى الحق أنك لا تعرف تدابير الله .

٦ ولا يمكنك أن تعرف الند .
٧ فاجلس بين يدى الله .
٨ وحلمك سيتغلب عليهم .
٩ والواقع أن التمساح الصامت .
١٠ يكون الفزع منه شديدا .
١١ لا تفضين بقرارة نفسك لكل إنسان .
١٢ ولا تتلفن بذلك نفوذك .
١٣ ولا تنشرن أقوالك لآخرين
١٤ ولا تصاحبن إنسانا يكشف عما فى قلبه .
١٥ والرجل الذى يخفى أخباره فى نفسه .
١٦ خير من الذى يفشى شيئاً لضرره .
١٧ والإنسان لا يجرى ليصل إلى الكمال .
١٨ ولا يرى (؟) ليضر بنفسه (؟) .

١٩ الفصل الثانى والعشرون

المحاورة

٢٠ لا تتآمر ضد قرنك فى المحاورة .
٢١ ولا تجعلنه يخبر حديث القلوب .
٢٢ ولا تبرزن لتذهب لمقابلته .
٢٣: ١ وأنت لم تر ماذا يفعل .
٢ وستفهم أولاً من جوابه .
٣ وكن هادئا وعندئذ تأتى معرفتك .
٤ ودعه لنفسه حتى يُفرغ مافى قرارة جوفه .
٥ واعرف كيف تنام وسيفهم .
٦ اقبض على قدميه ولا تحقرنه (وفى الكلام العامى جر رجله) .

٧ وخفه ولا تهمله .
٨ والواقع أنك لا تعرف تدابير الله .
٩ ولا يمكنك أن تحقق ما فى الغد .
١٠ اجلس بين يدى الله .
١١ فإن حلمك سيتغلب عليهم[١] .

١٢ الفصل الثالث والعشرون

تجنب أكل السحت

١٣ لا تأكلن الخبز فى حضرة شريف .
١٤ ولا تكن أول من يلوك بفمه .
١٥ وإذا كنت مرتاحا للمضغ الكاذب (أى مضغ الخبز الذى أتى عن طريق الغبن) .
١٦ فإن ذلك يكون مجرد تسلية لريقك[٢] .
١٧ انظر إلى الوعاء الذى أمامك .
١٨ واجعله يكفى حاجتك .
١٩ وكما أن الشريف عظيم فى مقر وظيفته .
٢٠ فإن مثله كمثل البئر تغزر بمتح (الماء) منها .

٢١ الفصل الرابع والعشرون

الأمين

٢٢ لاتصغين إلى أجوبة شريف فى بيت .
٢٤: ١ ثم تنشره إلى آخر فى الخارج .
٢ ولا تجعلن كلامك يذاع فى الخارج .
٣ حتى لا يتألم قلبك .

---

(١) هذا الجمع ليس مفهوما هنا تماما
(٢) لا بد أن يكون هنا خطأ فى المتن

٤ وقلب الرجل (ضميره) هو منقار الإله « تحوت » .

٥ فاحذر أن تهمله .

٦ والرجل الذى يقف بجوار الشريف .

٧ يجب ألا يعرف اسمه حقا .

٨ الفصل الخامس والعشرون

احترام العاهة

٩ لا تسخرن[1] من أعمى ولا تهزأن من قزم .

١٠ ولا تفسدن قصد رجل أعرج .

١١ ولا تحفظن رجلا فى يد الله (ما يعبر عنه الآن بالمجذوب) .

١٢ ولا تكونن عابس الوجه حينما يكون قد تعدى الحدود[2] .

١٣ إذ الواقع أن الإنسان من طين وقش (وهما المادتان اللتان يصنع منهما اللبن)

١٤ والله هو مسويه .

١٥ وهو يهدم ويبنى كل يوم .

١٦ وهو يصنع ألف تابع حسب إرادته .

١٧ أو ينصب ألف رجل مشرفين (؟)

١٨ عندما يكون فى ساعة حياته (؟)

١٩ ما أسعد الذى قد وصل إلى الغرب (مات) .

٢٠ وهو آمن فى يد الله .

٢١ الفصل السادس والعشرون

معاملة من هم أكبر مقاما فى المجتمع

٢٢ لا تجلس فى الحانة (بيت الجعة) .

---

(١) من سطر ٩ إلى ١٢ أنظر الكلام على تحوت

(٢) « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم »

١:٢٥ وتخالط من هو أكبر منك مقاما (وظيفة) .
٢ مهما كان صغيرا فى السن فإنه عظيم فى الرتبة .
٣ أو أكبر فى السن .
٤ واصطحب من فى مرتبتك .
٥ فإن الإله « رع » مساعد من بعد[١]
٦ ولكن إذا رأيت رجلا أعظم منك فى الخارج .
٧ وله أتباع وراءه فقدم له الاحترام .
٨ مدّ يد المساعدة لرجل مسن إذا كان قد ثمل بالجعة .
٩ واحترمه كما يحترمه أولاده .
١٠ لأن الذراع القوى لا يرتخى (؟) عندما يكشف
١١ والظهر لا يكسر عندما ينحنى .
١٢ والفقر لا يأتى للرجل عندما يقول الشىء السار .
١٣ ولا يأتى له الغنى عندما يكون قوله من القش[٢] .
١٤ والنوتى الذى يرى من بعد .
١٥ قاربه لا يغرق .

١٦ . الفصل السابع والعشرون

الخضوع للمسن

١٧ لا تلعنن أكبر منك سنا .
١٨ لأنه شاهد « رع » قبلك .
١٩ ولا تجعله يتهمك إلى قرص الشمس عند شروقه .
٢٠ قائلا « شاب آخر قد سب مسنًّا » .

---

(١) انظر ص ٥٠ (مقطوعة ٢٥ : ٥)
(٢) أى عندما يكون قوله هراء

٢١ فإنه مؤلم جدا أمام « رع » .

١:٢٦ أن يسب شاب رجلا مسنا .

٢ دعه يضربك بيده فى صدرك .

٣ دعه يسبك وأنت ملازم السكون .

٤ فإذا حضرت أمامه فى اليوم التالى .

٥ فإنه سيعطيك خبزا لا حصر له .

٦ وإن طعام كلب الصيد (من شأن) سيده .

٧ إذ أنه ينبح على من يقدمه له (الطعام) .

٨ الفصل الثامن والعشرون

كرم الأخلاق

٩ لا تسألن عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها فى الحقل .

١٠ ولا يفوتنك أن تتذرع بالصبر لإجابتها .

١١ ولا تمرن على غريب بإناء زيتك .

١٢ بل اجعله يتضاعف أمام إخوانك .

١٣ وإن الله يحب سعادة المتواضع[١] .

١٤ أكثر من احترام الشريف .

١٥ الفصل التاسع والعشرون

عبور النهر (التعدية)

١٦ لا تمتمن أناسا من عبور النهر .

١٧ عندما يكون فى قاربك مكان .

---

(١) انظر ص ٥٦ (مقطوعة ٢٦ : ١٣)

١٨ وإذا أحضر لك محرك سكان فى وسط اللجة العميقة .

١٩ فإنك ستحنى يديك لتأخذه .

٢٠ ولن ينالك غضب من الله .

١:٢٧ إذا لم يرحب بك نوتى .

٢ ولا تصنعن لنفسك معبرا على النهر .

٣ ثم تجاهد بعد ذلك لتجمع أجره .

٤ خذ الأجر من الرجل صاحب الثروة .

٥ ورحب بمن لا يملك شيئا .

٦ الفصل الثلاثون

الختام

٧ تأمل لنفسك هذه الفصول الثلاثين .

٨ فانها تمتع وتعلم .

٩ وهى تفوق كل الكتب .

١٠ فهى تعلم الجاهل .

١١ فاذا قرئت أمام الجاهل .

١٢ أصبح طاهرا بها (من الخبائث)

١٣ فاملأ نفسك بها وضعها فى قلبك .

١٤ لتكون رجلا يعرف تفسيرها (عندما تعرفها تماما) .

١٥ وتكون مفسرا لها كمعلم .

١٦ أما من حيث الكاتب المدرب فى وظيفته .

١٧ فانه سيجد نفسه أهلا لأن يكون من رجال البلاط .

١٨ وهذه نهايته .

١:٢٨ كتبه « سنو » بن (الكاهن) « عو »

(١) تعليق على تعاليم «أمنموبى»

من مقدمة هذه التعاليم نعلم أن «أمنموبى» هو ابن «كانخت»؛ وتزوج «أمنموبى» من «توزيرى» وأعقب «حور ماخر» وهو الذى كتب له أبوه هذه التعاليم كعادة مؤلفى التعاليم عند قدماء المصريين.

ويحمل «حور ماخر» ألقابا دينية كثيرة تربطه بمعبد «بانو بوليس» (إخميم) غير أن هذه الألقاب نادرة الوجود فى الوثائق المصرية الأخرى.

أما ألقاب والده فعادية شائعة، غير أنها لاتدلنا على المكان الذى أتت منه.

وكان الولد يحمل ألقابا دينية من صغره، وقد كان المجال فسيحا أمامه أن يتحلى بالصلاح والرزانة اللتين كانتا من صفات والده. ولا ندرى أأثمرت تعاليم والده فخطا نحو مرتبة عليا فى الحكومة — لأن الغرض من هذه التعاليم كما جاء فيها يرمى إلى العروج فى مراقى الوظائف — أم لم تثمر فبقى حيث كان.

وتقسيم متن هذا الكتاب إلى أبيات من الشعر ليس بالأمر العادى، وعندنا مثل واحد معروف من هذا النوع من الأسرة الثانية عشرة، وأعنى بذلك قصيدة «سنوسرت الثالث» المكتوبة فى ورقة «اللاهون» وكذلك عثرنا على مثلين فى الديموطيقى: (الأول) حوالى القرن الثانى قبل الميلاد، وهى قصيدة هجائية. (والثانى) يرجع تاريخه إلى القرن الأول بعد الميلاد، وهو مكتوب فى ورقة «ليدن» الخلقية.

(٢) التعاليم كتبت شعرا

وتقسيم التعاليم إلى فصول مرقومة شىء فريد فى المتون الهيراطيقية، غير أنه كرر فى ورقة «ليدن» نفسها الآنفة الذكر، وتحتوى على خمسة وعشرين فصلا فى الحكم الخلقية. أما من ناحية صياغة الشعر فليس هناك قافية ولا وزن معين، والتأثير الشعرى نلحظه فقط من المقابلة فى الأبيات.

وسطور هذه التعاليم مركبة من مقطوعات، كل مقطوعة مركبة من سطرين، وما شذ عن ذلك أتى من حذف سطر أو إدماج سطرين فى سطر واحد أو كتابة سطر واحد فى سطرين. وكذلك نجد مقطوعات مكونة من أربعة أسطر.

ولحسن الحظ وصلت إلينا كل هذه التعاليم كاملة من أولها إلى آخرها، فكان ذلك مساعدا لنا على قدر المستطاع أن نصل إلى كنهها وغايتها.

أمنموبى

(٣) يحمل رسالة خاصة للعالم

الواقع أن « أمنموبى » كانت له رسالة يحملها إلى العالم ، إذ أنه ترك النصائح العادية ظهريا . وأول ما يلفت نظر القارىء فى تعاليمه التى تتألف من ثلاثين فصلا شيئان : هما تدين هذا المؤلف الشاعر ، واعتداله . والواقع أنه لم يصلنا إلى الآن من الكتب المعروفة فى الأخلاق والتعليم عند المصريين القدامى ما يظهر لنا مثل هــذا الروح ؛ ولذلك يجب علينا أن نعتبر تعاليم « أمنموبى » من أمتع الكتب وأعظمها قيمة . ولقد كان مؤلفنا حريصا على أن يضع فى أول تعاليمه الغرض الأساسى من تأليفها فى الفصل الأول من كتابه ، وبخاصة فى السطرين الخامس والسادس . وقد كان أول من لفت النظر إلى ذلك هو الأستاذ « سبيجل » ، إذ أنه كان أول من فهم المعنى الحقيقى لهذين السطرين فيقول : إن هــذا الكتاب يحتوى على بداية درس الحياة والارشاد للخير ، وكل قواعد الانخراط بين كبار الموظفين وآداب معاملة رجال القصر . ثم يذكر لنا بعد ذلك فى السطرين الخامس والسادس ، وهما يعبران عن هدفه ، وليعرف كيف يجيب (شفويا) عن سؤال يلقى عليــه وأن يرد (كتابة) على مسألة لمن يستفسر عنها .

أما من الوجهة الدينية فنجد المؤلف قد ذكر فى تعاليمه عدة آلهة مختلفة وبالرغم من ذلك يرى القارىء الذى ينظر بعين فاحصة ويحس أن هناك قوة أخرى عظيمة خفية وراء تلك الأسماء الرمزية ، وهى الله العلى العظيم الذى لا إلــه غيره ؛ إذ الواقع أننا نجد خلافا لأسماء الآلهة التى جاء ذكرها فى التعاليم من مثل « تحوت » و « خنوم » و « رننوت » وغيرها ، أن « أمنموبى » يذكر لنا بصفة خاصة اسم الله أو الإلــه ، وهذا يطابق تماما ما جاء فى الدين الإسلامى ، مما يدل على أن « أمنموبى » كان لا يؤمن إلا بإلــه واحد ، وعلى ذلك كان لكل فرد أن يصور هذا الإلــه فى أية صورة شاء (انظر فيما يلى الكلام على لفظة الإلــه) . ولقد لاحظنا فى التعاليم السابقة التى فاه بها من سبقه من الحكماء ورجال الفكر أن الصلاح كان فضيلة ، وأن التفكير فى الموت والأبدية كان حافزا يدفع الإنسان إلى أن يسلك الصراط السوى فى الحياة الدنيا مخافة الله ، إذ أن الله هو الذى يسعد ويغنى ، ولكن كان التدين فى نظر « أمنموبى » يقوم بدور أعظم من ذلك ، إذ كانت فكرة وجود الله فى نظره هى المستوى

الذى وضعه أمامه لفهم الحياة . فالله هو الذى يجب أن يكون مدبراً لسكان سفينة الحياة ، وهو رب الأرزاق ؛ لذلك يجب على الإنسان ألا يخاف غيره ، وأن الكمال لله وحده ، وأن الإنسان هو المخطىء ، والحساب ينتظر المخطىء ، وأن محاولة الإنسان الوصول إلى الكمال ضرب من المحال . ومجمل القول أن الله هو القوى القهار ، وأن الإنسان خلق ضعيفا ، ومع ذلك فإن الله كذلك عادل فيمكن للإنسان أن يتكل عليه . والله يبارك العمل ، ويحب الخير وكرم الضيافة ، ولكنه مقت الملق والغش . وبعد الموت يكون الإنسان فى يدى الله (ما أسعد الذى قد وصل إلى الغرب (مات) وهو آمن مطمئن فى يدى الله) .

ولقد كان المثل الأعلى بين الناس فى نظر « أمنموبى » هو الرجل الرزين أى الرجل المتواضع المعتدل فى حياته . ولعمرى هل يستخلص الإنسان من هذا التواضع الذى أظهره لنا المؤلف — وهو على طرفى نقيض ، من حكماء العصور الماضية إذا قسناه بهم — أنه يصور لنا العقلية المصرية فى العصر الذى أخذت فيه البلاد تنحدر طبقا للضرورات السياسية التى فرضت عليها فى ذلك العهد ؟

ونقيض الرجل الرزين أو الحليم فى نظر « أمنموبى » هو الرجل الأحمق أى الحاد الطبع ، المندفع ، المتوحش ، الغضوب . ويجد القارىء أن المؤلف جعل مدح الرجل الرزين وذم الرجل المندفع من أهم النقط التى تناولها فى تعاليمه . فنرى هذا الحكيم الذى شاب فى تأدية عمله يذكر ابنه دائما بأن المثل الأعلى فى الحياة هو الرزانة (الصمت) .

وقد كان « أمنموبى » يسير على نهج غيره من الحكماء الذين سبقوه مثل « بتاح حتب » و « آنى » من جهة أنه كان يحث على الناحية الإنسانية العملية فى الحياة . فتراه يشير إلى واجبات الموظف فلا بد أن يكون عادلا مستقيما رحيما . ويطلب إليه أن يكون أمينا وأن يكون متسامحا مع الفقير ويحذره الغش فى الدفاتر ، وألا يسىء استعمال فن الكتابة السامى .

وكذلك نجد حكيمنا يضع قواعد لسلوك الإنسان مع أخيه الإنسان خارج أعماله الرسمية ويحض على ألا يختلط الإنسان إلا بمن هو على شاكلته ، وأن يتجنب محادثة العظماء (فصل ٢٦) ، وكذلك يجب على الإنسان ألا يتملق الأشراف ، بل يجب أن يكون مستقلا بنفسه عنهم ، ومع ذلك يكون مؤدبا نحوهم (فصل ١٤) وكذلك يجب عليه ألا يكون عالة على الأشراف العظام (فصل ٢٣) ولكن يجب عليه فى الوقت نفسه أن يعاملهم كما يعامل الإنسان من هو أسن منه بالاحترام والأدب (فصل ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧) . ويجب على الإنسان أن يكون طلقا فإن

البشاشة لا تكلفه شيئا (فصل ٢٦) ويحض «أمنموبى» على أن يكون الإنسان لين الجانب مع المرأة الفقيرة التى تجمع الحبوب من حقول الغلال ، وأن يكون حسن الضيافة للغريب ، (فصل ٢٨) وأن يكون رحيما بالأعمى والمقعد والأقزام (فصل ٢٧) ، وأن يهيء أسباب الراحة لمن يريد أن يعبر النهر من ضفة إلى ضفة ، وألا يأخذ الإنسان أجرا من عابر فقير (فصل ٢٩) .

وفضلا عن ذلك يجب على المرء ألا يتطاول على شريف ، وألا يعارض عظيما وإن أساء معاملته ، وحتى إذا لطمه فليضع يده على صدره ، فإن العظيم سيصبح فيما بعد مهادنا له ، لأن خضوعه سيسكن من حدته فيعطيه خبزا (فصل ٢٧) ، وليعمل على احترام الناس له باعتقال لسانه عن قول السوء (فصل ٨) ، وليكن بصيرا وحذرا ، وليكن حريصا مع من يحبون المتاعب وليرغب عن مخالطتهم (فصل ٢) ، وهذا شيء يسير مما جاء فى تعاليم « أمنموبى » ، ومنها يرى القارئ الفرق الشاسع بين ما كتبه وبين ما كان يكتبه حكماء العصور التى سبقته . فلا غرابة إذن أن تعد هذه التعاليم بحق مصدرا عظيما للأمم المجاورة وبخاصة فلسطين التى كانت تعتبر مصر الأم التى ترضعها لبان العلم والعرفان .

الآلهة التى ذكرت فى التعاليم

لقد جاء ذكر آلهة عدة من الآلهة المصريين فى سياق هـذه التعاليم . والإشارة إليها لها فائدتها للمشتغل بالديانة المصرية القديمة .

وبعض هذه الآلهة له علاقة بصناعة الكاتب ، والبعض الآخر له مساس بالموضوعات العامة .

١ — « **إله الشمس** » : « رع » أى الشمس وهو الذى يتجه الناس إلى قرصه « أتون » بصلواتهم فى الصباح . ويعتبر الإلـه المسيطر الذى يعمل كل الصالحين لكسب رضاه .

المقطوعة ١٠ : ١٢ — ١٥ (بدلا من البحث وراء الثروة) .

يجب أن تصلى إلى « أتون » حينما يشرق
قائلا « امنحنى الفلاح والصحة »
وسيعطيك ماتحتاج إليه فى الحياة
وستكون آمنا من الخوف .

المقطوعة ٢٥ : ١٧ — ٢١ ، ٢٦ : ١

لاتسبن من هو أكبر منك سناً
لأنه شاهد « رع » قبلك
ولا تجعله يتهمك إلى قرص الشمس عند شروقه
قائلا « شاب آخر قد سب مسناً »
فإنه مؤلم أمام « رع »
أن يسب شاب رجلا مسناً

المقطوعة ٧ : ٨ (الرزين)

فإنهم يقولون : « إن أهم شيء هو رضاء « رع » »
ومن المحتمل أن مثلا حكيما يظهر فيه :

المقطوعة ٢٥ : ٥

« إن «رع» يساعد من بعيد» ويقصد : ولكنه خطر لمن يقترب منه . والصل المنتقم الذي يوضع على جبهة « رع » وكذلك الثعبان «أبوبى» الضخم عدو « رع » كلاهما مخيف ، قد ورد ذكرهما ليوضحا الفائدة التي تعود على الإنسان من اكتساب سمعة حسنة .

مقطوعة ١٠ : ١٩ — ٢٠

فالإنسان يرحب بالصل
ويبصق على الثعبان « أبوبى »
ومكيال الغلال الذي لعب دورا هاما في حياة الكاتب المصري هو عين إله الشمس ، ويطلق عليه اسم « وزيت » أي عين « حور » أو عين « رع »

وهذا المبدأ القديم لتشجيع الأمانة كان شائعا من قبل تعاليم «امنموبى» هذا بزمن بعيد . وقد شرح أحد العلماء الألمان «جورج ملر» أن الإشارات الدالة على تقسيم مكيال الغلال إلى $\frac{1}{2}$ = ⟨علامة⟩ ، $\frac{1}{4}$ = ○ ، $\frac{1}{8}$ = ⌒ ، $\frac{1}{16}$ = ⟨علامة⟩ ، $\frac{1}{32}$ = ⟨علامة⟩ ، $\frac{1}{64}$ = | تتفق مع الأجزاء الستة التي تتركب منها صورة العين .

٢ — « **الحظ** » : كان «شاى» «المرتب» ورننت «المربية» إلـه الحظ وإلهـته ، وكذلك إلهـة الحصاد ، وقد ظهرت «رننت » فى مناظر الحصاد وعصير الخمر فى قبور الدولة الحديثة على شكل ثعبان « cobra » . ونشاهد «شاى» « ورننت » يمثلان الحظ فى منظر وزن الروح فى كتاب الموتى فصل ١٢٥ فى ورقة « آنى » وورقة « أنهاى » : ففى الأولى نجد أنهما مثلا بشكل آدمى ، وفى الثانية فى شكل قالبين من اللبن للولادة برأس آدمى ليدلا على حظ الإنسان . ويقول « أمنموبى » فى :

مقطوعة ٩ : ١٠ — ١٣

لاتندفعن بقلبك وراء الثروة
إذ لا يمكن تجاهل « شاى » و « رننت »
ولا توجهن أفكارك إلى أشياء فى الخارج
فكل إنسان مقدر له ساعته [خيره موكل بحظه]

مقطوعة ٢١ : ١٣ — ١٦

لاتزيفن فى الدخل على دفاترك
وبذلك تفسد تدبير الإلـه
لاتجلبن على نفسك غضب الإلـه
بدون قرار « شاى » و « رننت » (إله وإلهة)

٣ — « **الإله خنوم** » : وظيفة هذا الإلـه تشكيل الإنسان على عجلة صانع الفخار . وهذه فكرة سائدة ، ونجدها ممثلة فى معبد « الدير البحرى » وفى معابد العصر الإغريقى الرومانى ، وكان يعد الإلـه الرئيسى فى بلدة «شطب» حيث نجد أن «شاى» إلـه الحظ كان إلهـا ثانويا مرافقا له ، حسبما جاء فى قطعة من النقوش يرجع عهدها إلى أواخر الدولة الحديثة

مقطوعة ١٢ : ١٥ — ١٧ (أما من جهة الرجل الأحمق)

ليت الإله « خنوم » يحضر حقا حقا
عجلة صانع الفخار لصاحب الفم النارى
حتى يشكل ويصهر القلوب مثل الأوانى (ويصلح سبله)
(وإنه مثل . .)

٤ — **الاله الثالث** : يعتبر « تحوت » إلـه الاختراع والعلم وإلـه كل صناعات الـكاتب ،
وكان القرد الذى يمثله يرسم فى كل مصلحة حكومية لينظم أعمـال
الـكتاب الـكبير منهـم والصغير . ونجد له مكانة بارزة فى تعاليم
« أمنموبى » . وقد ظهر اسمه مرة فى الفصل السادس عشر ١٨ : ٢
والقرد ذكر فى نفس المتن وكذلك فى مقطوعة ١٧ : ٩ « تحوت »
مخترعا وحارسا

مقطوعة ١٧ : ٢٢ — ١٨ : ٣ (لا تغشن الموازين والمـكاييل)

فإن القرد يجلس بجوار الميزان
وقلبه اللسان (الميزان)
وأين يوجد إلـه عظيم مثل « تحوت »
الـكاشف لهذه الأشياء ليصنعها ؟
لاتصنعن لنفسك موازين منقوصة
فإنها تصير جيوشا عدة بقوة الإلـه
ومن مظاهر « تحوت » الطائر « إيبيس » (أبو قردان)

مقطوعة ١٧ : ٧ — ١٢

فإن منقار « إيبيس » هو أصبع الـكاتب
واحذر من إزعاجه
فالقرد يسكن فى بيت « الأشمونين »
غير أن عينيه تطوفان حول الأرضين
فإذا رأى من يضر بإصبعه
فإنه يرمى بطعامه إلى اللجة العميقة .

ويحتمل هنا أن عين القرد يقصد بها القمر ، وعلى أية حال فإن
« تحوت » يمثل إلـه القمر . ونجد فى تعاليم « أمنموبى » أن القمر فى
الليل يكشف عن الخيانة . وعند ما يكون الرجل الأحمق المرتـكب
للخطأ على شفا الموت فإن « تحوت » ينادى (عنـد محـاكمة
«أوزير») بإدانته .

مقطوعة ٤ : ١٩

وأنت أيها القمر (تحوت) أظهر جريمته

ومقطوعة ٧ : ١٨ — ١٩ (من يتعد على أرض الآخر)

فإنه إذا تصيده بالأيمان الكاذبة

فإن بطش القمر يوقعه فى حبائله

٥ — « **الله** » : قد جاء فى التعاليم ذكر « الله » فقط بدون ذكر اسم إلـه معين وكذلك جاء ذكر لفظة « الإلـه » وليس هناك فرق بينهما فى الغرض .

اليد : جاء ذكر يد الله دائما فى مقطوعة ٩ : ٥ ؛ ١٤ : ١ ؛ ١٩ : ٢٢ ؛ ٢٤ : ١١ ، ٢٠ ؛ ٢٦ : ٢٠

و « يدى الله » فى مقطوعة ٢٢ : ٧ ؛ ٣٣ : ١٠

ولكننا نجد « أنف الإلـه » (منقار إيبيس) فى مقطوعة ٢٤ : ٤

و« قوة الإلـه » فى مقطوعة ١١ : ؛ ٥ ؛ ١٨ : ٥ ؛ ٢١ : ١٥

و« تدبير الإلـه » فى مقطوعة ٢١ : ١٤ ؛ ٢٢ : ٥

و« لعنة الإلـه » فى مقطوعة ١٣ : ١٦ ؛ ١٥ : ٢١

و« كره الإلـه » فى مقطوعة ١٤ : ٢

و« حب الإلـه » فى مقطوعة ٢٦ : ١٣

وقد رأى حكماء مصر بثاقب فكرهم ماوراء معتقدات العامة والمعبودات المحلية الخاصة ببلادهم من الأثر . ولم يُكشف من بين كتبهم إلى الآن كتاب أظهر أمامنا هذه الفكرة عن تلك المعتقدات وأبرزها بشىء كثير من الوضوح مثل كتاب « أمنموبى » هذا ، فضلا عن أن تعاليمه ملأى بالتقوى . ولا غرابة إذا قلنا إن ديانة « أمنموبى » فى أصلها ديانة توحيد . وإن كان هذا الحكيم قد استعمل خرافات عامية ليؤكد أفكاره .

وقد يكون من العبث فى كثير من الحالات أن نبحث عن آلهة فردية معينة فى حين أنه يسمى ربه بلفظة الله أو الإلـه فحسب .

سفر الأمثال نقل عن ترجمة لا عن أصل مصرى .

ويرى شيخ علماء المصريات « أرمن » أنه فى وقت ما قد ترجمت هذه التعاليم إلى العبرية أو إلى الآرامية ، وأن الذى جمع « سفر الأمثال » فى التوراة قد استعمل الترجمة غير أنه أفسد المعنى عند الاستعارة . أما الدكتور « جرسمان » فله رأى آخر إذ يقول : إن الاستعارة لم تأت من طريق نقل الألفاظ مباشرة ، بل نقلت الأفكار وظهرت فى ثوب جديد حسبما تقتضيه الحاجة .

ويعزز رأى « أرمن » مثل ظاهر ، وهو كلمة « ثلاثون » فإنها تكون كلمة لا فائدة منها ولا معنى لها فى ثوبها الجديد أى فى « سفر الأمثال » ولكنه فسرها كما يأتى :

قسمت تعاليم « أمنموبى » إلى ثلاثين فصلا ، ومن ثم أخذها المؤلف العبرى فى القسم الثالث من سفر الأمثال قاعدة لمجموعته التى أخذ يؤلفها من ثلاثين حكمة ، ولذلك أشار إليها بحق فى جملة تشابه الجملة التى أشار بها إلى هذا العدد « أمنموبى » فى مؤلفه .

ويقول الأستاذ « جرسمان » إنه عندما أخذ العبرانيون بأسباب المدنية فى حكم « سليمان » وخلفائه كانوا يتطلعون بخاصة إلى مصر وبابل لتعلم فنون الحياة . ولا غرابة إذا كان الكاتب الملكى — مثل « حزقيا شبنا » — عبداً أجنبيا ذا تربية عالية ، وكان فى قدرته أن ينصح الملك من كتبه وتجاربه فيما يتعلق بشئون العالم العظيم . وكان فى وسعه كذلك أن يتكلم ويقرأ ويكتب لغة السياسة التى كانت فى هذا العصر « اللغة الآرامية » ، والواقع أنه كان وزير الخارجية .

على أن ذكر « رجال حزقيا » الذين نقلوا القسم الخامس من الأمثال (من فصل ٢٥ — ٢٦) يدلنا على العصر الذى كان فيه إنشاء محتويات « سفر الأمثال » قائما على قدم وساق .

ونشاهد أن الدول الراقيــة قد لحظت ضرورة التفاهم فيما بينها ، ويدلنا على ذلك مراسلات « تل العمارنة » ، ومراسلات « بوغاز كوى » ، والألفاظ الأجنبية الكثيرة التى نجدها فى اللغة المصرية فى عهد الدولة الحديثة .

ويظن الدكتور « جرسمان » أن كلمة « ماهر » التى فى ورقة « انسطاسى رقم ١ » ، وفى متون أخرى من متون الأسرة التاسعة عشرة ، تدل على جندى ، ترجمان ، كاتب ، كانت وظيفته أن يتعلم اللغات الأجنبية وعلم الجغرافيا . وهو يشبه فى ذلك الضباط الحاليين .

كتاب « سفر الأمثال »

وتعاليم « أمنموبى »

ظهر عدد عظيم من الأقوال المأثورة أمثالا فى « سفر الأمثـال » العبرى ، وقد وجد ما يشابهها فى تعاليم « أمنموبى » مشابهة قوية فى الأفـكار وفى الأساليب ، ممـا أثار موضوعا طريفا للبحث ذا أهمية عظمى لعلماء كتاب « العهد القديم » . ولا يخفى أن بعض المقابلات فى هذه الأمثال مما يوجد فى كتابات الحكماء فى كل البلاد وكل العصور . على أن هناك أمثالا أخرى ليست بالقليلة تلفت النظر بشبهها العظيم فى كلا الـكتابين ، ممـا أوجد النظرية القائلة بأنها ترجع إلى أصل واحد ، فتكون هذه الأمثال العبرانية قد نقلت عن تعاليم « أمنموبى » أو أن كلا من « العهد القديم » و « أمنموبى » أخذها من كتابات قديمة .

وقد لفت ما وجد متشابها فى كتاب « أمنموبى » وفى كتاب « سفر الأمثال » علمـاء الألمان من المشتغلين بدرس كتاب العهد القديم ، وخلق لهم موضوعا جديدا ، وهو البحث عن الصلة بين الآداب العبرية ومدنيتها ، ومصر القديمة .

وأول من بحث فى هـذا هو « أدولف أرمن » و « زيته » و « هيوبرت جريم » . وقد ألقى كل منهم بعض الضوء على علاقة الكتابين بعضهما ببعض ، ولكن البحث المستفيض فى هذا الموضوع يرجع الفضل فيه إلى « هوجو جرسمان » فى مقالته المشهورة :

'Die neugefundene Lehre des Amen-emope und die vorexilische Spruchdichtung Israels in Zeitscher. f. d. Altest Wiss 1924, 272—296'.

وفى كتابه الصغير :

'Israels Spruchweisheit im Zusammenhang der Weltliteratur'.

وفى هذين الـكتابين شرح آراءه بالنسبة إلى العلاقة بين بعض أجزاء كتاب سفر الأمثال وتعاليم « أمنموبى » .

وفيما يلى ما جاء فى كتاب سفر الأمثال رصدناه حذاء ما جاء فى تعاليم « أمنموبى » جنبا لجنب حتى يرى القارىء القرابة بين الاثنين .

والواقع أن كتاب سفر الأمثال قد استعار أمثاله هـذه من كتاب « أمنموبى » . والرأى القائل بأن « أمنموبى » قد أخذ من غيره ثم استعير منه سفر الأمثال لا يستند على حجة قوية إلى الآن . وهاك المقارنة :

« سفر الأمثال »

فصل ٦ : ٢١

اربطها على قلبك دائما ، قلد بها عنقك

فصل ١٢ :٢٢

شفتا الزور رجس عند الرب والعاملون
بالصدق مرضاته

فصل ١٢ : ٢٣

الرجل الذكى يستر المعرفة
وقلب الجاهل ينادى بالحمق

فصل ١٥ : ١٦ ، ١٧

القليل مع مخافة الرب خير من كنز
عظيم مع الاضطراب .
أكلة من البقول مع المحبة خير من ثور
معلوف مع البغضة .

فصل ١٦ : ٨

القليل مع العدل خير من الغلال
الكثيرة بغير حق .

تعاليم « أمنموبى »

مقطوعة ٣ : ١١ — ١٣

وإنه لمن الخير أن تضعها فى لبك
ولكن الويل لمن يهملها
ثم دعها تستقر فى صندوق بطنك

مقطوعة ١٣ : ١٥ — ١٦

لا تتكلمن مع إنسان كذبا
فذلك ما عقته الله
[ثم يقول تأكيدا لهذا]

مقطوعة ١٤ : ٢ — ٣

إنه لممقوت من الله من يزور فى كلام
لأن أكبر شىء يكرهه هو النفاق ؟

مقطوعة ٢٢ : ١٥ — ١٦

والرجل الذى يخفى أخباره فى نفسه
خير من الذى يفشى شيئاً لضرره

مقطوعة ٩ : ٥ — ٨

والفقر على يد الله
خير من الغنى فى المخازن
وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير
لك من ثروة مع شقاء

مقطوعة ١٦ : — ١١ — ١٤

وخير للإنسان مدح الناس وحبهم
له من الثراء فى المخازن
وخير للإنسان أكل الخبز مع قلب

« سفر الأمثال »

فصل ١٦ : ٩

قلب الإنسان يفكر فى طريقه والربّ يهدى خطواته

فصل ١٦ : ١١

للرب قبان القسط وميزانه . كل معايير الكيس عمله

فصل ١٧ : ٥

المستهزىء بالمعوز يعيِّر صانعه والشامت للعطب لايتزكى

فصل ١٨ : ٦

شفتا الجاهل تدخلان فى الخصام وفمه يدعو إلى التضارب

فصل ١٩ : ٢١

فى قلب الإنسان أفكار كثيرة لكن مشورة الرب هى تثبت

تعاليم « أمنموبى »

سعيد من الثراء مع الكدر

مقطوعة ١٩ : ١٦

والكلمات التى يقولها الناس شىء
والأشياء التى يفعلها الله شىء آخر

مقطوعة ١٧ : ٢٢ — ١٨ : ١ — ٥

فإن القرد يجلس بجوار الميزان
وقلبه اللسان (الميزان)
وأين يوجد إله عظيم مثل « تحوت »
الكاشف لهذه الأشياء ليصنعها ؟
لا تصنعن لنفسك موازين منقوصة
فانها تزخر بجيوش عدة بقوة الإله

مقطوعة ٢٤ : ٩ — ١٢

لا تسخرن من أعمى ولا تهزأن من قزم ولا تفسدن مقاصد رجل أعرج
ولا تحفظن رجلا فى يد الله
ولا تكونن عابس الوجه حينما يكون قد تعدى الحدود

مقطوعة ١٢ : ٥

ويجيب بجواب يستحق الضرب

مقطوعة ١٩ : ١٥ — ١٦

والله دائما فى فلاحه
والإنسان دائما فى خيبته

« سفر الأمثال »

فصل ٢٠ : ٩

من يقول إنى زكيت قلبى تطهرت من خطيئتى .

فصل ٢٠ : ١٩

الساعى بالنميمة يفشى الأسرار
فلا تخالط فاغر الشفتين

فصل ٢٠ : ٢٢

لا تقل أجزى على الشر

بل انتظر الرب فيخلصك

فصل ٢٠ : ٢٣

معيار ومعيار رجس عند الرب وميزان الغش ليس بصالح

تعاليم « أمنموبى »

مقطوعة ١٩ : ١٨

ولا تقولن « ليس لى جريمة »

مقطوعة ٢٢ : ١٣ — ١٤

ولا تنشرن أقوالك لآخر
ولا تصاحبن إنسانا يكشف عما فى قلبه

مقطوعة ٢٢ : ٣ — ٦ ، ٧ — ٨

ولا تقولن أوجد لى مخلصا
لأن رجلا يكرهنى قد أضر بى
وحقا أنك لا تعرف تدابير الله
ولا يمكنك أن تعرف الغد
فاجلس بين يدى الله
ورزانتك ستتغلب عليهم

مقطوعة ١٧ : ١٨ — ١٩

لا تتلاعبن فى كفتى الميزان ولا تغشن الموازين ولا تنقصن من أجزاء مكاييل الغلال

وإذا كنا لم نلاحظ تشابها دقيقا فى الأمثلة السابقة وما يقابلها فى تعاليم « أمنموبى » فإن الموازنة فيما سنذكره بعد ستسفر لنا عن شبه قوى دقيق يدعو إلى الدهشة . بل سنرى فصولا بأكملها فى كتاب سفر الأمثال قد أخذت عن تعاليم « أمنموبى » بنفس الترتيب الذى كتبت به .

فصل ٢٢ :

١٧ — أمل أذنك واسمع كلام الحكماء

مقطوعة ٣ :

٩ — أسلم أذنيك واسمع (الكلمات)

« سفر الأمثال »	تعاليم « أمنموبى »
ووجه قلبك إلى علمى	التى تقال واشحذ فكرك لتفسرها
١٨ — فإنه يلذ إذا حفظته فى باطنك	١١ — وإنه لمن الخير أن تضعها فى قلبك
	[١٢ — ١٥ ليس لها ما يقابلها فى سفر الأمثال]
ويفيض أيضا على شفتيك[1]	١٦ — فإنها ستكون بمثابة وخز للسانك
١٩ —	مقطوعة ١ : ٧
إنى ليكون اتكالك على الرب علمتك اليوم[2]	ليرشده إلى سبيل الحياة
٢٠ — ها إنى كتبت لك حكما جليلة من المشورة والعلم[3]	مقطوعة ٢٧ : ٧ — ٨ تأمل لنفسك هذه الفصول الثلاثين فإنها تمتع وتعلم
٢١ —	مقطوعة ١ : ٥ — ٦
لأعلمك حقيقة أقوال الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك	ليعرف الإجابة (شفويا) عن سؤال يلقى عليه والرد على مسألة لمن يستفسر عنها
٢٢ —	مقطوعة ٤ : ٤ — ٥
لاتسلب الفقير لكونه فقيرا ولا تسحق البائس عند الباب	احذر أن تسلب فقيرا معدما وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح

---

(١) بحسب « جرسمان » و « سلن » هى — أى الكلمات — إذا وعيتها كانت بمثابة وتد لشفتيك .

(٢) ويرى « سلن » و « جرسمان » أن يضاف الى هذا « سبيل الحياة »

(٣) واستنادا الى « سمبسن » تقرأ هذه الحكمة :

« ألم أكتب لك ثلاثين فصلا من المشورة والعلم ؟ »

« سفر الأمثال »	تعاليم « أمنموبى »
٢٣ — [لا يقابلها شىء فى أمنموبى]	
٢٤ — لا تصاحب الرجل الغضوب ولا تساير الإنسان الحنق	مقطوعة ١١ : ١٣ — ١٤ لا تخالطن الرجل الأحمق ولا تدنُ منه للمحادثة
٢٥ — لئلا تتعلم سبله وتأخذ لنفسك وهناً	مقطوعة ١٣ : ٨ — ٩ فلا تقفزن لتنضم إلى هـذا الرجل وإلا يذهب بك الفزع
٢٦ ، ٢٧ — [لايقابلها شىء فى التعاليم]	
٢٨ — لا تزح الحـدود القديمة التى وضعها آباؤك	مقطوعة ٧ : ١٢ — ١٣ لاتزحزحنّ الحد الفاصل بين الحقول ولا تحولن موقع خيط القياس

[سيأتى ذكر هذا مرة ثانية تحت الفصل ٢٣ : ١٠]

٢٩ — أرأيت الإنسان الذى يجد فى عمله ! إنه يقف أمام الملوك ولا يقف أمام الخاملين .	مقطوعة ٢٧ : ١٦ — ١٧ أما من جهـة الـكاتب المدرب فى وظيفته فإنه سيجد نفسه أهلا لأن يكون من رجال البلاط
فصل ٢٣ :	مقطوعة ٢٣ : ١٣ — ١٨
١ — إذا جلست تأكل مع ذى سلطة فتأمل أشد التأمل فيما أمامك ٢ — وضع سكينا لحنجرتك إن كنت ذا شره ٣ — لاتشته أطايبها فإنها طعام غرور	لاتأكلن الخبز فى حضرة الشريف ولا تـكن أول من يلوك فمه وإذا كنت مرتاحا للمضغ الـكاذب فإن ذلك يكون مجرد تسلية انظر إلى الوعاء الذى أمامك واجعله يكفى حاجتك .

« سفر الأمثال »

— ٤

لا تتعب لتستغنى

عد عن فطنتك هذه[1]

٥ (ا)أتطمح عيناك إلى ما لا يكون[2]

٥ (ب) —

إن الغنى قد صنع لنفسه جناحين

وطار كالنسر إلى السماء

— ٦

لا تأكل خبز شرير العين

ولا تشته أطايبه

تعاليم « أمنموبى »

مقطوعة ٩ : ١٤ — ٢٠

لا تجهـدن نفسك فى طلب المزيد

عندما تكون قد حصلت (بالفعل)

على حاجتك

لأن الثروة لو أتت لك عن طريق

السرقة فإنها لا تمكث معك سواد

الليـل

إذ عند مطلع الفجر لا تكون فى

بيتك وسترى مكانها ولـكنها تختفى

فربما فغرت الأرض فاها فتأخذها

وتبتلعها

مقطوعة ١٠ : ١ — ٣

وتغوص بها فى « تاى » العالم السفلى

أو أنهـا تعمل لنفسها كهفا كبيرا

بقدر حجمها

ثم تغيض بنفسها فى مخزن الغـلال

مقطوعة ١٠ : ٤ — ٥

أو أنها تعمل لنفسها أجنحة كالإوز

وتصعد فى السماء

مقطوعة ١٤ : ٥ — ٦

لا تقتنصن متاع تابع

ولا تتطلعن لخبزه

---

(١) يدلنا الوزن على أن هناك كلمة محذوفة . إلا أننا نلاحظ أن « سمبسن » ذكر هذه الحكمة مختلفة اختلافا تاما ، إذ يقول : « قف عن الاستعداد للقوة » وهو يرى أن الحكمة المشار إليها فى وضعها الحالى تؤدى معنى الأسطر ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من تعاليم أمنموبى على وجه موجز

(٢) ذكرها « سمبسن » بالشكل الآتى : «ألم يعمل مجهودك لنفسه أجنحة ثم أصبح كأن لم يكن»

« سفر الأمثال »

٧ (ا) —
فإنه كما نوى فى نفسه كذلك يكون

٧ (ب) —
يقول لك كل واشرب وقلبه ليس معك

٨ —
لقمتك التى أكلتها تقيئها وتضيع كلماتك العذبة

٩ —
لا تتكلم فى مسمع الجاهل فإنه يستهين عما فى أقوالك من التعقل

١٠ —
لا تزح الحدود القديمة ولا تدخل حقول الأيتام

تعاليم « أمنموبى »

مقطوعة ١٤ : ٧ — ٨
والواقع أن متاع التابع شجا للحلق
ومقيء للزور

مقطوعة ١٤ : ٩ — ١٠
وعندما يحصل عليها بالأيمان الكاذبة
تنعكس رغبته ببطنه

مقطوعة ١٤ : ١١ — ١٦
[ليس لها ما يقابلها فى كتاب سفر الأمثال]

مقطوعة ١٤ : ١٧ — ١٨
ولقمتك الضخمة من الخبز تلتهمها وتقيئها
وأنت إذن قد جردت من متاعك

مقطوعة ٢٢ : ١١ — ١٢
لا تفضين بقرارة نفسك إلى كل إنسان ولا تتلفن بذلك نفوذك

مقطوعة ٧ : ١٢ — ١٥ ، ٨ : ٩
لا تزحزحن الحد الفاصل بين الحقول
ولا تحولن موقع خيط القياس
ولا تطمعن فى ذراع واحد من الأرض
ولا تقذفن بحدود الأرملة (أى لا تعتد عليها)
احترس من أن تنير حدود الأرض المنزرعة

« سفر الأمثال »	تعاليم « أمنموبى »
١١ —	مقطوعة ٨ : ١٠
فإن وليهم مقتدر وهو يخاصم لخصومتهم معك	وإلا يذهب بك الفزع
فصل ٢٤ : ١١	مقطوعة ١١ : ٦ — ٧
أنقذ المسوقين إلى الموت	لا تصيحن «جريمة» فى وجه إنسان
ولا تخذل المقودين إلى القتل	عندما يكون سبب فراره خفيًا
٣٩ —	مقطوعة ٥ : ٢
لا تقل كما صنع بى هكذا أصنع به	لأننا لا نرتكب ما ارتكبه

قد تكون الموازنة فيما سنذكره بعد غير واضحة . لكننى أرى أن الأمثال وما يقابلها من تعاليم « أمنموبى » كانت نواة « العهد الجديد » وهى التى نسج عليها الحكماء العبرانيون والمصريون مثلهم العليا .

« سفر الأمثال »	تعاليم « أمنموبى »
فصل ٢٥ : ٢١	مقطوعة ٥ : ١ — ٦
إن جاع مبغضك فأطعمه خبزا	حرك الدفة حتى يمكن الرجل الخبيث
وإن عطش فاسقه ماء	أن يعبر إلينا (؟)
	لأننا لا نرتكب ما ارتكبه
	ارفعه ومد يدك له
	وأسلمه إلى ذراعى الإله
	واملأ جوفه بخبزك
	حتى يشبع ويعى
فصل ٢٧ : ١	مقطوعة ٢٢ : ٥ — ٦
لا تفتخر بيوم الغد	وحقا أنك لا تعرف تدابير الله
فإنك لا تعلم ماذا يلد ذلك اليوم	ولا يمكنك أن تعرف الغد

« سفر الأمثال »

فصل ٢٧ : ١٤

من بارك صديقه بصوت جهير فى الصباح
مبكرا تحسب بركته لعنة

تعاليم « أمنموبى »

مقطوعة ١٣ : ١١ — ١٤

لا تصافحن قرنك الأحمق على الرغم منك
ولا تحزنن قلبك من أجل ذلك
ولا تقولن له « السلام عليكم » رياء
عندما يكون فى باطنك حقد

وأما الفصول الباقية من كتاب « سفر الأمثال » فهى بعيدة عن موضوع بحثنا ، إذ أن التشابه بينها وبين تعاليم « أمنموبى » معدوم . وقد عالجها العالم « جرسمان » تأييدا لنظريته القائلة بأن المدنية والأدب القديم كانا إرثاً مشاعاً بين الدول المختلفة .

التأملات

إن هذه التسمية وإن كانت تشير إلى موضوعنا إلا أنها لا تنتظم كل نواحيه ، فليس موضوع القطع التى سنعرضها قاصراً على التأمل والتفكير ، بل إنه يرمى فوق ذلك إلى غرض اجتماعى عظيم هو إصلاح الحال ، وتدبير أمور الناس ، وضبط ما اختل من أصول المجتمع الذى يضم شتيتهم ويسير بسفينتهم .

وقد أخذ هذا النوع من الأدب يظهر فى البلاد على أثر سقوط الدولة القديمة مباشرة ، فقد كانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات ، تتفزع فيها البلاد من وقت لآخر بغزو الأجانب وشرور الثائرين . فلم يأمن الأحياء فى بيوتهم أن يُسرقوا أو يقتلوا ، ولم يأمن الموتى فى أهرامهم أن يسلبوا وينهبوا ، حتى عمت البلاد موجة من الذعر والهلع وتطلع الناس إلى يد رحيمة تضمد جراحهم وتسكب عليهم فيضا من الأمن والاطمئنان . بهذه الحال تأثرت القلوب فانطلقت الأقلام تصف الكارثة ، وتلتمس فى عماية الفوضى مسلكا نيرا يصل بالبلاد إلى مأمنها ، ويغلب عليها الأمل حينا فتتنبأ بمستقبل باسم ، وتبشر نفسها بعهد سعيد مزهر دائم .

وإذا كانت العصور الحديثة قد علمتنا أن للأدب وحيا ، وأن هذا الوحى تتشربه النفوس ويصل إلى موضع الإحساس من القلوب فيدفع بالإنسان إلى الغاية التى رسمها القلم وهدف إليها الكاتب أو الأديب ، فإننا نجد كذلك أن رجال العهد القديم قد أدركوا أن للأدب أثراً فعالا فاتخذوه وسيلتهم إلى التقويم والإصلاح .

وكما أن شارلز ريد فى عصرنا هذا وصل إلى غايته من إصلاح السجون فى انجلترا بقصته Charles Rede, It is Never Too late To mend ، وكما أن قصة كوخ العم «توم» للكاتبة الأمريكية (= Hariette Beecher, "Uncle Tom's Cabin.") حققت هدفها فى نصرة زنوج أمريكا ، والسيد عبد الله النديم نجح فى تنبيه المصريين إلى حقوقهم المسلوبة من طريق الكتابة والرواية وسحر القلم ، فكذلك كان كتابنا القدامى يلجئون إلى الكتابة كعلاج يسكنون به ما حاق بالأمة من أمراض وأوجاع ، ويلتمسون من نقيعها البرء والشفاء لجسم الأمة المريض المنكوب . ولقد وصل الكتاب المصريون القدامى إلى هدفهم أيضا ، فبدأ صلاح الحال على يد الملك العظيم « أمنمحات » مؤسس الأسرة الثانية عشرة .

وسنعرض هذه التأملات تباعاً مراعين فى سردها الترتيب الزمنى لكل منها على قدر ما وصل إليه استنتاجنا .

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد

شجار بين إنسان سئم الحياة و بين روحه

مقدمة

لقد كان من نتائج تدهور البلاد وتمزيق أوصالها فى العهد الاقطاعى أن عمت الفوضى ، وساءت الأخلاق ، وفسدت العقائد الدينية إلى درجة يقصرعنها الوصف ، حتى إن الجم الغفير من الناس وخاصة المتعلمين منهم قد اعتنقوا مذهب التشكك ، فألقوا بتعاليم آبائهم ظهريا ، ورأوا الحياة مسرحا لإشباع الشهوات النفسية وداراً لترك حسن الأحدوثة بعد الموت . وقد أعقبت هذه الأفكار عند بعض الناس حالة من سوء الظن لا يرجى معها خير ، وساءت الأخلاق ووقع الناس فى الإثم إلى الأذقان ، ولم يهتموا بحسن الأحدوثة التى كانوا من قبل شديدى الاحتفال بهـا ، كما نشاهد ذلك فى أغنية الضارب على العود التى سنوردها فى فصل الغناء .

وهذا الموقف الغريب الغامض الذى نشاهده فى حالة مصر قد مثل لنا فى ورقة هامة محفوظة الآن فى متحف برلين ، وهى الوثيقة التى سميتها « شجار بين إنسان سئم الحياة وبين روحه » . ولا يفوتنا أن نذكر القارىء هنا بأن العنوان الأصلى قد فقد بسبب تهشم الورقة ، وقد كان الاعتقاد عند المصريين أن الروح كائن حى مستقل عن جسد الإنسان ويمكنه أن ينضم إليه عند الموت وتمكنه كذلك أن يقف بجانبه موقف إخلاص .

وموضوع هذه المحـاورة العام هو التشاؤم المخيم الذى نتج من الحالة السالفة الذكر واليأس الذى أفضى إلى الموت ، والموت هو المخلص الوحيـد من حياة عابثة شقية ، ولا يحفز المصرى القديم إلى اختيار مثل هذا الموضوع فى عهود التاريخ الأولى إلا إذا كانت الحالة قد وصلت إلى حد الحرج والألم . فهذا الموضوع يدل على الحالة العقلية والتجارب الباطنة التى جربتها شخصية معذبة كانت تتألم مما حاق بها من الظلم وسوء الطالع ؛ وبذلك يعد هـذا الموضوع أقدم قطعة أدبية لبابها تجربة روحية وشعور شخص نحو الحياة فى تلك العصور البائدة ، وهى فى نظرنا تعد أقدم كتاب يمثل لنا صورة من قصة نبى الله « أيوب » المبتلى عليه السلام وقد كتب هذا المقال طبعا قبل أن تظهر قصته بنحو ألف وخمسمائة سنة .

ومما يؤسفنا أن المقدمة التى تقص علينا أسباب ذلك الاضطراب الروحى قد فقدت مع العنوان الذى سميت به القصة . غير أن بعض الحقائق التى كان يجب أن تحتويها تلك المقدمة والتى كانت تضع أمامنا أسباب تلك المحاورات يمكن استنباطها من المحاورات ذاتها .

والمتشائم الذى نحن بصدده (لأننا لم نعرف له اسما) كان رجلا لطيف الروح ، ولكنه قد دهمه الحظ العاثر ولازمه المرض فابتعد عنه أصدقاؤه حتى إخوته الذين فُرض عليهم سواساته فى مرضه ، ولم يجد فى دنياه خلا وفيا .

وفى وسط هذه الغمرة التى طوته بين لججها مرق جيرانه متاعه ونسوا ما عمله معهم من صالح بالأمس .

وبالرغم من أنه عرف بالحكمة فقد حيل بينه وبين الدفاع عن حقه وقد حكم عليه ظلما ؛ فلوث اسمه وهو الجدير بالاحترام ، وبدت سيرته خبيثة الرائحة تزكم الأنوف ، وإن كانت فى حقيقتها نقية طاهرة .

وفى ذلك الوقت العصيب عندما كان يسبح فى ظلمات اليأس بدت له بارقة من الراحة فى الانتحار ، فنراه على حافة القبر وروحه تفر فزعة من الظلمة وتأبى عليه أن تطاوعه فى فعلته تلك . ثم ندرك من محاورة طويلة أن ذلك المنكود الطالع كان يتكلم مع نفسه ، ويناجى شخصاً جرده من روحه كأنه يتحدث مع ذات أخرى .

وقد كان أول الأسباب التى جعلت روحه تعصيه وتمتنع عن متابعته إلى الحياة الآخرة خوفها ألا تجد طعاما فى القبر بعد الموت .

وقد يظهر ذلك غريبا جدا لأول وهلة من رجل يشك كثيرا فى مثل تلك المعدات التى كانت تعمل للمتوفى عند تشييعه إلى آخرته . ولكن غرابتنا تزول إذا أدركنا أن هذا التعليل الذى التمسته الروح ليس إلا حيلة أدبية أراد الكاتب أن يتخذ منها فرصة للتنديد بتلك المعدات الجنازية التى كان يهتم بها كل مصرى ما عاش فى دنياه .

والظاهر أن روحه نفسها قد اقترحت عليه الانتحار حرقا ، ولكنها فرت بنفسها من تلك النهاية الفظيعة .

ولما لم يكن من بين الأحياء صديق أو قريب حميم لتلك النفس يقف بجانب نعش صاحبها ويحتفل بجنازته أخذ يستحلف روحه أن تقوم له بكل ذلك ، ولكن الروح أبت عليه الانتحار بأى شكل كان . ثم أخذت تصف له فظائع القبر : « ثم فتحت روحى فمها وأجابت عما قلته : إذا تذكرت الدفن فإنه حزن ، وذكراه تثير الدمع وتفعم القلب أسى ، فهو ينتزع الرجل من

بيته ويلق به على الجبل (أى الجبانة) ولن تخرج قط ثانيــة لترى الشمس . على أن هؤلاء الذين بنوا بالجرانيت الأحمر الجميل وصاروا مثل الآلهة ترى هناك موائد قربانهم خاوية كموائد أولئك المتعبين الذين يموتون فوق الجسر من غير خلف لهم ، فيبتلع الفيضان ناحية من أجسامهم وتلفحهم حرارة الشمس أيضا ، ويلتهمهم سمك شاطىء النهر ويعيث بهم . أصغ إلى ، وإنه لجدير بالناس أن يصغوا . تمتع بيوم السرور وانس الهموم » .

كان ذلك جواب الروح عندما تمثل أمامها منظر الموت المألوف . وقد أكد ذلك قول المتشائم : « من كان فى هرمه ومن وقف أحد الأحياء بجوار سرير موته كان سعيدا ، وقد سعى أن تقوم روحه بدفنه وبتقديم القرابين له وتقف عند القبر يوم الدفن لتجهز السرير فى الجبانة »

ولـكن كان مثله مثل ضارب العود فى أنشودته إذ تذكرت روحه قبور العظماء التى خربت ، وموائد قربانهم التى خوت وصارت مثل موائد العبيد التعساء الذين ماتوا كالذباب فى وسط الأعمال العامة على جسور الرى ، وقد صارت أجسامهم عرضة للحر اللافح والسمك الملتهم فى انتظار الدفن ، فلم يكن هنالك إلا حل واحـد للتخلص من كل ذلك وهو : « أن يعيش الإنسان ناسيا حزنه منغمسا إلى آذانه فى السرور ، ويلاحظ أنه إلى هنا لم تختلف هذه المحاورة التى تنحصر كل فلسفتها فى أن يأكل الإنسان ويشرب وفى أن يكون مرحاً فى يومه لأنه سيموت فى غده ، عما جاء فى أغنية الضارب على العود ، ولـكنا بعد ذلك نجدها تأخذ فى الخروج والافتراق عن زميلتها بنتيجة خطيرة تمتاز بها عن تلك الأنشودة ؛ إذ صارت تستدل على أن الحياة فوق أنها لم تكن فرصة للسرور والملاذ الدائمة ، فإنها عبء ثقيل أثقل من الموت لا يمكن احتمالها . وقد وضح ذلك فى أربع مقطوعات شعرية خاطب بها ذلك التعس روحه ؛ وتلك المقطوعات هى التى تؤلف الجزء الثانى من تلك الوثيقة . ولحسن الحظ نجدها مفهومة بدرجة عظيمة أكثر من الجزء الأول منها . والمقطوعة الأولى تصف لنا مقت العالم بغير حق لاسم ذلك التعس ، وتـكون كل ثلاثة أبيات منها مقطوعة تبتدىء بالمقطع التالى « إن اسمى ممقوت » . ثم يرى الـكاتب بعد ذلك أن يقوى ذلك المقطع بذكر شىء ممقوت مما يوجد فى حياة الشعب المصرى اليومية ويسمه بسمته المبغضة له وخاصـة رائحة السمك النتنة والقاذورات التى كثيرا ما نشاهدها فى حياة سكان وادى النيل . وهاك المقطوعة الأولى .

مقت اسمه ظلما

« انظر . إن اسمى ممقوت أكثر من رائحة اللحم النتن فى أيام الصيف عندما تكون

السماء حارة . انظر . إن اسمى ممقوت أكثر من مقت صيد السمك فى يوم صيد تكون السماء فيه حارة .

انظر . إن اسمى ممقوت أكثر من رائحة الطيور وأكثر من تل الصفصاف المملوء بالإوز

انظر . إن اسمى ممقوت أكثر من رائحة السمك وأكثر من شواطىء المستنقعات عندما يصاد عليها

انظر . إن اسمى ممقوت أكثر من رائحة التماسيح

وأكثر من الجلوس . . . . . . حيث التماسيح

انظر . إن اسمى ممقوت

أكثر من زوجة عندما يقال عنها الأكاذيب لزوجها

أنظر . إن اسمى ممقوت

أكثر من صبى شديد قد قيل عنه إنه . . . . . لمن يكرهه[1]

انظر . إن اسمى ممقوت

أكثر من . . . . . مدينة

وأكثر من ثائر ولّى الأدبار

ومع أن ترديد ذلك الشعر يدل على أن اسم ذلك الرجل قد صار نتنا فى أنوف أصدقائه إلاّ أننا نجده فى الشعر الثانى يترك ذكر نفسه ليهتم بأولئك الذين كانوا سببا فى تعاسته ، فنراه يلقى نظرة على مجتمع أهل عصره فلا يجد فيه فاشيا إلا الرشوة والخيانة والظلم وعدم الإخلاص حتى بين أسرته هو .

وهذا الشعر أيضا هو شكوى مرة كان يستهل كل مقطوعة منه دائما بجملة استفهامية خرج فيها الاستفهام عن معناه إلى التوبيخ أو التحقير ، وهى « لمن أتكلم اليوم ؟ » وربما كان يقصد بذلك : أى صنف من الناس هؤلاء الذين أخاطبهم ؟ وقد كان الجواب الذى يعقب كل استفهام برهانا جديدا لمقاصده . وهاك ما قال فى ذلك :

الشعر الثانى

لمن أتكلم اليوم ؟ الإخوة شر وأصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب

لمن أتكلم اليوم ؟ الناس شرهون . وكل إنسان يغتال متاع جاره

---

(١) لا شك يقصد أنه ولد من أم أخرى

لمن أتكلم اليوم ؟ فالرجل المهذب مات والصفيق الوجه يذهب فى كل مكان[١]
لمن أتكلم اليوم ؟ فإن من كان ذا وجه طلق أصبح خبيثا وأصبح الخير ممقوتا فى كل مكان
لمن أتكلم اليوم ؟ فإن الذى يستفز غضب الرجل الطيب بأعماله الشريرة يجعل كل
الناس يضحكون[٢] حينما تكون خطيئته شنيعة

لمن أتكلم اليوم ؟ الناس يسرقون وكل إنسان يغتصب متاع جاره
لمن أتكلم اليوم ؟ فقد أصبح الرجل المريض هو الصاحب الذى يوثق به . أما الأخ الذى
يعيش معه فقد صار العدو[٣]

لمن أتكلم اليوم ؟ لا يذكر أحد الماضى ولن يفعل أحد الخير لمن يسديه إليه
لمن أتكلم اليوم ؟ الإخوة شر ، والإنسان صار يعامل كالعدو رغم صدق ميوله
لمن أتكلم اليوم ؟ إذ لا ترى الوجوه ، وأصبح كل إنسان يلقى بوجهه فى الأرض
إعراضا عن إخوانه[٤]

لمن أتكلم اليوم ؟ والقلوب شرهة والرجل الذى يعتمد عليه القوم لا قلب له
لمن أتكلم اليوم ؟ فالصديق الذى يعتمد عليه أمسى معدوما وأصبح يعامل الإنسان كأنه
رجل مجهول رغم أنه قد جعل نفسه معروفا

لمن أتكلم اليوم ؟ إذ لا يوجد إنسان فى سلام والذى ذهب معه لا وجود له (؟)
لمن أتكلم اليوم ؟ فإنى مثقل بالشقاء وينقصنى خل وفى
لمن أتكلم اليوم ؟ فالخطيئة التى تصيب الأرض لا حد لها »

لقد تنحت روح ذلك المتألم عن الموت ثم أخذت تقترح عليه أن يعيش عيشة اللهو والملاذ مثل الذى جاء فى أنشودة الضارب على العود . ولما أحس من أعماق قلبه فظاعة الموت وأخذ يفهم عدم فائدة العناد المـادى المحض لدفع غائلة الموت عنه . نكص على عقبيه مدة قصيرة ثم عاد يتأمل فى الحياة . والنظمان اللذان دونهما هنا يصوران لنا ماذا رأى عندما رجع لبحث الحيـاة . أما ما يلى فهو وثبة منطقية تدل على أنه ليس هناك أى بصيص من

---

(١) تكرر هذا البيت فى التحذيرات

(٢) يسخر الناس من الرجل الطيب عندما يستفزه الخبيث

(٣) قد يعنى بما أن أقاربه قد هجروه فانه لم يعد له صديق الآن إلا من كان فى حالة سيئة

(٤) أى أنه لا يوجد إنسان يواجه إنسانا آخر وجها لوجه

الأمل فى الحياة مع الاقتناع التام بأن الموت هو الخلاص الوحيد من ذلك البؤس الذى صار مغمورا به .

والنظم الثالث أنشودة قصيرة فى مدح الموت . غير أنها ليست بحثا ساميا فى فوائد الموت مثل الذى نطق به أفلاطون بعد ألف وخمسمائة سنة من ذلك العهد فى قصة موت سقراط ، كما أنه لا يمكن قياسه بعقيدة التشاؤم الفلسفية التى جاء ذكرها فى سفر ابتلاء « أيوب » النبى صلوات الله عليه ، ولكنها تعد أقدم صيغة ذكرت عبر بها الإنسان الذى عذب ظلماً عن الموت وأول صرخة من متألم برىء وصل إلينا صداها من عهود ذلك العالم القديم . وهى بحق تعد ذات فائدة فريدة قد لا تخلو من جمال بما احتوته من حرارة نفسية خلابة

ومما يلفت النظر أنها لا تحتوى على أية فكرة عن الإله ، بل هى تبحث عن التخلص السار من آلام الماضى التى لا تحتمل دون أن تتطلع إلى المستقبل ، وقد كان من خصائص العصر والجو الذى نشأ فيه ذلك النظم ، ظهور ذلك التخلص السار فى شكل صور محسوسة مأخوذة من الحياة اليومية لسكان وادى النيل الأقدمين . وهاك ما قاله فى ذلك :

الموت خلاص سار « إن الموت أمامى اليوم كالمريض الذى يقدم على الشفاء وكالذهاب إلى حديقة بعد المرض

إن الموت أمامى اليوم كرائحة بخور المر وكإنسان يقعد تحت الشراع فى يوم شديد الريح

إن الموت أمامى اليوم كرائحة زهرة السوسن وكما يقعد الإنسان على شاطىء السكر

إن الموت أمامى اليوم مثل مجرى النهر الصغير ومثل عودة الرجل من سفينة حربية إلى داره

إن الموت أمامى اليوم كسماء صافية ومثل رجل يصطاد طيورا لا يعرفها

إن الموت أمامى اليوم كمثل رجل يتوق لرؤية منزله بعد أن مضى سنين عدة فى الأسر »

وبالرغم من أن تلك الصور مأخوذة من الحياة الدنيا المتوغلة فى القدم فإن معظمها غير مألوف لنا إلا أنها لم تفقد كل تأثيرها فى أنفسنا ، إذ نجد فيها الحياة مشبهة بمرض طويل يشفى بالموت مثلما يدخل الناقه حديقة جميلة ، والموت مثل عبير المر تحمله ريح النيل العذب ، ومثل المسافر يجلس تحت الشراع الذى توجيه الريح ، وأوبة المحارب المنهوك القوى الذى كان يسير فى المياه البعيدة ثم يقترب من وطنه أو مثل السرور الذى يحدث فى نفس الأسير العائد من المنفى النائى إلى الوطن السعيد . فتلك الصور لها تأثيرها الكبير فى نفس كل

إنسان فى أى عصر وفى أى جو .

وموضوع النظم الرابع هو النظرة العاجلة إلى المستقبل النهائى الذى لم تتعرض لذكره الأنشودة السابقة ، ونجد كلا من مقاطعه الثلاثة يبتدىء بقوله : « إن الذى هنالك » وهى جملة عادية ، وبخاصة لأنها قد وردت بصيغة الجمع : « إن الذين هنالك » ويقصد بهم الأموات ، وهم الذين رأيناهم مذكورين فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » و « إن الذى هنالك » سيكون نفسه إلـها « ويوقع عقاب الشر على مرتكبه » لا على البرىء كما هو الحال فى حياة ذلك التعس الذى نحن الآن بصدده « وإن الذى هنالك ينزل فى السفينة السماوية مع إلـه الشمس وسيرى أن أحسن القربان تقدم لمعابد الآلهة ولا تصرف (عبثا) فى الرشوة أو يسلبها السارق من الموظفين »

و « إن الذى هنالك » هو حكيم محترم لا يطرد عندما يشكو إلى الموظفين الفاسدين ، بل يوجه شكايته إلى إلـه الشمس (رع) ويهيىء له تلك الفرصة بوجوده يوميا مع الإلـه .

وقد أعلن ذلك التعس فى بداية شجاره مع روحه أنه مقتنع ببراءته فى عالم الآخرة . ثم هو يعود مرة ثانية إلى ذكر ذلك الاقتناع فى النظم الرابع الذى هو خاتمة تلك الوثيقة المهمة . وبذلك تكون مختتمة بحل يوافق الحلول التى كان أدركها نبى الله « أيوب » عليه السلام ، وهى الالتجاء إلى العدالة فى الحياة الأخروية — ولو أن « أيوب » عليه السلام لم يتخذ من مرضه مبررا لطلب الموت — وهو بذلك قد جعل الموت طريقا إلى الدخول فى قاعة المحاكمة الإلـهية ، ولذلك كان سعيه إلى بلوغ تلك النهاية سعيا سريعا لا هوادة فيه ، فيقول :

الميزات السامية للقاطنين هنالك (يعنى فى الآخرة)

إن الذى هنالك سيقبض على المجرم كأنه إلـه ويوقع عقاب الإجرام على من اقترفه
إن الذى هنالك سيقف فى سفينة الشمس ويجعل أحسن القرابين هنالك تقدم للمعابد
إن الذى هنالك سيكون رجلا عاقلا غير منبوذ مصليا (لرع) حينما يتكلم .

ولما كان هذا التعس يتوق للخلاص السار الذى يهيئه له الموت ، وكان يظهر عليه أنه قد استعاد بعض الثقة بما كان سينعم به من الميزات السامية فى عالم الآخرة ، فإن روحه تستسلم له فى النهاية فيدخل فى ظلال الموت ويسير فى طريقه ليكون مع أولئك الذين هنالك

على أننا نحن بدورنا نرقب بشىء من الإحساس الرهف هـذا الرجل المجهول الاسم

الذى يعد أقدم روح بشرية معروفة لنا يذهب إلى تلك الحجرات الداخلية فى عالم الآخرة .

وقبل أن نختم كلامنا عن هذه الوثيقة نقول إن بعض من كتب عنها يرى أن فيهاما يمثل رجلين : أحدهما يرى أن الموت هو الخلاص الوحيد للإنسان إذ يعيش بعده فى عالم سلام وأمان . والثانى رجل شهوة يرى أنه من الواجب على الإنسان أن ينسى كل أحزان الحياة وآلامها وأن يجعل السرور وحده يسيطر على حياته .

المصادر :

المصادر الهامة التى يعتمد عليها فى درس هذا المقال ما يأتى :

(1) Pieper " Die Agyptische Literatur " pp. 26. ff.

(2) Peet, " A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia " pp. 114 ff.

(3) Breasted, " The Dawn of Conscience, " pp. 168. ff.

(4) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians, " pp. 86. ff.

(5) A. Mekhitarian, " Chants de Détresse et d' Amour, " pp. 4. ff.

وقد طبع الأصل المصرى القديم الأستاذ إرمان فى :

Erman, " Abh. der Berliner Akademie in 1896.

« شكوى خعخبر رع سنب »

هذه الوثيقة الأدبية واحدة من سلسلة المقالات التى كتبها مؤلفوها يشكون فيها الحالة التى وصلت إليها البلاد من التدهور الأخلاقى والانحطاط الأدبى والفوضى الشاملة فى العهد الإقطاعى . والظاهر أن كاتبها عاش فى عهد الملك « سنوسرت » الثانى كما يستدل على ذلك من اسمه . لأن لفظة « خعخبر رع » هى اللقب الرسمى الذى كان يحمله « سنوسرت » الثانى ، وكلمة « سنب » معناها الصحة ، فيكون معنى اسم كاتبها « خعخبر رع فى صحة » . وهذه طريقة فى التسمية للأعلام نجدها منذ الدولة القديمة ، فيقال مثلا « خفرع عنخ » أى « خفرع عائش » وهكذا .

وهذه الوثيقة رغم أنها تنسب إلى الدولة الوسطى فإنها كغيرها وصلت إلينا مكتوبة على لوحة تلميذ من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكان أول من عنى بحل رموزها الأستاذ «جاردنر» ، والورقة محفوظة الآن بالمتحف البريطانى . على أن مجرد وجود هذه الوثيقة مكتوبة على لوحة تلميذ بعد تأليفها بعدة قرون لأكبر دليل على أنها كانت من القطع الأدبية المختارة التى كانت تعتبر نماذج للأسلوب الراق وطلاوة العبارة . ولا غرابة فى ذلك ، فإن مؤلفها كان يبحث وراء الأسلوب الجيل والكلمات الحكيمة ليعبر عن مقصده ، ولذلك جعل عنوان مقاله : « جمع الكلمات ، وقطف الحكم ، والبحث وراء التعابير ، ومناجاة القلب التى ألفها كاهن عين شمس . . . « خعخبر رع سنب » الذى يسمى « عنخو » أيضا » . ومن غريب الاتفاق أن اسم هذا المؤلف قد جاء ذكره بين أسماء أعلام الكتاب الذين كانت لهم شهرة عظيمة فى الأدب المصرى ، وممن كان يضرب بهم المثل فى عهد الرعامسة عند التحدث على المؤلفين الذين بقيت كتاباتهم خالدة .

على أن مقال هذا الكاتب العظيم له أهمية خاصة ، إذ يدلنا ماجاء فى أوله على أمثال أولئك المؤلفين الذين كانوا يعيشون فى العهد الإقطاعى شاعرين فى قرارة أنفسهم بحاجتهم إلى الوثوب ، مفكرين فى توجيه جديد لحالتهم ، وأنهم قد أقلعوا عن التلطف التقليدى الذى كانت تتميز به نصائح آبائهم . ويفتتح كاهن عين شمس هذا مقاله القصير بما يأتى : « ليتنى كنت أعرف صيغا للكلام لا يعلمها أحد ، وأمثالا غير معروفة أو أحاديث جديدة لم تذكر (يعنى من قبل) خالية من التكرار ، لا الكلام الذى تُحدِّث به من زمن بعيد

مضى ، وهو ما تـكلم به الأجداد . . . « لقد تحدثت بحسب ما رأيت مبتدئا بأقدم الناس إلى أولئك الذين سيأتون بعد . . . »

« إن العدالة قد نبذت في حين أن الظلم قد أخـذ مكانه في وسط قاعة المجلس . . . . وخطط الآلهة قد انتهكت حرمتها ، وأهملت نظمها ، والبلاد صارت في هم ، والحزن عم كل مكان ، وصارت المدن والأقاليم في عويل ، وكل الناس صاروا على السواء يرزحون تحت عبء الظلم . . .

« أما الاحترام فإن أجله قد انتهى . . . »

« وعند ما أريد أن أتحدث عن كل ذلك تنوء أعضاء جسمي بحمله ، وإني من أجل قلبي لمحزون . وإنه لألم أن أهدئ روعي من جهته . إذ لو كان قلب آخر لانثنى (ولـكن) القلب الشجاع في الملمات يكون رفيقا لسيده ، ليت لي قلبا يتحمل الألم . فمنذئذ كنت أطمئن إليه ...

« تعال إذن لأتـكلم إليك يا قلبي . لتجيبني عن كلامي ، ولتفسر لي ماهو كائن في الأرض . . . لأني أفـكر فيما قد حدث .

« إن المصائب تقع اليوم ، ومصائب الغد لم تأت بعد ، فـكل الناس لاهون عن الغد مع أن كل البلاد في اضطراب عظيم ، وليس إنسان خاليا من الضر فانه يصيب جميع الناس على السواء والقلوب بالحزن مفعمة . فالآمر والمأمور صارا سواسية ، وقلب كل منهما راض والناس عليه (يعني الضر) يستيقظون في صباح كل يوم ، ولـكن القلوب لاتنبذه ، ولاتزال اليوم على مافعلته بالأمس ، ولا يوجد إنسان عاقل يدرك ولا إنسان غاضب يتـكلم ، والناس تستيقظ في الصباح كل يوم لتتألم ، وإن مرضي لثقيل وطويل ، والرجل الفقير ليس له حول لنفسه ولا قوة ليتخلص ممن هو أشد منه بأسا

« وإنه لمؤلم أن يستمر الإنسان صامتا عن الأشياء التي يسمعها ، وإنه لمؤلم أيضا أن يجيب الإنسان الرجل الجاهل » .

ففي ذلك المقال نجد إنسانا قد تحركت نفسه من أعماقها لأنها أثيرت بمـا شاهدته من الفساد ، فهو يتأمل في هـذا المجتمع وينظر إليه نظرته إلى أسرة مرتبطة متساندة ، ويؤلمه ما يراه من قيود تـكبل هذا المجتمع ، وتنحو به نحو الشقاء ، كما يؤلمه قصور المجتمع عن إدراك شقائه ، وعجزه عن إصلاح حاله إن أدرك شيئا من هذا الشقاء .

ولقد تحدث عن نفسه في كل ماذهب إليـه ، وإن كان يعني بمـا قال مجتمعه الذي يعيش فيه .

على أن كثيرا من تلك الأفكار يمكن أن نجد لها مكانتها الآن عند بعض الناقدين الاجتماعيين فى عصرنا هذا ممن امتازوا بحاستهم الخلقية المرهفة . وصدور مثلها فى هذا الزمن القديم يدل على الوقت الذى استيقظ فيه القوم لأول مرة فى تاريخ البشر وشعروا فيه شعورا عميقا بما أصاب المجتمع البشرى من الانحطاط الخلقى .

ويعود سبب هذه الحالة الجديدة التى وصل إليها أولئك المفكرون الاجتماعيون إلى وجود إدراك خلقى حساس آخذ فى النمو ، وإلى بعض العوامل التى ساعدت على عدم انخداعهم بالظواهر :

فهؤلاء المفكرون كانوا قد تأثروا تأثرا عميقا بتدبرهم الحياة البشرية الاجتماعية فوق الأرض ، والمصير الإنسانى فيما بعد الموت — فانكشفت لهم تلك الحقيقة المحزنة ، وهى عدم فائدة العوامل المادية المحضة التى كانوا يعولون عليها لضمان سعادة الروح فى الدار الآخرة. فهذه الأمور المادية التى كانت تؤدى تقليدا للأجداد ويرجع تاريخها إلى أزمان غابرة ، قد انهدمت ، وبانهيارها ذهب معها كل ما كان معتبرا لضمان حياة الإنسان فى عالم الآخرة فيما بعد الموت .

ومن المحتمل أن ثقتهم التقليدية المتينة فى فطنة أجدادهم كانت قد انهارت من أساسها انهياراً عنيفاً . وإذا كانت تلك حالهم فى تجاريبهم التقليدية الموروثة فيما يختص بالحياة فى عالم الآخرة . فإن حالتهم فى تجاريبهم عن الحياة الدنيوية كانت أسوأ مآلا . فقد قام فى فترة ألف سنة (أى منذ عهد مينا) نظام قومى ثابت الأركان فى البلاد المصرية القديمة كان يمثله ويحافظ عليه الفرعون بصفته نائبا عن الله فى الأرض ، وكان اسم ذلك النظام « ماعت » أى (الصدق — الحق — العدالة) .

ولكن هذا النظام كذلك قد أخذ بدوره ينهار ، فقد وجد فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » بالفعل أن الأمة قد انقسمت قسمين ، مملكة فى الشمال وأخرى فى الجنوب ، وأن الملك كان همه منصرفا إلى تحصين مملكة الشمال من خطر الغزاة الأجانب . إذ قد انحلت تدريجا قوة الأمة النظامية التى دامت عليها موحدة مدة طويلة حتى كشف الغزاة الأجانب عن مواطن الضعف فى البلاد التى كانت فى يوم ما مؤلفة من أمة عظيمة ذات نظام ثابت الأساس ، فتدفق الغزاة الأجانب إلى الدلتا من جهة آسية شرقا ، ومن جهة لوبيا ، وهكذا سادت الفوضى فى البلاد تماما ، ولابد أن تلك النكبة هى التى وصفها لنا كاهن عين شمس « خمخبر رع سنب » .

المصادر :

أهم مصادر هذا المقال ما يأتى :

(1) Writing-board, British Museum, No. 5645.

(2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 49.

(3) Peet, "A comparative study of the Literatiures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p. 120.

(4) Gardiner, "The Admonitions of an Egyptian Sage", p.p. 95. f.f.

(5) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 178 f.f.

(6) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 108 f.f.

« تحذيرات متنبئ يدعى اپور »

هذه الوثيقة محفوظة الآن ضمن كنوز متحف « ليدن » الأثرى بالقسم المصرى وتعرف باسم ورقة « ليدن » رقم (٣٤٤) . وقد ضاع أولهـا وهشم آخرها وبها فجوات كثيرة فى وسطها ، ولذلك كان من الصعب الاهتداء فى أول الأمر إلى موضوعها الحقيقى ؛ وكان المفهوم منها جملة أنها ورقة تعليمية ، وقد بقيت الحال كذلك إلى أن طالع العالم الأستاذ « لنجة » الأثرى الدانياركى بمقال كشف فيه عن مضمونها الحقيقى ، إذ قال إنها تنبؤات حكيم مصرى ، وذلك فى عام سنة ١٩٠٣ . وقد سهل ذلك الحل الطريق إلى علماء الآثار لدرس هذه الوثيقة . ولم تمض بضع سنين حتى قام الأستاذ « جاردنر » بدرسها دراسة وافية ، علق عليها بشروح علمية ولغوية بقدر ماسمحت به حالة الوثيقة المهلهلة وما بها من الأخطاء التى لابد قد ارتكبها ناسخها. ويدل ماجاء فى هذه الوثيقة من الوصف والإشارات البعيدة التاريخية على أنها تُـصوِّر لنـا عهداً خاصا كانت فيه البلاد فى حالة فوضى وارتباك يقصر عنه كل وصف من الوجهتين السياسية والاجتماعية[1] . على أننا إذا طبقنا ماجاء فيها من وصف الحوادث والمحن على التاريخ المصرى فلا نجد لها شبيهاً إلا عهد العصر الإقطاعى حينما تمزقت أوصال البلاد شر ممزق . ولأجل أن يفهم القارئ مضمون هذه الوثيقة ويطبقها على هذا العصر سنتبع فى دراستها طريقة خاصة ، وذلك بأن نصف له حالة البلاد بعد سقوط الدولة القديمة وهو العصر الإقطاعى ، ثم نتناول بعد ذلك تحليل ماجاء فى هذه الوثيقة مستشهدين بمقتطفات منها فى وصف الحالة العامة للبلاد وما أصابها من خراب ودمار فى جميع مرافقها السياسية والاجتماعية بحيث يمكن للقارئ أن يرى أمامه صـورة واضحة منطقية لذلك العصر ، وذلك لأن حكيمنا قد أفزعته الحالة التى وصلت إليها البلاد من الانحطاط فكان ينتقل من وصف موضوع إلى آخر دون أن يكون هناك أى رابطة بين ما وصفه أولا وما انتقل إليه ثانياً ، مما يدل على أن كل شىء

---

(١) وتاريخ هذه التحذيرات يمكن تحديده تقريبا من فقرتين وردتا فيها وقد ورد ذكرهما أيضا فى مقالات أخرى قديمة ، إحداهما جاءت فى الشجار الذى قام بين إنسان سئم الحياة وروحه وهى فى موضعها المناسب فى المناقشة أكثر من موضعها فى مقالنا هنا . أما الفقرة الثانية فهى على العكس من ذلك لأنها لأسباب خاصـة تنتمى من غير شك إلى كتابنا على حين أنها قد وجدت فى التعاليم المنسوبة لامنمحات ولقد حشرت فيها بشكل قلق مشوه ، ومن ذلك يستنتج أن « تحذيرات إپور » قد جاءت بعد شجار بين إنسان سئم الحياة وبين روحه وأنها أقدم من التعاليم المعزوة « لامنمحات » .

أمامه فى البلاد كان قد هوى إلى الحضيض . وبعد ذلك سنضع أمام القارئ نص الوثيقة كما وجدت فى الأصــل فيستطيع القارئ الأديب أن يفهم بنفسه نفسية هذا الفيلسوف عند ما كان يضع تلك الصورة البشعة عن حالة مصر بعد سقوط الدولة القديمة .

سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية

لقد كانت سلطة الفراعنة فى الأسرة السادسة آخذة فى التدهور شيئاً فشيئاً وبخاصة فى عهد « بيبى الثانى » الذى حكم البلاد أكثر من ثلاثة أجيال ، وقد انتهى الأمر بعده بانحلال البلاد وتفشى الثورة فيها مما قلب الأمور رأساً على عقب كما سيأتى شرحه . ويرجع السبب فى ذلك إلى أمرين هامين :

الأول إغارة الأجانب من البــدو على البلاد من جهة والحروب الداخلية من جهة أخرى . وتفصيل ذلك أن البدو رغم الهزيمة المنكرة التى لحقت بهم فى عهد «بيبى الأول»[1] لم يفقدوا الأمل فى غزو البــلاد المصرية التى كانت فى تلك الفترة تزخر بالثراء والغنى . وقد سنحت لهم الفرصة فى عهد الملك بيبى الثانى[2] لنيل مآربهم إذ كانت الأحوال مهيأة لهم . فقد كان كل حاكم من حكام المقاطعات الوراثيين منهمكا فى المحافظة على مقاطعته التى كانت تعد بمثابة مملكة صغيرة مستقلة .

أما فى الوجه البحرى الذى كان فيه مقر الملك فيحتمل أن القوم كانوا ملتفين حول الملك بعض الشىء . ودافعوا عن بلادهم . غير أنه ليس لدينا وثائق تاريخية تحدد لنا الموقف بالضبط. وعلى أية حال كان موقف الحكومة المصرية فى هذا العهد يرثى له ، حتى إن الشعب انتهز هذه الفرصة وقام بثورة اجتماعية طاحنة تشبه الثورة التى قام بها البلاشفة ، امتد لهيبها أكثر من قرنين من الزمان كانت البلاد ترزح فيهما تحت عبء ثقيل من الفوضى والخراب ، إذ كان سلطان «فرعون» قد زال وأملاكه قد اختفت ، ولا أدل على ذلك مما ذكره لنا «مانيتون»[3] من أنه قد حكم البلاد فى عهد الأسرة السابعة سبعون ملــكا فى مدة سبعين يوما . أما الحقوق المدنية والدينية فقد تولاها كل من كان فى قدرته أن يبسط يده عليها . وأخذ كل شخص يغير على ما يستطيع أن يصل إليه ، ضارباً بكل نظام وقانون عرض الحائط . وقد كان من

---

(١) انظر تاريخ مصر القديمة جزء أول ص ٤٠٧

(٢) انظر تاريخ مصر القديمة ص ٤٠٦

(٣) انظر تاريخ مصر القديمة جزء أول ص ٤٠٨

جراء امتداد هذه الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر القحط وعم الانحلال الخلقى وعدم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة . وليست لدينا وثائق تاريخية تنير لنا الطريق خلال هذا العصر المظلم اللهم إلا معلومات ضئيلة جدا ، ولكن من جهة أخرى قد أسعفتنا الوثائق الأدبية الشعبية بشىء مما نريد ، إذ الواقع أن أزمة هذا العصر طال أمدها فأثرت على أذهان القوم وبخاصة على أفكار الحكماء وأهل الفكر وعلى خيال القاصين ، فنراهم يصورون ما حاق بالبلاد من ضنك وشدة وما قاست من ويلات وخراب بعبارات مؤثرة جدا خارجة من الأعماق .

وقد كان هناك فى ذلك العصر مفكرون اجتماعيون قد أحسوا الحاجة إلى وجود حاكم عادل ، فكان من بين الحكماء الذين يتطلعون إلى وجود مثل هذا الملك العادل — الحكيم « ابور » وهو أحد المتنبئين الاجتماعيين الذين كانوا يعيشون فى ذلك العصر ، وقد ألف مقالا فى شكل تمثيلى مؤثر ، ولم يقتصر على اتهام أهل تلك الأزمان بحرارة فحسب . بل وصى فى مقاله ذاك بالإصلاح وتطلع من وراء القيام بذلك إلى إيجاد نهضة جديدة يقوم بها المجتمع ، كما كان ينتظر أيضا وجود عصر ذهبى يخلقه هذا الإصلاح المنشود . وتلك الوثيقة المذكورة تعد من أهم الوثائق التى تلفت النظر من بين كل تلك المقالات الاجتماعية والخلقية التى كتبت فى ذلك العهد الإقطاعى ، ويصح لنا أن نسميها « تحذيرات المتنبئ ابور » . ومما يدعو إلى الأسف أيضا أن بداية هذه البردية قد فقدت ، وهى الجانب الذى كان يحتوى على الأحوال التى دعت ذلك الحكيم إلى الإدلاء بتحذيراته المذكورة فى هذه الوثيقة ، وإن كانت تلك الأحوال فى ظواهرها الرئيسية واضحة . ويمكن تلخيص تلك الوثيقة فيما يأتى : يقوم الحكيم « ابور » بإلقاء اتهام طويل مفعم بالغضب على حالة عصره أمام حضرة ملك [لم يعرف اسمه بالتحقيق للآن] وشهده بعض الناس الذين يحتمل أنهم كانوا حاشية ذلك الملك مجتمعين عنده فى ذاك الوقت ، ثم ينتهى بإسداء النصح لقومه فيحذرهم الإهمال ويدعوهم إلى الإصلاح ، ثم يلى ذلك رد قصير من جانب الملك ، ثم ينتهى المقال بتعقيب للحكيم المذكور على الرد الملكى . وقد سلخ الخطاب الرئيسى الذى ألقاه ذلك الحكيم نحو ثلثى ذلك الاتهام الطويل .

فهذا الخطاب يتألف منه معظم المقال المذكور لأنه يقع فى نحو عشر صفحات من الأربع عشرة صفحة التى يحتويها المقال . على أنه لا يظهر فى ذلك الاتهام أى ترتيب منطقى فى عناصره بالرغم من ظهور الجهد فى ترتيب أقوال ذلك الحكيم ، لأنها موضوعة على هيئة مقاطع مقفاة ، وكل مقطوعة منها تبتدئ بنفس العبارة السابقة لها ، وهذا يطابق شعر الرجل التعس وروحه .

وسنحاول فى الفقرات التالية أن نلخص أهم محتويات ذلك الاتهام فى شكل مواضيع مقتبسة باختصار يبدو منها نوع الكلام الذى أفضى به ذلك الحكيم .

ولما كانت هذه البردية ممزقة كما أسلفنا ، ولغتها عويصة صعبة ، كانت ترجمتها ترجمة متصلة من الأمور المستحيلة حتى ولو توفرت الشروح التى تكفل إزالة هذه الصعوبة .

ونرى فيها ذلك الحكيم يحلق بنظرة ثاقبة مشرفا على الحياة المنظمة لأهالى وادى النيل فى ذلك الوقت ، فيجد أن كل شىء قد آل إلى الفوضى ؛ فالحكومة قد وقفت بالفعل حركتها وقوانين قاعة العدل قد ألقى بها ظهريا فصارت تدوسها الناس بالأقدام فى المحال العامة . والفقراء يفضونها على قارعة الطريق(١) .

ويرجع السبب فى سوء النظام هذا إلى حالة الهياج والحروب الدائرة فى داخل البلاد

« فالرجل يذبح أخاه من أمه فما العمل فى ذلك ؟ . . . . . .

« انظر ! إن الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه وحيدا لينجى نفسه .

« والرجل ينظر لابنه نظره لعدوه ...... يذهب الرجل إلى الحرث والزرع وهو مسلح بدرعه ..... »

ويضاف إلى سوء النظام أيضا وإلى الثورة الداخلية أهوال الغزوات الأجنبية المعتدية على البلاد ، فإن أملاك مصر بعد أن صارت فريسة لسوء النظام والفتنة الضاربة أطنابها بالبلاد قد صار رجالها أيضا غير قادرين على صد غزوات الأسيويين عن حدود شرق الدلتا للبلاد المصرية ؛ وبذلك وقف سير الحركة الاقتصادية .

« انظر ! لا صانع يعمل والعدو يحرم البلاد حرفها . . .

« انظر ! إن من حصد المحصول لا يعرف عنه شيئا . ومن لا يحرث لنفسه يملأ مخزنه . . . . وإن الحصاد يحدث . ولكن لم يذكر عنه شىء . والكاتب يجلس فى مكتبه ولكن يداه لا تعملان شيئا ...!!

« انظر ! إن الماشية قد تركت ضالة سبيلها ولا إنسان يجمعها ويلم شعثها .

---

(١) لقد كانت هذه فعلة شنعاء فى نظر النظام المصرى ؛ إذ كان سحب الكتابات والوثائق من المصالح العامة للاستشهاد بها أو للاطلاع عليها من الأمور المنظمة تنظيما دقيقا . فالقواعد التى كانت تحدد وظيفة الوزير قد بقيت لنا . (انظر Breasted Ancient Records Vol II P. 276)

فكل إنسان يذهب ويأخذ لنفسه منها ويسمها باسمه (أى يعلمها) ... والحروب الداخلية لا تدفع ضريبة ..... فما فائدة بيت مال بدون دخل ؟ »

« والتجارة الخارجية تنحط وتختفى فى مثل تلك الأحوال التى كانت عليها داخلية البلاد « فأصبح الناس لا يسيحون إلى « جبيل » اليوم . وإذن ماذا نصنع [1] للحصول على خشب الأرز اللازم لمومياتنا ؟ فالكهنة يدفنون بمستخرجاتها والأمراء حتى بلاد كفتيو (كريت) يحنطون بزيتها ، فهى لا ترد بعد قط (الأخشاب) . ووقوع مثل تلك الأحول كان محتملا لأن الأمن العام والتجارة قد اختفى أثرهما . وبالرغم من أن الطرق كانت محروسة فإن الناس كانوا يرصدون فى الأحراج حتى يمر السائح الذى دهمه الليل فيسلبوه مايحمل ويجردوه مما معه ويضرب بالعصى ويذبح ذبحا شنيعاً . وفى الحق لقد أصبحت الأرض تدور كعجلة صانع الفخار . ونظام البلاد قد قلب رأسا على عقب . فمن كان لصاً صار رب ثروة . والغنى صار إذ ذاك إنساناً منهوبا » .

وهكذا انقلبت أوضاع كل الأشياء طبقا لما يدل عليه مفهوم تشبيهها بعجلة صانع الفخار ، فالشئون الاجتماعية انقلبت انقلابا تاما .

وإننا نجد فى أطول مجموعة من فقرات تلك الوثيقة — التى أنشئت على وتيرة واحدة — أن ذلك الحكيم يضع أمامنا تغير تلك الأحوال بالنسبة لأفراد طبقات الشعب ، فهو فى فقرة واحدة يضاهى بين ما كان عليه الماضى وبين ما يجرى فى ذاك الوقت إذ نراه يقول :

« انظر ! إن الذى لم يكن يملك زوجا من الثيران أصبح يملك أزواجا . ومن لم يكن فى مقدوره أن يحصل على ثيران للحرث أصبح يملك قطعانا .

« انظر ! إن الذى لم يكن يملك حبة أصبح الآن يملك أجرانا . ومن كان يبحث لنفسه عن صدقات من القمح أصبح الآن يخرج من مخازنه ويجعلها توزع »

---

(١) وكانت بيلوس (جبيل) فى ذلك العهد أعظم ثغر تجارى فى فينيقية

ونجد فى ذلك الخراب الشامل الذى حاق بالبلاد . فالانحطاط الخلق قد أخذ مأخذه غير أنه لم يكن ظاهرا ظهور ذلك البؤس العام الذى يصفه فيقول :

« والمتحلى بالفضائل يسير وهو محزون ، ويقول الرجل الأحمق : إذا عرفت أين يوجد الإله فانى أقدم له قربانا ، وفى الحق كانت (العدالة موجودة فى الأرض باسمها فقط ، وما يعمله الناس حينما يلتجئون إليها هو العسف) » .

فلا عجب إذن من وجود ذلك البؤس الشامل :

« وفى الحق قد مات السرور ولم يعد يحتفل به بعد ولا يوجد فى الأرض إلا الأنين الممزوج بالعويل » .

حقا فقد أصبح كل من العظيم والحقير يقول :

« ليتنى كنت ميتا ؟ والأطفال الصغار يقولون كان يجب عليه ألا يجعلنى على قيد الحياة » . . .

« حقا فإن قلوب كل الماشية صارت تبكى والقطعان تندب حالة البلاد » .

على أنه لم يكن فى مقدور ذلك الحكيم أن يشاهد كل ذلك دون أن تثور عواطفه ، إذ كان بدوره متأثرا تأثرا عميقا لتلك الكارثة العامة .

فنراه يطلب من الله أن يجعل لتلك الحال نهاية ! إذ يقول :

« ليت آخر الناس يكون قد حل فلا حمل ولا ولادة ؟ ليت العالم يتخلص من الغوغاء وتنفض المشاحنات » .

على أن ذلك الحكيم كان يقرّع نفسه لأنه لم يسع من جهته لإنقاذ ذلك الموقف من قبل . فيقول أيضا :

« ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت حتى كنت أنقذ نفسى من الألم الذى أنا فيه الآن . فالويل لى لأن البؤس عم فى هذا الزمان » .

فتلك هى الصورة المظلمة التى رسم لنا ألوانها ذلك الحكيم المصرى القديم . ويجب أن نعتبر تلك الشكاية التى سبق ذكرها ، والتى تشغل نحو ثلثى الوثيقة كما حفظت لنا ، أنها قد وصفت لنا الحالة عند قدماء المصريين فى عهد معين . هـذا إلى أن العلاقة المتينة بين ذلك

المقال والمقالات الأخرى التى من ذلك العهد الإقطاعى من حيث اللغة والفكر ووجهة النظر لا تدع للشك مجالا فى تحديد تاريخ عهدها بالضبط .

وحالة مصر السيئة التى صورها لنا ذلك الحكيم ، هى ظواهر الحالة التى أعقبت انهيار نظام الحكومة والاعتداء على البلاد الذى جاء على أثر سقوط الدولة القديمة ، أى فى نهاية عصر الأهرام وانحلال اتحاد البلاد كما ذكرنا . على أن « إبور » لم يشأ أن يترك أهل الجيل الذى عاش فيه فى تلك الحال المؤنسة التى صورها لنا ، بل رأى هناك أسبابا تدعوه إلى أن يأمل ويطمئن إلى حسن المستقبل .

ثم بعد ذلك تصادفنا فجوة كبيرة فى تلك البردية يعقبها فى النهاية أهم فقرة فى مقال ذلك الحكيم وهى تعتبر أروع ما دون فى كل الأدب الفرعونى . إذ فى هذه الفقرة العظيمة يتطلع ذلك الحكيم إلى المستقبل متوقعاً إعادة الإصلاح فى البلاد على أن يكون ذلك بلا نزاع نتيجة طبيعية للنصائح الإصلاحية التى كان قد فرغ من غرسها فى قلوب مواطنيه .

فهو يرى الحاكم الأمثل والملك الأمثل اللذين يتوق إلى ظهورهما يجتمعان فى الحكم الذى كانت عليه مصر فى يوم من الأيام فى صورة « إلـه الشمس » .

ولما كان ذلك الحكيم يرى فى عهد سلطان إلـه الشمس العصر الذهبى فإنه يوازنه من جهة أخرى بالحكم الغاشم الذى ترزح تحت عبئه البلاد فى عصره إذ نراه يقول :

« فهو يجلب البرودة إلى اللهيب (الحريق الاجتماعى) و يقال عنه إنه راعى الإنسانية ولا يحمل فى قلبه شرا . وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه فى جمع بعضها إلى بعض وقلوبها محمومة (من الحزن) وليته عرف أخلاقها فى الجيل الأول ، فعندئذ كان فى مقدوره أن يضرب الشر وكان فى قدرته أن يمد ذراعه ضده (يعنى الشر) وكان فى مقدوره أن يقضى على بذرتهم هناك وعلى وراثتهم.فأين هو اليوم ؟ هل هو بطريق المصادفة ينام ؟ انظر ! إن بأسه لا يرى »

فنجد فى ذلك صورة الملك الأمثل وهو الحاكم العادل الذى لا يحمل فى قلبه شرا ، وهو الذى يجول بين رعيته كالراعى يجمع شتات قطيعه المتناقص الظمآن . وذلك الحكم العادل الذى كان كحكم نبى الله « داود » عليه السلام ، قد حدث ويمكن أن يحدث ثانية .

على أن عنصر الأمل بظهور الملك الصالح المنتظر كان أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ كان

محققا عنده كما تدل الكلمات الختامية التى وردت بالفقرة السابقة عند قوله :

« أين هو اليوم ؟ هل هو بطريق المصادفة ينام ؟ انظر إن بأسه لا يرى »

على أن الأهمية الخاصة التى نستنتجها من تلك الصورة تنحصر فى أن المُثل العليا كانت على أقل تقدير فى الاجتماعيات إن لم تكن تحتوى بالفعل فى المنهج الاجتماعى على الحاكم الأمثل الذى يتصف بطهارة الأخلاق وبالمقاصد الخيرية والذى يعز عشيرته ويحميها ويسحق الأشرار . وسواء نَبَّأ بظهور هذا الحاكم أم لا ، فإن رؤية أخلاقه وأعماله قد كشف لنا النقاب عنها ذلك الحكيم القديم . وقد كشف النقاب عنها فى حضرة الملك الموجود إذ ذاك وفى حضرة أولئك الذين اجتمعوا حوله حتى يقتبسوا شيئاً من بهائه . وذلك بطبيعة الحال هو عين التبشير بالمسيحية قبل أن تظهر بين العبرانيين بما يقرب من ١٥٠٠ سنة .

وقد أدت تلك الموازنة المخيفة التى كانت تجول فى ذهن ذلك الحكيم المصرى القديم ، بين الحاكم الذى يمثل الملك الأمثل وبين الفرعون الحاكم الذى يقف بحضرته ذلك الحكيم إلى أن ينطق الحكيم بأقسى الاتهامات ضد مليكه ، فكان مثله فى ذلك مثل البلاشفة حينما قضوا على نير حكم الملكية الظالم . فلقد وضع الحكيم المسئولية فوق عاتق الملك ، إذ يقول لمليكه :

« إن الأمر الملكى والمعرفة والعدالة (يعنى ماعت) فى قبضة يدك . ولكن ما تصنعه فى البلاد هو النزاع وصوت القلاقل . . . ولقد فعلت هكذا لتشتد علينا هذه الأمور . لقد نطقت زوراً وبهتاناً » .

وعندما انتهى ذلك الحكيم من خطابه الطويل ، أجابه الملك بنفسه على أقواله ، غير أنه ليس فى وسعنا أن نصل إلى ما قاله الملك فى إجابته على الحكيم مما بقى لنا من تلك النتف المفتتة من الصفحة الممزقة التى دونت عليها تلك الإجابة ، وسنظل كذلك فى شوق إلى ذلك الجواب إلى أن يكشف لنا عن نسخة تامة من هذه الوثيقة .

وقد وصلت تقريعات ذلك الرجل الحكيم إلى قمتها فى قوة التعبيرات اللفظية الموجهة إلى أخلاق ذلك الفرعون التقليدية فهدمتها ، وهى التى كانت تشمل الأمر الملكى والمعرفة والعدالة (يعنى ماعت) أى النظام الإدارى والخلق القديم الذى سار عليه ملوك الاتحاد الثانى مدة ألف سنة وهو الذى قد حلت الآن محله الفوضى .

فواضح الآن تماما من ذلك أن حالة سوء النظام الشاملة التى وصفها فى أقواله (ايور) قد ظهرت فى فترة من العهد الذى جاء بعد سقوط تلك الدولة القديمة . ويستحيل علينا

الآن أن ندرك موقف ملوك « أهناس » الذين أنتجوا مثل تلك المقالات المثالية المدهشة، أو نحدد علاقتهم بالنسبة إلى انهيار نظام الحكم . فهل كان احتذاؤهم المثل الأعلى فى مثل ذلك العصر ، سببا من أسباب ضعفهم السياسى ؟ فقد لاحظنا أنه فى وسط ذلك الخراب القوى الذى صور لنا بتلك الطريقة من غير تحفظ ، أن الحكيم « ابور » كان ولا يزال يحمل فى نفسه بعض الأمل طمعا فى التخلص من ذلك الخراب .

فهل كان يبقى فى ذهنه شىء عن بعض الرجال المعروفين بقوة الشكيمة ممن أبقى عليهم الدهر من أسر الأمراء القدامى ؟ على أنه من الجائز أن آماله كانت موجهة إلى قائد كان بأسه لا يرى . وسنرى ذلك فى تنبؤات « نفر روهو » .

نص المتن

يشمل فقرات نثرية وست قصائد شعرية ، وهذه تكون نواته الحقيقية . ويبتدىء كما وصلنا بأن نرى الحكيم قد أخذ فعلا فى تصوير مصيبة البلاد : فيقول حراس الأبواب : « فلنذهب لننهب » . والغسال يتنحى عن حمل حمله . وصائدو الطيور قد جهزوا أنفسهم للواقعة ، وآخرون من الدلتا يحملون الدروع . وقد ثار القوم حتى أصحاب أهدأ الحرف كبائعى الحلوى وصانعى الجعة ، وأصبح الرجل ينظر لابنه نظرته إلى عدو . . .

والرجل الفاضل يذهب بملابس الحزن بسبب ما حاق بالأرض . . . .

وأصبح الأجانب مصريين[1] فى كل مكان .

الشعر الأول

يعنى بصفة خاصة بالبؤس العام — السرقة ، والقتل ، والتخريب ، والقحط ، وقد طرد الموظفون ودمرت الإدارة ، والتجارة الخارجية قد قضى عليها . وانتشر الأجانب فى البلاد واحتل عامة القوم مراتب عليتهم .

وكل بيت من هذه القصيدة يبتدىء بكلمتين يمكن ترجمتهما إلى العربية هكذا : « حقا لقد » أو « وفى الحق » التى تدل على إثبات شىء لا يمكن تفنيده .

« حقا لقد شحب الوجه . . . والأجداد قد تنبئوا . . . »

---

(١) كل ما يقصد هنا هو أن الأجانب العديدين الذين سكنوا مصر فى ذلك الوقت قد تجرؤوا على أن يضعوا أنفسهم موضع المصريين فى هذا الانقلاب العام .

وبعد كسر طويل بعض الشيء نقرأ :

حقا فإن . . . (والبلاد) ملأى بالعصابات ويذهب الرجل ليحرث ومعه درعه .

حقا فإن الخجول يقول : . . . (مهشم) .

حقا فإن الوجه قد شحب ، وحامل القوس أصبح مستعدا ، والمجرمون في كل مكان ، ولا يوجد رجل من رجال الأمس[١]

حقا إن الناهبين فى كل مكان . . .

حقا إن النيل فى وقت الفيضان ، ومع ذلك لايحرث أحد من أجله . وكل إنسان يقول « لا نعرف ماحدث فى أنحاء البلاد »[٢] .

حقا لقد صارت النساء عاقرات ، وانقطع الحمل وأصبح الإله « خنوم » لا يسوى الناس بعد بسبب حالة الأرض[٣] المضطربة .

حقا لقد أصبح المعوزون الآن يمتلكون أشياء جميلة ، ومن كان يخصف نعليه فيما مضى أصبح صاحب ثروة .

— حقا إن أرقاء الرجال أضحت قلوبهم فى حزن[٤] وأصبح العظماء لا يشاطرون أهليهم أفراحهم (؟)

حقا إن القلب لثائر . والوباء قد انبث فى كل الأرض ، والدم صار فى كل مكان . . . ولفائف الموميات تتكلم ، وإن لم يقترب الإنسان منها .

حقا لقد دفن رجال عديدون فى النهر ، فأصبح النهر قبرا ، وصار المكان الطاهر[٥] مجرى .

حقا لقد أصبح الحزن يملأ (قلوب) أصحاب الأصل الرفيع ، أما الفقراء فقد امتلئوا سرورا ، وأضحت كل بلدة تقول : فلنقص القوى من بيننا .

حقا لقد أصبح منظر الناس كمنظر طير « جم[٦] » ، والقاذورات منتشرة فى كل البلاد ، ولا يوجد امرؤ بملابس بيضاء فى هذا الوقت .

---

(١) أى لا يوجد رجل كان محترما بالأمس .

(٢) أى أنه ليس لأحد ثقة كافية ليفلح الأرض فى هذه الأوقات الحرجة .

(٣) أى أن اخنوم أعرض الآن عن هذا العمل غير المجدى .

(٤) أرقاء الأغنياء الجدد .

(٥) مكان التحنيط . كانت الجثث من الكثرة بحيث أصبح دفنها متعذرا ، ولذا فإنها ألقيت فى الماء كالماشية الميتة .

(٦) نوع من الطير المائى له سيقان طويلة ورقبة طويلة كذلك ويظهر أنه طير قذر .

حقا لقد أصبحت الأرض تدور كعجلة صانع الفخار . وصار اللص صاحب ثروة (ثم يأتى بيت ممزق) .

حقا لقد تحول النهر دما . فهل يشرب الإنسان منه ؟ إنه يعافه بوصفه آدميا (لأن) الإنسان يظمأ للمـاء .

حقا إن (البوابات) والعمد والجدران قد التهمتها النيران (ومع ذلك) فإن حجرة (؟) قصر الملك لا تزال باقية ، وواقفة ثابتة .

حقا لقد أصبحت سفينة الجنوب[1] شاردة (؟) ، ودمرت البلاد ، وصار الوجه القبلى صحراء خاوية (؟)

حقا لقد أصبحت التمـاسيح فى تخمة بما قد سلبت ، إذ يذهب الناس إليها عن طيب خاطر وحالة البلاد أصبحت سيئة . . . . ويقول القوم : لاتدوسوا هنا ، ولـكنهم يدوسون هناك كأنمـا هناك سمك ، لأن الرجل الجبان ينقلب غاية فى الغباوة من الرعب .

حقا لقد أصبح الناس قليلين . على أن من يدفن أخاه فى الأرض يرى فى كل مكان[2] وبعد أن يتكلم المرتل يهرب على الفور .

حقا لقد أصبح ابن سلالة المجد لا يعرف (؟) وأصبح ابن زوجته ابن خادمته[3] (؟)

حقا لقد أصبحت الأرض الحمراء[4] منتشرة فى كل البلاد . وخربت المنازل . ونزل قوم أغراب من الخارج إلى مصر[5] . «البيت التالى ينتهى» : «ولا رجال فى أى مكان »[6]

حقا إن الذهب واللازورد والفضة والياقوت والـكرنيليان والبرنز والمرمر و . . . تحلى جيد الجوارى . والسيدات النبيلات (؟) يمشين فى طول البلاد وربات الخدور يقلن : ليت عندنا بعض الشىء لنأكل[7] »

---

(١) يحتمل أنه يقصد بذلك مصر العليا .

(٢) أى أن حفارى القبور يرون فى كل مكان .

(٣) لم يعد هناك أى تميز بين ابن ربة البيت (الزوجة) وبين ابن الخادمة .

(٤) أى الأراضى الأجنبية يقرنها بالأرض السوداء (مصر) وهـذه التعبيرات مأخوذة من الأراضى الصفراء والسوداء . والمعنى المقصود هو أن الإنسان أصبح يلقى الأجانب فى كل مكان .

(٥) هذا التعبير يظهر أنه لا يدل على غزو معاد .

(٦) أى أن المصريين لا يرون الآن (وذلك لأن كلمة «رمث» أى الرجال كانت تستعمل للمصريين فقط وما سواهم كانوا متوحشين) .

(٧) يستجدين .

حقا فإن . . . أعضاء السيدات فى حالة يرثى لهـا إذ يرتدين الخرق البالية . وقلوبهن تنفطر حينما يُحيِّين[١] .

حقا فإن صناديق الأبانوس تـكسر . وخشب « سسنم » الثمين يقطع قطعا للأسرة (؟) .

حقا لقد أصبح بناءو (الأهرام) عمالا فى الحقول ، والذين كانوا فى سفينة الإلـه أصبحوا تحت نير واحد[٢] . ولا يسيح الناس إلى « جبيل » اليوم[٣] . وإذن ماذا نصنع للحصول على خشب الأرز اللازم للموميات ؟

فالـكهنة يدفنون بمستخرجاتها والأمراء حتى بلاد كفتيو (كريت)[٤] يحنطون بزيتها ، فهى لا ترد بعد قط ، والذهب قلّ وال ... الذى كان يستعمل فى كل الحرف قد انتهى ... وكم يظهر للإنسان عظيما عند ما يأتى إليه أهل الواحات حاملين محصولاتهم من نبات وطيور[٥] .

حقا فإن « إلفنتين » و « طينة » (؟) وهما من ممتلـكات الوجه القبلى أصبحتا لا تؤديان الضرائب بسبب الحروب الداخلية . وهنـاك حاجة إلى الفاكهة والفحم وكل أنواع التجارة ، وكل ماينتجه الصناع . . . فما فائدة وجود بيت مال بدون دخل ؟

ولاشك فى أن قلب الملك يسر عند مايقف على الحقيقة[٦] . فقد دخلت (البلاد) كل مملـكة أجنبية ، وهذا مأوانا : وهذه سعادتنا . . . ولـكن ماالعمل ؟ وكل شىء ينحدر إلى الدمار !

حقا لقد قضى على الفرح ، ولم يعد يقام ، بل الحزن هو الذى يتمشى فى طول البلاد ممزوجا بالأسى .

حقا فإن الأموات أصبحوا مثل الأحياء (؟ ؟) ومن كانوا مصريين أصبحوا أجانب (؟)

حقا لقد سقط شعر كل إنسان ؟ وأصبح لا يميز بين ابن الرفيع وبين ابن من لا والد له . . . والجلبة لم تـكن غير متوفرة فى سنى الجلبة ولا نهاية للضوضاء .

حقا فقد أصبح كل من العظيم والحقير يقول : « ليتنى كنت ميتا » ! والأطفال الصغار

---

(١) المعنى أنهن يخجلن حينما يشاهدن فى حالة بؤسهن

(٢) أى أن مهندسى وربان السفن الملـكية (وهى التى يقصد بها سفن الإله) يشتغلون عمالا عاديين

(٣) ميناء لبنان الذى منه يجلب خشب الأرز وزيته

(٤) كريت التى كانت تحت السيطرة المصرية منذ عهد قديم

(٥) أصبحت هـذه التجارة الحقيرة مما ترتاح إليه النفوس بعـد أن قضى على كل أنواع التجارة الواسعة

(٦) قد يعنى بذلك الحقيقة التى لم يخبر بها الملك

يقولون : « كان يجب عليه ألا يجعلنا على قيد الحياة » .

حقا فقد أصبح أولاد الأمراء يضرب الناس بهم عرض الحائط — وأطفال الشهوة يلقون على قارعة الطريق[1] . وأصبح الإلـه « خنوم » يئن تعبا

حقا فإن الذين كانوا فى « المكان الطاهر » قد ألقوا على قارعة الطريق ، وأصبح سر المحنطين جهرا[2] .

حقا فإن ما كان لا يزال يرى حتى الأمس قد دمر وهجرت الأرض لآلامها كما يقتلع الإنسان الكتان[3] (من أصوله)

حقا فإن الدلتا بأجمعها أصبحت غير محمية (كما كانت) والاعتماد على أرض الشمال أصبح (الآن) طريقاً معبداً[4] . وماذا يفعل الإنسان ؟ . . . وسيقول الناس حقا : لعن المكان الوعر ! ولكن انظر فقد أصبح الآن ملكا على السواء لمن يجهلونه ومن يعرفونه ، وأصبح الأجانب مهرة فى صناعات الدلتا .

حقا فإن المواطنين قد ألقى بهم على أحجار الطواحين . وهؤلاء الذين كانوا يرتدون الكتان الجميل أصبحوا يضربون . . . واللائى لم يشاهدن نور النهار قد خرجن[5] . . . واللائى كن على أسرة أزواجهن ، أصبحن ينمن على مضاجع مقضة . . . وأصبحت السيدات يتألمن مثل الإماء ، ومغنيات الخدور أصبحت أغانيهن لإلـهة الغناء أنشودة حزن ، والقاصون . . . يجلسون على أحجار الطواحين[6]

حقا فقد أصبحت الخادمات من الإماء يوجهن ألسنتهن حيث شئن[7] ، وعند ماتتكلم سيداتهن فان ذلك يكون مملاً لإمائهن

(١) الحاجة اضطرت القوم إلى إلقائهم

(٢) موميات علية القوم قد انتزعت من المقابر

(٣) حينما يقتلع الكتان لا يترك منه شىء قط فى الأرض

(٤) أى أن مستنقعات الدلتا وبحيراتها التى كانت تعد أداة دفاع طبيعية أصبحت قليلة الجدوى ، إذ دخلها الأجانب فى عصابات واشتغلوا بحرفها . ولا يخفى على الذهن أن الدلتا كانت فى أواخر العصور القديمة وخلال القرون الوسطى مركزا للصناعة والتصدير ، ومن الجائز أن الحالة كانت كذلك فى هذا العصر القديم

(٥) ربما يريد الكاتب . كما فى الجملة التالية أن سيدات الطبقة الراقية اللائى كن يسكن فى البيوت أصبحن مرغمات على العمل الشاق فى الخارج فى حرارة الشمس

(٦) يقصد بذلك المغنيات والقاصين الذين كانوا يسلون ربات الخدور

(٧) أى يقلن ما يرغبن

حقا . . . وسيقول الناس حينما يسمعونها : « لقد أتلف الفطير لمعظم (؟) الأطفال ، وليس هناك طعام لأجل ... ، فما طعم هذا اليوم ؟

حقا فقد أصبح الحكام جياعا وفى بؤس ......

حقا فإن الرجل الأحمق يقول : « إذا عرفت أين يوجد الإله فانى أقدم له قربانا » (لقد أصبح الصدق كذبا فى الأرض ، والحصاد قد اغتصب كل متاعه)

حقا فإن كل قلوب الماشية تبكى والقطعان تندب حالة البلاد

حقا لقد أصبح أبناء الأمراء يضرب بهم القوم عرض الحائط ، والأطفال الذين كانوا محبوبين قد ألقى بهم على قارعة الطريق . والإله « خنوم » يشكو بسبب إعيائه[1] .

بيت مبهم :

حقا لقد . . . عمت الوقاحة (فى كل البلاد) عند كل الناس[2] . والرجل يقتل أخاه من أمه . فما العمل فى ذلك ؟ . . .

حقا لقد أصبحت الطرق . . . والشوارع تحرس[3] والناس يختبئون فى الأعشاب حتى يأتى المسافر فى ظلام الليل ليسلبوا منه حمله . وما عليه يسرق ، ويضرب بالعصا حتى ينقطع نفسه ثم يذبح ظلما

وفى الحق لقد دمر ما كان مرئيا بالأمس ، وقد تركت الأرض لمتاعبها ، كما يقتلع الإنسان منها الكتان[4] ، والفقير ... فى شجى ... ليت آخر الناس يكون قد حل ، فلا حمل ولا ولادة ! ليت العالم يتخلص من الغوغاء وتنفض المشاحنات !

وفى الحق لقد أصبح القوم يعيشون على الحشائش ويشربون الماء . وقد أصبحت الطيور ولا فاكهة ولا أعشاب تأكل منها . وقد أصبحت القاذورات تختطف من أفواه الخنازير دون أن يقال (كما كان يقال فى الزمن السالف) « هذا أحسن لك مما هو لى » لأن القوم صاروا جياعا[5]

---

(١) وذلك لأن التعب الذى لاقاه بسبب تسويته بنى الإنسان قد ظهر له أنه تعب ضائع . وهذا البيت من الشعر قد ورد ذكره فيما سبق

(٢) هذه الجملة مأخوذة عن الشجار بين إنسان سئم الحياة وبين روحه مما يدل على أن هذا المقال قد كتب بعد مقال الشجار بين إنسان سئم الحياة وبين روحه

(٣) أى باللصوص

(٤) قد ورد ذكر هذه الجملة آنفا

(٥) أى أن القوم أصبحوا يأكلون ما كانوا يطعمون به الدجاج والخنازير

وفى الحق قد انعدمت الغلال فى كل مكان ، وجرد القوم من الملابس والعطر والزيت وصار كل إنسان يقول : « لم يبق شىء » . وصار المخزن خلوا ، وحارسه قد أصبح ملقى على الأرض ، وإن ذلك ليس بالأمر السار لقلبى . وليت فى مقدورى أن أرفع صوتى فى هـذه الآونة حتى كان يخلصنى من الألم الذى أنا فيه الآن[١] !

وفى الحق لقد سلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة ، وأصبح المكان السرى مكشوفا . .

وفى الحق لقد أذيع سر التعاويذ السحرية ، وصارت لا أثر لها (؟) لأن القوم قد حفظوها فى أذهانهم[٢] .

وفى الحق لقد فتحت الإدرات العامة ، ونهبت قوائمها . وصار العبيد أصحاب عبيد[٣]

وفى الحق لقد ذبح الموظفون وسلبت قوائمهم . فتعساً لى بسبب البؤس فى مثل هذا الزمن !

وفى الحق لقد دمرت دفاتر كتاب الحقيبة ، وأصبحت غلال مصر ملكا مشاعا[٤] .

وفى الحق لقد وضعت قوانين قاعة المحاكمة فى البهو . وصار القوم يطئونها فى الطرقات ويمزقها الفقراء فى الأزقة .

وفى الحق لقد وصـل الفقير إلى مرتبـة الآلهة التسعة ، وإجراءات بيت الثلاثين قد أفشيت[٥] .

وفى الحق لقد أصبحت قاعة العدل العظمى مكتظة[٦] . ، والفقراء يروحون ويجيئون فى البيوت العظيمة[٧] .

وفى الحق لقد أصبح أولاد الحكام يلقون فى الشوارع . ومن كان صاحب معرفة يقول : نعم ، والجاهل يقول : لا ، . فالذى لا علم له يظهر ذلك عنده حسنا[٨] .

---

(١) هل يقصد بذلك أن النبى يؤنب نفسه لأنه لم يأت متقدما فى الوقت المناسب ؟

(٢) لقد أصبحت عديمة الجدوى لأنها صارت معروفة . ويجب أن يلاحظ أن التعاويذ السحرية كانت تعد ملكا ثمينا للحكومة

(٣) كانت نتيجة ضياع القوائم أن أصبح الإنسان لا يعرف من كان عبدا

(٤) محصول الغلال الذى يعيش عليه كل الناس أصبح الآن تحت رحمة أى فرد لأن الوثائق التى ينظم على أساسها توزيعه قد فقدت

(٥) أى أنه لم يعد للثلاثين موظفا الذين كانوا يتولون أعلى المناصب فى البـلاد أى تأثير على القوم الذين صاروا كالآلهة

(٦) أى أن القاعة أصبحت مزدحمة

(٧) أى أن الرعاع أصبحوا يدخلون الآن البيوت الستة العظمى (المحاكم العليا القديمة) بدون خوف ولا وجل .

(٨) قد حضر هذا البيت بطريقة مشوهة فى تعاليم « أمنمحات »

وفى الحق أصبح أولئك الذين كانوا فى « المكان الطاهر » يلقون على قارعة الطريق . وصار سر المحنطين مكشوفا[١] .

[الشعر الثانى]

إن المصائب التى يتحدث عنها هذا الشعر تفوق بمراحل تلك التى كان يُشتكى منها فيما سبق ؛ إذ دمرت الملكية وأصبح الشعب هو القابض على زمام الأمور تماما . وقد نوّه مرارا بأن سفلة القوم أصبحوا من أهل اليسار ، على حين أن علية القوم قد انحطوا إلى حضيض البؤس .

وكما أن الشعر الأول يبتدئ كل بيت فيه « حقا فقد » . أو « وفى الحق» ، ليصور لنا حقيقة معلومة قد وقعت ، فان الشعر الثانى يبتدئ بتكرار كلمة « انظر » ليضع أمامنا بجلاء حوادث قد حدثت فى الحال أو لا نزال جاريا وقوعها .

انظر ! إن النار قد اشتعل لهيبها عاليا ، ويندلع شررها ضد أعداء البلاد .

انظر ! لقد حدثت أمور لم تحدث منذ زمن بعيد مضى ، إذ اختطف الفقراء الملك[٢] .

انظر ! إن الذى دفن كصقر[٣] أصبح يرقد على نعش ، وماخبأه الأهرام[٤] قد أصبح خلوا .

انظر ! لقد تجاسر بعض الخوارج فحرموا البلاد الملكية .

انظر ! لقد آل الأمر إلى أن يُظهر الناس العداء للصل[٥] (حامى ؟) رع الذى جعل الأرضين فى سلام .

انظر ! إن سر الأرض الذى لا يعرف أحد حدوده[٦] قد أفشى ، وأصبح مقر الملك رأسا على عقب فى لحظة .

انظر ! إن مصر قد أصبحت تصب الماء ، ومن كان يصب الماء على الأرض . . . . وقد قبض على الرجل القوى ، وهو فى بؤس (صب الماء كان يقوم به الفقراء من الناس)

(١) قد ورد ذكر هذا البيت آنفا

(٢) يقصد بذلك نهب القبر الملكى

(٣) أى الملك

(٤) التابوت

(٥) صل الملك وإله الشمس (رع) وهو الثعبان الذى يوضع فى مقدمة التاج الملكى لينفث السم فى وجه كل من يريد أن يقترب من الملك بسوء

(٦) الأمور السرية التى لا يعرفها أحد غير الملك

انظر ! إن الحية « كرحت »[1] قد أخذت من وكرها . وبذلك أفشى سر ملوك الوجه القبلي والبحرى .

انظر ! إن مقر الملك خائف لاحتياجه . وال . . . . وسيحدث الاضطراب وليست هناك مقاومة .

انظر ! إن الأرض ملأى بالعصابات ، والرجل القوى يغتصب التمساء متاعه[2] .

انظر ! إن الحية « كرحت » . . . المتعبين[3] . ومن لم يكن فى مقدوره أن يصنع لنفسه تابوتا أصبح يملك قبرا[4] .

انظر ! إن أرباب المقابر[5] (المكان الطاهر) قد ألقى بهم على قارعة الطريق . وذلك الذى لم يكن فى مقدوره أن يصنع لنفسه كفنا أصبح الآن صاحب ثروة (؟)

انظر ! لقد حدث هـذا بين الناس ؛ فمن لم يكن فى قدرته أن يقيم حجرة أصبح الآن يملك فناء مسوّرا

انظر ! إن قضاة البلاد قد طردوا فى طول الأرض . . . طردوا من بيوت الملوك

انظر ! إن العقيلات الشريفات يرقدن على الفراش الخشن ، والأمراء ينامون فى المخزن . ومن لم يكن ميسورا له أن ينام على الجدران أصبح صاحب سرير

انظر ! إن الرجل الغنى أصبح يمضى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدى منه الحثالة أصبح يملك الجعة القوية[6] .

انظر ! إن أولئك الذين كانوا يملكون الملابس أصبحوا فى خرق بالية ، ومن كان لاينسج لنفسه أصبح الآن يملك الكتان الجميل .

انظر ! إن الذى لم يبن قط لنفسه قاربا أصبح الآن يملك سفنا ، وأصبح صاحبها ينظر إليها ، ولكنها لم تعد ملكه بعد .

---

(١) حية تسكن الأماكن المقدسة (القصر فى هذه الحالة) ملاكا حارسا

(٢) أى أن الفرد الذى كان لا يزال قويا حتى الآن أصبح الرعاع ينهبونه وهم مجتمعون عصابات . والأبيات التالية توضح هذا

(٣) الموتى

(٤) قد سرقه لنفسه

(٥) يقصد بذلك الموتى

(٦) أى الجعة التى تسكر

انظر ! إن الذى لم يكن يملك ما يظله من حرارة الشمس أصبح يملك ظلا ، وهؤلاء الذين كانوا يملكون ما يأويهم أصبحوا الآن عرضة لزعازع العاصفة[1] .

انظر ! إن من كان يجهل الضرب على العود أصبح يملك عودا ، ومن كان لا يغنى له أحد أصبح الآن يثنى على إلهة الغناء

انظر ! إن الذين كانوا يملكون موائد شراب من النحاس أصبح لا يُحلّى إناء[2] واحد لفرد منهم (؟؟)

انظر ! إن من قد نام أعزب بسبب الحاجة أصبح الآن يجد السيدات (؟) ...

انظر ! إن من كان لا يملك شيئا أصبح ذا ثروة ، وأصبح الرجل العظيم[3] يمدحه

انظر ! إن فقراء الأرض أصبحوا أغنياء ، ومن كان يملك متاعا أصبح لا شيء عنده .

انظر ! إن الذين ... أصبح لهم طائفة من الخدم ، ومن كان رسولا أصبح يرسل غيره

انظر ! إن من كان لا يملك الخبز أصبح يملك جرينا ، وما يملأ به مخزنه هو متاع غيره

انظر ! إن الأصلع الذى كان لا يستعمل الزيت أصبح يملك أوانى العطور الزكية

انظر ! إن من كانت لا تملك صندوقا أصبحت تملك صوانا ، وتلك التى كانت تشاهد وجهها فى الماء أصبحت تملك مرآة

[بيت ترك ناقصا]

انظر ! إن الرجل يصبح سعيداً حينما يأكل طعامه . أنفق مالك فى سرور دون أن تغل يدك ! فإنه خير للرجل أن يأكل طعامه ، فإن الله يمنحه من يمدحه[4]

انظر ! إن من كان يجهل إلـهه أصبح يقدم له قربانا من بخور آخر ...

انظر ! إن السيدات النبيلات والسيدات العظيمات اللائى كن يملكن متاعا حسنا أصبحن يقدمن أولادهن إلى الأسرة[5] .

انظر ! إن من اتخذ سيدة زوجة أصبح والدها يحميه ...

---

(١) أى أنهم أصبحوا بدون مأوى معرضين لحرارة الشمس اللافحة والزعازع

(٢) المتن هنا مشوه ، وقد يكون هذا إشارة إلى عادة وضع أزهار حول أوانى الخمر

(٣) أو الموظف الكبير ؛ وقد كان عليه أن يقدم الخضوع للمحدثين

(٤) يظهر أن هـذه الجملة مقتبسة من كتاب قديم ، غير أن موضعها هنا ليس ملائما أو أننا لا نفهم مناسبتها هنا

(٥) هل معنى هذا أنهن أصبحن عاهرات ؟

انظر ! إن أولاد رجال البلاط أصبحوا فى خرق بالية . . . . وماشيتهم صارت متاع الناهبين .

انظر ! إن القصابين يذبحون الماشية للفقراء ...

انظر ! إن من لم يذبح لنفسه قط أصبح الآن يذبح ثيرانا . . .

انظر ! إن القصابين يذبحون الإوز الذى يقدم للإله بدلا من الثيران[١] .

انظر ! إن الجوارى . . . يقدمن الإوز . . . السيدات . . .

انظر ! إن السيدات الشريفات يهربن ... وأطفالهن ، ويلق بأطفالهن خوفا من الموت

انظر ! إن رؤساء البلاد يهرولون دون أن يكون لهم أى عمل بسبب الحاجة ...

انظر ! إن الذين كانوا يملكون الأسرة أصبحوا يرقدون على الأرض . وذلك الذى كان ينام فى الأوساخ أصبح يملك الآن سريرا

انظر ! إن السيدات الشريفات قد أصبحن جائعات ؛ ولكن القصابين أصبحوا فى كظة متخمين من الشبع بما يعملونه[٢] .

انظر ! فإن الوظائف ليست فى موضعها الصحيح مثل القطيع المذعور الذى لا راعى له .

انظر ! إن الماشية قد تركت تضل سبيلها ولا إنسان يجمعها ويلم شعثها . فكل إنسان يذهب ويأخذ لنفسه منها ويسمها باسمه (أى يعلمها)

انظر ! إن الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه وحيدا لينجى نفسه

انظر ! إن من كان يملك زوج ثيران أصبح يملك أزواجا . ومن لم يكن فى مقدوره أن يحصل على ثيران للحرث أصبح يملك قطعانا

انظر ! إن الذى لم يكن يملك حبة أصبح الآن يملك أجرانا . ومن كان يبحث لنفسه عن صدقات من القمح أصبح الآن يخرج من مخازنه ويجعلها توزع

انظر ! إن من كان لا يملك أتباعا أصبح رب عبيد . ومن كان من علية القوم أصبح الآن ينفذ أوامر غيره

---

(١) المعنى المحتمل هو أن الأغنياء المحدثين يفضلون أن يقدموا الإوز قربانا للآلهة بدلا من الثيران التى يأكلونها هم

(٢) أى أنهم يأكلون لحوم الحيوانات التى يذبحونها (راجع Blackman. Journal of Egyptian Archeology XI P. 213 ff.

انظر ! إن عظماء الأرض أصبحوا ولا أحد يخبرهم عن حالة عامة الشعب . وكل شيء آيل للخراب !

انظر ! لا صانع يعمل ، والعدو يحرم البلاد حرفها .

انظر ! إن من حصد المحصول لا يعرف عنه شيئا . ومن لا يحرث لنفسه يملأ مخزنه ... وإن الحصاد يحرث ، ولكن لم يذكر عنه شيء ، والكاتب يجلس فى مكتبه ، ولكن يديه لاتعملان شيئا ؟ ؟ ...

[الشعر الثالث والرابع]

(بعض أبيات ناقصة وممزقة كل منها يبتدئ بكلمة « مدمر » وفى الفقرة التى قبل الآخر يمكن أن تفهم مايأتى) . الرجل الفقير يستيقظ عند ماينبثق نور النهار عليه دون أن يخافه ، وإنها لخيام قد صنعوها مثل المتوحشين .

(والبيت الأخير) : لقد أتلف تنفيذ ما أرسل من أجله الخدم بأمر من أسيادهم ، فإنهم أصبحوا غير وجلين

انظر ! إنهم كانوا خمسة رجال[1] . وهم يقولون : اذهبوا أنتم على الطريق الذى تعرفونه . أما نحن فقد وصلنا (إلى موطننا)

(وتتبع ذلك فقرة منفردة)

إن الدلتا تبكى ومخزن الملك أصبح ملكا مشاعا لكل فرد . ولا ضرائب تجبى للقصر كله ، ومع ذلك فإن له قانونا شعيرا وقمحا ودجاجا وسمكا ، يملك المنسوج الأبيض والتيل الجميل والنحاس والزيت ، ويملك الحصير والبُسط .. ومحفة وكل المحاصيل الجيلة ... فإذا لم يعلن ذلك إلى الآن فى القصر فحينئذ ...

أما الشعر الرابع الذى لم يبق منه إلا نتف فإن ستة الأبيات التى يحتويها يبتدئ كل منها : دَمِّرْ أعداء المقر الملكى العظيم ، (ومن ذلك يستنتج أنه يحتوى بلا شك على الأمر بمقاومتهم)

وقد نعت هنا مقر الملك بصفات مثل صاحب الوظفين المتفوقين ، وصاحب القوانين العدة ، وصاحب الوظائف العدة ، وفى البيت الأول يمكن قراءة الكلمات الآتية : المشرف على العاصمة . يخرج بدون شرطة

(١) كانت هناك عصابات مكونة من خمسة رجال ولم يعودوا يكلفون أنفسهم مشقة القيام بمهمات ـ بل انتظروا أن يقوم بها الرؤساء أنفسهم

[الشعر الخامس]

نجد فيه ثمانية أبيات أو أكثر تبتدىء بكلمة « تذكر » ، وهى خاصة بعبادة الآلهة ، وكيف كانت تعبد فيما مضى ، وما سيئول إليه أمرها فى المستقبل .

وكل ما يمكن أن يقال عن البيت الأول أنه يذكر فردا فى ألم ويذكر كذلك إلٰهه

تذكر . . . كيف يضمخ بالبخور ، والماء يقدم من إبريق فى فلق الصبح .

تذكر كيف تجلب الإوز سمينة ، ويُقَرَّبُ الإوز والبط والقرابين الإلٰهية إلى الآلهة

تذكر كيف كان يمضغ النطرون[١] ويجهز الخبز الأبيض فى اليوم الذى يبلل فيه الرأس[٢] .

تذكر كيف كانت تنصب الأعلام[٣] ، وتنقش ألواح القربان ، وكيف كان الكهنة يطهرون المعابد ، ويبيض بيت الله كاللبن ، وكيف كان يعطر الأفق[٤] ويخلد القربان من الخبز .

تذكر كيف كانت ترعى الأنظمة ، وتوزع أيام الشهر ، ويعزل الكهنة الأشرار (؟) .

تذكر كيف كانت الثيران تذبح . . .

[وفى الأبيات الختامية المزقة نقرأ من بين ما جاء فيها] : وُضعت الإوز على النار [طبعا ضحية] .

يتلو ذلك فقرة طويلة فيها يخاطب الحكيم نفسه أولاً ثم أشخاصا كثيرين ، ولم يفهم مما حفظ إلاّ « انظر . أين يبحث هو ليسوى البشر ؟ دون أن يُميّز الرجل الخجول من الرجل الأحمق وهو يجلب البرودة إلى اللهيب ، ويقال عنه إنه راعى الإنسانية ولا يحمل فى قلبه شرا ، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه فى جمع بعضها إلى بعض وقلوبها محمومة (من الحزن) »

« وليته عرف أخلاقها فى الجيل الأول فعندئذ كان فى مقدوره أن يضرب[٥] الشر وكان

---

(١) كان الكاهن يطهر فمه بماء النطرون

(٢) المعنى غامض

(٣) عند مدخل المعبد . والفقرة تشير إلى استعادة المعابد الخربة

(٤) المعبد

(٥) يحتمل أن هذا إيماء إلى الخرافة التى تقص أن « رع » حينما حكم العالم فى الزمن الأول لم يدرس الإنسانية جملة كما تستحق بجحودها . ويحتمل أن يكون المعنى أيضا : ليت رع قد فطن فى ذلك العهد إلى أن الناس لا يمكن ردعهم عن الخطايا وأنه يجب محقهم .

فى قدرته أن يمد ذراعه (يعنى الشر) ، وكان فى مقدوره أن يقضى على بذرتهم هناك وعلى وراثتهم . فأين هو اليوم ؟ هل هو بطريق الصدفة ينام ؟ »[١]

انظر ؟ إن بأسه لا يرى

إذ عند ما نلتى فى الحزن فانى لم أجدك ، ولم أناد ...

[وبعد عدة فجوات طويلة يصير المتن ثانيا مفهوما]

« إن القيادة والفطنة والصدق معك[٢] ، غير أن ما تبثه فى طول البلاد هو الفوضى وغوغاء الذين يتخاصمون . انظر ! إن الفرد يرمى الآخر ... وإذا سافر ثلاثة رجال على طريق واحد فلا يوجد منهم إلا اثنان ؛ إذ أن العدد الأكبر يذبح العدد الأصغر . أيوجد راع يحب الموت ؟[٣]

« ولكنك ستأمر أن تجاب ... فالأكاذيب تتلى عليك ، والبلاد قش ملتهب ،[٤] والناس لا يعتمدون على الشجار ، وكل هذه الأعوام ارتباك . فالرجل يقتل على سطح بيته حينما يكون مراقبا فى حدود منزله . ولكن إذا كان قويا فانه ينجى نفسه ويبقى حيا [والناس يرسلون خادما لرجل فقير فيمشى على الطريق إلى أن يرى الفيضان (؟) (ثم يسرق هناك ؟) فيقف مبتئساً (؟) ويسرق ما عليه ثم يضرب بالعصا إلى أن ينقطع منه النفس ويذبح ظلما[٥]

« ليتك تذوق بعض هذا البؤس بنفسك وعندئذ يمكنك أن تقول ... »

[الشعر السادس]

[وصف للوقت السعيد الذى يحفظه المستقبل]

« على أنه من الخير عند ما تسير المراكب جنوبا ...

[بيت مهشم]

على أنه من الخير أن تنصب الشباك وتمسك الطيور[٦] ...

---

(١) من المؤكد أن الربان النائم هو الملك

(٢) أى أنك تحرز الصفات اللازمة للملك ولكنك لا تنتفع بها

(٣) بين قطيعه

(٤) حرفيا (كاكا) وهى نبات يحترق بسهولة

(٥) ورد ذكر هذا البيت آنفا

(٦) يقصد بذلك صيد الطيور بالشباك

[بيت يحتمل أنه خاص بالطرب]

على أنه من الخير أن تشيد أيدى النـاس الأهرام ، وتحفر البرك ، وتنشىء للآلهة مزارع فيها أشجار .

على أنه من الخير أن يكون الناس سكارى ، وأن يشربوا ...[1] فرحى القلب .

على أنه من الخير أن يكون السرور فى أفواه القوم ، وحكام المراكز يقفون وينظرون إلى الأفراح فى بيوتهم (؟) وهم مرتدون جميل الملابس ...

على أنه من الخير أن تـكون الأسرة وثيرة ، ووسادات[2] العظماء محمية بالتعاويذ ، ورغبة كل إنسان تحقق بسرير مظلل خلف باب مغلق ، (فلا يحتاج ؟) إلى النوم فى الأعشاب .

على أنه من الخير عند ماينشر الـكتان الجميل فى يوم رأس السنة (؟)

[وبعد سلسلة فجوات فى ورقة البردى تأتى فقرة لابد أنها كانت تحتوى على جواب الملك الذى يجيب عليـه الحـكيم بعد ذلك . وفيما حفظ من هـذه الفقرة يظهر أن ذكر « المقترعين » قد جاء وأن الشباب قد ثار وهاجم مصر كالأجانب . ثم أراد أهل الجنوب أن يأخذوا بناصر مصر التى هى بمثابة الأخ والأخت] .

... ولا يوجد أحد يقف لحمايتها ... وإذا كان أى إنسان يحارب من أجل أختـه فإنه يحمى نفسه[3] .

والسود يقولون : « سنـكون حامين لـكم . دع القتال يعظم لِيُقْـهرَ « شعب القوس » . وإذا كان فيهم « محو » فمندئذ نعيد الـكرة »

وقوم « المتاو » المصادقون لمصر (يقولون ؟) : كيف يمكن أن يكون هناك رجل يريد أن يقتل أخاه ؟ ؛

والجنود الذين نجندهم لنا أصبحوا من شعب القوس الذين أرادوا أن يدمروا المـكان الذى نبعوا منه ، وهم يظهرون للبدو حالة البلاد ، غير أن كل البلاد الأجنبية خائفة منهم ...

[وبعد فجوة طويلة] : يقول المقترعون ...

---

(١) نوع خاص من الشراب

(٢) الوسادات الخشبية التى يستند عليها الرأس عند النوم . وكان القوم يميلون إلى تزيينها بأشكال الأرواح الشهيرة التى يظن أنها تحمى النائمين

(٣) هل هذا نداء مصر طلبا للمعونة من الشعوب الجنوبية ؟

[الباقى كله مهشم]

وهذا ماقاله « ايور » عند ما أجاب جلالة رب العالمين ... على أن تـكون جاهلا به[١] فان ذلك أمر يسر القلب . ولقد عملت ما هو صالح فى قلوبهم ، وقد جعلت الشعب يحيا بينهم[٢] ، غير أنهم لايزالون يسترون وجوههم خوفا من الغد .

واتفق أن وقف مرة رجل مسنّ أمام الموت ، وكان ابنه لا يزال طفلا لا إدراك له ... ولم يفتح بعد فاه ليتكلم إليك . وقد اختطفته بموت محتوم[٣] ...

[وهناك كلمـات مفردة لا تزال موجودة تدل على أن الموضوع الذى تحت البحث كان مستمرا فى سرد حال البلاد : — البكاء ، واقتحام مقاصير القبور وإحراق التماثيل]

المصادر :

المصادر التى اعتمدنا عليها فى درس هذا المقال ما يأتى :

(1) Leyden Papyrus, No. 344.
(2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p.p. 23 f.f.
(3) Peet, "A Comparative study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p.p. 118 — 119.
(4) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 194 f.f.
(5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 92 f.f.
(6) Gardiner, "The Admonitions of an Egyptian Sage"

---

(١) قد يعنى بذلك المستقبل

(٢) أى بين المصريين

(٣) ماذا تعنى هذه القصة ؟ هل هو يقصها لغرض الإيضاح أو هل هى مقدمة لـكل الـكارثة ؟

« نبوءة نفر روهو »

عثر الأستاذ « جولتيشف » على بردية موجودة الآن بمتحف « لننجراد » وهى تحتوى على نبوءات كاهن مرتل اسمه (نفر روهو) . وهو يدعى أنها ألقيت فى حضرة الملك «سنفرو» الذى ينتسب إلى أوائل الأسرة الرابعة ، أى قبل العصر الإقطاعى الذى نحن بصدده بما يقرب من ألف سنة

والواقع أن ذلك هو مجرد وضع تمثيلى ليسبغ على كلمات « نفر روهو » الهامة قوة التأثير . ومن حسن الحظ أن كاتبا آخر من عهد الدولة الحديثة ممن عاشوا فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد قد ظهرت له أهمية ذلك المقال حتى إنه لما لم يجد لديه برديا أبيض ينقله فيه أخذ بعض أوراق أخرى مستعملة فى تدوين حسابه هو ، ونقل تلك النبوءات على ظهرها . وبذلك بقيت نبوءات « نفر روهو » فى تلك الصورة التى وصلتنا عفوا بما تحتويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التى حدثت عند نقلها بطريق المصادفة كما ذكرنا

والوثيقة تبتدىء بمنظر مألوف فى كل عصور التاريخ المصرى حتى فى النقوش الرسمية ويصور مقدمة للموضوع . فيجلس الملك مع حاشيته يتشاور فى أمر أو تقص عليه الحاشية حكاية ، أو كما نجد فى غير هذا المكان أن الملك لحب استطلاعه إلى أمور الغيب تتوق نفسه لسماع شىء لم يكن يعرفه

فيقول : « والآن اتفق فى عهد جلالة الملك « سنفرو » وهو الملك المحسن فى كل هذه الأرض أن موظفى الحاضرة دخلوا يوما القصر ليقدموا للملك تحياتهم[1] . ثم جاءوا ثانية ليقدموا تحياتهم كرة أخرى كما كانت عادتهم اليومية . وعندئذ قال الملك لمستشاره الذى كان بجانبه : « اذهب وأحضر إلىّ موظفى مقر الملك الذين خرجوا من هنا اليوم ليقدموا تحياتهم ، فدخلوا عليه وسجدوا وانبطحوا على بطونهم أمام جلالته كرة أخرى

وقال لهم جلالته : « يا إخوانى . لقد أمرت بطلبكم لتبحثوا لى عن ابن من أبنائكم يجيد الفهم أو أخ من إخوتكم بارع ، أو صديق من أصدقائكم قد أنجز بعض عمل شريف ، أى فرد يتحدث إلىّ بكلمات جميلة وألفاظ مختارة عندما تسمعها جلالتى تجد فيها تسلية » .

---

(١) يقصد « بتقديم التحيات » الأنباء اليومية عن كبار الموظفين وكانت تقدم أولاً إلى الملك ثم إلى الوزير وغيره من رؤساء الأقسام

وعندئذ سجدوا منبطحين على بطونهم فى حضرة جلالته مرة أخرى

وقالوا فى حضرة جلالته : « يوجد مرتل عظيم للآلـهة « باست »[1] يأيها الملك يا مولانا ، واسمه « نفر روهو » ، وهو شعبى قوى الساعد وكاتب حاذق الأنامل ، وهو شخص مسود أغنى أقرانه . ليته يشاهد جلالتك » !

فقال جلالته : « اذهبوا وأتونى به » وأدخل عليه فى الحال[2] وسجد على بطنه فى حضرة جلالته . وقال جلالته : تعالى الآن يا « نفر روهو » يا صاحبى وحدثنى ببعض كلمات جميلة ، كلمات مختارة حينما أسمعها ربما أجد فيها تسلية . فقال المرتل « نفر روهو » : هل ستكون الـكلمات من الأمور التى حدثت أو مما سيحدث يأيها الملك يا مولاى ؟ فقال جلالته : لا . مما سيحدث ، إذ أن الحاضر قد دخل فى الوجود ويمر الإنسان به

ثم مد يده إلى صندوق مواد الكتابة وأخذ قرطاسا وقلما ومدادا ودون « كتابة ماتحدث به الـكاهن المرتل » « نفر روهو » حكيم الشرق التابع للإلـهة « باست » . . . . ابن مقاطعة « عين شمس » حينما كان يفكر فيما سيحدث فى الأرض ، ويفكر فى حالة الشرق حينما يأتى الأسيويون بقوتهم ، وحينما يعذبون قلوب الحاصدين ويغتصبون ماشيتهم وقت الحرث » .

إن الإشارة للملك « سنفرو » فى هذه المقدمة لتنبؤات « نفر روهو » بعبارات تلفت نظر المؤرخ المحقق والأديب الفطن قد أبرزت لنا شخصية هذا الملك وميزته عن فراعنة مصر . إذ الواقع أن الأوصاف المعاصرة التى خلفها لنا التاريخ عن هؤلاء الملوك لا تفيد المؤرخ الباحث أو الأديب الناقد فى كشف النقاب عن شخصية أى « فرعون » فى صورة واضحة جلية . وإنا لنرى فى هذه الأوصاف والنعوت عقود مدح رسمية متشابهة متوارثة محفوظة عن ظهر قلب ، وقد غالى فى نظمها وتدبيجها الحاشية الملتفة حول الفرعون ، وهى تلك التى نقرؤها فى أول كل وثيقة ملـكية منقوشة على الأحجار أو مدونة على البردى . وقد تدرجت تلك النعوت فى الغلو والصعود بصفات الفرعون حتى جعلوه مؤلهاً وجعلوا صفاته تخرج عن دائرة بنى البشر عامة . على أن هذه المغالاة فى الأوصاف لم تقتصر فى مصر على عهد الفراعنة

---

(١) « باست » هى إلهة الفرح . رأسها رأس قطة وتعبد فى تل بسطة من أعمال الدلتا وهى (الزقازيق الحالية)

(٢) هذا الاصطلاح عادى فى القصص التى من هذا النوع . ولا يجب الأخذ به حرفيا لأن تل بسطة على بعد تسعين كيلو مترا على الأقل من حاضرة « سنفرو »

بل تجدها فى كل عصور تاريخها ، فالحاكم فيها ولو كان خصيا أومعتوهاً أوجاهلا كان يوضع فى مرتبة أعلى من مرتبة البشر الذين حوله ، وتلك حالة نلحظها متأصلة فى كل بلاد الشرق عامة . فلا غرابة إذاً إذا وجدنا فى مصر أن اسم الملك كان يطغى على كل من حوله من الشخصيات العظيمة فيجعلها مغمورة الذكر ، وربما كان لبعضها الفضل فى نهوض البلاد وإصلاحها اجتماعيا ، أو كان لبعض قوادها الفضل الأكبر فى إحراز النصر على الأعداء .

وقد بقيت الحال كذلك طوال عهد التاريخ المصرى القديم من البداية إلى النهاية ؛ على أن هذه الحال كانت نتيجتها فى نظر المؤرخ عكسية بالنسبة للملوك ، إذ ليس فى مقدوره أن يصل إلى حقيقة ما قام به كل منهم فعلا وذلك لتشابه أعمالهم وصفاتهم التى كانت شبه وراثة .

من أجل ذلك استرعى نظرنا ما قرأناه فى وثيقتنا عن « سنفرو » عند ما يقول المتن إنه كان ملكا محسناً ثم عند ما يخاطب أحد رجال رعيته بقوله : « يا صاحبى » ، وحينما يوجه الكلام إلى رجال حاشيته مخاطباً إياهم بقوله : « يا إخوانى » ، وعند ما نراه ينزل عن عليائه الإلهية ويقوم بعمل كاتب ، فبدلاً من أن يأمر كاتبه بإحضار الدواة والقلم ليكتب ما يملى عليه ، يقوم هو بنفسه ويأخذ القلم والقرطاس والدواة ويكتب هو ما يمليه عليه أحد صغار رعيته . كل هذه المشاهد لم نرها تحدث فى بلاط فرعون من فراعنة مصر . وإن ملكا يتصف بهذه الصفات ويتحدث إلى رجال شعبه بهذه الوداعة والألفة لخليق بأن يعد أول ملك شعبى فى العالم . ولا غرابة إذاً فى أن نرى الشعب المصرى قد قابل هذه الروح الديمقراطية بطاعة وإخلاص ، فبادل « سنفرو » الحب بالحب والاعتراف بالجميل ، وأصبح هذا الحب لذلك الفرعون العظيم ينتقل من جيل إلى جيل طوال التاريخ المصرى ، ولا أدلّ على ذلك من أننا لا نجد فرعوناً من فراعنة الدولة القديمة الذين ألههم الشعب وقدّسهم قد استمرت عبادته باقيــة منتشرة أكثر من الفرعون « سنفرو » الذى استمرت عبادته فى أكثر من مدينة مصرية حتى عهد البطالسة ؛ هذا إلى أننا نجد اسمه قد رُكب فى اسم كثير من المدن المصرية تركيباً مزجياً ، وما ذلك إلا لعظم تقديسه واحترامه .

على أنه لا يمكننا أن نعد الأحداث التى وصلت إلينا عن طريق التقاليد القومية الموروثة معياراً صحيحاً نحكم به على أخلاق الفرعون « سنفرو » ولكن من جهة أخرى قد يكون من الصعب علينا أن نعتبر تلك الميزات التى أبرزت لنا شخصية « سنفرو » — وهى فى ذاتها خارجة عن حد المألوف فى أخلاق فراعنة مصر — على غير أساس من الصحة . وعلى أية حال فإن التقاليد الشعبية الموروثة إذا لم تصل إلى منزلة الحقائق التاريخية فإنها تحتل بغير شك

المنزلة التى تليها . ولعمرى هل كان يقصد حكيمنا « نفر روهو » هنا أن يصف لنا «سنفرو» بهذه الصورة المحببة لقلوب الشعب ليضرب مثلا للحاكم الذى كانت تتطلع إليه البلاد وقتئذ ، كما سيجىء بعد فى وثيقتنا ليحذو الملك حذوه فى معاملة الشعب بالرحمة والرأفة والحب ، ويكون ديمقراطيا فى معاملتهم بعد ما رأى من احتجاب الفرعون فى قصره فى حين كان الخراب والدمار يعم أرجاء البلاد[1]

ثم يصف لنا بعد هذه المقدمة التاريخية التى تنسب لذلك المقال كما أوضحنا ، الخراب والفوضى اللذين كانا يحيطان به ، ومثله فى ذلك مثل خعخبر رع سنب .

إذ يتكلم مع قلبه فنراه يقول : « أنصت ياقلبى وانع تلك الأرض التى منها نشأت . . .

المتن :

لقد أصبحت تلك البلاد خرابا فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع . فأية حال تلك التى عليها البلاد ؟ لقد حجبت الشمس فلا تضىء حتى يبصر الناس .

وقد كان من نتيجة تعطيل أعمال الرى العظيمة العامة أن أصبح نيل مصر جافاً فيمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم ، وصار الإنسان عندما يريد أن يبحث عن ماء (يعنى النهر) لتجرى عليه السفن وجد طريقه قد صار شاطئا ، والشاطىء صار ماء ، وكل طيب قد اختفى وصارت البلاد طريحة الشقاء بسبب طعام البدو والذين يغزون البلاد ؛ وظهر الأعداء فى مصر فانحدر الأسيويون إلى مصر ... وسأريك البلاد وهى مغزوة تتألم . وقد حدث فى البلاد مالم يحدث قط من قبل . . . فالرجل يجلس فى عقر داره موليا ظهره عندما يكون الآخر يذبح بجواره . . . وسأريك الابن صار مثل العدو . والأخ صار خصما ، والرجل يذبح والده ، وكل فم ملؤه أحببنى [صياح المتكفف ؟] وكل الأشياء الطيبة قد ذهبت والبلاد تحتضر . . . وأملاك الرجل تغتصب منه وتُعطى الأجنبى . . . وسأريك أن المالك صار فى حاجة والأجنبى فى غنى ... وأن الأرض قد نقصت ، وقد تضاعف حكامها ، وصارت الحياة شحيحة مع أن المكيال صار كبيرا ، وتكال الحبوب (أى بجابى الضرائب) حتى يطفح الكيل . سأريك البلاد ، وقد صارت مغزوة تتألم . وإن منطقة « عين شمس » لن تصير بعد مكان ولادة كل إله » .

---

(١) راجع تحذيرات « ايور »

وبعد ذلك يتحول « نفر روهو » من غير تردد أو شك عن تلك الصورة التي يصف فيها القحط الذي وقعت فيه البلاد منادياً بالكلمات التالية الهامة داعياً لظهور الملك الذي سيخلص مصر مما حاق بها ، إذ يقول : « سيأتى ملك من الجنوب اسمه « أمينى » ، وهو ابن امرأة نوبية الأصل ، وقد ولد فى الوجه القبلى وسيتسلم التاج الأبيض وسيلبس التاج الأحمر فيوحد البلاد بذلك التاج المزدوج ، وسينشر السلام فى الأرضين (يعنى مصر) فيحبه أهلها . . . وسيفرح أهل زمانه . وسيجعل ابن الإنسان يبقى أبد الآبدين . أما الذين كانوا قد تآمروا على الشر ودبروا الفتنة . فقد أخرسوا أفواههم خوفاً منه . والأسيويون سيقتلون بسيفه ، واللوبيون سيحرقون بلهيبه ، والثوار سيستسلمون لنصائحه ، والعصاة إلى بطشه ، وسيخضع المتمردون للصل الذى على جبينه . . . وسيقيمون (سور الحاكم) حتى لا يتمكن الأسيويون من أن يغزوا مصر ، وسيستجدون الماء حسب طريقتهم التقليدية لأجل أن تردها أنعامهم . والعدالة ستعود إلى مكانها ، والظلم ينفى من الأرض . فليبتهج من سيراها ومن سيكون من نصيبه خدمة ذلك الملك » . فظهور الملك المخلص للبلاد بالفعل ومجيئه كان هو الأمل الذى ينشده الحكيم « إبور » ثم عرّف ذلك الملك « نفر روهو » بالاسم ورسم كتابة الاسم « أمينى » الذى استعمله « نفرروهو » وهو اختصار مشهور للاسم الكامل « أمنمحات » وهو بالبداهة المؤسس العظيم للأسرة الثانية عشرة ، والمصلح الذى أعاد توطيد سلطان مصر فى العهد الإقطاعى حوالى ٢٠٠٠ سنة ق . م . وقد ذكر عنه فى نقش تاريخى بعد ذلك العصر بثلاثة أجيال بشكل بارز : « أنه قد محا الظلم لأنه أحب العدل كثيراً (يعنى « ماعت »)[1] وقد كان عرافنا هنا واثقاً من أن بطله « أمنمحات » سيستولى على التاجين اللذين يرمزان لحكومة البلاد المتحدة مصر السفلى ومصر العليا وأنه سيفتح عصراً جديداً ، غير أنه يرجئ الإصلاح العظيم على وجه عام إلى المستقبل . وذلك يضع أمامنا سؤالا جديداً وهو : هل هذا التأكيد القوى مجرد نبوءة ، عن حادثة قبل وقوعها ؟ وهل كان ذلك إعلاناً ينم عن الظفر يلقاه بطل منتصر قد نجح نجاحاً عظيماً فى إصلاح مصر العليا ، حتى إن انتصاره النهائى وإصلاحه لكل مصر كان متوقعاً حدوثه ؟ . أو هل كان « نفر روهو » « مرسلا من قبل » « أمنمحات » إلى مصر السفلى ليعلن قدومه إليها ؟ أو هل كان كأى شخص من أنصار « أمنمحات » قد عظم إصلاحاته فصوره بصورة تبرزها إذا قاسها بما صارت إليه البلاد من الدمار والخراب قبل مجيئه ؟

(١) إلهة العدل والصدق والحق

وإنه لمن المستحيل أن يعطى الإنسان جوابا شافيا عن تلك الأسئلة ، ولكن يظهر أنه يوجد سبب قوى يدعونا إلى الاعتقاد بأن « نفر روهو » كان حقيقة محاطا فى زمنه بالخراب الذى صوره لنا بصورة حقيقية ، وأن تاريخ حياة « أمنمحات » الذى كان رائده النجاح فى مصر العليا قد جعل الأمل بنجاحه فى إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه ، وإرجاع مجدها القديم متوقعا . ومن المدهش حقا أن « نفرروهو » يذكر لنا هنا صراحة أن الفرعون الجديد ليس من سلالة البيت المالك القديم ، ولا شك فى أنه كان هناك مطالبون بالعرش فى البلاد أو مدّعون له كثيرون ، فظهور مطالب آخر مثل « أمنمحات » ليس بالأمر الغريب . على أن تسمية « أمنمحات » (بابن الإنسان[1]) كما ذكر ذلك فيما سلف على لسان ذلك المتنبئ يلفت نظرنا كما يوحى إلينا فى الحال بوجود علاقات بين هذه التسمية والتسمية التى تطلق على المسيح عليه السلام . إذ أن ذلك التعبير قد استعمل فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » ليدل على « ابن رجل ذى أهمية » ، وقد جرى فى بلاد بابل القديمة استعمال تعبير مشابه لذلك التعبير . وذلك الإعلان الذى أعلنه ذلك المتنبىء يشمل القيام بعملين يتعهد بإنجازهما مليكه ، وهما من الأهمية للشعب البائس فى مصر الطريحة بمكان ، وهذان العملان هما :

أولا — القضاء على المغيرين وأخذ العدة لدفع الغارات المقبلة .

ثانيا — إصلاح النظام الداخلى .

(فسور الحاكم) الذى سبق ذكره كان قلعة قديمة لحماية الدلتا الشرقية ، وكان واقعا على التخوم الأسيوية . وقد بنى لحراسة الطريق من آسيا إلى مصر فى عهد بناة الأهرام ، وقد أعلن « نفر روهو » أن الملك سيعيده كما كان من قبل .

والصور التى رسمها لنا ذلك المتنبىء عن الحالة التى نتجت عن دخول الأسيوين تذكرنا بما ورد فى الرواية العبرانية الخاصة برحلة دخول أجدادهم إلى مصر .

أما إعلان الإصلاح الذى حدث فى النظام الداخلى فانه يسترعى الأنظار لقصره وبساطته إذ يقول : « إن العدالة ستعود إلى مكانها — والظلم سينبذ بعيدا — » فكانت إذن « ماعت » القديمة هى التى سيعيدها الملك الجديد فى شكل نظام ثابت يكون رقيبا ومهيمنا على حياة الشعب المصرى الاجتماعية .

---

(١) « ابن الإنسان » اسم يطلق على المسيح عليه السلام .

وقد رجع إلى « ماعت » — وهى ذلك النظام القديم الذى مكث ألف سـنة مرشدا ومهيمنا على الحاكم وحكومته — سلطانها مرة أخرى من جديد .

ومن المحتمل أن الابتهاج الذى يظهره ذلك التنبىء العتيق كان يعنى المثـل العليا القديمة للأخلاق الفاضلة والسعادة القويمة . غير أن تلك الحالة كانت — مع الأسف — بعيدة عن الحقيقة الواقعة ؛ فإن « أمنمحات » — وهو من كبار الإداريين فى العالم القديم ، وكان قد وهبه الله فطنة عظيمة حتى أعاد بلا نزاع ذلك النظام القديم بقدر ما سمحت له الأحوال — قد حتمت عليه الظروف أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة شئون البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا ونشئوا فى عهد ذلك الانحطاط الذى جاء عقب عصر الأهرام وأشربت قلوبهم حب الفوضى والفساد ، مما أدى إلى قتله ونصحه لابنه بعد موته بألا يعتمد على أحد كما فصلنا من قبل (انظر ص ١٩٨) .

المصادر :

أهم المصادر التى يرجع إليها فى دراسة هذا المقال ما يأتى :

(1) Papyrus Petersburg No. 1116 B (recto).

(2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 15.

(3) Peet, "A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p.p. 120 f.f.

(4) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 200 f.f.

(5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 110 f.f.

(6) Gardiner, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. I p.p. 100 f.f.

(7) Gunn, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. XII (1926), p.p. 250 f.f.

المدارس واللغة

إن من ينظر بإمعان إلى نظام الكتابة المصرية القديمة منذ نشأتها وإلى التطورات التى مرت بها يجد أنها كانت فى بادىء الأمر بسيطة سهلة التناول ثم أخذت تتعقد بمضى الزمن وازداد تعقدها حتى أصبح هجاء الكلمات من أصعب الأمور ، ولا أدل على ذلك من أننا لم نجد فى عهد الدولة القديمة ولا فى عهد الدولة الوسطى ما يشير إلى اهتمام التلاميذ بهجاء الكلمات بالدرجة التى وجدناهم عليها فى عهد الدولة الحديثة حينما كان كل من التلميذ والمعلم يصرف معظم همه فى تعلم هجاء الكلمات الصعبة ؛ فقد عثر على كومات من قطع الخزف وشظيات الحجر الجيرى الملساء (ويطلق عليهما لفظة استراكا) وعلى أوراق البردى التى كتب عليها التلاميذ تمارينهم تطبيقا على دروس الهجاء وحفظ قطع الأدب المختارة . ولا غرابة فى ذلك فقد أصبح نظام الكتابة معقدا فى ذلك العهد كما عرفت ، وزاد على ذلك أن دخل اللغة ألفاظ أجنبية كثيرة كان يجهل كتابتها التلاميذ والكتاب أنفسهم . من أجل ذلك كان الاهتمام عظيما بتقوية التلاميذ فى الإملاء وفى حفظ قطع الأدب ؛ ولهذا فإنا مدينون بخالص شكرنا لنشاط هؤلاء الصبية القهرى ذلك النشاط الذى وضع أمامنا مجموعة عظيمة من الكتابات التى أنتجتها مدارس الدولة الحديثة . ولا إخال القارىء إلا متشوقا ليعلم شيئا عن نظام التعليم الذى خلف لنا كل هذا الإرث .

ومما يؤسف له أنه لم تصل إلينا معلومات معينة عن المدرسة ونظامها فى الدولة القديمة ولا فى الدولة الوسطى . غير أننا نجد من وقت لآخر إشارات بعيدة تدل على وجود هذه المدارس وبخاصة فى الألقاب العدة التى تركتها لنا الدولة القديمة . ففى مقبرة من مقابر تلك الدولة وجدنا لقب « معلم أولاد الملك » ويرجح أن مدارس تلك الدولة كانت ضمن مبانى المعبد[1] أو فى عاصمة الملك . أما فى عهد الدولة الوسطى فقد أخبرنا « خيتى » صراحة أن المدرسة كانت فى مقر الملك[2] .

والظاهر أن المدارس فى عهد الدولة الحديثة كانت على درجتين . فالأولى وهى التى تعادل بوجه عام ما نسميه نحن (المدرسة) ويسميها المصريون (بيت الحياة) وفيها كان يعلم

(١) وقد ذكرت جملة فى تعاليم « آنى » تشعر بأن المدن كان فيها مدارس .

(٢) انظر تعاليم « خيتى » لابنه .

الأولاد الكتابة والأدب القديم . وقد استعملوا لكتابة تمارينهم كما ذكرنا قطعا من الخزف وشظيات الحجر الجيرى التى كانت لا تكلف شيئا بدلا من صحائف البردى الباهظة الثمن .
وقد أسعدنا الحظ ببعض معلومات عن واحدة من هذه المدارس وقد كانت تابعة للمعبد الذى بناه « رعمسيس الثانى » للاله « آمون » فى الجهة الغربية من « طيبة » وهو الذى يطلق عليه الآن اسم «الرمسيوم» ، وقد كانت ضمن المبانى العظيمة الخاصة بالإدارات المحيطة بالمعبد من جهاته الثلاث ، وقد عثر فى هذا المكان على عدد عظيم من (الاستراكا) يسترعى النظر وبخاصة ما وجد منها على كومة صغيرة من الأوساخ . وتدل ظواهر الأمور على أن مدرسة المعبد كانت قائمة فى هذا المكان ويبدو أن التلاميذ عندما كانوا ينتهون من كتابة بعض هذه (الاستراكا) كانوا يلقون بها فى هذه البقعة ، وبدرس هذه القطع التى كان ينسخها التلاميذ وجدنا أنها فوق احتوائها على بعض الموضوعات الإنشائية التى تنتمى لعصر الدولة الحديثة ، تتألف من ثلاثة كتب عثر منها على مقتطفات عدة مكررة ، وهى تعاليم الملك « أمنمحات » وتعاليم « خيتى » بن « دواوف » وأنشودة النيل ، وكلها تنتسب إلى عهد الدولة الوسطى . ومما يسترعى النظر أن هذه القطع الأدبية الثلاث عثر عليها جميعا على ورقتين من البردى تدل الظواهر على أنهما ترجعان إلى أصل « منفى » ، ولا شك فى أنهما كانتا تؤلفان الموضوع الرئيسى المعتاد لمنهاج المدرسة ، وقد وجدت مدونة بأكلها على هاتين الورقتين . أما ما وجد على قطع (الاستراكا) فكان يشتمل على مختارات قصيرة من هذه الموضوعات ومن كتابات أخرى لعظماء الكتاب . ومما يلفت النظر أننا نجد باستمرار فى معظم الأحيان نفس المختارات معادة ، ولا يبعد أنها كانت القطع المنتخبة المقررة التى كان لزاما على كل فرد متعلم أن يحفظها . وحينما كان يتخطى التلميذ هذا الدور الابتدائى من التعليم كان يقيد كاتبا فى إدارة ما ثم يستمر فى تحصيل العلم هناك على يد موظفين كبار ، ويجوز أنهم كانوا رؤساءه المباشرين . وفى الدولة القديمة نجد أن الأب هو الذى كان يستمر فى تلقين ابنه العلم إذا كان من كبار الموظفين ، ولا أدل على ذلك من « بتاح حتب » حينما طلب إلى « الفرعون » أن يسمح له بأن يعلم ابنه ليخلفه فى وظيفته ، وكان على الطالب أثناء تلقيه هذا التعليم العالى أن يستمر فى كتابة نماذج إنشائية لا تقف عند نقل بعض سطور ، كما كان يفعل من قبل ، بل تشمل قطعا كبيرة . وقد وجدنا أن طالبا قد كتب ثلاث صحائف فى يوم واحد . وقد لوحظ أن خطأ التلميذ يصححه معلمه على هامش البردية ، ولكن لسوء حظنا لم يكن يعنى المعلم كثيراً بما كتبه الطالب من الألفاظ التى تفسد المعنى ، بل جعل

معظم عنايته لشكل الحروف ، فكان درسه أقرب إلى تجويد الخط منه إلى دراسة اللغة وتحقيقها .

وتدل معظم النسخ الخطية المدرسية بوضوح على الأغراض الحقيقية من التعليم عندهم ، فكان الغرض منه أولاً التربية ، وثانيا التمرين على الأعمال التجارية وحسن الخط . والواقع أن موضوع الإملاء لم يكن بالأمر الهين كما ذكرنا . إذ أن نظام الكتابة الهيروغليفية أكثر استعدادا لقبول الأغلاط ، ولا يعدله فى ذلك نظام آخر فى العالم . لذلك كانت العناية بهذا الموضوع عظيمة جدا . ولدينا كتاب يدلنا على عناية القوم وحرصهم على كتابة الكلمات الفردية كتابة صحيحة . ولابد أن هذا الكتاب كان شائع الاستعمال فى المدارس ، وقد وضعه كاتب كتاب الإله فى بيت الحياة (« أمنموبى » بن « أمنموبى » ، وقد عثر منه على ثلاث نسخ .

وقد اتخذ كاتب هذه الوثيقة لنفسه دور الكاتب الذى أراد أن يعلم التلاميذ العلوم كافة ، لذلك يحمل كتابه عنوانا مطولا . إذ يقول : « التعاليم التى تجعل الفرد أريبا ، وتعلم الجاهل علم كل كائن ، وكل ما صنعه « بتاح » وما سجله « تحوت » والسماء ونجومها والأرض وما عليها وما تخرجه الجبال وما تجود به البحار وماله علاقة بكل الأشياء التى تضيئها الشمس وكل ماينمو على الأرض » . ولا جدال فى أن هذا العنوان له رنة عظيمة فى الآذان ، إذ يجعل المستمع ينتظر معلومات ضخمة تكشف له الغطاء عن علوم هؤلاء القوم ، غير أن الأمر أهون من ذلك ؛ فالكتاب فى حد ذاته لا يخرج عن مجموعة كبيرة من أسماء وألقاب بعضها متداول معروف ، وبعضها نادر غير مألوف ، وقد وضعت بنظام مرتب ترتيبا منطقيا لا بأس به ، فيذكر لنا أولاً السماء وما فيها : السماء ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والجوزاء ، والدب الأكبر ، والقرد ، والمارد ، والخنزيرة ، والسحاب ، والعاصفة ، والفجر ، والظلام والضحى والنور . . . وأشعة الشمس . ثم يتلو ذلك أشكال المياه الموجودة فى الطبيعة ، فيذكر النهر والبحر والبركة وخزان المياه ، ثم ينتقل إلى موضوع الصور الأرضية والنباتات والتربة ، ثم يذكر فى ست مجاميع الألفاظ التى تدل على الكائنات الحية ، فيذكر العلوية منها أولا ، وهى الآلهة والإلهات والأرواح الذكور منها والإناث ، ثم يعدد لنا المخلوقات البشرية مرتبة حسب مراكزهم فى المجتمع ، فنجد أولاً الملك ، ثم الملكة ، ثم يذكر لنا بعد ذلك كبار الموظفين ، فرؤساء رجال الدين والعلماء ، ويلى ذلك السواد الأعظم من صغار الموظفين وأصحاب الحرف ، وبعد ذلك يضع أمامنا التعابير التى يعبر بها عن بنى البشر والجنود وأسماء الشعوب الأجنبية والأماكن المختلفة ، ثم ينتقل إلى ذكر أسماء ست وتسعين مدينة مصرية واثنين وأربعين اصطلاحا للمبانى وأجزائها ، ومسميات للأراضى والحقول . ثم

يعدّد لنا كل ما كان يأكله الإنسان أو يشربه ، ويدخل فى ذلك ثمانية وأربعون نوعا من اللحم المطبوخ ، وأربعة وعشرون نوعا من الشراب ، وثلاثة وثلاثون نوعا من اللحم النّيء . وفى الجزء الختامى الذى وجد محطما ، كان قد كتب عليه مسميات عن مختلف الطيور وعدد عظيم من أسماء الماشية وغير ذلك من الأسماء التى جمعها « أمنموبى » بعناية ليضع أمام العالم صورة عن كل كائن ، شاكراً للآلهين « بتاح » و « تحوت » . ولا شك فى أن غرضه من جمع تلك المسميات وترتيبها تعليم تلاميذه كتابة المفردات كتابة صحيحة . وكما أسلفنا كانت كتابة الكلمات الأجنبية الكثيرة والأسماء الغريبة التى اندمجت بوفرة فى اللغة المصرية الجديدة عقبة كئودا حتى للطلبة المتقدمين ، ولذلك كانت تبذل عناية خاصة لتعليمها ؛ فمن ذلك أن تلميذا من الأسرة الثامنة عشرة يضع كل همه فى أن يكتب على لوحة أسماء فى « كفتيو » (كريت) وسنرى فيما بعد أن نماذج الخطابات التى أوردناها فى هذا الكتاب هى من هذا النوع ، فتشتمل على كلمات وأسماء ليتعلم منها التلميذ كتابة الكلمات الأجنبية كما كان يتعلم من وثيقة « أمنموبى » .

والواقع أن قائمة « أمنموبى » هذه لا يمكن أن تعد فهرسا لسرد أسماء وحسب ، وإن كان هذا هو مدلولها العملى كما يظهر لنا من ترتيبها وتنسيقها ، ولكن إذا أمعن الإنسان فى النظر إلى كنهها بعين فاحصة وجد أنها الخطوة الأولى نحو فكرة تأليف قاموس ، إذ نجد أن الترتيب الذى وضعت به ينم عن ترتيب منطقى مميز فى داخل كل مجموعة . كما نلاحظ علاقة ظاهرة بين كل لفظة وماسبقتها ؛ وأعنى بذلك أن الكاتب رغم أنه لم يعطنا إيضاحا عن تلك الألفاظ أكثر مما كنا نعرف إلا أنه مكننا من أن نفهم علاقة الكلمة بسابقتها من مركزها فى القائمة ، فأهمية هذه الوثيقة لفهم اللغة المصرية عظيمة جدا لنا . ويظهر مقدار ذلك جليا إذا علمنا أن الفهارس بمعناها الحقيقى معدومة كلية فى اللغة المصرية . حقا إن لدينا بعض قوائم لأنواع الكلمات على « الاستراكا » كما توجد فى متون مشهورة مثل أسماء البلاد السورية التى ذكرها كاتب ورقة أنستاسى الأولى أو قوائم أسماء المدن التى استولى عليها فراعنة مصر فى عهد الدولة الحديثة[١] ، والتى نقشوها على جدران معبد الكرنك وغيره ،

(١) راجع :

List of Thothmes III, (Karnak), Sethe, Urkunden der 18 dyn. p. 805.

List of Amenhotep III (Soleb), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 889.

List of Seti I. (Karnak), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 129.

List of Rameses II (Abydos), Mariette, "Abydos", Vol. II, Pl. 3.

List of Rsmeses III (Medinet Habw), Daressy, Receil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l'Archaeologie Egyptienne et Assyriennes", Vol. XX, p. 113. f.f.

List of Seshonk I (Karnak), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 252.

وكذلك القوائم التى ذكر فيها أسماء الأمم والأخشاب (والأشياء التى صنعت منها) وعلى الاستراكا . على أن كل هـذه القوائم وحتى وثيقة « جلنشيف » التى نحن بصددها الآن لا يمكن أن تقاس بالفهارس الحقيقية البابلية .

وليس من الصعب أن يعرف الانسان السبب فى وجود هـذه الفهارس فى بابل وخلو مصر منها ، وذلك أن المصرى قد اخترع الكتابة بنفسه لنفسه ليعبر عن لغته ، وقد نميا سويا فى موطن واحد بعيدين عن التأثير الخارجى ، ولـكن فى بلاد النهرين أى (بابل) كان للسومريين كتابة خاصة بهم ، غير أن قوما من الساميين الذين لا يعرفون الكتابة غزوا هذه البلاد ، ولما أقاموا فيها رأوا الفوائد التى تعود عليهم لو اقتبسوا منها نظام الكتابة ، فأخذوه عنها واستعملوه فى التعبير عن لغتهم فنقلوا أولاً الكتابة السومرية الأصلية كما شاهدوها ، ولـكنهم قرءوها بما يقابلها فى لغتهم « الأكادية » ، وتعلموا بعد وقت أن يضعوا للكلمات السومرية ما يقابلها فى لغتهم ، ومن ذلك ألفوا لأنفسهم فهرسا باللغتين ، وقد دفعهم إلى هذا حاجتهم الملحة للتفاهم بينهم وبين القوم الذين غزوهم . ولـكن مصر لم تكن فى يوم فى حاجة إلى ذلك ، وكذلك نجد أن اللغة الإغريقية التى تعد من أعرق اللغات لم تأخذ فى وضع قاموس للغتها إلا بعد انقضاء العصر « الكلاسيكى » فيها .

ومما سبق نعلم أن المصرى كان يضع مثل هذه القوائم لإعداد التلميذ لإتقان فن الإملاء ولإعطائه نظرة عامة بكل مايحيط به ، وكان أعظم من كل ذلك عناية الأستاذ بتعليم تلميذه الأسلوب الصحيح والتعابير المختارة لكتابة الرسائل .

من أجل ذلك كان التلميذ ملزما بنقل نماذج رسائل من كل نوع ، حقيقية كانت أو إنشائية ، ونقل النصائح والتحذيرات التى كانت تصلح لهـذا النوع من التعليم ، إذ كان يكتبها فى شكل رسائل ، ولذلك كان يطلق على ما يسطره التلميذ على ورق البردى اسم (تحرير الرسائل) وفى غالب الأحيان كان يضع التلميذ اسمه فى الخطابات الشخصية واسم معلمه كأنما هما يتراسلان ، فنجد التلميذ يكتب لنفسه أنه كسلان وفاسق وعاهر ، وأنه يستحق مائة جلدة . ويدل مالدينا من الوثائق على أن بعض الموظفين من مختلف الطبقات كانوا يستقلون بتعليم تلاميذ لهم ، فنجد كاتب خزانة فرعون ورئيس سجلات الخزانة وكاتب مصنع فرعون وغيرهم لهم تلاميذ يتعلمون عليهم . وسيرى القارئ فى المنافسة الأدبية (ورقة أنستاسى الأولى) أن الموظف وإن كان فى الاصطبل الملكى كان فى قدرته أن يكون معلما ماهراً .

ولقد كانت مهنة التدريس متغلغلة فى نفوس الموظفين الذين يحسنون الكتابة لدرجة أنهم كانوا يباشرونها فى وسط أعمالهم . إذ نجد أن أحد الموظفين الذين كانوا يشرفون على

تحت قبر « رعمسيس التاسع » فى صحراء وادى « أبواب الملوك » لم يطق صبرا على ترك مهنة التعليم حتى فى ذلك المكان المنعزل القفر ، فكان يكتب مساعده أو تلميذه أشياء مختلفة بمثابة تمارين على شظيات كبيرة من الحجر الجيرى المتخلفة من النحت ، وقد عثرنا منها على نموذج خطاب وقصيدة قديمة « لرعمسيس الثانى » وصلوات جميلة لشخص اضطهد ظلماً(١) ونرى يد المعلم قد تناولتها بتصحيح بعض الأخطاء .

ولما كانت معظم كتابات هذا العصر قد تحولت إلى صور رسائل إنشائية وحقيقية وجدنا أنه من الضرورى أن نفرد فصلا خاصا للرسائل وتاريخها منذ نشأتها والتطورات التى مرت بها ، ثم نورد بعد ذلك بعض الأمثلة من كل نوع ليقيسها القارىء برسائلنا وليعلم مقدار ما وصلت إليه مصر فى هذا النوع من الأدب وسنضطر أن نقصر أمثلتنا على الدولة الحديثة لأنه لم يصلنا حتى الآن رسائل أدبية أو تعليمية من الدولتين القديمة والوسطى(٢) إلا النزر اليسير .

المصادر :

(1) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 185 ff.
(2) Pap. Hood, Maspero, "Etudes Egyptiennes", II, 1. ff.
(3) Glanville, "Journal of Egyptian Archaeology," Vol. XII, pp. 171. ff.

الرســـائل

إن أقدم ما وصل إلينا من الرسائل التى كان يتبادلها أفراد الشعب المصرى القديم ، وتصدرها أو تتلقاها المصالح الحكومية فى داخل البلاد وخارجها ، يرجع تاريخها إلى الدولة القديمة ، غير أنه لم يصل إلى أيدينا إلا عدد يسير جداً من هذه الدولة . أما الدولتان الوسطى والحديثة فقد عثر على مقدار لا بأس به من الأولى وعدد عظيم من الثانية .

وإذا تتبعنا هذه الرسائل من أول ظهورها حتى أواخر الدولة الحديثة ، وجدنا أن لكل

(1) Zeitschrift für Agyptische Sprache, Vol. XXXVIII, p. 19. ff.

(٢) اشترى الأستاذ ولسن عددا قليلا من « الاستراكا » حوالى عام ١٩٢٩ — ١٩٣١ ويدل الفحص الذى قام به أنها من الدولة الوسطى وأنها كانت من الأستراكا التى كان يستعملها التلاميذ لكتابة تمارينهم المدرسية وتحتوى على رسالة تنم عن الأدب ، وقد وجد ملاحظة مدرس على واحدة منها . وعلى أية حال يقول إننا سنعلم الكثير عن رسائل الدولة الوسطى حينما نعلم نتيجة فحص « الاستراكا » التى وجدها متحف مترو بوليتان والتى يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى . راجع Wilson. « Melanges Maspero, » Vol I. pp. 901 ff.

عصر أسلوبا منفرداً وذوقا خاصاً . هذا إلى أن رسائل كل عصر كانت تتأثر بسابقتها ، ويظهر ذلك جلياً فى رسائل الدولة الحديثة التى ورثت كثيراً من خصائص رسائل الدولة الوسطى ، وبخاصة ما نشاهده من الأثر الذى تركته رسائل أبو غراب فى رسائل الأسرة التاسعة عشرة (راجع .K.P., Vol. I, p. 91).

طبقات الرسائل :

وصل إلينا ثلاثة أنواع رئيسية من الرسائل المكتوبة على البردى أو على قطع الخزف وهى:

(١) رسائل شخصية حقيقية .

(٢) مراسلات تعليمية أو موضوعات إنشائية أدبية يرجع أصلها إلى خطابات حقيقية أو إنشائية كان المقصود منها أن تستعمل نماذج للتعليم .

(٣) خطابات نموذجية كان التلميذ يتمرن عليها أو مسودات لرسائل حقيقية ، وكان النوع الأخير يكتب عادة على قطع الخزف .

والرسالة الحقيقية كانت تتألف من العناصر التالية : (١) الصيغة الافتتاحية وتشمل اسم المرسل ثم اسم المرسل إليه . (٢) الديباجة ، ومن الجائز أن تكون مطولة مملة لدرجة يضيع معها الغرض الأصلى من الرسالة . (٣) موضوع الخطاب . (٤) الصيغة الختامية . (٥) عنوان الرسالة[١] .

وهذه العناصر للرسالة المحبوكة الأطراف لا نجدها مجتمعة إلا فى عهد الدولة الحديثة على وجه عام .

أما رسائل الدولة القديمة فإنها حسبما رأيناه فى العدد الضئيل الذى وصل إلينا كانت بسيطة فى تركيبها ، إذ كانت تتألف من صيغة افتتاحية ثم ينتقل بعدها الكاتب إلى موضوع الرسالة مباشرة ثم العنوان . انظر.Smithers, an Old Kingdom Letter J. E. A. Vol. 28 P. 16 ff.

ولكن فى حالات أخرى كان يبتدىء الخطاب بالتاريخ ثم الصيغة الافتتاحية ويعقبها مباشرة موضوع الرسالة . راجع .Gardiner, J. E. A., Vol. XIII, P. 75

وهذه الرسالة الأخيرة تلفت النظر لأنها لا تحمل فى سطورها اسم المرسل أو اسم المرسل

---

(١) ونجد فى الخطابات النموذجية أن الصيغة الافتتاحية والديباجة والعنوان قد حذفت .

إليه ، وقد عُرِّف الأول بلقبه . راجع كذلك رســـالة « بيبى الثانى » « لحرخوف »
Breasted Ancient Records Vol I. P. 159.

وقد كانت عناصر الرسالة فى الدولة الوسطى تماثل الدولة الحديثة التى سنبحثها فيما يلى :

إن عناصر الرسالة الخمســة التى ذكرناها آنفا لا توجد دائماً مجتمعة فى رسالة واحدة ، ووجودها مجتمعة أو إغفال بعضها كان يتوقف على مكانة المتخاطبين وعلى نوع الرســالة ، وعلى مقدار المـادة التى يريد الـكاتب أن يضمنها رسالته . فنجد أن الرسائل الحقيقية التى كتبت على البردى قد كتب عنوانهـــا على ظهر البردية التى كانت تطوى على هيئة حزمة صغيرة ثم تربط بخيط وتختم[١] .

أما الرسائل الحقيقية المـكتوبة على قطع الخزف فليس لها عنوان مستقل ، بل كان ضمن الصيغة الافتتاحية ويمكن رؤيته ، لأن الـكتاب مفتوح ، بخلاف البردية المطوية التى كان لا بد من تسجيل عنوان على ظاهرها .

مسميات الرسائل الحقيقية :

لقد كان المصرى دقيقاً غاية الدقة فى تحديد مسميات الرسائل الشخصية التى يتبادلهـا أفراد الشعب والرسائل الرسمية التى كانت تجرى بين كبار موظفى الدولة أو التى كان يأمر بكتابتها الفرعون وبخاصة فى عهد الدولة الحديثة ، ففى الدولة القديمة كان المصرى يستعمل كلمة « مجات » للدلالة على كلمة « رسالة » ، غير أن هذه التسمية قد فقدت معناها الأصلى ، وأصبحت تدل على « بردية » أو كتاب أو « وثيقة » على وجه عام فى عهد الدولة الحديثة . ومنذ الدولة الوسطى حتى باكورة الأسرة التاسعة عشرة كان المصرى يستعمل كلمة «سش» للدلالة على معنى كلمة « رسالة » (انظر Cairo No. 58053.) .

هذا إلى أن المعنى العام لهذه الـكلمة « وثيقة مكتوبة » .

أما فى عهد الدولة الحديثة فقد كانت كلمة « شعت » [hieroglyphs] (راجع Cairo 58058, 1—2 & Amarna 2, 15) تعنى « رسالة » شخصية . وأقدم مثال لها بهذا المعنى وجد فى ورقة إبرس (Pap. Ebers, 4901)

---

(١) وقد جاء فى صبح الأعشى جزء ٦ : ثم للناس فى صورة الطى طريقتان الأولى : أن يكون لفه مدورا كأنبوبة الرمح وهى طريقة كتاب الشرق من قديم الزمان . والطريقة الثانية : أن يكون طيه مبسوطا فى قدر عرض أربع أصابع مطبوقة والأصل فيه أن يبتدىء باسم المـكتوب منه ثم باسم المـكتوب إليه وهو الترتيب الذى تشهد به العقول (ص ٣٥٠) .

أما الرسالة التى كانت تصدر عن الفرعون أو ولى عهده أو أحد كبار موظفى الدولة فكانت تسمى « وخا » (𓍊𓐍𓅱𓅜) والعبارة التالية توضح لنا استعمال الكلمتين : «عندما يصل إليك « وخا » الملك (أى رسالة الملك) يجب عليك أن تكتب « شعت » (رسالة شخصية) إلى كاتبك » ، راجع (Gardiner, L. E. M. P. 46, 15—16) . والظاهر أن كلمة « وخا » حسب قاموس برلين ، لم تستعمل قبل الأسرة التاسعة عشرة . وهناك كلمة أخرى كان يعبر بها عن الرسالة الرسمية وهى « وستن » (𓍊𓋴𓏏𓈖𓅜) غير أنها كانت تستعمل فى رسائل أخرى (راجع De Morgan. Cat. des Mon. III, 119) .

تدوين الرسائل :

كانت العادة المتبعة أن تكتب على ورق البردى الرسائل الرسمية ، أو التى كانت تتبادل بين مرءوس ورئيسه ، وكانت الرسالة تدون على وجه الورقة (أى البردية) الذى تكون فيه الألياف أفقية ومكونة زوايا قائمة مع اتصالات أجزاء البردية . على أن معظم الرسائل التى حفظت لنا نجد فيها أن القلم كان يجرى على الألياف العمودية ، وسبب ذلك أن الكاتب حينما يأخذ فى تسطير رسالة كان يقبض على الورقة عموديا ويكتب عليها عرضا ، بدلا من أن يمسكها أفقيا كما كان يفعل عندما يدون كتابا .

ونجد أحيانا أن بعض الرسائل قد كتب على بردى قد محيت كتابته الأصلية بغسلها ثم استعمالها ثانية لغلاء البردى . أما عرض[١] الورقة التى كانت تدون عليها الرسالة فيختلف بين أحد عشر سنتيمترا واثنين وأربعين سنتيمترا . والخط الذى كان يستعمل هو الخط الهيراطيقى الذى يقابل عندنا خط الرقعة مسطوراً بمداد أسود ، وكان الكاتب يخط بقلم من البراع أو بفرجون وعند استعمال القلم فإنه كان يقط بميل ثم يفلق .

وقد استعمل المداد الأحمر[٢] فى الرسائل النموذجية ، وقد تكلم كل من العالم « شوبارت » و « لوكاس » عن مواد الكتابة بإسهاب فمن أراد المزيد فليراجع ما كتباه[٣] :
وكان الكاتب عند فراغه من تدوين الرسالة يطويها بحيث تكون الكتابة فى

---

(١) انظر كتاب صبح الأعشى الجزء السادس ص ٣١٣ حيث يناقش هذا الموضوع بإسهاب عند العرب .

(٢) وكان المداد الأحمر يستعمل فى الأجوبة التى تنم عن الشر كما سنرى بعد .

(٣) راجع (1) Schubart, "Einfuhrung in die Papyruskunde," P. 36 ff.

(2) Lucas, "Ancient Egyptian Materials & Industries,"

الداخل[١] . وبعد ذلك كان يُثنَى الخطاب نصفين ، ثم يربط بخيط ثم يختم بقطعة من الطين يطبع عليها خاتم المرسل . وقد كان يكتب اسم المرسل إليه وعنوانه على ظاهر الرسالة ، وأحيانا كان بدون اسم كاتب الرسالة والرسول ، وذلك بعد إتمام حزم الرسالة وأحيانا قبل الطية الأخيرة .

ولم يصلنا بطبيعة الحال إلا عدد يسير من الرسائل بأختامها سليمة ، وما وصلتنا على هذه الحالة هى سلسلة موجودة فى ليدن (Leyden, 360, 363, 364, 365, 366, 367,) ، وقد نشرها العالم « ليمان » بأختامها ثم سلسلة فى برلين (Berlin 10487 — 9) وقد نشرها الأستاذ « إرمان » ("Ein Fall abgekurzter Justiz," P. 15) . ففى رسائل « ليدن » نجد أن الكاتب الذى كتب الرسائل رقم ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ كان اسمه « مرى اتف » ، وأن الخاتم الذى وجد على ثلاث منها كان واحدا أيضا ، وكان عليه طابع يمثل (خرطوش) « تحتمس الثالث » بين جناحى جُعَل منتشرين (انظر أمثلة لهذا الطابع فى Hall, "Cat. of Egyptian Scarabs", Vol. I, Nos. 767, 779.)

وكان هذا يقوم مقام خاتمه ، ورغم أن هذا الخاتم يحمل اسم الفرعون « تحتمس الثالث » الذى عاش فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فإن الرسالة التى نحن بصددها يرجع تاريخها للأسرة التاسعة عشرة . ولم يكن من الأمور النادرة أن نجد جعارين من هذا العصر ومن عصور متأخرة تحمل (خرطوش) « تحتمس الثالث » ، وذلك لأن اسم هذا الملك كان يعتبر بمثابة تعويذة قوية الأثر لما كان له من بطش وقوة خلّفها بعده فى نفوس القوم .

أما الخاتمان ٣٦٠ ، ٣٦٣ من مجموعة ليدن فيشبهان أختام عهد الهكسوس فى رسومها غير أنهما قد استعملا هنا (راجع J. E. A., Vol. II P. 221.) بعد عصرها بما يقرب من ٤٠٠ سنة بدلا من خاتم المرسل .

المكاتبات على الاستراكا

الظاهر أن الحسابات والتمارين المدرسية ومسودات الرسائل الهامة ، والرسائل النموذجية والمكاتبات الحقيقية التى كان يتبادلها أفراد من مرتبة واحدة ، أو من درجات مختلفة كانت

(١) انظر صبح الأعشى جزء ٦ ص ٣٥٦ حيث الكلام على صور الختم الثلاث . ثم كذلك ما كتب على الخاتم من العبارات . أما عن الرسول الذى كان يحمل الكتاب فانظر ص ٣٥٨ الخ .

فى العادة تكتب على قطع من الخزف ويستعملها الأشخاص الذين يعجزهم غلاء ثمن البردى خاصة .

وكانت « الاستراكا » كما أسلفنا من قبل على نوعين : شظيات من الحجر الجيرى الأبيض الملساء والحصول عليها ميسور من أى بقعة يقام فيها بناء . وقطع من الخزف المتخلفة من الفخار المهشم ، وكانت أقل استعمالا من سابقتها لأن لونها كان فى معظم الأحيان قاتما من الاستعمال ، ووجهها الخارجى الأملس هو الذى كان يستعمل فى الكتابة . ولما كانت شظيات الحجر الجيرى تستعمل عادة فى الكتابات القليلة الأهمية فإنه كان من الجائز أن تدون عليها الرسائل الرسمية التى كانت تتبادل محلياً . على أن استعمالها لم يقتصر على أفراد الطبقة الدنيا (راجع Inst. Français. Cat. ostr 129.) حيث نجد رسالة من حامل المروحة « خى » إلى رئيس العمل « نب نفر » ، وهى مدونة على شظية من الحجر الجيرى الأبيض .

والدليل على أن الاستراكا كانت تعتبر أقل قيمة من البردى ما نجده من الاعتذارات المتعددة فى الرسائل القبطية التى كانت تكتب على هذه المادة . مثال ذلك ما كتبه المرسل قائلا : معذرة لأنى لم أجد برديا فى تلك اللحظة ليتناسب مع مقام قداستكم . راجع (Crum. "Epiphanius", I. P 187) ، وقد كانت طريقة الكتابة على الاستراكا هى نفس الطريقة التى كان ينتهجها الكاتب على البردى عدا العنوان الذى كان يكتب على ظاهر البردية فقد أغفل على الاستراكا ، يضاف إلى ذلك أن الصيغة التقليدية التى كان يعنون بها المكتوب كانت تختصر أو تغفل لصغر رقعة الاستراكا كما كانت تحذف أحيانا عند ماتكون الكلفة مرفوعة بين المتراسلين .

البريد

الواقع أن وجود عنوان على الرسائل المصرية يعد فى ذاته برهانا على قيام شخص معين بتوزيعها يقابل فى عصرنا ساعى البريد . ولو كان الأمر مقصورا على حمل رسالة واحدة لما احتاج الأمر إلى كتابة عنوان ، إذ كان فى قدرة حاملها أن يحفظه عن ظهر قلب .

وأول وثيقة عرفنا منها لفظ « ساعى بريد » رسمى يرجع تاريخها للأسرة السادسة ، وكان ذلك فى رسالة شكوى جاءت فيها لفظة « ساعى بريد » مرتين . راجع Gardiner, J. E. A. Vol. XIII P. 75 . والكلمة الدالة على ساعى البريد هى [hieroglyphs] (أرى مجات)

فى عهد الدولة القديمة ، وبذلك تكون أقدم مظهر للبريد فى العالم[١] .

أما فى الدولة الحديثة فنعرف أن حامل البريد الرسمى كان يسمى « حامل الرسالة الرسمية » (فاى وخا) (راجع Gardiner, L. E. M., P. 62, 12; 126. 5) ، ونعرف مما جاء فى ورقة «أبوت» أن رجال الشرطة[٢] كانوا يكلفون توزيع وثائق رسمية . أمّا مايختص بالرسائل الشخصية فالظاهر أنه لم يكن لها بريد منظم كما نفهمه الآن ، بل كانت الرسائل تعهد إلى أشخاص مسئولين يكونون مسافرين إلى الجهة التى يقطن فيها المرسل إليه . ويمكن استنباط ذلك من الملتمسات التى كانت تكتب فى الرسائل ويطلب فيها من المكتوب إليه إرسال أخباره « وأن تعطى الرسالة أى شخص يكون حاضرا من عنده » (راجع Gardiner, J. E. M., P. 5, 10) ، وكذلك كانت الرسائل الخاصة ترسل مع خادم المرسل الخاص (راجع Leyden 364; 7 etc) أو على يد أى إنسان معروف للمتراسلين (راجع Cairo 58059. etc) أو يحملها أحد رجال الشرطة مع الرسائل الرسمية (راجع Cerny. L. R. L, 33, 4 — 5 ; 48, 2 — 4 ; 64, 6 — 8 ; 70, 3 — 4)

وكان من الجائز أن يحمل حامل البريد الرسمى رسائل شخصية إذا اتفق أنه ذاهب إلى مكان المكتوب إليه (Cerny L. R. L. 62, 12 — 13) ، وقد عثر على رسالة شخصية عهد بها إلى رئيس رامى النبال ليسلمها إلى المكتوب إليه (راجع Cerny, L. R. L., P. 125, 15 — 16)

ولدينا وثيقة تبرهن على وجود مصلحة خاصة لنقل البريد الرسمى فى عهد الدولة الحديثة (راجع Smithers, J. E A. Vol. 25, P. 103 & Gardiner, L. E. M. P 31, 32.) .

أما فى عهد الدولة الوسطى فكان يذكر اسم الرسول الذى فُرض أنه سيوصل الرسالة على ظاهر الخطاب . ويكتب ذلك فى العادة على الجانب الذى يوجد فيه اسم المرسل فيكتب « أحضره فلان » .

أما فى عهد الدولة الحديثة فكان يندر كتابة اسم الرسول فى العنوان . غير أنه كان من الجائز ذكره فى صلب الرسالة أو فى نهايتها . وعندما كان المرسل يريد ذكر اسم الرسول فإنه كان يكتب فى عهد الدولة الوسطى جملا كالآتية « سأرسل إليك لأعلمك على يد فلان » أو « إنى عهدت بهذا الخطاب لعناية فلان . . . لأخبرك (Cerny, L. R. L, 33,4—5,)

(١) قد تكلم صاحب صبح الأعشى فى الجزء الرابع عشر صفحة ٣٦٦ عن معنى كلة بريد لغة واصطلاحا ثم تكلم بعد ذلك عن أول من وضع البريد فى الجاهلية وما آل إليه أمره فى العصور الإسلامية .

(١) ولدينا وثيقة يفهم منها أن البريد كان يحمل إلى البلاد الأجنبية بوساطة الجياد التى كان لها محاط خاصة لتغييرها فى الطريق وقد استعملت طبعا فى خلال الدولة الحديثة والظاهر أن مصر كان لها قصب السبق فى ذلك على أمم العالم القديمة قاطبة (The Chester Beaty Papyri No. I P. 29.) .

(Gardiner, L. E. M, 68, 2—4) أو « إن خطابى يصلك على يد فلان » . راجع (48, 2—4)
11—12 أو « تأمل لقد أرسلت « خطابا » ليكون دليلا لديك على يد فلان » . راجع (Cerny, L. R. L., 70, 3—4) فنى كل حالة من هذه الأحوال قد كتب اسم الرسول .

العنوان

إن المفروض فى عنوان الرسالة أن يكون اسم المرسل إليه هو المهم . ونجد فى الرسائل المكتوبة على البردى أن اسم المرسل إليه وعنوانه كانا يكتبان على ظاهر الرسالة المطوية المختومة ، وأحيانا نجد كذلك اسم المرسل واسم الرسول . وفى خلال الدولة القديمة نعرف مما وصلنا حتى الآن أن اسم المكتوب اليه هو الذى كان يكتب فى العنوان فقط . راجع (J. E. A., Vol. 28, P. 16, 17.) . وفى حالة أخرى وجدنا أن الرسالة لاتحمل عنوانا رغم أن الوثيقة كانت بلا نزاع رسالة حقيقية . راجع (J.E.A. Vol. 13 P75-6) .

أما فى عهد الدولة الوسطى فنجد فى العنوان اسم المرسل والمرسل اليه ، ونجد أحيانا مع ذلك التاريخ واسم الرسول . راجع (Griffith, K. P. Vol. I, P.P. 72. Pap. I. 7 & P. 74, Pap. VI. 4) .

وفى عهد الدولة الحديثة كنا نجد أحيانا أن اسم المرسل إليه الذى فى العنوان لايتفق مع الاسم الذى ذكر فى صيغة الخطاب الافتتاحية (Cerny. L. R. L. No. 35. P. 54) ، وفى هذه الحالة يجب أن نفرض أنه كان لزاما على المرسل إليه أن يسلم الرسالة إلى الشخص الذى ذكر فى الصيغة الافتتاحية .

وقد جرت العادة أن يكون العنوان مختصرا بقدر المستطاع ؛ لذلك كانت ألقاب المرسل إليه تحذف أحيانا على أنها كانت تذكر كاملة فى الصيغة الافتتاحية . راجع (ibid, L. R. L.,P.44)

أما فى الرسائل المكتوبة على الاستراكا فإن الصيغة الافتتاحية كانت تقوم مقام العنوان . وعند ما يذكر اسم المرسل والمرسل إليه فى العنوان كان يفصل بينهما إما بكتابة العنوان قبل الطية الأخيرة من الخطاب بصورة تجعل اسم المرسل على جهة من ظاهر الخطاب واسم المرسل اليه على الجهة الأخرى مع العنوان (وهذا ما كان يحدث فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وبداية الأسرة التاسعة عشرة) أو كان يفصل بين اسم كل من المرسل والمرسل إليه هكذا — وإذا حذف اسم المرسل فإن العنوان يسبق بخط أفقى كالسابق يأتى بعده اسم المرسل إليه . راجع (Leyden No. 365, 367) وهذا الخط الأفقى يعادل كلمة إلى . أو كان العنوان يسبق

بكلمة « هو (أى الخطاب) يرسل إلى . . . . » ويأتى بعد ذلك اسم المرسل إليه . راجع
(Cerny, L. R. L. 7, 15, 29; Berlin 8523)

الصيغة الافتتاحية

إن الصيغة التى تفتتح بها الرسالة تختلف فى تركيبها باختلاف رتب المتراسلين ومادة الرسالة التى يكتبون فيها ، وبهذه المناسبة يجب أن نذكر هنا أن اسم المرسل كان يسبق اسم المرسل إليه إلا فى حالات قليلة. وعلى مر الأيام وجدنا أن بعض الصيغ كان شائع الاستعمال ، ولكن الصيغة التى كانت سائدة هى : « فلان يكتب إلى فلان » . وأهم الصيغ الافتتاحية التى عثر عليها حتى الآن ما يأتى :

أولا — فى خلال الدولة القديمة كانت الصيغة الافتتاحية على ما يظهر غاية فى البساطة فكان يكتب « المرسل فلان يقول » . راجع —Gardiner, J. E. A., Vol. 13, P. 75
6; & Smithers J. E. A., Vol 28 P. 16, 17.

ونجد فى الرسالتين الملكيتين إلى « سنزم إب » (الأسرة الخامسة) وإلى «حرخوف» (الأسرة السادسة) أن الصيغة الافتتاحية فى الأولى هى « أمر ملكى إلى » . راجع
Breasted, "Ancient Records Vol 1, P. 122.

وفى الثانية « مرسوم ملكى إلى » . راجع (ibid, P. 160)

أما فى الدولة الوسطى فكان يكتب : « المرسل فلان يقول إلى المرسل إليه (داعيا له) بالسعادة والصحة » . راجع (Griffith, K. P. PP. 67 ff)

أما فى عهد الدولة الحديثة فكانت تكتب الصيغ الآتية : « المرسل فلان يكتب إلى فلان المرسل إليه» . راجع (Gardiner L. E. M. 8,10 ff) أو « المرسل فلان يسأل عن حالة فلان (المرسل إليه) » . راجع (Brit. Mus 10107, & Gardiner, ibid, 67, 11 ff)
أو « المرسل فلان يقول حينما يسأل عن حالة فلان المرسل إليه » . راجع (Inst Francais
(Cairo, 58053 etc أو«فلان يقول لفلان». راجع Ostracon No. 322, 19 Dyn)
وأخيراً كان يكتب باختصار : « فلان إلى فلان » .

وأحياناً كان يضاف إلى ذلك عبارات منمقة مثل «لأجعل القلب سعيداً» أو « لتكون مسروراً» على أن مثل هذه الصيغة عندما توضع تمهيدا للدخول فى موضوع الخطاب كانت تشعر بأن ما يأتى بعدها يريد به الكاتب خبراً ساراً ، ولكنها أصبحت فيما بعد عبارة ثابتة فى الخطابات

حتى أسىء استعمالها ، فنرى الخبر الذى يأتى بعدها أحياناً يكون سيئاً مما يدل على أنها فقدت معناها الأصلى . راجع (Urk IV, 138, 12) . والصيغة «لأجعل قلب سيدى سعيداً أومسروراً» تستعمل فى الكتابة إلى رئيس ، وبذلك لا تجدها فى الرسائل الحقيقية التى كتبت على الاستراكا لغير الرؤساء . اللهم إلا إذا كان ما يكتب مذكرات قصيرة محلية . وإذا لم تظهر هذه الصيغة على الاستراكا فإن ذلك يدل على أحد أمرين ، أن يكون الخطاب نموذجا أو مسودة لخطاب حقيقى .

والصيغة « فلان يسأل عن حالة فلان أو عما يحتاج إليه فلان » تشعر باهتمام المرسل ، وكذلك يلحظ فيها ألفة وود بين المتراسلين . لذلك نجدها فى رسائل متبادلة بين أعضاء الأسرة الواحدة . راجع (The two Amarna Letters, Bologna ,1086, Cairo 58056) أو بين أصدقاء أو أشخاص فى منزلة اجتماعية واحدة . راجع (Brit, Mus. 10103, Gardiner L. E. M. 5, 13 ff.) وكذلك تجدها فى رسائل من سيدات . راجع (Gardiner L. E. M., 6, 15 ff; 9,3 ff; 88, 17 ff) . على أننا لا نجدها فى الكتابة إلى مرءوسين ، ولا توجد إلا نادراً على الاستراكا . وقد أخذت هذه الصيغة تختفى تدريجا حتى أغفلت كتابتها بحلول الأسرة العشرين .

أما الصيغة « فلان يقول لفلان » فكانت تستعمل فى الرسائل الرسمية ومكاتبات المعاملات وفى الخطابات التى كان قد حذف منها قصداً عبارات التهنئة المنمقة .

وقد عثر على خطاب مكتوب على الاستراكا من ابن لوالده ، وقد استعملت فيه هذه الصيغة ولكن وجودها بهذه الصورة قد يعزى إلى صغر رقعة الرسالة التى تحت تصرف الكاتب . راجع (Inst Français, 328. 19 Dyn)

وقد ذكرنا فيما سبق أن الصيغة الافتتاحية قد اختصرت حتى أصبحت فى صورتها تشبه العنوان « فلان إلى فلان » وقد ظهرت هذه الصيغة كثيراً على أوراق البردى . راجع (Cerny L. R. L. etc) . غير أننا نجدها قد اختصرت فى الاستراكا حتى أصبحت « إلى فلان » أى بحذف اسم المرسل . راجع (Berlin Ostraca Nos. 10627—8) وهذه الصورة لم تستعمل قط فى الرسائل المكتوبة على البردى .

وفى عهد الأسرة العشرين عثرنا على أمثلة قد قلبت فيها هذه الصيغة فنقرأ «المرسل إليه المرسل » بدون أى علامة فاصلة ، وقد استعملت فى مخاطبة الرؤساء (راجع Cairo Ostraca No 25744) . وفى مثل هذه الحالة يمكن معرفة شخصية المرسل إليه ببعض فقرات

فى صلب الخطاب (راجع.Cerny L. R. L. pp. XXII, XXIII) . وهذه الصيغة نجدها فى الرسائل النموذجية المكتوبة على البردى فى عهد الأسرة التاسعة عشرة . ولكننا لا نجد الصيغتين « فلان إلى فلان » أو « إلى فلان » قبل الأسرة التاسعة عشرة .

الديباجة

إن ديباجة الرسالة كانت توضع بعد الصيغة الافتتاحية وقبل موضوع الخطاب . ولكننا نجد فى الرسائل التى وصلتنا من الدولة القديمة أن الديباجة لا وجود لها وكان موضوع الخطاب يأتى مباشرة بعد الصيغة الافتتاحية .

أما فى رسائل الدولتين الوسطى والحديثة فقد وجدنا أن الديباجة تنقسم قسمين: أولهما عبارة يذكر فيها أسماء الآلهة الذين يتضرع إليهم ليرعوا المرسل إليه . وثانيهما يذكر فيه الإحسان الذى يلتمس منهم ، وهذان يتألف منهما ديباجة كاملة ، غير أنه يندر وجودها على الاسترا كا ، وذلك لضيق رقعتها من جهة ولأن الموضوع الذى كانت تحتويه مختصرا فلا يحتاج إلى ديباجة من جهة أخرى .

والآلهة التى كان يتضرع إليها فى عهد الدولة الوسطى تتوقف على المكان الذى أرسلت منه الرسالة . إذ جرت العادة أن التضرعات توجه إلى الآلهة المحلية . ولا أدل على ذلك من أننا وجدنا فى رسالات ورق اللاهون أن الآلهة التى كان يتضرع إليها الكاتب هى الآلهة المحلية لهذه الجهة . فمثلا نجد أن الإلـه « سبك » (التمساح) قد ذكر سبع مرات بنعوت مختلفة . ولا غرابة إذا وجدناه يذكر هنا بكثرة فى رسائل اللاهون فإنها تقع فى المقاطعة التى كان يعتبر فيها هذا الإلـه من أعظم الآلهة عبادة (الفيوم) ونجد كذلك ذكر الإلـه « حور » والإلـهة «حتحور» .

ونجد فى خطابات اللاهون كذلك أن الآلهة الآتيـة كان يتضرع إليها لرعاية المرسل إليه وهى الإلـه « منتو » (سيد طيبة) والإلـه « آمون » (رب عرشى الأرضين) وكل الآلهة (راجع Griffith, K. P. P. 80)

أما فى الدولة الحديثة . فكانت الآلهة التى يتضرع إليها هى صور الإلـه « آمون » المختلفة وثالوثه أى (آمون) ، والإلـهة (موت) ، وهى الأم، والإلـه «خنس» وهو الابن . وكذلك كان يتضرع للإلـه « بتاح» والإلـه «آتون» (رب الأرضين فى عين شمس) والإلـهة « حتحور » (سيدة الغرب) وغير أولئك من الآلهة .

وفى خلال الدولة الحديثة نلاحظ أن البركات والنعم التى كان يلتمسها المرسل من الإله للمكتوب إليه فى الديباجة ، كان يعبر عنها بصيغ مختلفة . فنى عهد الأسرة التاسعة عشرة كان المرسل يتمنى لمن يرسل إليه .

(١) « أن يكون فى خير » (٢) أو « أن يعيش » (٣) أو « أن يسعد » (٤) أو «أن يعود إليه الشباب » (٥) أو « أن يكون فى حظوة الإله » ؛ فمثلا يكتب « أتمنى أن تكون بخير ، وأتمنى أن تعيش ، وأتمنى أن تكون سعيدا ، وأن تكون فى حظوة الإله . . . » راجع (Leyden 360, 5—6) .

وفى الديباجات المطولة تذكر تمنيات من جانب المرسل يتمنى تحقيقها للمرسل إليه . فيقول مثلا : « أتمنى أن أراك بخير ، وأن أضمك إلى صدرى » . راجع (Leyden 361, 3) . غير أن هذه الصيغة الأخيرة لا نجدها فى خطابات قبل الأسرة الثامنة عشرة . وأسلوب التضرعات الذى يبتدئ بتمنى الصحة من خصائص الأسرة التاسعة عشرة .

أما الذى يبتدئ بالصيغة الفعلية فنجده فى الأسرتين العشرين والحادية والعشرين مسبوقا بلفظة التمنى : فيكتب أرجو لك (١) الحياة (٢) السعادة (٣) الصحة (٤) حظوة الإله . . . أو الرئيس . . . (٥) أو حياة طويلة (٦) أو عمرا طويلا مباركا . كل هذه التعبيرات نجدها فى صور مختلفة ، إذ نجد أن الكاتب قد اختار بعضها ووضعها فى رسالة واحدة أو صاغها فى تراكيب مختلفة .

وفى الرسائل النموذجية من عهد الدولة الوسطى نجد فى الديباجة التعبير التالى ،

« أرجو أن تنال حظوة الملك . . . وكل الآلهة كما يتمنى لك الخادم هناك (أنا)[1] » . راجع(Griffith. K. P. Vol I, PP. 67. Letter I. P. 69, Letter 5) أو« أتمنى أن تكون فى حظوة الملك . . . المغفور له كما يحب لك الخادم هناك » . راجع (Ibid 169, Letter 4) أو « أن تكون فى حظوة الإله . . . كما يحب لك الخادم هناك » . راجع ibid P. 68, Letter 2; P. 69.

ونجد فى بعض الحالات أن هذه الصيغ يأتى بعدها : « إنها رسالة إلى السيد (داعيا له)

---

(١) هذا التعبير (الخادم هناك) هو مايعبر عنه فى اللغة العربية (بالعبد الفقير) عندما يتكلم شخص عن نفسه ، وهو تعبير كان شائعاً فى خلال الدولة الوسطى ، ثم أخذ فى الاختفاء فلم نجده إلا نادراً فى عهد الدولة الحديثة .

بالحياة والسعادة والصحة ! » ، ثم يعقبها مباشرة موضوع الرسالة . راجع ibid, P. 67. Letter I; P. 6. 8, Letters 2; 69 4, 5, 6, 7; P. 70 letters 9.

وفى حالات أخرى نجد أن هذه الجملة الأخيرة تكون بمفردها بمثابة ديباجة للرسالة حقيقية أو إنشائية فتأتى مباشرة بعد الصيغة الافتتاحية . راجع (ibid., P. 69. Letter 3; P. 80, Pap. VI 9; Pap V, I)

وهذه الصيغة قد ظهرت أكثر من مرة فى صلب الرسالة إلا أنها كانت تستعمل فى هذه الحالة بداية لفقرة جديدة تبدأ موضوعا جديداً فى الرسالة نفسها . راجع ibid, . P 69 Letter 3; P. 71, Pap I, 7 ete . وأكثر الصيغ استعمالا فى هذا العصر الصيغة التالية « إنها رسالة إلى السيد فى حياة وسعادة وصحة مخبرا إياه أن كل أحوال السيد (فلان) « داعيا له » بالحياة والسعادة والصحة سليمة ونامية فى كل أماكنها ، وذلك برعاية الآلهة (. . .) ، وكل الآلهة المحليين الذين يحبونك ، لما تفعله كل يوم أى من يوم ولادتك إلى يومنا هذا ، أو برعاية كل الآلهة كما يتمنى لك الخادم هناك (أنا) » . راجع (K. P. Pap I 7; P71.) وأكبر دليل على أن هذه الصيغة كانت تقليدية ، وقد فقدت مدلولها الأصلى ، ما نجده فى رسالة امرأة قد استعملتها فى الكتابة إلى رجل ذاكرة له أخبارا سيئة (راجع K. P S. 75) ، وقد ورد فى الدولة الحديثة ما يشابه ذلك من إساءة استعمال مثل هذه الصيغ حيث يقول الكاتب : « موضوع آخر يسر سيدى الخ » ، ثم يذكر بعد ذلك أن ثلاثة من عبيده قد هربوا .

أما فى عهد الدولة الحديثة فكان أكثر الصيغ شيوعا فى الديباجة ما يأتى : «أتمنى أن تمنح الحياة والسعادة وطول الأمد والعمر الطويل المبارك ، وأتمنى أن تمنح الحظوة فى كنف الإله أوفى كنف سيدك » . راجع Cerny L. R. L. P. 13, 4 — 4; L. R. L. 5. 7; L. R. L. 29, — 8 — 9

أما فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فكانت التبركات يعبر عنها بما يأتى «أتمنى أن يمنحك هو أو هم الحظوة . »

الديباجة فى الصيغ الحربية :

نجد فى بعض الرسائل النموذجية ومسودات الرسائل الحقيقية فى عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين أن الديباجة كان يعبر عنها كالآتى : « أتمنى أن يحفظ الفرعون سيدنا» . راجع (Gardiner; L. E. M. 66, 11 ff etc) . غير أنه قد لوحظ أن المتراسلين فى

مثل هذه الرسائل كانوا من رجال الجيش الذين هم فى درجة واحدة أو كان المرسل أقل درجة من المرسل إليه . غير أن هذه لم تكن قاعدة متبعة . راجع (Cerny. L. R. L. 41, 11 ff).

الصيغة الختامية

لم نجد فيما وصل إلينا من خطابات الدولة القديمة مايدل على وجود صيغة ختامية للرسائل . ولكنا من جهة أخرى نجد معظم الخطابات الحقيقية وبعضا من الخطابات النموذجية التى تعزى إلى الدولة الوسطى لها صيغة ختامية تختلف فى تركيبها حسب مراتب المتراسلين وحسب موضوع الخطاب . وأقدم هذه الصيغ الختامية « أتمنى أن يكون ما تسمعه حسنا » (راجع Scharff. A. Z. 59, 20 — 51,. Griffith, K. P. Vol. I. PP. 67. ff.) .

ولدينا ورقة مفيدة فى بابها عثر عليها فى اللاهون (راجع K. P. P. 76) وهى تحتوى على خطاب والجواب عليه ، وكلاهما طريف فى أسلوبه لأنه هجاء لا مدح وقد يكون المقصود منهما هجاء حقيقيا أو مداعبة من صديقين ، فالخطاب قد كتب بالمداد الأسود وجاء فيه : « رسالة يخبر فيها العبد الفقير السيد فى حياة وسعادة وفلاح ؟ ليأتى إلى بلدة « عنخ سونسرت » فى اليوم العاشر من الشهر الرابع من فصل الحصاد ، أنت يأيها الخبيث المضاعف « أتمنى أن تأتى فى حياة وخير » . وقد رد المرسل إليه على تلك الصيغة الختامية الفذة فى بابها بالمداد الأحمر : « أرجو أن يكون كل كلامك خبيثا برعاية الإله سبك» (رب رهنت) وكل من يرمى بك إلى الدمار برعاية روحه ، وعلى ذلك فإن روح الكاهن « حكاك بى» قد أرسلتك إلى جهنم أبد الآبدين « أرجو أن يكون ماتسمعه ضارا وطاعونا »

فنرى من تلك الخاتمة أنه بدلا من استعمال « أتمنى أن يكون ما تسمعه حسنا » استعمل « أتمنى أن يكون ما تسمعه ضارا وطاعونا » . ويلاحظ هنا أن الرد كان بالمداد الأحمر ، وذلك علامة على الشر لأن اللون الأحمر يمثل الإله « ست » . ومما يبرهن على ذلك ما جاء فى كتاب تفسير الأحلام فإن تفسير الأحلام الدالة على الشر قد كتبت بالمداد الأحمر . راجع (Gardiner, "Hieratic Papyri in the British Museum", Vol. I. P. 9.) على أننا نجد فى ورقة اللاهون رقم ٣ (راجع K. P. III, 4) أن الصيغة الختامية هى صيغة مختصرة من ديباجة الرسالة وهى : « هذه رسالة إلى السيد له الحياة والسعادة والصحة لأخبره أن كل أشغال السيد له الحياة والسعادة والصحة (نامية) » . راجع (Griffith. K. P. P. 677) وقد عثر على الصيغة الختامية «أتمنى أن يكون ماتسمعه

حسنا» فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، غير أن هذا الاستعمال يعتبر قديما . (راجع Leyden Letter. No 361) . وفى هذه الحالة نجده مستعملا بين أشخاص من درجة واحدة . أما الاستعمال الذى قد حل محله فى الدولة الحديثة فهو «أتمنى أن تكون فى صحة جيدة» ، وكان يستعمل حينما يكون الكاتب والمكتوب إليه من درجة واحدة أو يكون المرسل إليه أعلى درجة .

وهذه الصيغة نجدها فى الرسائل التى تشتمل على ديباجة كاملة بقطع النظر عن صورة الصيغة الافتتاحية التى تحتويها الرسالة على وجه عام . ولدينا رسالة نموذجية من أوراق « شستر بيتى » (راجع Chester Beatty V verso 2, 1 — 6) تحتوى على ديباجة كاملة ، وقد كان المنتظر أن نجد الخاتمة المعتادة وهى «أتمنى أن تكون فى صحة جيدة». ولكن لما كانت الرسالة من رئيس إلى مرءوس فقد وجدنا أن الخاتمة قد عبر عنها بعبارة « خذ علما بها » . وفى رسالة أخرى خاصة بمعاملات محضة نجد أن الكاتب قد اعتبر صيغة « أتمنى لك صحة جيدة » عبارة تقليدية توضع قبل خاتمة الرسالة الحقيقية التى يعبر عنها : بعبارة « خذ علما بها » . (راجع Chester Beatty V. verso 1, 9 — 2, 5)

على أن هذه الصيغة قد نجدها فى وسط الرسالة ، ولكن فى هذه الحالة تكون نهاية الفقرة والخطاب يستمر بعدها . وفى هذه الحالة (راجع Cerny L. R. L. 15 13, 38, 8, 21, 24) يلاحظ أن كل فقرة من الرسالة تعتبر كأنها وحدة منفصلة وتكون لها اجزاؤها الخاصة المكونة لها ، أى تكون لها صيغة افتتاحية مبتدئة بعبارة « كلام آخر » بدلا من اسم المرسل وديباجة وموضوع وخاتمة .

ونجد أحيانا أن صيغة « أتمنى لك صحة طيبة » يتبعها « فى بيت آمون » ملك الآلهة (راجع Gardiner L. E M, 10, 12) أو «فى حضرة آمون»(راجع Berlin Ostraca No.10628, 10630) .

ونجد على وجه عام أن الرسائل المكتوبة على « الاستراكا » قد حذف منها الصيغة الختامية ، وذلك طبعا لضيق رقعتها كما أسلفنا ، أو لأنها تعتبر بطاقات صغيرة تتبادل داخليا وقد شذ من ذلك رسالتان كتبتا على الاستراكا . راجع Berlin Ostraca No. 10628,10630

وأحيانا نجد أن الخاتمة «أتمنى لك صحة جيدة» تعقب الجملة «إنى مرسل إليك لأعلمك أو إنى مرسل اليك لأعلمك بمكاتبة الملك على يد حامل البريد الرسمى فلان » . راجع

(Cerny, L. R. L, 49, 7 & Gardiner, L. E M., 126, 5 — 6)

ويقابل هذه الصيغة صيغة أخرى كانت تستعمل بوجه خاص فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وهى بلاشك صيغة ختامية ترجع جزئيا إلى الدولة الوسطى وتنم عن أدب فى التعبير وهى « إنها رسالة لأحيط سيدى علما» . ويلاحظ هنا أنها كانت تستعمل فى مخاطبة من هو أعلى مكانة . وقد ذكر التاريخ مع هذه الصيغة الختامية فى رسالتين . راجع Anastasi (1) IX, Vs. 3 & L. E. M. 56.1 . أما فى الدولة الوسطى فنجد الصيغة الختامية : « إنها رسالة لذلك السبب (الذى وضح فى الخطاب) (K. P. L V1, 1 V. s & V1. 9. Griffith K. P. PP. 82, 80) .

غير أنها لم تكن تختم بها الرسالة عادة فى هذا العهد . بل إنها تستعمل أحيانا بمثابة خاتمة لفقرة من الرسالة (راجع ibid Pap V1 4, K. P. P 74) . وفى نفس أوراق اللاهون (Pap. VI. 5 Griffith K. P. P. 81) نقرأ : « إنها رسالة لذلك » ويعقبها : « أرجو أن يكون سيدى فى حياة وسعادة وصحة ، حسن الاستماع » .

وفى رسائل المعاملات نجد أن الصيغة الختامية كانت « خذ علما بذلك » (أى محتويات الرسالة » .

وفى خلال الأسرة الثامنة عشرة نلاحظ أن الرسائل لم يكن لها خاتمة معينة كما كانت الحال فى عهد الدولة القديمة .

وقد لوحظ أنه توجد مساحة بيضاء قبل الصيغة الختامية سواء أكانت « أتمنى لك صحة جيدة » أم «خذ علما بذلك » . وذلك فى رسائل الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين. غير أن هذا الفراغ لم يرقط فى الرسائل النموذجية . وخلاصة القول أن الصيغتين : « أتمنى لك صحة جيدة وخذ علما بذلك » كانتا الصيغتين الأساسيتين لختام المراسلات فى عهد الدولة الحديثة. أما الصيغة : « إنها رسالة لأعلم سيدى» فإنها كانت خاصة بالأسرة التاسعة عشرة

تاريخ الرسائل :

كان تاريخ الرسالة كما ذكرنا آنفا يوضع فى أول الرسالة فى خلال الدولة القديمة . أما فى عهد الدولة الوسطى فكان يوضع على ظاهر الرسالة عند نهاية العنوان، غير أنه كان يسبق اسم الرسول (Griffith, K, P. P72, 74, 77) . أما فى عهد الدولة الحديثة فكان يوضع عادة فى نهاية الرسالة (Ghurab, ibid. P, 91; Gardiner L. E. M. 84, 4.)

أسلوب تحرير الرسائل

لاشك فى أن موضوع الرسالة كان يُصب فى عبارات ومصطلحات تنتخب وفق قواعد وعوامل لا بد من مراعاتها ، تتفق والعصر الذى كتبت فيه الرسالة ، ومرتبة كل من المرسل والمرسل إليه ، والعلاقة التى تربطهما ، ثم الموضوع الذى كان يتناوله الكاتب . وهذه النقط قد تكلمنا عنها فيما سبق وبخاصة فيما يتعلق بالصيغة الافتتاحية والديباجة والصيغة الختامية وكذلك أساليب موضوع الرسالة ومحتوياتها .

بعض أساليب خاصة بالرسائل :

هناك أساليب خاصة نجدها مكررة فى الرسائل كما ذكرنا ، غير أنها تختلف باختلاف الموضوع الذى يتناوله الكاتب .

الأجوبة : لقد وصلنا جواب من عهد الملك « اسيسى » أمر بتحريره إلى أحد أشراف حاشيته « سنزم اب » ردا على رسالة له وقد ابتدأه بما يأتى : « إن جلالتى قد شاهدت رسالتك هذه التى أرسلتها لى لتخبرنى » . . . وكذلك الجواب الخاص بالجريمة المنسوبة إلى النبيل «سابنى» من عهد الدولة القديمة فإنها كانت جوابا على رسالة سابقة وقد قال فيها بعد الصيغة الافتتاحية « إنى أنا أخوك قد وجهت عنايتى الخاصة للموضوع الذى أرسلت لى عنه (راجع Smithers, J. E. A, Vol 28, P. 16) . ومما يؤسف له أن قلة الوثائق فى هذا العهد لاتمكننا من معرفة الطريقة التى كان يفتتح بها موضوع الرسالة فى ذلك العهد ، على أن الجواب الذى أرسله « بيبى الثانى » إلى « حرخوف » يبتدىء بأسلوب مشابه للجواب الملكى السابق ، إذ يقول : « لقد علمت موضوع خطابك هذا » . راجع Breasted, "Ancient Records," Vol. I P. 160 . ونجد أن الكاتب وهو يتكلم عن بعض ما جاء فى تلك الرسائل الملكية يستعمل أمثال الجمل الآتية :

« لقد قلت فى جوابك هذا » و « لقد قلت لجلالتى » الخ

أما فى عهد الدولة الوسطى فلدينا رسالة تبتدىء بهذه العبارة : « حقا فإنه بخصوص ما قد أرسلت لى عنه » . (راجع Griffith, K. P. Vol, I, P. 72) وفى صلب الرسالة نجد «لقد سمعت بالأشياء التى ترسل عنها » (راجع Pap XII, I, ibid, P. 79)

أما فى عهد الدولة الحديثة فنقرأ فى أجوبة الرسائل التعبير الآتى «لقد سمعت كل الأشياء

التى أرسلت لى عنها » وحرفيا « القول الذى عملته أو الرسالة التى عملتها قائلا » :

ثم يأتى بعد ذلك اقتباس من الرسالة الأصلية ، وينتهى هـذا الاقتباس بالجملة التالية : « هكذا قلت » ، وهـذه الصيغة كانت تستعمل عادة فى نهاية عصر الرعامسة . راجع (Cerny, L. R. L. 9, 10 ; 34, 11.)

ونجد أحيانا أن الـكاتب يختصر صيغة الاعتراف بوصول الرسالة فى جوابه بقوله : « لقد سمعت» Gardiner L. E M. 123, 8. ،وهذه الصيغة قد تـكتب كذلك فى صلب الجواب حينما يذكر المرسل إليه أشياء أخرى قد وصلته فى رسالات سابقة .

تعليمات :

نجد فى الرسائل أن الـكاتب كان يعبر عن الأوامر التى يريد إرسالهـا بطرق مختلفة تتناسب مع المرسل إليه ، فنجد مثلافى الدولة الوسطى أن الأوامر قد صيغت فى رسالة واحدة كالآتى : « يجب أن ترسل إلى رسالة بخصوصها » ، «إنه يجب عليك أن ترسل لى رسالة» ، « يجب أن ترسل لى بخصوصها » . راجع (Griffith, K. P, P. 74 Pap. IV, 4.) .

وكذلك كان يكتب : « مر بأن يحضر إلى » . راجع (K. P P 78) وفى أخرى « مر بأن يؤتى إلى » و « مر بأن يحضر إلى » . راجع (ibid P. 82) ، وهـذا الأمر الأخير هو من رئيس لمرءوسه .

أما فى عهد الدولة الحديثة ، فقد كان الـكاتب يتجنب الأوامر المباشرة ، ويعطى تعليماته كما يأتى « حينما تصل إليك رسالتى ينبغى أن تفعل كذا وكذا » . راجع (Amarna Letters II, 15, Cairo No, 58058)

الالتماسات :

كانت الملتمسات فى رسائل الدولة القديمة يعبر عنها بطريقة طبيعية مباشرة كما يشاهد فى جواب «حرخوف» ، ولـكن بظهور الدولة الوسطى ظهرت عبارات مختارة كالآتية : « إن الخادم هناك (العبد الفقير) يرسل رسالة بخصوص أن يأمر (سيدى) بأن يعطى » . راجع (Griffith, K. P., P. 75, Pap IV, 6.)

وكذلك نجد التعبير التالى « إن الخادم هناك يرغب أن يعرف ... » . راجع Grifftih K. P. P77. أو « إنها رسالة إلى سيدى له الحياة والصحة والسعادة قصد أن يجعل قلبه يهتم بى . . . » . راجع (ibid, P. 72, 79)

أما فى عهد الدولة الحديثة فـكان يعبر عن الالتماس كما يأتى « واجعل التفاتك إلى » وكان ذلك التعبير يستعمل عند ماريد الـكاتب أن يطلب إلى المـكتوب إليه تنفيذ شىء فى أدب . راجع (Cerny L. R L. 14, 4, 20, 17،) ، وكذلك وجدنا التعبير التالى « لا تكن متوانياً فى » راجع (ibid 14, 11,)

اهتمام المرسل بالمرسل اليه :

كان يعبر عن هذه العاطفة فى عهد الدولة الوسطى بالطريقة الآتية « إنها رسالة إلى السيد له الحياة والسعادة والصحة ليأمر بالـكتابة للخادم هناك (العبد الفقير) فيما يختص بحياة وسعادة وصحة سيدى (الذى أرجو له الحياة والسعادة والصحة) . راجع Griffith, K. P, P. 75, Pap. L, VI ومن الطريف أننا نجد فى رسالة أخرى أنه قد ذكر بعد الصيغة السابقة « لأن قلب الخادم هناك (العبد الفقير) يكون فرحا عندما يسمع بحياة وسعادة وصحة سيده ، الذى يرجو له الحياة والسعادة والصحة » . راجع (ibid, P. 81) . والواقع أن مثل هذا الاهتمام والدعاء نجده فى المكاتبات العربية غير أنه يوضع فى صورة مترادفات أخرى .

أما فى عهد الدولة الحديثة فنقرأ « لا تتوان فى أن ترسل إلى عن حالتك » . راجع Çcrny L R. L. 15, 12 — 13.

وقد يضاف إلى ذلك «لأنى مشغول البال من جهتكم» (Gardiner, L. E. M, 68, 1—2)

وكان الرد على ذلك « لا تشغل قلبك من جهتى » . راجع (ibid 7, 4.) أو « إنى فى صحة اليوم . أما الغد فى يد الله» . راجع (ibid 16, 3) ، وفى رواية أخرى لهذه الصيغة من الأسرة التاسعة عشرة نقرأ « نحن بصحة اليوم غير أننا لا نعرف ماستئول إليه حالنا فى الغد » . راجع (Leydén, No. 360.) .

رءوس فقرات جديدة فى الرسالة :

كان الـكاتب المصرى عند ما يريد أن يبتدىء موضوعا جديداً فى صلب رسالته يستعمل لذلك ألفاظا وأساليب خاصة ، ففى الدولة القديمة كان يستعمل لفظة «والآن » أو « وبعد » أو « وفضلا عما ذكر » . راجع Smithers, J. E, A Vol. 28, P. 16, Gardiner J E, A. Vol B P.75 أما فى عهد الدولة الوسطى فإن التعبير الذى ذكرناه فيما سلف وهو « إنها رسالة إلى سيدى له الحياة والسعادة والصحة » كان غالبا يستعمل فى بداية فقرة

جديدة كما كان يفتتح به الرسالة (راجع Griffith, K. P. PP. 67, ff) ونجـد فى بعض الرسائل من ذلك العهد أن الرسالة كانت تفتتح بكلمة « تأمل». راجع (ibid P.71,—75)

أما فى عهد الدولة الحديثة فكانت تستعمل العبارات التالية (١) « كلام آخر » . راجع Cerny L. R. L. 36, 11 (٢) « رسالة أخرى لسيدى » Anastasi IX, 1 (٣) «إنها رسالة لأحيط بها علم سيدى . . . . » وهذه الصيغـة الأخـيرة نجدها فى الرسائل النموذجية من عهد الأسرة التاسعة عشرة وفى رسالة من عهد الأسرة العشرين . راجع Gardiner, L. E. M. 115, 13 (٤) «لقد أحضرت إليك هذه الرسالة المكتوبة قائلة...»

وهذه الصيغة أصبحت لا تستعمل فى عهد الأسرة العشرين راجع Cairo No 58055,2

تعبير كاتب الرسالة عن نفسه :

كان الـكاتب يعبر عن نفسه فى تواضع بالعبارة الآتية « العبد هناك » بدلاً من كلمة « أنا » وهى ما تقابل فى التعبير العربى (العبد الفقير) وقد كان ذلك خاصا بالدولتين القديمة والوسطى كما سبق ذكره

أما فى الدولة الحديثة فقد كان نادر الاستعمال (راجع قصة المخاصمة بين حور وست)

على أنه لدينا رسالة من عهد الدولة الوسطى من رجل إلى امرأة لم يستعمل فى مخاطبتها هذا التعبير ، وقد يرجع سبب ذلك إلى أن الرجل كان لا يستعمله عند مخاطبة المرأة أو إلى أنها كانت أقل منه درجة فى الهيئة الاجتماعية (راجع Griffith, K. P, pp. 72, 73) وقد استعمل الـكاتب فى رسالته العبارة التالية متكلما عن نفسه « الشريف هنا » وفسرها بعد ذلك فى صلب الخطاب بلفظة « أنا » وهـذا يدل بطبيعة الحال على أن الرسالة كانت من رئيس عظيم إلى مرءوس صغير . (راجع Ibid P. 82, Pap. LXV, 1)

هذه نظرة عامة عن الرسائل المصرية من أول نشأتها حتى نهاية عصر الرعامسة وقد توخينا فى ذلك الاختصار حتى لا نخرج عن الغرض الذى نرمى إليه وهو أن نضع أمام القارىء صورة موجزة عن تاريخ هذه الرسائل بقدر ما وصـل إلينا من المعلومات ، وسنورد فيما يلى بعض النماذج من هذه المراسلات . وسنوجه عنايتنا فيما سنورده هنا إلى الرسائل التعليمية والنماذج الإنشائية التى كان يهتم بها المصريون فى عهد الدولة الحديثة، وسنضرب صفحا عن رسائل المعاملات والرسائل الأخرى المملة التى لا يستفيد منها القارىء إلا شيئاً من الوجهة

الاجتماعية . وسنتكلم عن ذلك فى موضعه من تاريخ مصر القديمة وبخاصة فى عهد الدولة الوسطى . هذا إلى أننا قد استعنا بما وصل إلينا من كل العصور فى الشرح الذى وضعناه بين يدى القارىء والذى يمكن تطبيقه على الأمثلة التى سنوردها هنا . والأمثلة التى سنضعها أمام القارىء تنقسم خمسة أقسام وهى :

(١) تعاليم وتحذيرات للتلاميذ
(٢) رسائل حقيقية استعملت نماذج إنشائية للتلاميذ
(٣) رسائل نموذجية من إنشاء المعلمين
(٤) تهنئات إلى المعلمين والرؤساء
(٥) منافسة أدبية

الحياة فى المدرسة[١]

ينصح الوالد فى هذه الرسالة ابنه بعد أن أدخله المدرسة أن يثابر على تحصيل العلم ليكون كاتبا ، والكتابة أعظم الحرف فى كل زمان ومكان فى مصر القديمة ، إذ بها يمكن الانسان أن يرتفع إلى أعظم المناصب الحكومية ، ثم نراه يضع أمام ابنه القواعد التى يجب أن يسير على نهجها حتى يصل إلى غرضه ، ثم هو يحذره التراخى فى اتباع نصائحه وإلا كان العقاب الجثمانى جزاءه فيقول :

إنى أضعك فى المدرسة مع أولاد العظماء لأربيك ولأجعلك تتعلم هذه الحرفة التى تعظم صاحبها .

انظر إنى أقص عليك كيف يكون حال الكاتب حينما يكون . . . استيقظ ، فى مكانك ، إن الكتب قد وضعت أمام زملائك . ضع يدك على ملابسك وانظر إلى نعليك (؟) »

وعندما تأخذ (فرضك) اليومى . . . ، لاتكن كسلان . . .[٢]

. . . . واقرأ بجد فى الكتاب . ولاتدع كلمة تسمع عندما تحسب فى صمت (أى حساب عقلى) . . . .

اكتب بيدك ، واقرأ بعينك . واستشر من هم أنبه منك (؟) ، ولا تتراخ ولا عض

---

(١) راجع Pap Anastasi V. 22 6 ff.

(٢) يحتمل أن تكون التمرينات الحسابية هى موضوع الفقرة التى حذفت

يوما فى الكسل ، أو يلحق الويل أعضاءك ! واعمل على فهم طريقة أستاذك واصغ إلى تعاليمه . . . .

. . . انظر إنى معك كل (يوم ؟) احذر أن تقول . . . ؟ »

كن مجتهدا

وهنا يحثه على الاجتهاد ، ويغريه بما ينتظره من المستقبل إن اجتهد ، ويخوفه العقاب إن أهمل ، وكنى عن أثر الضرب المفيد فى التعليم كناية ظريفة فجعل أذن الولد مركبة فى ظهره ، وضرب له الأمثلة على أن التعليم أصبح يصل إلى الحيوان والطيور ، والإنسان لاشك أجدر به منهما قال :

(٢) [كن مجتهدا][1] يأيها الكاتب لاتكن كسلان، لاتكن كسلان ، وإلا فإنك ستعاقب عقابا صارما . ولا تجعلن قلبك ينغمس فى الملاهى ، وإلا فصيرك الخراب ، واكتب بيدك واقرأ بفمك واستشر من هم أعلم منك .

وحصل لنفسك وظيفة حاكم حتى يمكنك أن تصل إليها عندما تصير مسنا . والكاتب الذى ينبغ فى حرفته سعيد فهو أستاذ تربية . وثابر كل يوم ، وبذلك ستتفوق فيها (الكتابة أو معرفة الكتابة) . لا تمض يوما فى الكسل أو تضرب . وإن أذن الولد على ظهره فهو يسمع حينما يضرب . واجعل قلبك يصغى إلى كلماتى ؛ فأنها ستكون نافعة لك . وإن « الكايرى »[2] يعلَّم الرقص ، والخيل يكبح جماحها ، والحدأة (؟) توضع فى عش (؟) وجناحا الصقر يشدان[3] (أى لأجل أن يصير مدربا) . ثابر فى طلب النصيحة ولا تهملها لا تملَّن الكتابة . دع لبك يصغ إلى كلماتى وستجدها مفيدة .

وفى هاتين الرسالتين يبين أنه بذل المستطاع لتعليمه ، وجلب له معلم صبيان بالليل وآخر بالنهار حتى يقوى على الدرس والتحصيل ، فبدا أنه أقل استعدادا من الأسود فى ترويضها ، والطيور فى تعليمها ، والخيل فى تدريبها ، وأن النصيحة غير مجدية فيه ، والضرب لايردعه عن تهاونه . فمثله مثل الحمار العنيد أو العبد النغل الذى لم يصقله الثقاف ولاالتهذيب . قال :

---

(١) راجع .Pap. Anastasi III. 3. 9. ff

(٢) حيوان أثيوبى

(٣) إذا تمكن شخص من تدريب هؤلاء فمن الممكن أن يعمل المثل معك .

(٣) [كمه مجنهرا][1] لا تكن رجلا غبيا لاعلم عنده .

فنى الليل يدرس لك واحد ، وبالنهار يعلمك آخر ، غير أنك لا تصغى إلى التعليم ، بل تعمل حسب ميولك . إن « الكابرى » يصغى إلى الكلمات حينما يجلب من « أثيوبيا » والأسود تدرب ، والخيل يكبح جماحها، ولكنك لا يشابهك إنسان فى كل الأرض . أرجو أن تفطن لذلك .

(٤) [كمه مجنهرا][2] إن قلبى قد سئم إعطاءك دروسا (أكثر مما أعطيتك) ، ويمكننى أن أضربك مائة ضربة ، ومع ذلك فإنك تلقى بها جميعا ظهريا . وإن مثلك عندى كحمار قد ضرب ولكنه عنيد (؟) . . . ، وكذلك مثلك عندى كمثل عبد أسود يزجر . قد أحضر مع الجزية[3] إن الحدأة توضع فى العش ، وجناحاها يوثقان . وإنى لجاعلك تلعب دور الرجل يأيها الولد الردىء . أرجو أن تفطن لذلك .

ونرى الوالد فى هذه الرسالة يزهد ابنه فى معاقرة الخمر ومخادنة الحسان ، ويصور لابنه حاله عندما يكون ثملا مترنحا يخيف الناس ، ويخرج عن جادة العقل فيقصف ويلهو ويتمرغ فى التراب ويتمسح بالقيان ، ويصدح مع الصادحات ، ويذهب بوقاره ما يصدر عنه من لغو ومن تأثيم، فتراه يقول له :

(٥) [الجعة والعذارى][4] لقد حدثت أنك هجرت الكتابة وأنك أسلمت نفسك (؟) للملاذ ، وأنك تتسكع من شارع إلى شارع حيث رائحة الجعة . إلى التلف ؟ إن الجعة تفزع الناس (منك) وتودى بروحك إلى الدمار (؟) ومثلك كمثل سكان السفينة المكسور الذى ينقاد إلى كلا الجانبين ، وكالمقصورة من غير إلهها ، وكالبيت من غير خبز . وقد وجدت تتسلق جدارا وتكسر الـ . . . وقد فر الناس من أمامك لأنك تنزل بهم جروحا . فليتك كنت تعلم أن الخمر إثم ، وأن تقسم ألا تشرب « الشدة »[5] وألا تسلم قلبك للزجاجة (؟) وأن تنسى شراب « رتلك »[6]

---

(١) Pap. Bologna 1094. 3. 5. ff.

(٢) Pap. Sallier I, 7. 9. ff.

(٣) العبد الذى جلب حديثا ولا علم له باللغة المصرية فهو يزجر

(٤) Pap Anastasi IV 11. 8 ff. & Pap Sallier. 1, 9. 9ff.

(٥) شراب حلو مسكر

(٦) كلمة أجنبية لنوع من الشراب

لقد عُلِّمتَ كيف تغنى على القيثارة وتضرب على الأرغول . وتغنى على كتنور (العود) مترنما . وتغنى على النزخ(١) وتجلس فى البيت وتحيط بك البنات ، ثم تقف وتمىل . . . أنت . . . وتقعد أمام قَيْنة ، وترش بالعطور وتيجانك المصنوعة من زهر « أشت پنو » تتدلى حول نحرك ، وتطبل على جوقك ، وبعد ذلك تسقط على بطنك وتلطخ بالأوساخ . .

وهنا يُرى الوالد ابنه أن من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه ، وأن التسكع فى الطرقات يجر إلى الزلل ، ويضرب له الأمثال على أن من عانى التعليم فى صغره يدرك ما تصبو إليه نفسه فى كبره ، فقال :

(٦) [**التلميذ فى الأغلال**](٢) « لقد سمعت أنك تتسلم للملاذ . لا تولين ظهرك إلى كلماتى . هل تسلمن عقلك لكل أنواع الأشياء الصماء ؟ . . .

سأجعل قدمك تزل (؟) حينما تنزلق إلى الشوارع (أى تتسكع فى الشوارع) وستضرب بسوط من جلد فرس البحر .

ومهما يكن من أمر فإنى رأيت كثيرا من أمثالك قد جلسوا فى قاعة الكتابة ، ولم يقولوا « بالله » (من غير أن يقسموا) : « بأن الكتب (لا تساوى) شيئا مطلقا » ، ومع ذلك فإنهم صاروا كتابا ، وذكر الواحد (الملك) أسماءهم ليرسلهم فى مهمات .

وإذا نظرت إلىّ حينما كنت صغيرا مثلك وجدتنى مضّيت وقتى والأغلال فى يدى ، وقد شدت أعضائى بها ، وقد مكثت بها مدة ثلاثة شهور ، وسجنت فى المعبد فى حين أن والدى ووالدتى وأخى كانوا فى الأرياف ، ولما فكت عنى (الأغلال) وأصبحت يدى طليقة فقت ما كنت عليه فيما مضى ، وكنت أول زملائى وتفوقت عليهم فى الكتب .

افعل ما أقول وسيكون جسمك سليما وستجد فى الصباح(٣) ألا أحد يعلو عليك » .

(المتن هنا مضطرب غامض ، ويظهر من خلاله أن الوالد يضرب لابنه الأمثال على تخبطه فى حياته ، وعلى أن نتيجة مثل ذلك الخيبة والفشل) . قال الوالد :

---

(١) كلها كلمات أجنبية ؛ كتنور هى قيثارة أجنبية ، وكذلك يحتمل أن «نزخ» مثلها . أما لفظة انن فيجوز أن معناها الترنم

(٢) Pap. Anastasi V. 17. 3 ff

(٣) كتب التلميذ كلمة الصباح خطأ وصححها معلمه بكلمة شهر خطأ أيضا (وهناك تشابه بين كلمة صباح وشهر فى الكتابة)

(٦) [كى مجتهداً][1] « حُدثت أنك تهجر الكتابة ، وأنك تسافر وتهرب . وأنك تهجر الكتابة بقدر ما تستطيع قدماك من السرعة ، وأنك فى هذا كحصانين . . . (ومن يقرأ هذا التعبير يثب إلى ذهنه « فرسا رهان » التعبير العربى ، ولكن لم يكن فى مصر فى ذلك الوقت سباق للخيل إذ كانت الخيل تجر العربات فقط) وقلبك يرفرف . وإنك لكالطير المسمى (إخى) ، أذنك . . . وإنك لكالحمار حينما يضرب . وإنك لكالغزال الشارد .

ولكنك لست بصائد الصحراء ولا « ماتوى » الغرب .

ولكنك لست بالأصم الذى لا يقدر أن يسمع فيكلمه الإنسان باليد (بالإشارة) وإنك مثل رفيق ربان ماهر فى السفينة[2] حينما ينوب عن زميله فى قيادتها ويقف فى المقدمة (؟) وهو لا يلتفت إلى الرياح العكسية ، ولا يبحث عن الموجة (أى لا يلتفت إلى التيار) فإذا ما انفلت الحبل الخارجى ال . . . الحبل يعلق حول رقبته وعندما يشد الحبل . . .

كل الكلام الآتى مبهم ، ونعلم أنه يقطف الأزهار على الشواطىء ، ومن الجائز أن هناك وصفا مضحكا لملابسه : شعره المستعار بخصلته المجعدة التى تضرب إلى قدميه من صنع « أثيوبى » الخ .

والخاتمة هى : وله أذن صماء فى يوم[3] الحمار ، وهو مجداف محرك فى يوم السفينة ، وسأفعل كل ذلك له[4] إذا ولى ظهره إلى حرفته » .

وفى الرسالة الآتية يرغب الوالد ابنه عن الفلاحة بذكر الجوائح التى تجتمع على الفلاح فتحرمه ثمار كده من فادح الضرائب ومختلف الآفات ، ومن ضروب الاهانات التى تقع عليه ، ولا يسلم منها زوجه وبنوه ، ثم يرغبه فى الكتابة ويزين له الاشتغال بها فيقول :

(٧) [لا تكن فلاحا][5] «لقدأخبرت أنك تهجر الكتابة وتسترسل فى الملاذ ، وأنك قد صممت على العمل فى الحقل وحولت ظهرك عن كلمات « الله »[6] . ألم تفكر كيف تكون

---

(١) Pap. Koller 2. 3. ff. = Pap Anastasi IV. 2. 4. ff.

(٢) يجوز أن المقصود هنا نوتى يضع نفسه موضع ربان السفينة ثم يخيب فى محاولته .

(٣) معنى ذلك أن التلميذ لا يسمع ، والجملة التى فيها تعود على ما سبق ذكره عن الحمار والسفينة .

(٤) ليس فى الجملة أى تهديد له ويجوز أن فى الكلام المبهم تهديداً ولكن لم نفهمه .

(٥) Pap. Sallier 1. 5. 11 = Pap. Anastasi V, 15. 6. ff. & Journ. of Egyp. Archelogs Vol 27. p. 19. ff.

(٦) الكتابة الهيروغليفية والمتون القديمة .

حال الفلاح حينما يسجل الحصاد[١] . وقد أكل الدود نصف الغلة والتهم فرس البحر ما تبقى . وعندما يزخر الحقل بالفيران ، والجراد يجتاحه ، والماشية تلتهم ، والعصافير تسرق ، فالويل للفلاح وقتئذ (؟)

والبقية الباقية فى الجرن يأتى اللصوص على آخرها . ال . . . من النحاس محطمة . والحصانان يموتان فى الدرس والحرث .

والآن يرسو الكاتب إلى الشاطىء ويأخذ فى تسجيل المحصول والحراس يحملون عصيا والعبيد يحملون جريد نخل . ويقولون : « هات غلة » « ليس هناك غلة » وعندئذ يطرح أرضا ويضرب ، ثم يوثق ويلقى فى الترعة ويغمس فى الماء منكسا ، وزوجه توثق أمامه وتوضع أطفاله فى الأغلال (؟) وجيرانه يولون الأدبار ، وبعد ذلك تطير غلتهم . أما الكاتب فإنه يدير عمل كل الناس . وليس عليه ضريبة لأنه يدفع جزيته بالكتابة ، وليس عليه جزية . أرجو أن تفطن لذلك » .

وفى هذه الرسالة الآتية يرفع من شأن الكاتب كعادته مبينا نفوذه ومنزلته ، ويغض من شأن الجندى فيكشف عما يلاقيه من عنت الرؤساء ، وهم كثيرون يتدرجون فى الرتبة ويتباينون فيها ، وإن اتفقوا على تكليف الجندى بشاق الأعمال ، وهو لذلك ينأى بابنه عن أن يتخذ الجندية حرفة له .

(٨) [*لا تكون جنديا*][٢] « ضع الكتابة[٣] فى صدرك حتى تقى نفسك أى عمل شاق ، وتكون حاكما ذائع الصيت . ألا تذكر الفرد الخامل المغمور الاسم ؟ إنه سيحمل كالحمار ، حينما يقف أمام الكاتب الذى يعرف قيمته (؟)

تعال ، ودعنى أخبرك سوء حال الجندى بالنسبة لمرءوسيه العديدين — القائد ، فقائد الرديف ، « والسكت الذى على رأسهم » ، وحامل العلم ، وضابط الصف ، والكاتب ، وضابط الخمسين ، وقائد عساكر « أداى » (الذين يستخدمون خاصة فى الخارج) وهم يروحون ويغدون فى حاشيتهم فى القصر الملكى ويقولون : « دعهم ؟ يعرفوا ؟ العمل » .

ويستيقظ بعد مضى ساعة (من نومه) ويساق كالحمار ويشتغل إلى أن تغيب الشمس

(١) اى عند ماتؤخذ منه الضرائب .

(٢) Ostracon in Florence; (Erman, A. Z. Vol, XVIII P. 96. & Blackman J. E. A. XI PP. 291.

(٣) يقصد بالكتابة هنا المتون القديمة والكتابة المقدسة .

تحت ظلام الليل . فيصير جوعان وجسمه . . . ، وكأنه ميت ولا يزال حيا » .

وفى الرسالتين التاليتين مقابلة بين الـكاتب والجندى رفع فيهما منزلة الـكاتب وهوى بمنزلة الجندى ، وبين مايلحقه من عنت وإرهاق وأذى واحتقار فقال :

(٩) [لا تكون جنديا][١] « آه . ماذا تعنى بقولك : « إنه يظن أن الجندى أسعد حالا من الـكاتب ؟ » . دعنى أحدثك عن حال الجندى الذى يضرب غالبا ، حينما يؤتى به وحينما لايزال ... طفل ، ليحبس فى المعسكر (؟) . ثم إنه يضرب ضربة موجعة على جسمه وضربة محطمة على عينيه وضربة تـكبُّـه على جبينه ، ورأسه يشج بجرح ، وهو يطرح أرضا ويضرب كوثيقة (كما تضرب ورقة البردى عند صنعها ؟) وهو يكسر ويجرح بالجلد . تعال . دعنى أخبرك كيف يذهب إلى سوريا ، وكيف يسير على الجبال . وخبزه وماؤه على كتفه كحمل الحمار . ويجعلون رقبته مثل . . . مثل رقبة الحمار . وفقرات ظهره قد حنيت . وشربه ماء آسن . وإذا أعفى من السير كُـلّف بالحراسة . وعندما يصل إلى الأعداء يكون كالطائر فى الأحبولة ، وليس فى جسمه قوة . وإذا عاد إلى مصر كان كالخشب الذى نَخِـر بتأثير السوس ، فهو مريض طريح الفراش ، ويؤتى به ثانية على حمار وملابسه تسرق وخادمه يولى الأدبار . يأيها الـكاتب إنناثا[٢] لا تعتقد أن الجندى أسعد حالا من الـكاتب » .

(١٠) [لا تكون جنديا][٣] « ولّ وجهك شطر الـكتابة نهارا ، واقرأ ليلا لأنك تعلم ماذا يفعله المليك فيما يمس كافة إجراءاته . فـكل رعاياه تعرض ويؤخذ أحسنهم . فالرجل يصير جنديا والشاب يصبح مقترعا . والولد يربى فقط لينتزع من حضن أمه ، وإذا بلغ أشده حطمت عظامه .

هل أنت حمار يساق لأنه لاعقل له فى جسمه ؟ .

اكتسب لنفسك هذه الحرفة العظيمة ، مهنة الـكاتب ، فإن دواتك وقرطاسك يكونان مبتهجين ومفعمين بما علـكان . وتكون فرحاً كل يوم . أرجو أن تفطن لذلك » .

وهنا حمل الوالد على الفارس الذى يسوس جياد العربات مبينا كدحه فى سبيل أداء واجبه ، وماينفقه ثمنا للعربة والعجلات ثم سوء ما يلاقيه من الجزاء بعد إنفاق القوة والوقت والمال . ومن الدهش أن هذه كانت أشرف مهنة فى خلال الدولة الحديثة ، وبخاصة فى عهد الأسرتين

---

(١) Pap. Anastasi IV. 9. 4 ff. = ibid III 5. 6.

(٢) اسم التلميذ الذى نسخ هذا الخطاب

(٣) Pap. Sallier. I. 3. 6 ff. = Pap. Anastasi V 10. 3 ff.

الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . إذ كان لا يحترفها إلا أولاد علية القوم وأهل اليسار ، وذلك لأن الخيل كانت قد جلبت للبلاد حديثا ، وكان لا يستعملها إلا الملوك وأولادهم وأصحاب النفوذ ، ولا أدل على ذلك من أن « تحتمس الثالث » كانت له اصطبلات خاصة لتربية الخيل وتعليم ابنه « امنحوتب الرابع » سياستها وتدريبها ، والغريب فى كل ذلك أن القوم كانوا لا يمتطون ظهورها ، بل كانوا يستعملونها فى جر العربات وحسب .

(١١) [**لا تكن فارسا**] [1] « وطن نفسك على أن تكون كاتبا حتى يمكنك أن تدير جميع الأرض . تعال ودعنى أحدثك عن حرفة تعسة ، وهى مهنة فارس العربة (الخيال) . فانه يوضع فى الاصطبل (الملكى) بوساطة والد أمه (لأنه من أسرة طيبة) ومعه خمسة عبيد ، رجلان منهم يساعدانه (؟)

وهو يهرول ليحضر جيادا من الحظيرة فى حضرة جلالته . وحينما يحصل على خيل جميلة يصير فرحا مرحا ، ويأتى بها إلى بلده ويطؤها بالقدم (المدينة) بلذة . وما أسعده حين يطؤها بالقدم . . . غير أنه لا يعرف للآن ماقدر له . وهو ينفق ماله الذى ورثه من والد أمه ليحصل على عربة ، عجلتها تكلفه ٣ دبن ، والعربة نفسها تتكلف ٥ دبن [2] ، ثم يسرع ليمشى بالقدم من عليها ، ثم يعد نفسه ليلبس حذاء . . . ثم يأخذ نفسه ويضع رجليه فى نعلين (؟) ثم يرمى بها (العربة) فى الغابة وتجرح قدماه بالنعلين (؟) ويمزق الشوك جلبابه .

وعندما يأتى (الملك) ليستعرض الجنود فانه يكون معذبا عذابا أليما (؟) ويضرب وهو على الأرض مائة جلدة » .

ولا يزال صاحبنا هنا يعيد ويبدى فى الكتابة . فهى هدفه الذى يسعى ليصل ابنه إليه . فلا غرابة إن رفعها على أنقاض الحرف الأخرى ، وخص بهجومه فى هذه المرة الجندى والكاهن والخباز ، وإن لم يسلم منه أضرابهم من أصحاب المهن الأخرى . قال :

(١٢) [**لا تكن جنديا ولا كاهنا ولا خبازا**] « كن كاتبا تنج من السخرة وتصن من كل عمل . فهو معفى من العزق بالفأس ، وليس عليك أن تحمل الكتل . إنها تخلصك

---

(١) Pap. Anastasi III 6. 2. ff.

(٢) أى يكون ذلك ٢٧٣ و ٤٥٥ جراما من الفضة (إذا كان المقصود هنا هى الفضة) ، وذلك مبلغ عظيم .

(مهنة الكاتب) من الجدف بالمجداف ، وإنها خالية من الكدر . وليس فوقك عدة رؤساء ولا جم غفير ممن هم أرقى منك .

وسرعان مايخرج الرجل (غير الكاتب) من فرج أمه حتى يطرح أرضا أمام رئيسه . فالولد يصير تابعا للجندى ، والشاب يصبح مقترعا ، والرجل الكهل يصير فلاحا ، والمدنى يصبح سائسا ، والأعرج (؟) — يصير بوابا ، والقصير النظر ؟ يطعم الماشية . ، والدجاج يذهب على الـ . . . والسماك يقف فى البلل . وملاحظ الإصطبل يقف عند العمل ، على حين أن جياده تترك فى الحقل[١] ، ويرمى بالغلة إلى زوجه وبنته على الشاطىء (؟) ، وإذا تركته جياده وهربت فإنه ؟ يجند فى فرقة « أواى » (الرجالة)[٢] .

والجندى حينما يذهب إلى سوريا يذهب من غير عصا ولا نعلين . ولا يعلم إذا كان سيموت أو يبقى حيا بسبب الأسود المتوحشة (؟) ، والعدو يرقد مختبئاً فى عشب أو يقف مستعدا للمعركة ، والجندى يمشى ويتضرع لربه : « تعال إلىّ وخلّصنى ! »

والكاهن يقف هناك كالفلاح ، والكاهن المطهر يشتغل فى الترعة[٣] . . . ويبلل فى النهر ، ولا فرق عنده بين الشتاء والصيف أو إذا كان الجو عاصفاً أو ممطراً . والخباز يقف ويعجن وعندما يدس رأسه فى الفرن ليضع الخبز على النار يكون ابنه ممسكا بقوة على قدميه ، وإذا اتفق أنه أفلت من يد ابنه سقط فى اللهيب . أما الكاتب فإنه يدير كل عمل فى هذه الأرض » .

والوالد فى هذه المرة يريد أن يضمن لابنه نوعا من الترف لا يجده إلا عند الموظفين ، فالموظف سيد يقدم له الماء ويصنع له الخبز ، وليس عليه إلا أن يأمر فيطاع ، فهو قطب المجالس وعماد الدوائر ، ولذلك يزين لابنه أن يكون موظفا حتى يقضى وقته بين الدفاتر والمحابر ، وينجو من الأعمال الأخرى الشاقة المرهقة .

(١٣) [كون موظفا][٤] « لا تدعن قلبك يهتز كورقة أمام الريح ... ولا تُسلمن قلبك للملاذ ؛ فإنها بكل أسف لا تفيد ولا تؤدى للإنسان أى خدمة ... وحينما يشتغل (بيده)

---

(١) عليه أن يفتش العمل فى الحقل . وما يأتى بعد لابد أن يعنى أنه عند اشتغاله بذلك لا يكون فى قدرته أن يلتفت إلى شئون أسرته

(٢) ربما يقصد أنه خلال خلوه من الأعمال الحربية إذا فقدت جياده فانه يضم إلى الرجالة ليجد بينهم عملا

(٣) حتى الكاهن كان لايعفى من السخرة

(٤) Pap. Sallier I, 5. 4. ff.

وكان من نصيبه أن يخدم مجلس الثلاثين[١] محروم القوة والاستجمام[٢] . لأن العمل الشاق لا ينقطع عنه ولا خادم يقدم له الماء ولا امرأة تصنع له الخبز . على حين أن إخوانه[٣] يعيشون كما يرغبون ، وخدمهم يشتغلون بدلا منهم[٤] . ولكن الرجل الذى لا إحساس عنده يقف هناك ويشتق ، وعيناه تنظران حسدا إليهم[٥] . من أجل ذلك تبصَّر أيها الوالد الشقى ، أيها العنيد الذى لا يريد أن يصغى حينما يُتحدَّث إليه ؛ أسرع إلى تلك الحرفة بسرور ...[٦] إنها هى الصناعة التى تدير كل مجالس الثلاثين[٧] ورجال حاشية الدائرة الملكية .

أرجو أن تفطن لذلك » .

وهنا أيضا يحاول الوالد أن يجذب ولده إلى الكتابة وينحيه عن الملاذ فيقول له :

(١٤) [قطعة][٨] « لقد حدثت أنك هجرت الكتابة وأسلمت نفسك للملاذ ، وأنك أدرت ظهرك إلى كلمات « الله » وفررت من صناعة « تحوت » . إن قلبك لا يعرف أنك . . . لتقود الآخرين . . . »

(موضوع القطعة التالية لهذه يحتمل أن يعدد ويلات الجندى)

وهنا يخلع صاحبنا على الكتابة كل ما يحبب ابنه فيها ويخوفه الجندية وحياتها . قال :

(١٥) [كن كاتبا][٩] « واستعمل قلبك فإنها صناعة أنفع من أية صناعة ، وكل إنسان يحترم بوظيفته ، فاجتهد فى الحصول عليها لنفسك ، وضع كلماتى فى أذنك حتى تصبح رجلا ، وتمكن من أن تكون ذا حيثية لأن المؤلم أن تعمل جنديا يساق كالحمار ، وإذا أرسل للجيش فى سوريا أو إلى السودان وترك وراءه أولاده وملابسه فى بيته ، كان طعامه كلأ الحقل كالسائمة ، وإنى أرجو أن تفطن لذلك ! »

---

(١) رياسة كبار الموظفين

(٢) لا يمكن أن ينام ويستريح

(٣) وهم الذين أصبحوا كتابا

(٤) يشتغلون بدلا منهم فى الواجبات المنزلية أو أعمال السخرة فى جسور النيل

(٥) إلى زملائه أيام المدرسة الذين أصبحوا كتابا

(٦) مهنة الكاتب

(٧) وعلى ذلك يظهر أنه كان هناك عدة مجالس من هذا النوع

(٨) Pap. Anastasi V. 6. 1l. ff.

(٩) «The Hieratic Papyri in The British museum,» Vol. I P. 497.

وفى الخطاب التالى نجد الكاتب أسعد حالا من الفلاح والخادم والغسال والبحار ، وفى هذا الخطاب يحاول الكاتب التهكم على الحرف ، ولكن قلمه يقصر عن بلوغ ذلك . فإن تشبيهاته فقيرة وفيه نقط غير مفهومة .

[كن كاتبا][1] « وأسلم قلبك لها (أى صناعة الكاتب) حتى تخلص نفسك من أن يكون عليك رؤساء كثيرون ، وحتى يمكنك أن تصير كفئاً فى الغد ، فكل حرفة عليها ضريبة ، وكذلك كل أجير ، فالذين فى الحقل يحرثون ويحصدون ويخزنون ويدرسون فى الجرن . والخدم تسلق التين ، والغسالون على شاطىء النهر وينزلون الماء والبحار — كما يقولون — إن التماسيح تقف هناك ، على حين أن القارب وهو مدينته يعوم (؟) لأن البحار قد أنهك والمجداف فى يده ، والسوط على ظهره ، وجوفه خال من الطعام ، ولكن الكاتب يجلس فى حجرة السفينة وأولاد العظماء يجدّفون له ، وليس عليه حساب يدفعه ، والكاتب ليس عليه ضرائب يؤديها . فافطن لذلك » .

وهنا أيضا يحذره أن يكون جنديا ويعدد له متاعب الجندية ومخاوفها ، ويلبس الكاتب ثوبا براقا من السرور والثراء والهيمنة على شئون العباد .

(١٦) [كن كاتبا ولاتكن جنديا][2] « تعال ودعنى أصف لك حالة الجندى ذلك الفرد الذى يعذب كثيرا يوم أن تدعى طيبة لإقامة الأفراح فى الهواء الرطب فى الشهر الثانى من الشتاء ، فالمرء (أى الجندى) يكون فى موقف مؤلم عندما يتعثر فى طريقه من غير حذاء ، والحلفاء تعوق طريقه ، والحشائش تكون كثيفة مشتبكة ، والأعشاب منيعة ، والضباط من خلفهم بالعصى ، ويضربون ثم يضربون ، ويكون عطشان . على أن شرب الماء لا يتغلب على القيظ والعرق ، وذلك فى وقت ظهور الفرعون بفخامته فى أول يوم الاحتفال بالتتويج ، وهو اليوم الذى تؤذن فيه « عين شمس » بإقامة الأعياد . تعال ودعنى أخبرك بنزوله (أى الجندى) إلى سوريا ومشيه على قمم التلال . وخبزه وماؤه على كتفيه مثل حمل الحمار ، وهو يشرب الماء الآسن ، ولا يقف عن السير إلا وقت الحراسة بالليل . فهل أنت حمار سيسوقه الإنسان ؟ هل الجسم خلو من الفهم ؟ اعتنق الحرفة التى يحترفها الحكام ، وإن أدوات كتابتك تغدق عليك السرور والثراء ويكون قلبك فرحا كل يوم . فافطن لذلك » .

---

(١) ibid P. 47.

(٢) ibid P. 48.

ولدينا فقرة كتبت فى شكل خطاب ولكنها فى الواقع تكاد تكون مقتطفات من نصائح « آنى » حاكها الكاتب بمهارة وهى :

(١٧) [اتخذ لنفسك زوجة][1]« وأنت لا تزال فتى وعلمها لتكون امرأة (أى رجيمة) حتى تنتج لك أولادا وأنت صغير السن وحتى يكون لك خلف . والواقع أن الرجل المنتج يحترمه الناس لخلفه . تأمل فإنى أعلمك طريقة الرجل الذى يجد فى تأسيس بيت له . فاصنع لنفسك حديقة وحوط لنفسك بقعة من الخيار فضلا عن حقلك ، واتخذ لنفسك الأزهار التى تراها عينك لأن الإنسان قد يشعر بالحرمان منها كلها ، وإنه لحسن إذا لم يحرَمها الإنسان . فافطن لذلك » .

[خطابات حقيقية نموذجية للتلاميذ]

وتكشف ديباجتها عن مرسلها وعن دعوات طيبة للمرسل إليه ، ثم ينتقل كاتبها إلى الغرض من الرسالة :

(١٨) [اقتفاء أثر عبد هارب][2] إن قائد رديف «زكو[3]» كاكمور يكتب إلى قائد الرديف « آنى » وإلى قائد الرديف « بكنبتاح » (داعيا لهما) بالحياة والفلاح والصحة وأن يكونا فى حظوة « آمون رع » ملك الآلهة . وفى حظوة حضرة الملك « سيتى الثانى » سيدنا الطيب[4]. وإنى أقول « لرع — حاراختى » : « احفظ فرعون » سيدنا الطيب فى صحة (؟) ودعه يحتفل (بملايين) الأعياد الثلاثينية . ونحن كل يوم فى حظوته » .

وبعد : فقد أرسلت من قاعات القصر الملكى وراء هذين العبدين فى اليوم التاسع من الشهر الثالث فى فصل الصيف وقت المساء ، ولما وصلت إلى حصن « زكو » فى اليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الشتاء علمت أن الأخبار من الجنوب تقول إنهما قد مرّا ذاهبين . . . . . اليوم من الشهر الثالث من فصل الصيف ، ولما وصلت إلى القلعة أخبرت أن السائس قد حضر من الصحراء (وأعلن) أنهما تخطيا الحدود شمال حصن (مجدول)[5] « سيتى » الذى . . مثل « ست » (الإله) .

---

(١) ibid. P. 50

(٢) Anastasi V. 19. 2. ff.

(٣) بلدة على الحدود بالقرب من البحيرات المرة

(٤) يعنى متمنيا أن يصله الخطاب وهو فى حياة وصحة الخ

(٥) حصن بلغة كنعان

وعندما يصل خطابى إليكم اكتبوا إلىّ بكل ما حدث عندكم . أين وجد آثرهما ؟ وأى حارس عثر عليه ؟ ومن هم الرجال الذين اقتفوه . اكتبوا إلىّ بكل ما عمل من أجلهما . وكم رجلا اقتفى أثرهما . ولتعيشوا سعداء ؟ »

وفى الرسالة الآتية يظهر حزم الآمر واستعلاؤه وتهديده المستور .

(١٩) [أمر بإنجاز عمل][1] « يقول كاتب الملك وقائده « راموزا » إلى البناء « أورى » لقد أحضر لك هذا الخطاب .

وبعد : فعندما يصل إليك خطابى ، عليك أن تذهب إلى بلد . . . « رع » فى بوبسطة (تل بسطة) وعليك أن تنفذ كل أمر ، ثم عليك أن تحضر وتقدم إلىّ تقريرا ، تبصر فيه ثم اعتن ، واحترس لنفسك ! ولا تتوان بأية حال ! وسيصلك خطابى على يد الكاهن « رع موزه » وقد (كان ؟) حاضرا حينما جئت إلىّ بجوار الترعة وضربتك وقتئذ قائلا لك « كيف تهمل عملى ؟ سأجعلك تشتغل فى الترعة » أرجو أن تفطن لذلك » .

وهذه رسالة إخبارية تبتدئ بالدعاء للسيد المرسلة إليه ، ثم ينتقل كاتبها إلى ذكر بعض الأشياء التى تهم المرسل إليه لأنها تتعلق بمصالحه ويسردها سردا .

(٢٠) [أشغال مختلفة الأنواع][2] « إن الكاتب « باوحم » يسر سيده « أمحوررخ » داعيا بالحياة والفلاح والصحة . قد كتب هذا لأحيط علم سيدى . ولأمر آخر يسر سيدى . لقد سمعت الأمر الذى أرسله لى سيدى لأعطى خيل الإصطبل الكبير الذى يملكه « رعمسيس » محبوب « آمون » علفا وكذلك خيل المظيم . . . . . اصطبل « بترع » محبوب « آمون »[3] التابع للحاضرة .

أمر آخر يسر سيدى وهو أنه قد هرب ثلاثة من فلاحى أملاك الفرعون التى فى عهدة سيدى من ملاحظ اصطبل الخيل المسمى « نفر حتب » وذلك بعد أن ضربهم ، والآن انظر . إن حقول ضياع الملك التى فى عهدة سيدى قد أهملت ، وليس هناك من يفلحها وقد حُرّر هذا ليعلم به مولاى » .

وفى الرسالة الآتية يقدم كاتبها بين يدى ملتمسه دعوات حارة بالحياة وطيب العيش يرجو من ورائها أن يتوسط صاحبه فى تخفيف الضريبة عنه لأنها لا تتناسب مع ثروته وعمله

---

(١) Pap. Anastasi V 21. 8. ff.

(٢) Pap. Bologna 1094. 2. 7 ff.

(٣) هو « مرنبتاح » الملك الحاكم فى ذلك الوقت (١٢٣٠) .

وحلها يثقل كاهله ، ويرى أن إجابة طلبه من الأمور الميسورة لصديقه لأنها ضئيلة بالنسبة إلى همته الكبيرة فيقول :

(٢١) [*التماس للمساعدة فى موضوع ضرائب*][١] « إن « راحب » كاهن معبد « سوبخ » يسأل عن مدير البيت « سيتى » داعيا له بالحياة والفلاح والصحة وأن يكون فى حظوة « آمون رع » ملك الآلهة ؟ إنى أقول « لرع — حاراختى » و « لست » ، ولنفتيس ولكل الآلهة والإلهات « بونوزم » ليتك تفلح ، وليتك تعيش ، وأتمنى أن أراك ثانية فى أمان وأضمك إلى صدرى . وبعد ، فقد سمعت بالأشياء الحسنة العدة التى عملتها لسفينتى ، وذلك أنك أرسلتها إلى . أرجو أن يكافئك « منتو » وأرجو أن الشمس ربك الطيب[٢] يكافئك ؟

وعندما يصلك خطابى يجب عليك أن تذهب مع حامل العلم[٣] « بتاح ممنو » ، ويجب أن تعلن الوزير بأمر الفضة الكثيرة التى يقول عنها الخادم « إناى » « سلمها » ؛ وإن كانت ليست ضريبتى قط ، وخذ نسخة من الفضة (الضريبة) ومن العوائد كتابة إلى الجنوب[٤] وضعها أمام الوزير وأخبره ألا يفرض علىّ ضريبة خاصة بالناس (العمال) لأنى « شخصيا » ليس لدى أناس ، ولأنى مسئول عن السفينة وعن بيت « نفتيس »[٥] . وانظر إلى العدد العظيم من المعابد التى فى المركز ، فليس ذلك مريحا لى وإنى تمس جدا بل فى منتهى التعس بسبب ما عمل لى[٦] .

والآن تأمل . . . . . وتكلم مع شخص آخر من جهة العمل الإدارى المضنى الذى قد وضع على عاتقى نحو معبد « سوبخ » وأملاك الفرعون التى فى عهدتى ضريبة علىّ . انظر ! إن هذا بالنسبة لك أمر صغير فلا تحذف منه شيئا أنت وحامل العلم « بتاح ممنو » ومع السلامة » .

(٢٢) [*استعمومات*][٧] « إن الكاتب « بوحم » يسر مولاه « محو » كاتب مصنع الفرعون فى حياة وفلاح وصحة . قد حَرَّرَ هذا ليعلم مولاى . وشىء آخر ليُسَرّ مولاى :

---

(١) Pap. Bologna. 1094. 5. 8. ff.

(٢) أى الملك

(٣) أحد الضباط

(٤) الوزير سيكون فى طيبة

(٥) لايمكننى أن أدفع الضريبة بنسبة عدد الأفراد الذين يشتغلون عندى فهم يؤدون عملا فى أملاك الحكومة التى — لسوء حظى — يجب على أن أديرها .

(٦) وإنه لأمر خارج عن طاقتى بسبب ظروفى الشخصية أن أجبر على ملاحظتها كلها .

(٧) Pap. Bologna. 1094. 4. 10 ff

لقد أرسل الوزير ثلاثة أولاد قائلا : « نصبهم كهنة فى معبد » « مرنبتاح » فى بيت « بتاح » (ولكن) الملك قد وضع يده عليهم وأخذهم . . . . وقال : « إنهم سيكونون جنودا » .

فأرجو أن تسرع وتمرنهم وتكتب لى عن حالهم .

وكذلك انظر إذا كان التاجر قد عاد من سوريا .

وكذلك لابد أن تمر علىّ فى « منف » ، إن قلبى غير منشرح ولا يمكننى أن أكتب لك (فى ذلك) . أرجو أن ترسل إلى الخادم « تنانا » واكتب إلىّ عن حالك مع أى فرد يكون قادما من عندك . مع السلامة ! »

(٢٣) [خطاب أسرى] [1] « إن الكاتب « أمنموسى » يسأل عن والده قائد فرقة الرديف « بكتنبتاح » داعيا له بالحياة والفلاح والصحة وأن يكون فى حظوة « آمون رع » ملك الآلهة . أقول و (أتضرع) إلى « رع حار اختى » وإلى « آتوم » وإلى « التاسوع » متمنيا أن تكون فى صحة يوميا .

وبعد أرجو أن تكتب لى عن صحتك مع أى إنسان يكون قادما إلى هنا من عندك لأنى أرغب فى أن أسمع أخبارك كل يوم . وأنت لا تكتب إلىّ لا خيراً ولا شراً ، ولا أحد ممن ترسل يمر بى ليخبرنى كيف حالك . أرجو أن تكتب لى عن حالك وعن حال خدمك من جهة أشغالهم لأنى فى غاية الشوق إليهم .

وبعد : لقد أحضرت لك خمسين رغيفا كيلستس طيبة فقط ، لأن الحمال رمى منها ثلاثين قائلا : « إنى مثقل أكثر مما يجب » ولم ينتظرنى لأحضر له خضراً من المخزن (؟) . على أنه لم يخبرنى فى أى مساء سيحضر إلى . وإنى مرسل لك طبقين من الدهن للدهان . مع السلامة ! »

وهنا تهنئة بمنصب رفيع وإظهار لشعور الكاتب نحو صديقه ، ودعوات للمرقّى بالتوفيق الدائم ، ويختم المهنئ رسالته برغبته فى أن يقف على حال الصديق وحال أسرته ، ويطمئنه على نفسه وعلى ضياع الملك :

(٢٢) [تهانى] [2] « من قائد الرديف وملاحظ البلاد الأجنبية « بنامون » إلى قائد الرديف « بحرى بيد » فى حياة وفلاح وصحة ، وفى حظوة « آمون رع » ملك الآلهة ، وحضرة الملك « سيتى الثانى » [3] ! إنى أقول (إنى أدعو) « لرع — حاراختى » :

---

(١) Pap. Anast asi V. 20. ff.

(٢) راجع Pap. Anastasi V. 11. 7. ff.

(٣) سيتى الثانى الذى خلف مرنبتاح « على عرش مصر »

احفظ الفرعون سيدنا الطيب فى صحة . وأتمنى أن يحتفل بآلاف آلاف الأعياد ، وأنت[١] فى حظوته كل يوم .

وبعد ، فقد سمعت بما كتبته وقلت فيه . إن الفرعون ربى الطيب قد أظهر ميوله الطيبة نحوى . فقد عينني ضابطا أول لرديف البئر[٢] هكذا قد كتبت لى .

إنه لتعطف طيب من « رع » أن تكون الآن محل والدك . « مرحا » ؟ أرجو لك مثل ذلك مرة ثانية ؟

ولما وصلنى الخطاب فرحت جد الفرح . أتمنى أن « رع — حاراختى » يمنحك حياة طويلة وأنت تملأ مركز والدك ! ، وأتمنى أن يعطف عليك فرعون مرة أخرى ! وأتمنى أن تصبح أكثر قوة وتكتب لى عن حالك وعن حال والدك مع أحد رجال البريد الذين يأتون إلى هنا من عندك . وبعد : فإن أحوالى تسير على ما يرام ، وكذا أحوال ضياع الملك[٣]. لاتشغل نفسك من جهتى . مع السلامة » .

وهنا توبيخ لموظف كبير تجاوز حدود عمله ، وتصرف على غير ما يهوى أميره فقرعه وأوعده شرا مستطيرا ، وأضاف ذنبا آخر إلى ذنبه الأول هو إهماله فى الاستعداد للزيارة الملكية لعين شمس ، وينكر عليه تقصيره ، ويأمره بإصلاح ما أفسد .

(٢٣) [*تقريع موظف كبير*][٤] « إن هذا الأمر الملكى أحضر إليك .

ماعلاقتك « بتكتن » التابع لإقليم الواحة حتى ترسل كاتبك هذا ليفصلهم من جنودهم (تياو[٥]) ؟ والآن إذا . . . . « رع » و « بتاح » لم يسمحا لنا أن نصغى لأى شىء من هذه الإشاعات التى يسمعها الإنسان » . وبعد ذلك يكتب هذا الأمير قائلا :

« يجب عليك أن تحضر إلى هنا « التكتن » الذى يمكنه أن « يتجسس » فإلى أين تولى وجهك ؟ وإلى بيت من ستذهب ؟ فهو ينصب فوق رأسك مثل تل من الرمل ، ثم تساق وتوضع هناك . . . ذلك إلى جانب غلطتك الأخرى الشنعاء التى ارتكبتها : بأن

(١) هو الشخص المرسل إليك

(٢) إحدى المحطات المحصنة المجهزة ببئر على الطريق إلى فلسطين

(٣) وهى الأرض التى يديرها الكاتب

(٤) Pap. Anastasi IV. 10. 8 & ibid V

(٥) التكتن وتيا وهم متوحشون من جنسين وقد كانوا يوضعون فى الصحراء الغربية بمثابة حراس

جعلت فرعون يأتى ليذهب إلى عين شمس دون أن تستحضر آلات للصنع استعدادا وراء سيدك . . . . ألم تعين فى مكان ملاحظين آخرين لبيت المال قد تنحوا عن سحب (أخذ) جندى تسكتن من « نياو » (أى من فرقته) ، وأنت تعمل هذا فقط ؟

وعندما يصلك قرار فرعون عليك أن تكتب خطابا إلى كاتبك الذى قد أرسلته إلى أرض الواحات قائلا : احذر ! : تخل عن أخذ جندى من « التسكتن » ، وإلا عد ذلك جريمة منك تعاقب عليها « بالموت » ويجب عليك أن تعطى خطابك تابعا من أتباعك وترسله مع بريد[1] بكل سرعة » .

(٢٤) [السآمة فى مكان منعزل][2] هـذا خطاب خاص لضابط أجبر على إقامة مبانٍ على الحدود بدلا من الذهاب إلى فلسطين . غير أنه لم يكن فى مقدوره أن يأتى بأى عمل ، بل كان فى مقدوره أن يعطى معلومات عن الكلاب والنحل فقط ، وكل عبارة الخطاب بالطبع تهكمية .

« إنى أقيم فى كنكنتاوى[3] ، وليس لدى عدة . وليس هناك أناس لصنع اللبن ، وليس فى البقعة تبن[4] .

أين هم الذين يحضرون إلى ؟ . . . أليس هناك حمير ؟ . إنها سرقت . إنى أمضى اليوم متأملا ما فى السماء كأنى أصطاد طيورا . وعينى تنظر خلسة إلى الطريق لأذهب إلى فلسطين .

وإنى أمضى الليل تحت أشجار لا تحمل فاكهة (؟) للأكل .

أين بلحها ؟ ليس فيها بلح (؟) لأنها لا تحمل .

والنحلة موجودة هناك وقت السحر ، والنحلة « زوت » عند الظهيرة . . .

وهى تمتص كل شريان

وإنى أسير مثل العظام المتحركة ، وأخترق الأراضى على قدمى[5]

وإذا فتح إنسان زجاجة ملأى بجعة (كدى) وهجم النـاس على . . . القدح فى

---

(١) ساعى البريد الذى كان يقوم بتبادل الرسائل مع الواحات

(٢) Pap Anastasi IV. 12. 5. & Pap Anastasi V.

(٣) مكان مجهول والاسم معناه « مبلد مصر » ويحتمل أن ذلك من باب التنكيت

(٤) وهو لازم لصناعة الطوب

(٥) أى يشكو عدم وجود حمار ليركبه

الخارج[١] ويوجد هنا مائتا كلب كبير ، وثلثمائة كلب من نسل الذئب ومجموعها خمسمائة[٢] ، وهى تقف كل يوم على باب البيت مستعدة فى أى وقت أخرج فيه لأنها شمت السبر[٣] عندما فُتح الإناء . ومع ذلك (؟) أليس عندى فى البيت (الكلب الصغير) المستذئب ملك « تهرهو » كاتب الملك (؟) فهو يخلصنى منها . وفى أى وقت أخرج فيه فإنه يكون معى دليلا فى الطريق ، فبمجرد ماينبح أُسرع إلى إغلاق الباب[٤] .

و « أشب » اسم كلب مستذئب ، أحمر ، طويل الذنب .

فيذهب ليلا إلى حظائر الماشية ويبتدئ بأكبرها[٥] أولا لأنه لا يُميز حينما يكون مفترسا . والله[٦] ينجى من يشاء من هذه النار التى هنا والتى لا ترحم (؟)

وزيادة على ذلك ... فإن معى هنا كاتبا وكل شريان من شرايين وجهه ... الـ ... والمرض قد استفحل فى عينيه والدود يعيث فى سنه . وإنى لا يمكننى أن أتركه بائسا وفرقتى سائرة إلى الأمام . لذلك دعه يُعطَ طعامه هنا حتى يمكنه أن يستريح فى جهة « كنكنتاوى » » .

وفى الرسالة الآتية تصوير شعرى لشوق الكاتب إلى «منف» :

(٢٥) [الشوق الى منف][٧] « تأمل ! إن قلبى قد ذهب خلسة ، وإنه ليسرع إلى مكان يعرفه ، وإنه يسبح منحدرا مع التيار ليرى (منف) ... ولكنى أجلس هنا منتظرا (رسولا) ليخبرنى عن حال (منف) ، ولم تصلنى أية رسالة ولذلك يخفق قلبى فى مكانه . تعال إلىّ يا « بتاح » لتأخذنى إلى (منف) ودعنى أنظر إليك على عجل .

إنى أمضى اليوم وقلبى فى حلم (؟) وإن قلبى ليس فى جسمى ، وكل أعضائى ... وعينى متعبة من النظر[٨] وأذنى لا ... وصوتى ... وحتى إنه يقول كل الأشياء معكوسة . كن رحيما بى واسمح لى أن أصعد (؟) إليهم .

---

(١) هل المعنى أن الإنسان يكون مسرورا حتى إذا أمكنه أن يستحسن شرابا كهذا فى الخارج ؟

(٢) يقصد بذلك كلاب الشوارع

(٣) يستدل من كتابة الكلمة على أن هذا نوع من الشراب أو ما يشبهه

(٤) يحتمل أن يكون المعنى — هذا الكلب يمنعنى من الخروج

(٥) أى الماشية

(٦) والإله (هنا الملك) ليته يجعلنى أذهب من هذا المكان

(٧) Pap. Anastasi IV. 4. 11 ff. ومن الجائز أن هذا الخطاب إنشائى لا حقيقى

(٨) فى انتظار رسول

نماذج خطابات إنشائية

(٢٦) [مدیح فی المدينة الجديدة المسماة بيت رعمسيس] [١] بيت رعمسيس هو اسم لحاضرة الفرعون « رعمسيس الثانى » التى أنشأها حديثا وتقع على أنقاض ، وقد كانت تعد مركزاً لامبراطورية تشمل فلسطين ومصر . ومن المحتمل أن الخطاب قد ألف على أساس قصيدة تشبه التى سنذكرها فيما بعد احتفالا بقدوم الملك إلى هذه المدينة :

«إن الكاتب « بيبس » يرحب بسيده الكاتب « أمنموبى »[٢] فى حياة وفلاح وصحة ! قد حُرر هذا ليكون سيدى على علم به .

ترحيب ثان بسيدى : لقد وصلت إلى مدينة بيت رعمسيس — « محبوب آمون » ووجدتها غاية فى الازدهار ، وهى عرش (؟) جميل منقطع النظير ، وهى على طراز طيبة وإن «رع» هو الذى أسسها بنفسه ، فهى المقام الذى تلذ فيه الحياة .

حقلها مملوء بكل ما طاب ، ولديها مؤن وذخيرة كل يوم ، بركها تزخر بالسمك وبحيراتها بالطيور ، حقولها يانعة بالبقل وشواطئها محملة بالبلح ... ومخازنها مفعمة بالشعير والقمح ، وهى تناطح السماء فى ارتفاعها . وفيها الثوم والكراث للطعام وخس الـ ... جنينة وفيها الرمان والتفاح والزيتون ، والتين من البساتين . وخمر كنكمة[٣] اللذيذة التى تفوق الشهد حلاوة . وفيها سمك « وز » الأحمر من قناة ... ، وسمك « بتن » من بحيرة « نهر » ، ...[٤] وسيهور[٥] تنتج الملح ويستخرج من بحيرة « هر » النترون ، وسفنها تروح وتغدو إلى الميناء وفيها المؤن والذخيرة كل يوم ، وينشرح الإنسان بالمقام فيها ولا أحد يقول لها : «ليت كذا» ! والصغير فيها مثل العظيم[٦] . تعال ، ودعنا نحتفل بأعيادها السماوية[٧] وأوائل فصولها السنوية

---

(١) راجع Pap Anastasi III 1. 11 ff.; Pap. Rainer. & J. E A. V P. 185 & ibid Vol. XI pp 293 ff

(٢) هو المدرس و « بيبس » هو التلميذ

(٣) كرم يذكر كثيرا ربما كان موضعه بجوار بيت رعمسيس

(٤) يأتى بعد ذلك خمسة أنواع من السمك من برك مختلفة وكلها ليست معروفة لدينا

(٥) رقعة الماء التى تكون حد مصر وقد ذكرت فى العهد القديم أيضا : فرع النيل البلوزى ومن هنا يستخرج الملح

(٦) الرجل الوضيع هنا يعيش كالرجل العظيم فى مدن أخرى

(٧) الأعياد التى تحدد بحوادث فى السماء (الهلال وطلوع القمرى الخ) تمييزا لها من الأعياد التقليدية مثل عيد رأس السنة وعيد أول يوم فى الشهر الخ

على أن مستنقعات « زوف » تنبت لهـا البردى و « سيهور » تمدها باليراع ، وغرائس العنب تأتى إليها من البساتين ، وتيجان الأزهار من الـكروم . وتجلب إليها الطيور من الماء البارد ... والبحر فيه سمك بج وسمك أد والمستنقعات تهدى إليها ...... وشباب «عظيمة الانتصارات »(١) يلبسون حلل العيد كل يوم ، ورءوسهم (مضمخة) بزيت ذكى الرائحة فى الشعر المرجل حديثا . ويقفون بجوار أبوابهم وأيديهم مثقلة بالأزهار ؟ والنبات الأخضر من بيت «حتحور» وبالـكتان من بحيرة «حر» ، فى اليوم الذى يدخل فيه رعمسيس ، فهو « منتو »(٢) فى — كلتا الأرضين صبيحة عيد كيهك . وعندئذ يدلى كل إنسان وزميله كذلك بملتمسه ونسيم « عظيمة الانتصارات » حلو ، وشرابها «تبى»(٣) مثل (الفاكهة) «شاو» وشرابها «خيو» طعمه كطعم الفاكهة « إنو »(٤) فهو يفوق الشهد حلاوة . وجعة « كدى » (سيلسيا) (ترد) من الميناء والنبيذ من الـكروم .

والروائح العطرة يؤتى بها من مياه «سجبين» وتيجان الأزهار من الـ ... جنبنة .

أما مغنيات «عظيمة الانتصارات» ذات الصوت العذب فقد تعلمن الغناء فى « منف »

اسكن (هناك) سعيدا وامش مرحا ولا تغادرها يا «وسرمارع» — المختار من «آمون». يا «منتو» — فى الأرضين» . يا رعمسيس — محبوب « آمون » أنت أيها الإلـه !

وترى فى هذه الرســالة حاكما يستنهض همة تابعه فى أن يرسل إليه الجزية المفروضة وأن يزيد فيها بما يبرهن على حذقه وكفايته وإخلاصه فى عمله ولمليكه ، ويحذره التقصير ، وغضب الفرعون .

(٢٧) [رسالة حاكم الى تابع](٥) إن حامل المروحة اليمنى للملك وضابط الرديف وملاحظ الأراضى الأجنبية الأثيوبية « باسر »(٦) يخاطب حامى قومه(٧) . هذا الخطاب قد أرسل اليك .

---

(١) اسم لبيت رعمسيس
(٢) إله الحرب
(٣) نوع من الشراب
(٤) نوع من الفاكهة
(٥) Pap. Koller 3. 3 ff. & Gardiner Hieratic Texts P. 40
(٦) أحد حكام أثيوبيا بهذا الاسم كان يعيش فى عهد «رعمسيس الثانى» وآخر فى عهد الملك « آى »
(٧) من المحتمل أنه حاكم نوبى صغير

وبعد : فعندما يصل إليك خطابى ، يجب عليك أن تدفع الضريبة[١] مع كل ما يتعلق بها من ماشية ومن عجول وثيران ذات قرون قصيرة ومن غزلان وتيتل وأوعال ونعـام . وإن قوارب حملها وسفن نقلها مستعدة فى الحال (؟) وبحارتها وملاحوها مجهزون للسفر . وتدفع ما عليك من ذهب كثير قد صيغ أطباقا ، وذهب صاف بالمكيال . وتبر حسن (؟) من الصحراء موضـوع فى حقيبة من الكتان الأحمر ، وكذلك تدفع ما عليك من العاج والأبنوس وريش النعام وثمر النبق مثل ... ... وخبز النبق وشكر كايا ومينخيس وبهلك وشسا[٢] التى تشبه جلد الفهد . ومن الصمغ وحجر الدم وحجر اليشب الأحمر والجمشت والبلور ومن قطط من « ميو » وقردة ونسانيس ... وعدد عظيم من قبيلة « أُرمى »[٣] يمشون أمام الجزية وبعصيهم إبرز مطعمة بالذهب ...[٤] ورجال طوال القامة من « تيرك » فى ... ملابس ، ومراوحهم ذهبية لابسين ريشا طويلا ، وأساورهم مشغولة بالنسيج (؟) وعبيد كثيرون من كل الأنواع

زد جزيتك كل عام ، وحاذر على رأسك ، وتخل عن الخمول ... حافظ عليها والتفت وكن على حذر ! أذكر اليوم الذى تحضر فيه الجزية ، حينما تمر أمام الفرعون تحت النافذة[٥] والمستشارون مصطفون على الجـانبين أمام جلالته ، ورؤساء كل البلاد وسفراؤها يقفون هناك مظهرين دهشتهم وهم يشاهدون الجزية وأنت خائف ... ويدك تفيض ، ولا تعرف ما ينتظرك من الموت أو الحياة . ولديك القوة فقط لتدعو آلهتك : « نجونى » ، « هبوا إلى النجاح هذه المرة وحسب ! »

[استعداد لسياحة ملكية] [٦] إن الكاتب « أمنموبى » يقول إلى الكاتب « بيبس » هذه الرسالة أرسلت إليك . أما بعد : اتخذ العدة لتقوم بكل الاستعدادات أمام فرعون ربك الطيب بنظام جميل ممتاز ، ولا تجلبن اللوم لنفسك . فانظر إليها والتفت وكن على حذر ولا تكن متراخيا .

---

(١) التى تدفع إلى الملك

(٢) من المحتمل أن تكون كلها أسماء فاكهة . ويلاحظ أن الكاتب يضع الكلمات الأجنبية متراصة

(٣) قبيلة أجنبية

(٤) سلسلة كلمات همجية ربما تشير إلى حلى القوم

(٥) نافذة القصر العظمى التى يطل منها الملك فى أوقات الاحتفالات .

(٦) Pap Anastasi IV. 13. 8 ff.

قائمة بكل ما يجب أن تعده : استحضر ما يلزم لصناع السلات من قصب وقش ، وكذلك انجز صنع عشر سلات مفرطحة للأكوام ، ومائة سلة مستديرة للعرض ، وخمسمائة سلة لمواد الأكل (؟)

قائمة بالأشياء التي تعمل لأجلها (السلات) : أنواع مختلفة مشتملة في النهاية على ألف ومائتي رغيف أسيوى متنوعة ، ثم كعك في سلات وأقداح ، وعلى مائة سلة من اللحم القدد ، وعلى مائتين وخمسين حفنة من (الكرشة) ، وستين كيلا من اللبن ، وتسعين كيلا من الزبد ، هذا إلى مائة كومة من الخضر ، وخمسين إوزة ، وسبعين كبشا ، وعناقيد من العنب ورمان وتين وأزهار وتيجان ... الخ وخشب للوقود وفحم .

تأمل ! إني أكتب إليك لأعلمك قواعد إعداد الموانى[1] . وهي التي يجب أن تنفذها أمام الفرعون سيدك الطيب . وبهذا لا تنقصك نصائح تحتاج إليها ، ولا تدعن نفسك في حاجة للفهم و . . . ولا تدعن نفسك في حاجة للنشاط في الاستعداد .(ثم تأتي بعد ذلك ملاحظة إضافية عن الشهد والكرات الخ)

وفي الرسالة الآتية قائمة بالمعدات التي يطيب لها قلب جلالة الفرعون ، وتلزمه في رحلته ، وقد نسب كل نوع إلى الجهة التي تشتهر به :

(٢٩) [الاستعداد للملك][2] اتخذ العدة لعمل الاستعدادات أمام فرعون سيدك الطيب بنظام حسن ممتاز بالخبز والجعة واللحم والفطير ... وكذلك بالبخور وبالزيت العطر (هنا يتلو سبعة أنواع مختلفة من الزيت تحمل أسماء أجنبية من ممالك «أرسا» و« خاتى » و«سنجار» و«عامور» و«تخيس» و«النهرين») وكثير من زيوت الميناء لتدليك رَجّالته وخَيّالته ، وبالثيران ، والثيران القصيرة القرون الجيدة الخصاء من الغرب ، وبالعجول السمينة من الجنوب ، وكثير من الطيور السمينة من مستنقعات القصب (يتلو ذلك اثنا عشر نوعا من السمك ، مع ذكر أسماء الجهات التي نشأت فيها) ، ثم سمان سمين وحمام من فصل الحصاد[3] ، وزيادة على ذلك شهد وزيت للأكل ودهن أوز وزبد ولبن وعدس الخ الخ ، وأوان ملأى بشراب « بور » للخدم[4] وجعة من « كدى » ونبيذ من سوريا وفول في كومات

(١) إعداد الموانى معروف لدينا من عهد « تحتمس » الثالث إذ كان يعمل سنويا

(٢) Pap. Anastasi IV. 15. ibid III. 8. 1. ff.

(٣) التي قد سمنت في الحقول

(٤) أي أنه شراب من نوع ردىء

وزجاجات (؟) وأقداح من فضة وذهب[1] توضع مصفوفة تحت نافذة القصر وعبيد من أرض « كِرْكِى » وشبان ، الجماعة منهم تلو الأخرى ، ليكونوا ساقين لجلالته ، على أن يستحموا ويدلكوا ويكسوا ؟ بـ . . . حينما يمرون تحت النافذة . والرجل الذى يكون بينهم يخصص للمطبخ ويجهز جمة « كدى » للقصر . . . وعبيد كنعانيون من سوريا ، وشبان حسان ، وسود حسان من أثيوبيا يخصصون لحمل المروحة ويجب أن ينتعلوا بنعال بيضاء ويرتدوا (؟) بـ . . . . وأساورهم فى معاصمهم .

ثم يتلو ذلك كل أنواع الأثاث الذى يحتاج إليه الملك

أولاً : طيب من أرض « إمور » التى تصنع عصيها من خشب « مرى » مطعمة بشغل أرض قليقيا (سليسيا) .

وثانيا : عربات جميلة من خشب « يرى » التى تلمع أكثر من اللازورد ، (وقد عدد من أجزائها أحد عشر جزءا ، وفى كل حالة تذكر المادة التى صنع منها هذا الجزء ، والقطر الذى يجلب منه) وزيادة على ذلك : أقواس وجعب السهام . . . وسيف وحربة ومدية وأسلحة حسنة لجلالته وأسواط جميلة من خشب « ساجا » وسيورها من التيل الأحمر : وعصى طويلة لجلالته مزينة مقابضها بالذهب الخ الخ (كلها تحتوى على كلمات أجنبية وأسماء عدة بقدر المستطاع) .

وأكوام عدة من الدقيق ، وأكوام من دقيق القمح والفول وتين سوريا والرمان والتفاح وأخيرا الفحم ... وأرغفة كبيرة حسنة الصنع مخصصة لطعام الأمراء . وأرغفة أسيوية منوعة مصنوعة من القمح لأجل طعام الجند موضوعة أكواما تحت نافذة الجهة اليمنى وسبائك عدة من نحاس غُفْل ، وأباريق من ... ، والتى تحضرها أطفال « أرسا » (قبرص) على رقابهم هدايا لجلالته ، والقرون التى يمسكونها فى أيديهم ملأى بزيت ... وجياد جميلة ربيت فى « سنجار » وعجول من أحسن نوع من أرض « خاتى » وأبقار من «أرسا» (قبرص) قد أحضرها أمراؤها الذين يقفون فى انحناء تحت النافذة ...

وتصف لنا هذه الرسالة عربة الحرب ، ومايجب أن يعد لها ويلزمها من الأدوات ويلزم راكبها من الطعام والمرافق .

(٣٠) [اعداد عربة حرب][2] وبعد . التفت تماما لتعد زوج الخيل للذهاب إلى سوريا

---

(١) يظن أن وثيقة أخرى تبتدىء هنا وتصف تقديم الجزية

(٢) Pap. Koller I. 1 ff. & Gardiner Hieratic Texts P. 36.

ومعهما رجال اصطبلهما وسائسوهما ، وكسوتهما تكون . . . ، وأن يشبعا[1] بالعلف والتبن وأن يمسحا مرتين تماما . وحقائبهم (أى الرجال) ملأى بخبز « كلستس » ، وكل حمار مفرد يحمل المؤن بين رجلين[2] . أما العربات فإنها من خشب « برى » ومفعمة بالأسلحة ، وعلى أن يكون فى جعبة السهام ثمانون سهما . ويوجد اا . . . الحربة والسيف والمدية . . . والسوط المصنوع من خشب « ساجا » فيكون مجهزا تماما بالسيور (؟) وكذلك عصى العربة وهراوة الحارس ، وحربة أرض « الخاتى » اا . . . أسنانها[3] من برنز من سبيكة مركبة من ستة معادن منقوشة ... ودروعهم موضوعة بجانبهم . والأقواس ...

تهان للمعلمين والرؤساء

(٣١) [الى المدرس][4] . «لقد ربيتنى صغيرا حينما كنت معك ، وقد ضربت ظهرى ولذلك دخل تعليمك أذنى . وإنى كالجواد الشارد ، فلا يأتى النوم نهاراً إلى قلبى ، ولا يأخذنى ليلا لأنى أريد أن أكون مفيدا لسيدى كالخادم النافع لصاحبه .

وإنى أحب أن أقيم لك قصرا جديدا على أرض مدينتك مغروسا بالأشجار على كل جانب من جوانبه . والحظائر الداخلية تزخر بالماشية ومخازنه مفعمة بالشعير والقمح ، وتكون الغلة فيها و ... الفول والعدس ... الكتان والخضر ... و « تفاح الحب »[5] الذى يكال بالسلات .

وقطيعك تضاعف ظهورها (عددها) وأبقارك للولادة ملقحة . وسأزرع لك خمسة أفدنة حديقة خضراء فى جنوبى مدينتك مملوءة بالخيار و ... كثير فى عدده كالرمال ، وسأجعل السفن تأتى لتنزلها على ظهورها ، وبذلك يمكنك أن تعرف ماذا تقدمه إلى « بتاح نفرحر » حتى ينجز لك رغبتك » .

وفى هذه الرسالة اعتراف بمنزلة المدرس وتقدير له يظهران من هذه الآمال التى يرجوها الكاتب له ، ويدعو الله أن يحققها بما يكفل للمدرس حياة طيبة سعيدة . وظهور هذه العاطفة

---

(١) زوج الخيل (؟)

(٢) أى أن الحصانين مصحوبان بصف من الحمير يحمل المؤن للذين كلفوا بخدمتهما

(٣) الأسلحة

(٤) Pap. Anastasi IV. 8. 7 ff. V J. E. A. XI P. 293.

(٥) فاكهة يرد ذكرها كثيرا فى أشعار ذلك الوقت وترجمتها « تفاح الحب » أى الطماطم (؟)

فى مثل هذا العصر القديم يدل على مالأصحابها من عقل سليم واعتداد بالثقافة :

(٣٢) [الى المدرس][١] « ليت آمون يمنحك السرور فى قلبك ، وليته يهبك عمراً طويلا حسنا حتى تعيش عيشة سعيدة ، وحتى تبلغ العلا ، وتكون شفتك فى صحة ، وأعضاؤك نامية وعينك تبصر على بعد .

وترتدى التيل الجميل ، وتركب الجياد[٢] (التى فى العربة) ، وبيدك سوط ذهبى ، ويكون لك ... جديد ، والسرج من صنع سوريا . والعبيد تجرى أمامك ، وتنفذ كل ماتريد أن تفعله ، وتنزل فى سفينتك المصنوعة من خشب الأرز والمجهزة بالمجاديف من المقدمة إلى المؤخرة ، وتصل إلى قصرك الجميل الذى قد بنيته لنفسك .

وفمك مفعم بالنبيذ والجعة والخبز واللحم والفطير ، وتذبح الثيران ، وتفتح أوانى الخمر ، وأمامك الغناء الحسن .

ورئيس المدلكين يدلكك بعطر (كمى) ، ومدير بركك يحمل تيجان الأزهار ، ورئيس فلاحيك يحضر الطيور وسماكك يقدم السمك .

وسفينتك تأتى من سوريا محملة بكل ما طاب ، وحظيرتك ملأى بالمجول وقطيعك (؟) يتكاثر وتخلد . أما عدوك فيفنى ، ويهلك كل من يسىء إليك بكلام ، وتدخل أمام تاسوع الآلهة ، وتخرج ظافراً[٣] مبرءاً » .

ولقد حظى الموظف أيضا بشىء من التقدير يقارب إلى حد ما ورد فى الرسالة السابقة عن المدرس .

(٣٣) [الى الموظف][٤] «إنك تعيش وتفلح وتصح . إنك لست تعسا ولا تعانى أى بؤس . . . أنت تخلد كالساعات[٥] وتبقى نصيحتك مدى عمرك ، وكلامك ممتاز ، وعينك ترى كل جميل ، وأنت تسمع كل لذيذ . . . أنت الراعى الذى وهبه الإله ، وتهتم بالكثيرين فتمد يدك للبائسين ، وترفع من هوى .

وإنك تخلد . أما عدوك فقد فنى ، ولقد هلك من أساء إليك .

إنك تدخل أمام تاسوع الآلهة وتخرج مظفرا » .

---

(١) Pap. Anastasi IV. 3 ff.

(٢) تسوق عربتك (٣) بعد الموت

(٤) راجع Pap. Anastasi V. 14. 6 ff & Verst Pap. Anastasi ii

(٥) التى تكرر بدون انقطاع

والرسالة الآتية أمانٍ يرجوها أصحابها للمدرس ودعوات له بالصحة والنضارة :

(٣٤) [للمدرس][1] سيدى الطيب . إنك ستبقى ، وسيكون لديك طعام كل يوم بجانبك ؛ وستكون فرحا سعيدا كل يوم وممدوحا مرات يخطئها العدّ .

والفرح والسرور يضمان نفسيهما إليك وأعضاؤك تنم عن الصحة .

وكل يوم تزداد شبابا ولاشىء مضر يتسلط عليك .

وسيأتى عام فيه يذكر الإنسان جمالك ، ولن يوجد مثيلك ، عيناك براقتان كل يوم ، وأذنك مرهفة (؟) ولديك سنين عدة جميلة . وشهورك (تمضيها) فى فلاح ، وأيامك فى حياة وساعاتك فى صحة . إلـهتك مرتاحة إليك مسرورة بكلماتك . أنت تقصى عنك الغرب الجميل[2] ، ولن تصبح مسنًّا ، ولن تكون مريضا وستعمر مائة سنة بعد العاشرة على الأرض. وأعضاؤك قوية كحال من يثنى عليه مثلك ، عندما يكافئه إلـهه .

وبعد ذلك يجعلك رب الآلهة وديعة عند أرباب الجبل الغربى[3]. وتقدم لك طاقات الزهر فى أبى صير[4]، وماء بارد فى الجبانة . وتخرج روحك (من القبر) لتجول حيث تشاء» [5].

---

(١) راجع Pap. Anastasi III. 4. 4.

(٢) لما كان الغرب هو عالم الأموات فيقصد من ذلك : أنك تؤخر يوم الموت

(٣) عندما يرسل الإله الموت إليك أخيرا

(٤) بلدة « أوزير » المقدسة فى الدلتا

(٥) رغبة الميت كانت : أن يكون فى قدرته أن يخرج من قبره ويعود إليه كما يشاء

مساجلة أدبية

مقدمة

تعد هذه الوثيقة من أروع ما كتب فى الأدب المصرى القديم فى عهد الدولة الحديثة . وتدل الشواهد على أنها كتبت فى النصف الأول من الأسرة التاسعة عشرة . فقد وجدنا أن رعمسيس الثانى قد ذكر فيها عدة مرات . وقد عثر على عدة « استراكا » وقطع من البردى كتب عليها أجزاء من هذه المناقشة . وتاريخها كلها لا يتخطى منتصف الأسرة العشرين . على أن مجرد الاقتباس منها فى هذا العصر لدليل ناطق على انتشارها فى مدارس عهد الرعامسة .

ومن يقرأ تاريخ الأدب فى هـذا العصر يسهل عليه أن يعرف السبب فى شيوعها . فنلاحظ أولاً أن الموضوع الذى تدور حوله المناقشة هو حرفة الكاتب ، وهو الهدف الذى كان يرمى إليه بخاصـة كل تلميذ فى عصر الرعامسة ، إذ كانت تعد أعظم المهن وأشرفها ، فالمناقشة التى نحن بصددها الآن تعد من جهة نوعا من الكتابات التى كانت تفيض بهـا كتب هذا العصر لحث التلميذ على الجد فى الوصول إلى حرفة الكاتب ، ومن جهة أخرى تعد نموذجا للأسلوب الحسن ولتعليم الإملاء ، لما ظهر فيها من غزارة المادة وتنوع المفردات . يضاف إلى ذلك أن استعمال الألفاظ الأجنبية بكثرة والتفاخر بالعلم واستعراض أسماء البلاد الأجنبية غير المألوفة أحيانا يتفق مع ما نعرفه عن ميول هذا العصر الأدبية . وأخيراً نرى التهكم اللاذع منتشرا فى نواحى هذه الوثيقة ، ويرجع منشؤه إلى حب الأجوبة المسكتة عند المصرى وميله إلى التهكم ، ونرى ذلك واضحا فى المحاورات القصيرة التى نجدها مدونة فوق المناظر المصورة على جدران المقـابر وفى الصور الملونة والنحت وفى الصور الهزلية التى بقيت لنا من رسومهم وكذلك الشأن فى أدبهم[1] . غير أننا لم نجد فى كل هـذه المصادر ما يشفى الغلة فى باب التهكم والنكت مثلما بدا فى وثيقتنا هذه .

ولـكن مما يؤسف له أن الوثيقة فى صورتها التى وصلت بها إلينا لا يمكن ترجمتها ترجمة

---

(1) Pap. Bibl. Nat. 198, 2 Spiegilberg Correspondences du Temps des Rois pretres p 68—74

مرضية إلى أية لغة حديثة ، حتى ولو كنا أكثر تمكنا من مفرداتها مما وصلنا إليه الآن .
والوثيقة كما هى غامضة فى كثير من جملها ، وذلك لجهلنا لكثير من مرامى الكلمات الحقيقية .
وقد زاد الطين بلة تعدد الفجوات التى فى الورقة والأغلاط التى فى المتن نفسه .

ولكن على الرغم من كل هذا سيجد القارئ الشرقى فى هذه المناقشة لذة لا يشعر بها القارئ الغربى الذى لا يمكنه أن يتذوق تماما ما فيها من النكات والدعابات ، فضلا عن أنها تعرض أمامنا سلسلة صور هامة عن العالم المتمدين فى هذا العصر وبخاصة فى موضوع الرحلة فى فلسطين ، وإن بولغ فى تصويرها ووصفها .

وقبل سرد ملخص هذه الوثيقة يجب أن نعرف هنا أن مؤلفها يدعى « حورى » وأن خصمه يدعى « أمنموبى » وقد اتفقت جميع النسخ التى وقعت تحت أيدينا على هذه التسمية .

ملخص المناقشة :

كان الكاتب « حورى » من حملة الأقلام ، وكان موظفا فى الإصطبلات الملكية ، وقد كتب لصديقه «أمنموبى» كتابا تمنى له فيه الفلاح والحياة السعيدة فى الدنيا والآخرة .

وقد رد عليه «أمنموبى» مظهرا أسفه لهبوط مستوى كتابة صديقه ، مع عجز «أمنموبى» عن الانفراد بالرد عليه ، واستعانته بكثير من المساعدين .

وعندئذ قام « حورى » بدوره يصلى مساجله « أمنموبى » قوارص الكلم ولاذع التهكم ، مصرحا بعجزه مرة ، ومكنيا أخرى ، متتبعا ما عالجه « أمنموبى » من الأمور ، ومظهراً ما فيه من النقص . ولم يكن «أمنموبى» بالكاتب المتحفظ الذى يلتزم أدب التراسل والمساجلة ، فإنه حذف السلام العادى من صدر رسالته ، وعبر عن احتقاره لمقدرة «حورى» وتمكنه من مادته ، فما كان من هذا الأخير إلا أن تهكم عليه ما وسعه التهكم ، وسرد أمثلة عدة لأناس وصلوا إلى أعلى المراتب مع ما فيهم من نقص عقلى وجسمى ، وفى ذلك تعريض « بأمنموبى » الذى وصل إلى مرتبة سامية على غير كفاية رزقها . واندفع « حورى » يرد هجمات «أمنموبى» بقسوة لاذعة وطلب أن يحكم بينهما الإله «أوزيس» ، وتابع تحديه لزميله بأن ينفرد بحل مسألة حسابية تتناول بناء مطلع ، أو نقل مسلة ، أو إقامة تمثال ضخم أو غزوة لبلد أجنبى وما تتطلبه من المؤن والذخائر .

وعندئذ ادعى « أمنموبى » أنه يحمل لقب « ماهر » فاتخذ « حورى » من هذا الادعاء مادة لإثبات عجز منافسه وجهله ، فسرد على « أمنموبى » عددا عظيما من بلدان شمال سوريا

التي يجهلها ، وصور له المتاعب التي سيتعرض لها في حياته بحمله هذا اللقب ، ثم سأله ساخرا من ضآلة معارفه عن بلاد فينيقية ، والبلاد التي إلى الجنوب منها ، وبلاد أخرى كان يختلف (الماهر) إليها ، ثم تصور « أمنموبي » في صورة خيالية يقاسي فيها تجاريب الحياة التي يسببها له هذا اللقب ، فيتعرض لاختراق أقاليم جبلية ، ولمخاطر الحيوان المفترس ، ولتحطيم عربته ثم وصوله إلى يافا ، وإصلاح العربة وابتداء رحلة جديدة .

ولم يكتف بذلك « حوري » بل واصل استجواب صديقه عن أسماء الأماكن التي تقع على الطريق العام الموصل إلى غزة فيتضح جهله كذلك بها .

وإلى هنا قد وصل « حوري » إلى هدفه من إظهار فوقه على مناظره ، ويأخذ في الإجهاز عليه بأن يقف منه موقف الناصح الخبير ، فيسأله ألا يغضب ، ويطلب إليه أن يستمع في هدوء حتى يتعلم ، ويستطيع التحدث عن البلاد الأجنبية ، ويقص حوادث السياحة .

هذا ما حدث بين الأديبين ، ويؤسفنا أننا لم نصل أحيانا إلى الكنه الحقيقي لبعض الأساليب ، لأن لكل أمة في لغتها طريقتها الخاصة في التعريض والتلويح والتلميح والرمز والإشارة ، وما إلى ذلك مما يكسب الكلمات معنى مجازيا قد يكون بينه وبين المعنى الحقيقي مراحل واسعة .

١ — (مناقشة أدبية[١]) ورقة أنستاسي الأولى

[ذو القريحة الممتازة] . الكاتب ذو التفكير المختار الرزين في المناقشة (؟) والذي ينشرح الناس من ألفاظه عند سماعها ، المتفقه في كلمات الله[٢] ، وليس هناك شيء لا علم له به . وهو بطل في شجاعته وفي عمل « سشات »[٣] ، وخادم رب « هرموبوليس » (الأشمونين) في مدرسة كتابته ، وأستاذ المدرسين الساعدين في دار الكتب . وأشهر زملائه والمتفوق على قرنائه ، وأمير معاصريه ، والمنقطع القرين . وهو الذي يظهر فضله في كل الصبية[٤] ؛ نشيط اليد ، وأصابعه تجعل الطفل عظيما ، وهو نبيل حاد الذكاء حاذق

(١) محفوظة بأكملها في ورقة « أنستاسي » في لندن وقطعة في ورقة تورينو وقطع متفرقة على ثمان قطع من الخزف . وأول من بحث في موضوعها هو شاباس سنة ١٨٦٦ وقد عرف موضوعها أرمن سنة ١٨٨٠ ثم كتب عنها الأستاذ « جاردنر » كما سيأتي بعد .

(٢) الكتابة والكتب المقدسة

(٣) إلهة الكتابة

(٤) الصلبة

فى العلم ، وهو بذلك مجدود ، وحامى نفسه بصفاته الحسنة . محبوب من قلوب الناس دون أن يقاوم (؟) ويرغب الناس فى مصاحبته دون سآمة . سريع فى كتابة الصحف البيضاء . ممتلىء شبابا، فائق الرقة حلو الرشاقة ، وهو الذى يشرح القطع الصعبة كأنه هو الذى ألفها[١] وكل مايخرج من فمه مغموس فى الشهد ، وبه تشفى القلوب كأنه دواء . وهو سائس جلالته[٢] الذى يصحب المليك ويسوس أمهار الملك ؛ ومرب غيور للاصطبل[٣] ، والمسن الذى يعمل مثله يفشل ومن يحل النير ، . . « حورى » بن « وننفر » من السراية المدفونة إقليم الصالحين[٤] ، والذى ولدته أمه « توزرع » فى مقاطعة « بارست »[٥] مغنى « باست » فى حقل الإله[٦] .

(٢) [يرسل تحيات لصاحبه الكاتب أمنموبى] إنه يسأل عن صحة صاحبه ، وأخيه الممتاز ، والكاتب الملكى قائد الجيش المظفر ، وصاحب الذوق السليم ، والخلق العظيم ، والحكيم الفهم ، المنقطع النظير فى الكتابة ، والعزيز عند الناس أجمعين . وإن رشاقة جماله لمن ينظر إليه كجمال نبات البردى فى قلب الأجانب[٧] ، وهو كاتب فى كل معنى ، فهو لايفوته عرفان شىء . والناس تبحث عن أجوبته لسدادها ، نبيه رحيم القلب ، محب للناس ، ويسر للعمل الحق ويولى ظهره للعسف . كاتب الجياد (؟) . . . . « أمنموبى » بن مدير البيت « موسى » المرحوم[٨] .

(٣) [مقدمة الخطاب][٩] « أتمنى أن تحيا وتفلح وتكون فى صحة جيدة يأخى العزيز ، وأن تكون مثريا متين الحال مدركا كل ما تتمناه (؟) . وأن يكون عندك ما يحتاج

---

(١) فى الكتب جمل غامضة ، وقد أبدى الكتاب فى كل مكان رغبتهم فى فهمها كما التمسوا هذه الرغبة عند إلههم « تحوت »

(٢) هذه وظيفته الفعلية وهو يعطى تعاليمه كهوية . ولما كانت المهارى فى ذلك الوقت أثمن مقتنيات الملك لم تكن وظيفة حورى وضيعة بالرغم من أنه لم يكن بالتأكيد من أسرة رفيعة

(٣) عامل مجد

(٤) مدينة « أوزير » إله الموتى

(٥) بلدة فى الدلتا وهى بلبيس الحالية

(٦) إقليم تل بسطة

(٧) يظهر إليهم هذا النبات المصرى العادى شيئا غريبا

(٨) ومن هنا نعلم أن والده قد توفى .

(٩) هذه الفقرة مقصود أن تكون جملها مبالغا فيها

إليه طول الحياة من ذخيرة ومئونة ؛ وأن يجتمع السرور والفرح فى طريقك . . . ليتك ترى أشعة الشمس وتغمس نفسك فيها ، ليتك تمضّى مدة حياتك ... وآلهتك مرتاحة إليك وليست غضبى . ليتك تتسلم مكافآت بعد عمر طويل وحبك فى قلوب أهل العدل[1] ليتك تدخل قبرك فى الجبانة وتختلط بالأرواح الصالحة ؛ ليتك تحاكم بينهم وتبرأ ساحتك فى « بوصير » أمام « وننفر »[2] ، وتسكن فى العرابة بجوار « شو أوتوريس »[3] ليتك تعبر « پكر »[4] فى ركاب الإله . ليتك تخترق إقليم الإله (؟) فى ركاب « سوكاريس »[5] ليتك تنضم إلى نواتى القارب « نشمت » من غير أن تمنع . ليتك ترى الشمس فى السماء حينما تفصل العام[6] .

ليت « أنوبيس » يصل رأسك بعظامك[7] . ليتك تخرج من المكان الخفى دون أن تتلف . ليتك ترى نور الشمس فى العالم السفلى حينما تمر بك[8] . ليت بحرا عظيما يفيض فى بيتك[9] ليغمر طريقك ، وليته يعلو بارتفاع سبعة أذرع بجوار قبرك . ليتك تقعد على شاطىء النهر فى ساعة راحتك تغسل وجهك ويدك . ليتك تتسلم القربان ، وليت أنفك يستنشق النسيم . ليتك تريح حنجرتك ... ليت إله الغلال يعطيك خبزا «وحتحور» جعة ، ليتك ترضع ثدى البقرة « سخايت » وليت أحسن العطور (؟) تفتح لك (؟) . . . ليت تماثيلك المجاوب[10] يساعدك ويحمل رملاً من التل الشرقى إلى التل الغربى . ليت جميزتك[11] تبلل حنجرتك دون أن تتلف ، وليتك تصد أعداءك ، وليتك تكون قويا على الأرض ، وليتك تكون مشرقا ، وليتك تحول نفسك إلى أى شىء تريد مثل

---

(١) كل التمنيات التالية تشير إلى الحياة بعد الموت

(٢) اسم لأوزوريس

(٣) أوتوريس اسم للإله « شو » وبهذا الاسم كان يعبد فى العرابة المدفونة

(٤) مكان فى العرابة لعب دورا فى احتفالات أوزير

(٥) إله الموتى فى منف

(٦) فى يوم رأس السنة

(٧) كما فعل لأوزير

(٨) تفرح الأموات حينما تمر بهم الشمس أثناء الليل فى العالم السفلى

(٩) يحتمل أن يكون المعنى : ليتك لا تحتاج إلى ماء فى قبرك

(١٠) وهى التماثيل الصغيرة المفروض فيها أن تقوم بالعمل (الزراعة) فى الآخرة بدل الميت . وقد ذكر هنا لهذه المناسبة « نقل الرمل » ولو أننا لا نعرف ماذا يقصد به . وربما يقصد به حفظ جسم الميت من التلف .

(١١) هى الشجرة التى منها تخرج الآلهة لتعطى الميت الطعام والشراب ولذلك حرم قطعها فى أيامنا هذه

« الفنكس » ، وإلى كل شكل يماثل صورة الإله .

(٤) [كيف تسلم الخطاب] . وبعد تسلمت خطابك فى ساعة فراغ (؟) وأخذت رسالتك ، وأنا قاعد بجوار الجواد الذى فى عهدتى ، وكنت سعيدا وممتلئاً فرحا وعلى استعداد للإجابة . ولما دخلت حظيرتى لأفحص[١] رسالتك وجدتها خالية من المدح والذم ، وعباراتك مضطربة ، وكل كلماتك مقلوبة ، ولا روابط بينها . وكل تخيلاتك . . . . وتخلط الغث بالسمين ، والحسن بـ . . . وكلماتك ليست (؟) بالعذبة ولا بالمرة . . . فهى نبيذ مخلوط بشراب عفن « بور »[٢] .

(٥) [لم تكتب خطابك بمفردك][٣] . أكتب إليك لأساعدك كما يساعد الصديق المتعلم الأكبر منه ليصبح كاتبا نابها . وعند ما تكتب سأجيب على كتابتك : تأمل فإن كلماتك ليست إلا كلاما باردا . . وإنك تعمل مثل . . . . . . إنى لم أقف مرتاعاً منك ، لأنى أعرف طبيعتك . وقد خيل إلى أنك ستجيب عليه بنفسك فى حين أن حماتك (مساعديك) يقفون وراءك ، إنك تحصل لنفسك على عدة . . . بمثابة مساعدين كأنك تتطلب الحكام لعقد جلسة (؟) ، وكأنى بك ونظراتك مضطربة عندما تقف هناك متملقا المساعدين (؟) قائلا : تعالوا معى ومدوا إلىّ يد المساعدة ، وتقدم إليهم الهدايا كل على حدة ، ويقولون لك : « تشجع سنتغلب عليه[٤] » ، وأنك تقف هناك مضطربا و . . . ويقعد سبعة الكتاب يفكرون ، وإنك تسرع معهم . . . وتكلف[٥] كل واحد (من سبعة الكتاب) بفقرتين (من الإجابة) حتى تتمكن من إتمام رسالتك المؤلفة من أربع عشرة فقرة (فواحد ؟) يؤلف مدائح ، واثنان يهجوان ، وآخر يقف ويعلمهم القواعد ، والخامس يقول : لاتسرعوا (؟) تأنوا (؟) واجعلوه نموذجا ، والسادس يسرع ليقيس الترعة بالذراع لأجل أن تحفر . . . ليجعلها تسلم ، والسابع يقف عن كثب يتسلم أرزاق الجند و ... أرزاق[٦] .... إن أوامرك مرتبكة ، ولم يعبر عنها بطريقة صحيحة (؟) وإن (خريوف)[٧] يلعب دور الرجل الأصم

(١) لأقرأ رسالتك (٢) شراب ردىء

(٣) على حسب المعنى يجب أن تبدأ هنا فقرة جديدة

(٤) ولهذا قد طالت هذه المناظرة وقتا ما

(٥) راجع .Melanges Maspero I P. 330

(٦) ليسلمها لحورى

(٧) من المحتمل أنه رئيس مخزن الغلال ، فهو لا يسلم الغلة نظرا لتلك التعليمات التى لا تنم عن صراحة . ونحن بدورنا نعرف رئيس مخازن الغلال الذى يحمل هذا الاسم وعلى أكثر تقدير يكون جدا للشخص الذى نتكلم عنه الآن

فلا يسمع شيئا ، ثم يحلف « بيتاح » يمينا قائلاً : إنى لا أسمح للختم أن يوضع على مخزن الغلال[1] ويخرج غضبان . فكم (جالونا ؟) تنقصك وكم (هن) ناقصة من كل كيل (؟) انظر ! إنك كاتب تصدر الأوامر إلى الجيش ، والناس يصغون لما تقوله ، ولست محتقرا . وإنك كاتب ماهر وليس هناك شيء لاتعرفه ، ومع ذلك فإن رسالتك موضوعة وضعاً رديئاً فوق ما يتصور لتجعل الإنسان يصغى إليها . . .

خاتمة الفقرة غير مفهومة ؛ فنجد « أمنموبى » يتكلم عن شيء ما : يوضع على اصابعى كورقة البردى على رقبة رجل مريض[2] . . . فلا تصير متعبة وتربط بخيط خاتمى[3]

(٦) [جوابى سيكونه أحسن مبه رسالتك] . إنى أجيبك كذلك برسالة جديدة من أولها (؟) الخ (؟) وهى ملأى بتعابير من شفتى قد صغتها بنفسى منفرداً ، ولم يكن أحد آخر معى . أقسم بروح (كا) (إلـهى ؟) تحوت ، أنى ألفتها بنفسى دون أن أطلب أى كاتب[4] ليساعدنى .

وإنى سأعطيك أكثر (أكتب خطابا أطول) فى عشرين فقرة وأكرر لك ماقلته (واضعا) كل فقرة فى مكانها من الأربع عشرة فقرة (المؤلف منها) خطابك[5] . أقبض على القرطاس لأخبرك بأشياء عدة ، ولأفيض عليك كلمات مختارة كأنها نيل[6] وصل إلى أقصى فيضانه ، مياهه مضطربة اللمعان فى فصل الفيضان ، حينما يغمر كل الحقول (؟)

إن كل كلماتى عذبة حلوة . . . وإنى لن أفعل فعلك ، لأنك تبتدىء بذمى فى أول فقرة ، وفى فاتحة رسالتك لم تسأل عن صحتى . وكل ما تقوله[7] بعيد عنى ولا يؤثر فىَّ ، لأن إلـهى « تحوت» و « رع » لى ، وإنى أقسم بقوة «بتاح» رب الصدق . . . انظر ! إن

---

(١) من الجائز أن ملاحظ الغلال كان يختم المخزن بعد كل عملية تسليم فاذا تركه دون ختم اعتبر ذلك دليلا على ارتباك الأمور

(٢) تميمة

(٣) الأختام قديما كانت تعلق بخيط حول العنق

(٤) أى كما فعلت أنت

(٥) المقصود من ذلك أن حورى عازم على كتابة عشرين فقرة ١٤ منها ستكون خاصة بالفقرات التى تتألف منها رسالة « أمنموبى » وفى الحقيقة أن الخمس أو الست فقرات التى تعتبر كمقدمة قد أتبعت بأربع عشرة فقرة أخرى ، وهذه تحتوى كل المناقشة الحقيقية

(٦) من البلاغة

(٧) قد تكون إهانة « أمنموبى » فى خطابه وخاصة كما يظهر فيما يلى — عند ما أظهر رغبته فى أن يبقى بدون لحية

ماقلته ربما لا يحدث ، وإن كل ما خرج من فيك قد ينقلب على عدو آخر ! ومع ذلك سأدفن فى المرابة المدفونة فى مقر والدى (لأنى) ابن رجل مستقيم فى مدينة رب الحق (؟) وسأدفن بين عشيرتى فى تل «تاجسر» (الجبانة) .

فى أى شىء كنت قد أسأت إليك فى قلبى حتى تهاجمنى كذلك ؟ ولمن ذكرتك بشر ؟ لقد كتبت إليك كتابا يشبه المداعبة اللذيذة التى تسلى كل إنسان[١]

(٧) [الاجابة على هجو « أمنموبى »] لقد قلت عنى إننى مكسور الجناح[٢] خائر القوى ، وقد حقرتنى كاتبا وقلت . . «هو لا يعرف شيئا !» هل أمضى وقتى بجانبك متملقا وقائلا : « كن حاميا لى إذا اضطهدنى شخص آخر ؟ » فبحكم الرب المظفر صاحب الاسم العظيم ، والذى ترتكز قوانينه على أساس متين مثل قوانين « تحوت » إنى أنا نفسى نصير كل أقاربى[٣] . . .

ولكنى أعرف عدة أناس تعوزهم القوة[٤] ، مكسورى الجناح ومقطعين إربا إربا ، ومع ذلك فإنهم أغنياء ، فى بيوتهم الطعام والمؤن ، ولا يقولون عن أى شىء « آه : إذا كنت أملك ؟ » تعال . دعنى أحدثك عن حال الكاتب « روى » الذى يدعى « محورنار » صاحب مخزن الغلال ، فهو لا يتحرك ولم يجر منذ ولادته ، وهو يمقت عمل الرجل النشيط ولا يعرفه ، وإنه قد ذهب فعلا إلى الغرب[٥] ، رغم أن أعضاءه كانت لا تزال فى صحة ؛ وهو لا يخاف الإله الطيب[٦] .

وإنك لأكثر تغفيلا من « كسا » حاسب الماشية[٧] ... أسرع فسأخبرك بشكله ...

ولا شك فى أنك قد سمعت عن اسم « آمون — واح — سو » وهو أحد رجال الخزانة المسنين فهو يمضى حياته مراقبا فى المصنع بجوار الحداد[٨] .

---

(١) لن تؤول مداعبتى البريئة بشأن خطابك تأويلا جديا !

(٢) كناية عن الضعف

(٣) فلست فى حاجة إلى حمايتك

(٤) الحقول الذى تصفنى به موجود فى آخرين والموظفون الخاملون الذين يتحدث عنهم سيكونون من المؤكد أصدقاء معروفين لأمنموبى

(٥) كالميت (٦) الملك

(٧) نعرف شخصا بهذا الاسم كان المراقب على الماشية واسمه مكتوب على آنية للأحشاء موجودة بمتحف برلين . ويحتمل أن يكون هو الشخص المقصود لأن اسم هذا الشخص نادر الوجود

(٨) ويعنى بذلك أنه بدلا من القيام بواجباته كان يجلس دائما ويتكلم فى مصنع كأنه هو الموظف الأكبر الذى بيده السلطة هناك

تعال كى أحدثك عن « ناخت » صاحب مخزن الخمر[1] ، فإنه أحسن لك عشر مرات من هؤلاء . وإنى محدثك عن ضابط الرديف الذى كان فى «عين شمس» وقد أصبح الآن من كبار رجال القصر . فهو أصغر من قط تام النمو وأكبر من قرد[2] ! إنه مثر فى بيته ... على حين أنك ستكون هنا فى الحظيرة إلى الأبد...؛ ولقد سمعت باسم « كسب » ... الذى يتحرك على الأرض دون أن يلتفت إليه ، وهو غير مرتب الملابس وموثق القماط (؟) وإذا نظرت إليه عند المساء فى الظلمة فإنك تقول : « إنه طائر يمر » ضعه فى كفة الميزان لتعرف وزنه ؛ فهو يزن نحو عشرين « دبنا »[3] وإذا نفخت بجواره حينما يمر سقط من حالق كأنه ورقة غصن .

وإذا حدثتك عن « واح » صاحب حظيرة الماشية ، فإنك تعطينى مقدار وزنى ثلاث مرات من خالص النضار[4] . إنى أقسم بربى « هرموبوليس » و« بنحم أوايت »[5] أنك قوى الذراع وستتغلب عليهم[6] . دعهم يفحصوا أولئك وهؤلاء حتى أضربهم بذراعى ولن يفلت من يدى أحد منهم .

يا سيدى الطيب ويا صديقى الذى لا يعرف مايقول . انظر! إنى أحل لك مصاعبك الأليمة وأجعلها لذيذة لك[7] .

(٨) [إنك تلعب دور الحكيم] لقد أتيت مزوداً بأسرار عظيمة . وتخبرنى بمثل من أمثال « حردادف »[8] على أنك لا تعلم إذا كان حسنا أو رديئا . فأخبرنى ما هو الفصل الذى يسبقه (المثل) [وما الذى يأتى بعده] ... إنك رجل عالم على رأس إخوانه[9] وعلم الكتب (؟) منقوش على قلبك ؛ ولسانك سعيد (؟) وكلماتك واسعة والمثل يخرج من فيك يزن أكثر من ثلاثة « دبن » أرطال . . . عيناى تنبهران لما تفعل وأفغر فمى عندما تقول : « إنى بوصفى

---

(١) يحتمل أن يكون السكير

(٢) من الجائز أنه يعنى « أكبر من القرد عمرا » على أن موضع الفكاهة فى هذا التعبير غير واضح .

(٣) ١٨٢٠ جراما

(٤) يقصد من ذلك معنى تهكميا

(٥) تحوت وزوجه وكانا يعبدان فى الأشمونين

(٦) تهكم : لا شك أنك الآن ستهاجمهم بسبب وصفى هذا

(٧) تؤدى إلى الفصل الآتى

(٨) ابن « خوفو » وقد ترك بعد وفاته كتابا فى الحكم وقد اقتبس « أمنموبى » منه مثلا فى خطابه مع أنه من المحقق أنه لم يقرأ الكتاب البتة

(٩) تهكم

كاتبا منغمسا فى السماء وفى الأرض وفى العالم السفلى أعرف الجبال بالرطل والمن[١] ، وإن بيت الكتب مخفى ولا يرى ، وتاسوع آلهته مخبأة وبعيدة عن . .[٢] وإنى هكذا أجيبك : احذر ألا تقترب أصابعك من كلمات الله[٣] . . . . وعن كل ما يأتى لا نفهم إلا : مثل . . . . يجلس ليلعب النرد .

(٩) [ليس صوابا أنه تشك فى علمى] لقد قلت لى : « إنك لست بكاتب ، وإنك لست بجندى (؟) لقد كونت نفسك لتكون رئيسا . . . ولست فى القائمة » والآن إنك كاتب الملك الذى يجند الجنود والذى أمامه . . . . السماء[٤] مفتوحة أمامك . أسرع حينئذ إلى مكان الكتب حتى يدعوك ترى الصندوق الذى فيه السجلات . وإذا أخذت معك طاقة أزهار إلى حرش[٥] فإنه سيفتح لك بسرعة . . . وستجد اسمى فى القائمة ضابطا فى الاصطبل العظيم « لرعمسيس » محبوب « آمون » . وعندك برهان آخر على رياستى فى الاصطبل[٦] فإن لى مرتب طعام مقيدا باسمى ، وعلى ذلك فإنى خدمت جنديا وكاتبا

وليس هناك شاب من جيلى يمكنه أن يقرن نفسه بى « دع الرجل يسأل عن أمه[٧] » ! فأسرع إذن وسل رؤسائى الضباط وهم يخبرونك عنى .

(١٠) [أما ماتطلبه منى فأنى أولا كيف تعمل أنت] ، وقد قلت لى مرة أخرى : إن سلسلة جبال عالية[٨] تقف أمامك . أدخل فى هذه السلسلة المخيفة ، وإن كنت لا تعرفها[٩] ادخل أمامى وإنى سآتى على أثرك ، وعلى أية حال (؟) فإنك لم تدن من حماها ولم تقترب منها. فإذا عُثر عليك فيها حينئذٍ فأنى سأذهب هناك أيضا خلفك . واحذر أن تضع يدك لتجرنى إلى الخارج (؟)

(١١) [أشك فى مواهب «حورى» مرة أخرى][١٠] لقد قلت لى : « إنك لست بأية

---

(١) إنى أعرف مقدار ما تزن ومقدار ما تسع (٢) مهما يكن سرا فانى أعرفه

(٣) يجوز أن المعنى هو : احترس حتى من عناصر العلم التى لا تفهم منها شيئا

(٤) لا بد أن يكون هذا تعبير صرح لحيرة الكاتب

(٥) اسم كاتب السجلات ، أما طاقة الزهور فانها تكون هدية

(٦) يحتمل أن يكون القرار الصادر بتجديد ضريبة (٧) يجوز أن يكون مثلا

(٨) يظهر أنه جبل تغطيه غابة وذلك على حسب الكتابة

(٩) قال هذا « أمنموبى » طبعا من باب التشبيه بمعنى قم بالعمل الذى كلفت به

(١٠) يعود « أمنموبى » فى كتابه مرة أخرى إلى هذه الشكوك . ولما كان « حورى » يعالج خطابه فقرة فقرة كان لا بد له من أن يعالج الموضوع ثانية

حال كاتبا فهو اسم أجوف بارد (؟)[١] ، وإنك تحمل الدواة خطأ . . . » . . . وهكذا تأخذ العدة لنفسك ضدى ثانيــة ، ولــكنها أقوال تجحف بحق ولن يُصغى إليها ، دع رسائلك تحضر أمام « اونريس » ليرى أينا محق حتى لاتغضب[٢].

(١٢) [أُضحوكة لا يمكنه أن يحسب كما ظهر ذلك فى حفر بحيرة وبناء مطلع] موضوع آخر . انظر إنك تأتى وتدل بوظيفتك[٣] . وإنى سأجعلك تعرف كيف تــكون الأمور معك حينما تقول : « إنى الــكاتب الذى يصدر الأوامر للجيش » هب أنك أعطيت بحيرة لتحفرها وقد أتيت إلىّ لتسألنى عن أرزاق الجند : وتقول : « احسبها » فأنت تهجر وظيفتك ، وعلى ذلك فواجب تعليمك إنجازها يقع على عاتقى :

تعال لأخبرك بأ كثر ممــا قلت[٤]

إنى أجعلك تخجل (؟) حينما أكاشفك بطلب من سيدك ، الذى أنت كاتبه الملــكى ، وذلك حينما يؤتى بك تحت نافذة[٥] لأى عمل عظيم ، حينما تخرج من الجبال آثار عظيمة « لحور » رب الأرضين[٦] لأنك تأمل ، أنت الــكاتب المــاهر الذى على رأس الجند[٧] ؟ (مطلوب) بناء مطلع[٨] طوله ٧٣٠ ذراعا[٩] وعرضــه ٥٥ ذراعا[١٠] يحوى ١٢٠ حجرة[١١] مملوءة بالقصب وعروق الخشب[١٢] وارتفاعه من القمة ٦٠ ذراعاً ، و٣٠ ذراعاً فى الوســط و . . . . ١٥ ذراعاً و . . . ٥ أذرع وكميــة اللبن اللازمة له مطلوبة من القواد ، وقد اجتمع الــكتاب معاً دون أن يعرف واحد منهم أى شىء ، وكلهم يضمون

---

(١) يحتمل أن المعنى : أنك تحمل فقط اسما بدون لقب

(٢) يقترح الآن فصل الأمر بواسطة الوصى ، وكانت هذه طريقة شائعة فى هذا العصر وفى هذه الأحوال كانت توضع كتابتان أمام الإله : واحدة إثبات والثانية نفى ، ويفصل الإله بينهما بهزة من رأسه

(٣) من المحتمل أنك تتكلم عنها بمقدار عظيم

(٤) شىء لم يذكر فى خطابك

(٥) نافذة القصر التى منها تصدر الأوامر وما شاكلها

(٦) حينما يأمر الملك بقطع الأحجار التى تستعمل لأغراض البناء

(٧) متهكما : يجب أن تفهم كل شىء

(٨) لرفع الأحجار الضخمة اللازمة للبناء كانت تعمل منحدرات من الطوب تجر عليها الأحجار

(٩) الذراع يساوى ٥١ سم

(١٠) توفيرا للبن كانت تترك حجرات كبيرة ثم تملأ بالرمل

(١١) الحوائط الــكبيرة المبنية باللبن كانت تسند بعروق من الخشب والحصير موضوعة بين الحجارة

ثقتهم فيك ، ويقولون إنك كاتب ماهر ياصديق (؟) قرر لنا بسرعة ! انظر . إن اسمك شهير ، دع واحداً يوجد فى هذا المكان ليعظم الثلاثين الآخرين[١] . ولا تجعل أحدا يقول إن هناك شيئا لاتعرفه . أجب كم عدد اللبنات اللازمة له ؟

انظر . إن كل مقاساته (؟) أمامك . وكل حجرة من حجراته طولها ٣٠ ذراعا ، و ٧ أذرع فى العرض[٢] .

(١٣) [*كذلك روبفهم « أمنحوبى » كيف يقدر وزنه مسلة*] آه يا سيدى الطيب ، أنت أيها الكاتب اليقظ ، الذى يرأس الجيش ومن يُميّز نفسه حينما يقف عند البابين العظيمين[٣] ، والذى ينحنى بخضوع تحت النافذة !

وصلت رسالة من ولى العهد فى « راكا » لتسر قلب « حور » المظفر ولتهدئ الأسد الغاضب ، وتخبره كيف صنعتَ مسلة جديدة منقوشا عليها اسم جلالته طولها ١١٠ أذرع وقاعدتها ١٠ أذرع والقطعة التى فى نهايتها مقياسها ٧ أذرع منَ كل جهاتها . والجزء المدبب يبلغ ذراعاً وإصبعاً ، والجزء الهرمى يبلغ طوله ذراعاً و . . . مقياسه إصبعين . فاحسب الآن (؟) حتى يمكنك أن تجلب كل رجل يُحتاج إليه لجرها وأرسلهم إلى الجبل الأحمر ، وانظر . إنهم فى انتظارهم[٤] .

كن مساعدا لولى العهد ابن الشمس . قرر لنا كم رجلا يلزم لجرها ، ولا تجعلهم يرسلون إلينا مرة أخرى لأن الأثر ملقى على استعداد فى المحجر ! . أجب بسرعة ولا تتردد !

انظر . إنك تبحث عنها بنفسك[٥] . استمر ! تأمل . إذا نشطت نفسك جعلتك سعيدا . لقد تعودت فيما مضى أن أجهد نفسى مثلك . وعلى ذلك دعنا نلتحم فى المعركة[٦] سويا (حل المسألة) فإن قلبى ذكى وأصابعى سهلة القياد وماهرة حيث تضل أنت . تقدم ولا تبك إن مساعدك يقف خلفك ، وسأجعلك تقول « يوجد كاتب ملكى مع « حور » الثور القوى »[٧] ، وعليك أن تأمر أناساً ليصنعوا صندوقا توضع فيه الرسائل (الباقى غير مفهوم)

---

(١) هل ينتمون كلهم لجامعة الثلاثين الذين كثيرا ما يرد ذكرهم ؟

(٢) يلاحظ أن هذه الجملة فى غير موضعها . إنما وضعها الكاتب « حورى » بكل هدوء كما لو كان الإنسان قد نسى فى سياق حديثه شيئا ثم يضعه فى النهاية

(٣) بابا القصر

(٤) يقصد بذلك أن ولى العهد قد كتب للملك بأن المسلة جاهزة للنقل

(٥) إنك تجتهد أولا لتحلها منفردا ولكن لم تفلح

(٦) معركة المسألة التى اكتسبت منها التجارب لمدة طويلة

(٧) لن تذكر اسمى طبعا على عادتك ولكنك ستلتفت إلى أن ما كتب قد أصاب الحز.

(١٤) [كذلك عند إقامة تمثال ضخم يخطىء « أمنمويى » الحساب] ، وقد قيل لك : أخْلِ المخزن[١] المملوء بالرمل الموجود تحت أثر سيدك[٢] الذى قد أحضر من الجبل الأحمر ، ويبلغ طوله ثلاثين ذراعاً ، وهو ممتد على الأرض ، وعرضه عشرين ذراعاً . (من الجمل التالية نعلم فقط أن « المخزن » يشمل عدة أقسام مملوءة بالرمل المجلوب من شاطىء النهر ، وكلها تبلغ خمسين ذراعاً فى الطول) ، وإنك مكلف الآن أن تجد ، (والأمر الذى يشغل بال الملك (؟) هو[٣]) : « كم رجلا يلزم لهدمه فى ست ساعات » ؟ وإن قلوبهم مستعدة[٤] ، ولكن رغبتهم لهدمه ضئيلة لأن الوقت الذى يعطاه الجند للراحة ليأخذوا فيه غذاءهم[٥] لم يحسب . دع الأثر ينصب فى مكانه لأن رغبة الملك أن يراه جميلا .

(١٥) [أمنمويى غير قادر على حساب المئونة اللازمة لحملة عسكرية] إنه الكاتب النبيه ذو القلب الذكى — والذى لا يفوته معرفة أى شىء مهما كان ، أيها المصباح فى الظلام أمام الجم الغفير ليعطيهم نوراً ! هب أنك أرسلت فى مأمورية إلى فينيقيا (؟) على رأس جيش مظفر لتقهر هؤلاء الثائرين المسمين « نعرين[٦] » وعدد من تقودهم من الرديف ١٩٠٠ و ٥٢٠ شردانيين[٧] و ١٦٠٠ كهك (و ١٠٠) ماشوشا و ٨٨٠ من السودان . والكل ٥٠٠٠ عدا ضباطهم .

وقد أحضر أمامك هدية من الخبز والنبيذ[٨] . غير أن عدد الرجال كبير (جدا) عليك[٩]

---

(١) صومعة الغلال

(٢) تمثال الملك الفخم . هـذه الجملة تشير إلى الطريقة التى كانت تستعمل فى مصر لإقامة الأحمال الثقيلة فكانت تجر إلى أعلى فوق حجرة (المخزن) مملوءة بالرمل ثم كان يفرغ الرمل من تحت الأثر تدريجيا حتى ينتهى الأمر إلى أن يستقر الأثر فى المكان المرغوب وضعه فيه

(٣) أى مما يشغل البال أكثر أنك لا تعرف

(٤) يفهمون عملهم

(٥) المعنى المحتمل (انظر الصفحة التالية) أن عدد الرجال الذين يشتغلون وفقا لنصيحتك ليس بكاف لأنك فرضت أنهم سيشتغلون ٦ ساعات متواصلة بدون فترة راحة لأن رغبة الملك كانت متجهة إلى نحس التمثال . وعلى هذا الأساس كان الشرط ست ساعات عمل بدون انقطاع لإنجاز العمل

(٦) محاربون شبان من كنعان

(٧) الشردانا قوم ملاحون كانوا فى ذلك الوقت قد تعودوا زيارة مصر ودخلوا فى خدمة المصريين وكانت الحال كذلك مع قبائل الوبيين والمشوشا والكهك

(٨) التى أرسلها سكان البلدة

(٩) أن تطعمهم من هذه المدية

والمئونة قليلة جدا بالنسبة إليهم : ٣٠٠ رغيف من القمح ، ١٨٠٠ . . . رغيف ، و١٢٠ من الماعز المختلفة الأنواع و ٣٠٠ كيل من النبيذ — والعساكر عددهم عظيم والمئونة قدرت بأقل منهم (؟) . . .

وتسلمت المئونة ، وهى موضوعة الآن فى معسكرك . وجيشك مستعد ومسلح ؛ فعليك إذن أن تقسمها بسرعة وتعطى كل رجل نصيبه . والبدو عندئذٍ ينظرون خلسة (يقولون ؟) « أيها السپهربود[١] » (الكاتب الفطن) . وقد أتى وقت الظهر والمعسكر حار (والجند) يقولون : « حان وقت المسير » . « لاتغضبن ياقائد «الرديف» . لايزال عندنا كثير لنقطعه » ونحن نقول « لماذا لايوجد إذن خبز ؟ إن مراكز معسكرنا الليلة بعيدة جدا ! فما معنى أنك تضربنا أيها السيد الطيب مع أنك كاتب ماهر[٢] ؟ اقترب لتعطى الطعام على أنه قد تمر ساعة يكون الإنسان فيها من غير كاتب من قبل الحاكم . (فعلى الرئيس أن يقوم مقام الكاتب . على أنك تأخذ على عاتقك أن تضربنا ، فإن ذلك ليس بالحسن أيها الزميل ، لأن (الفرعون) يسمع بذلك ويرسل بعزلك[٣] .

(١٦) [**إنك لا تعرف إلا القليل عن سوريا**] . فى خمس الفقرات الأخيرة ، وهى التى تبتدىء هنا وجَّه « حورى » عناية إلى نهاية رسالة قرنه ، والظاهر أنها بوجه خاص قد سلته « بكلماتها الضخمة » ، وفيها لفت « أمنموبى » الأنظار إلى أعماله العظيمة وتجاربه فى سوريا ، وأعطى لنفسه بكبرياء نعتا أجنبيا هو «ماهر[٤]» أى بطل (وهى كلمة كنعانية) . ونرى أن « حورى » يمتحن هذه القصة ويتبع كل سياحة قرنه من شمال سوريا إلى « تخوم مصر » . ولكنه يصور السياحة بأنها ملأى بمخاطرات قاسية صغيرة وكبيرة ، وقد يجوز أن يكون هذا حقيقيا حسب رأيه ، يضاف إلى ذلك أنه يلمح بواسطة أسئلة حاذقة أن معلومات قرنه قليلة جدا عن البلاد التى زارها ، وأنه لم يشاهد فيها إلا شيئاً يسيراً جداً . ولقد كان من الضرورى علينا ، لنتذوق هذه السخرية أن نعرف قصة « أمنموبى » نفسه التى قد حرفها هنا ، غير أنه على الرغم من هذا التحريف يمكننا أن نتذوق الوصف الحى الذى وضعه

---

(١) كلمة أجنبية

(٢) كان يجب أن تسلم الجند نصيبهم فى الصباح قبل بدء السير ولكنهم لم يتسلموه للآن ، ولذلك لم يأخذوا فى السير حتى الظهر فاستولى عليهم القلق واشتكوا فضربهم

(٣) سيشكون للملك الذى يعزلك

(٤) وهى كلمة تطلق على الضابط المصرى الذى يرحل فى سوريا

أمامنا لفلسطين ، وهى بلاد كان يعرفها « حورى » على مايظهر جيدا ، وعلى أقل تقدير كان يعرفها أحسن من قرنه المتفاخر بعلمه : إن رسالتك مفعمة بالمجمات (؟) وتنوء تحت عبء الكلمات الضخمة . انظر . فإنهم سيكافئونك كالذين يبحثون وراء حمال وسيثقلونك أكثر مما تود[1] .

أنت تقول مرة أخرى إنى كاتب ، وماهر ، ونحن بدورنا نقول إن كلماتك صادقة . فابرز حتى تمتحن ، فقد أسرج لك جواد سريع كابن آوى مع . . . وكأنه عاصفة الريح حينما ينطلق . وإنك ترخى العنان وتقبض على القوس ، سترى ماذا تفعل يدك ، وسأشرح لك طبيعة « ماهر » وأريك ماذا يفعل . ألم تذهب إلى أرض «خاتى» ألم تر أرض «يوب»[2] ؟ « وخدم » ، هل تعرف طبيعتها « وإجدى » كذلك أى شىء تشبه ؟ و « سومر » التابعة « لسسى[3] » على أى جانب منها تقع بلد « رخرة » . . . ؟ وماشكل مجرى مائها ؟ ألم تسر إلى « قادش »[4] « وتوبيخى » ؟ ألم تذهب إلى إقليم البدو مع جند الجيش الرديف ؟

ألم تطأ طريق « مجر »[5] حيث السماء مظلمة نهارا ويغزر فيها نمو العليق (؟) والبلوط وأشجار الأرز التى تناهض السماء ؟ . وهناك أسود أكثر من الفهود والضباع ، ويحيط بها البدو من كل جانب . ألم تتسلق جبل « شوى » ؟ ألم تتطأه ويداك موضوعتان على . . . ، وعربتك قد كسرت من الجبال عندما يجرون حصانك[6] ؟

أرجوك . دعنى أخبرك عن . . . « برت » . إنك تنفر من تسلقها وتفضل عبور نهرها . . . وسترى ما يكون عليه الإنسان لأجل أن يصير « ماهرا » ، وذلك حينما تحمل

---

(١) المعنى : لقد أثرتنى والثمن مردود لك

(٢) مكان بجوار دمشق . أما عن أسماء الأماكن الكنعانية التى ستظهر فيما يلى فبعضها معروف لنا من العهد القديم ومن المتون المسكيونوفورمية ومن المصادر اليونانية وهذه يمكن أن يكتبها الإنسان بشكلها الصحيح ، أما الأسماء الأخرى فيجب أن يجعلها الإنسان قابلة للنطق ، وعلى ذلك تستعمل طريقة وضع حروف متحركة لها . ومن أراد معرفة الحروف الساكنة التى تتألف منها كل كلة فعليه أن يرجع للمتن الأصلى

(٣) « سسى » هو الاسم المحبوب « لرعمسيس الثانى » وسومر (فيما بعد زمير) فى فينيقيا ، وإضافة رعمسيس لها يدل على أن الملك أقام بناء عظيما هناك

(٤) البلدة الواقعة على نهر العاصى

(٥) من المحتمل أن تكون جزءاً من لبنان

(٦) ومعنى ذلك أن الخيل والعربة كانت تتسلق بصعوبة كبيرة

عربتك على كتفك . . . وحينما تقف عن السير فى المساء ترى جسمك كله مهدما . . . وأعضاءك مكسرة . . . وتستيقظ عند ساعة الرحيل فى . . . ليل . وأنت وحدك تسرج الحصان ، والأخ لا يأتى لأخيه[١] ، والهاربون (؟) قد أتوا إلى المعسكر ، وحل قيد الجواد الـ . . . قد نُهبت بالليل وسرقت ملابسك . وسائسك قد استيقظ بالليل وعرف ماقد ارتكبوه ؛ فأخذ مابقى . وانضم إلى صف الخونة واختلط بقبائل البدو وغيّر نفسه إلى أسيوى ، وقد أتى العدو لينهب سرًّا ، وقد وجدك لا حراك بك . ولما استيقظت لم تجد لهم أى أثر ، وقد أخذوا كل متاعك . وقد صرت « ماهرا » كامل العدة وقبضت على أذنك[٢]

(١٧) [بخصوص فينيقيا] سأحدثك عن مدينة أخرى سرية ، اسمها « جبيل » فما شكلها ؟ وإلهتهم ماشكلها[٣] ؟ ألم تطأها قدماك ؟

تعال ؟ وعلّمنى شيئا عن « بيروت » وعن « صيدا » و « سربتا » وأين نهر « نزن[٤] » وما شكل « وس » ، ويقولون إن مدينة أخرى واقعة على البحر اسمها « صور » الميناء ؟ يؤخذ[٥] إليها الماء فى قوارب ، وهى غنية بالسمك لدرجة أنه فيها أكثر من الرمال .

(١٨) [مدن متوعة] سأحدثك عن بؤس آخر — عبر « سرام » ، وإنك ستقول : « إنه يحرق أكثر من لدغة[٦] » وإن حال « الماهر » سيء جدًّا .

تعال وضعنى على الطريق المؤدية إلى الجهة الجنوبية لإقليم « عكا » ، وأين الطريق إلى « اكساف » ؟ بجانب أى مدينة هو ؟

أرجو أن تعلمنى شيئا عن جبل « وسر » وما شكل قمته ؟ وأين جبل « سشم » ؟ ومن الذى سيأخذ . . . . . . ؟ و « الماهر » أين يعمل السياحة إلى « هازور » ؟ وما شكل نهرها ؟

أرشدنى الطريق إلى «حماه» وإلى « دجر » وإلى «دجر إل» ميدان لعب كل « ماهر »

---

(١) بدون أية مساعدة كما هو واضح من الجملة التالية

(٢) من المحتمل أن هذه كانت إشارة للأسف (كامل العدة) يقصد بها التهكم

(٣) إلهة هذه البلدة كانت تمثل عند المصريين بالإلهة « حاتحور » وكانت مبجلة كثيرا عندهم

(٤) نهر فى لبنان يصب فى البحر شمالى صور

(٥) كانت هذه الحال مع سكان صور لأن المدينة تقع على جزيرة صغيرة صخرية ونحن نعلم ذلك من مصادر أخرى

(٦) يظن أن هناك تورية فى الكلمة الكنعانية « الزنابير »

أرجو أن تعلمنى شيئا عن طريقه ، وأرنى « يان » . وإذا كان إنسان مسافرا إلى « إدوم » فأين يُولّى وجهه ؟

فلا تولّ ظهرك عن تعليمنا (؟) وأرشـدنا إلى معرفتها . (أى كل ما ذكرت من الأماكن) .

(١٩) [**المدن الأخرى**] تعال ودعنى أحدثك عن مدن أخرى واقعـة فوقها (؟) (أى التى ذكرت) . ألم تذهب إلى أرض « تخسى[١] » و « كفر مرين » و « تمنت » و « قادش » و « دبر » و « آزى » و « حارنمى » ؟ ألم تر « كراجات أناب » و « بيت صوفر » ؟ ألم تعرف « إدرن » ؟ و « زربت » أيضا ؟ ألم تعرف اسم « خلز » التى فى أرض « وبى » ، كالثور على تخومها ، وهى ميدان مواقع كل المحاربين[٢] ؟

أرجو أن تعلمنى شيئا عن هيئة (؟) « كين » وتعرفنى ما « رهب » فسر لى « بيت — شائيل » ، « كراجات — ئيل » (؟) ; نهر الأردن كيف يعبر ؟ وأرنى كيف يمر الإنسان إلى « مجدو » الواقعة فى أعلاه[٣] إنك « ماهر » حاذق فى ضروب الشجاعة العظيمة ! و « ماهر » مثلك عنده من الصفات (؟) ما يجعله يسير(؟) على رأس الجوع ! إلى الأمام يا « مرين[٤] » لتصطاد ! انظر . يوجد (؟) الـ . . . فى واد عمقه ألفا ذراع مملوء بالحصى والمرو . إنك تلف (؟) وإنك تقبض على القوس ، وإنك . . . . على شمـالك ، وتدع الرؤساء[٥] يرون كل لذيذ لأعينهم حتى تـكل يدك : أبات كو آرى ماهر نام[٦] (إنك تقتل كالأسد ، يأيها الماهر اللطيف) إنك اكتسبت اسم . . . « ماهر » (بين) ضباط مصر . وكذلك أصبح اسمك مثل إسم « كازردى » رئيس « إيسر »[٧] حينما وجده الضبع فى شجرة القار . انظر . إن هناك(؟) مضيقا قد حفه بالمخاطر البدو الذين يكمنون تحت الأشجار ، بعضهم يبلغ أربع أذرع أو خمسا من الأنف إلى أخمص القدم ، وجوههم متوحشة وقلوبهم غليظة ولا يصغون إلى الملاطفة .

---

(١) بلاد تذكر كثيرا كانت واقعة فى الشمال

(٢) مكان واقع على الحدود كثيرا ما قام تنازع عليه

(٣) تقع مجدو شمالى كرمل

(٤) تعبير مشابه لماهر وكثيرا ما يرد ذكرها فى أماكن أخرى

(٥) البربر المحالفون

(٦) تفسيرها هو المحصور بين القوسين . وهى كلمة سريانية ونطقها غير محقق

(٧) يظهر أنه يشير إلى أسطورة كان يعرفها القارىء المصرى

والآن إنك وحيد ولا مساعد لك ولا جيش خلفك ، ولا تجد دليلا (؟) يهديك إلى الطريق لتعبر . وإنك تصر(؟) على السير إلى الأمام ، مع أنك لاتعرف الطريق . فالرعدة تستولى عليك ، وشعر رأسك يقف . روحك توضع فى يدك[١] وطريقك مملوءة بالحصا والمرو ، وليس هناك مسلك معبد للسير لأنه قد كسى بـ . . . الشوك ونبات « نه » ونبات حافر الذئب[٢] . والوادى على أحد جانبيك ، والجبل يشرف على الجانب الآخر . وإنك تسير قدما وتقود(؟) عربتك بجانبك وتخاف أن . . . جوادك . وإذا كبا الجواد فإن يدك[٣] تسقط وتترك خالية (؟) و . . . جلد يسقط . وتنزع سرج الجواد لتصلح اليد التى فى وسط(؟) المر الضيق ، وإنك لست بماهر فى طريقة ربطها ، ولا تعرف كيف تربطها سويا (؟) والـ . . . تسقط من مكانها ، وقد كان الجواد مثقلا جدا لتضيفها إلى حمله . وإنك لسقيم القلب ، وقد بدأت تجد السير على القدم والسماء صافية[٤] (حارة) ، ويخيل إليك أن العدو وراءك ، وحينئذ تأخذك الرعدة . آه ليت لك حجراً . . , حتى يمكنك أن تضعه على الآخر ! والجواد قد أعياه النصب إلى أن تجد مأوى لليل ، عندئذ تعرف طعم الألم . وعندما تدخل « يافا » تجد المراعى نامية خضراء فى أوانها[٥] ، وتشق لنفسك طريقا فى[٦] . . . . وتجد العذراء الرشيقة التى تحرس الكروم فتأخذك لنفسها صاحبا تعطيك لون صدرها[٧] . إلا أنك قد عرفت واعترفت[٨] ! ؛ وقد وضع « الماهر » تحت التجربة فتبيع جلبابك المصنوع من كتان مصر العليا الجيد[٩] . . . . وتنام كل مساء ، وليس لك لباس إلا خرقة (؟) من الصوف ولا حراك بك و . . . قوسك . . . مدية وجعبة سهامك قد سرقت وعنانك قد قطع فى الظلام .

وجوادك قد ذهب و . . . على الأرض التى تزل القدم عليها . والطريق تمتد أمامك . وتحطم عربتك . . . وأسلحتك تسقط على الأرض وتدفن فى الرمل . . . .

---

(١) أى أنت أشبه بالأموات أو نصف ميت (٢) اسم نبات

(٣) أحد أجزاء العربة وذلك مثل كلمات أخرى فى الجملة التالية غير معروفة

(٤) لا سحب فيها

(٥) أى الفصل الذى تكون فيه أبهى ما تكون

(٦) خلال حائط الكروم

(٧) تسلم لك جمالها

(٨) أى تعترف

(٩) معنى هذه الفقرة أن أهالى يافا يسمحون بدفع غرامة من أجل هذه الفعلة الشنعاء

إنك تتكفف : « أعط طعاما (؟) وماءً لأنى وصلت سالما » إلا أنهم يعطونك أذنا صماء ولا يسمعون ، ولا يعبئون بقصصك .

ثم إنك تقصد دكان الحداد والمصنع يلتف حولك ، والحدادون والأساكفة[1] كلهم محيطون بك . ويفعلون كل ما تريد ، ويعتنون بعربتك فتكف عن التراخى[2] . ك . . . قطعت تماما (؟) . . . وضعت فى مكانها ، ويضعون جلدا . . . . . على يدك (جزء من العربة) ويصلحون نير العربة . ويصلحون . . . ، التى نقشت . . . ويعطون . . . سوطك ويضعون له سيورا (؟) ثم تنطلق مسرعا لتحارب فى ميدان الواقعة لتقوم بجليل الأعمال الدالة على الشجاعة[3] .

(٢٠) [محاط الحدود ونهاية الموضوع] أيها السيد الطيب والكاتب المختار و « الماهر » الذى يعرف يده[4] وقائد « النعريين » ورئيس « الزابا »[5] (الجيش) . لقد وصفت لك الممالك الأجنبية إلى أقصى أرض كنعان . ولم تجبنى لا بالحسن ولا بالقبيح ، ولم ترسل إلى أى تقرير . تعال إذن حتى أحدثك بأكثر مما سبق إلى غاية (؟) حصن «ممرات» «حور»[6]

وسأبدؤك ببيت « سسى » (رعمسيس الثانى) ألم يطأها قدمك قط ؟ ، ألم تأكل سمك ماء . . . ؟ ألم تستحم فيها ؟ تعال دعنى أذكرك « بهزن » . أين قلعتها ؟ تعال دعنى أحدثك عن إقليم (بوتو) رعمسيس وعن « بيت — انتصارات » أوسما رع [رعمسيس الثانى) وعن « أسب إيل » وعن « ابسكب » . وسأحدثك عن حال « أنين » ، ألا تعرف قانونها (؟)[7] ؟ ثم « نخسى » و « خبرت » . ألم ترهما منذ ولادتك ؟ يا « ماهر » أين هما . و « رفح »[8] فما شكل جدارها ؟ وكم ميلا تبعد عنها « غزة » ؟ أجب بسرعة !

---

(١) لتصليح الأشياء المصنوعة من الجلد

(٢) يصلحونها . أما ما ذكر بعد من أجزاء العربة فهو لسوء الحظ غير معروف لدينا

(٣) تهكم بالطبع : إن « أمنموبى » قد انتهى تقريبا من رحلته وتعد له العربة ليظهر بها فى مصر بمظهر جميل

(٤) يصيب الهدف جيدا

(٥) كلمة كنعانية بمعنى الجيش

(٦) وهو حصن زارو الواقع عند الحدود المصرية . والأماكن التى ستذكر بعد بعضها محطات فى الصحراء بالقرب من الحدود

(٧) ما معنى ذلك ؟ (٨) جنوبى « غزة »

قدم لى تقريرا حتى يمكننى أن أطلق عليك اسم « ماهر » ويمكننى أن أخبر باسمك للآخرين ، سأقول لهم عنك إنك « مارين » .

وإنك غضبان الآن مما أقوله لك . إنى . . . . قلبك فى كل الحرف . وقد علمنى والدى ماعرفه ، وعلمنى مرات يخطئها العدّ ، وإنى أعرف كيف أقبض على العنان أحسن بكثير مما تعرف . ولا يوجد شجاع يمكنه أن يتفوق علىّ ، وإنى حاذق فى خدمة « مونتو »[1] .

إن كل ما جاء على لسانك مضر جداً و . . . ألفاظك جدًّا ، وإنك وأنت تأتى إلى منغمسا فى الارتباك ومحمّلاً بأغلاطها ، وإنك تقسم الكلمات كالإنسان الذى يندفع غير مبال ، ولا تمل من . . . .

كن قويا ! وإلى الأمام ! أسرع ! هلاّ تنزل من عليائك ؟ . وما معنى أن الإنسان لا يعرف ماقد وصل إليه ؟ . . إنى أتقهقر (؟) انظر . إنى قد وصلت (؟) « أنحن » ، وإذا كان قلبك مثقلاً فإنه هكذا قد ركب . لاتغضبن[2] ! . . .

. . . . لقد قطعت من أجلك آخر رسالتك وأجبتك عما قلته ، وكل أحاديثك كانت مجموعة على لسانى ، وبقيت على شفتى . وإنها لمرتبكة حينما تُسمع ولا يقدر شخص غير متعلم أن يفهمها ، وهى كحديث رجل من الدلتا مع آخر من « الفنتين »[3] . حقا إنك كاتب البابين العظيمين (القصر) ذلكم الرجل الذى يكتب التقارير عن كل حاجات البلاد للملك . وإنها لجيدة حسنة لمن يراها[4] . لا تقولنّ : إنك جعلت اسمى نتنا أمام الآخرين وأمام الكل » . انظر لقد أخبرتك كيف يكون الإنسان « ماهرا » ، وقد اخترقت من أجلك أرض « رتنو » (فلسطين) ووضعت أمامك كل البلاد الأجنبية جمعاء ، والمدن على حسب ترتيبها (؟)

أحن نفسك أمامنا (اخضع) وانظر إليها (البلاد) بهدوء حتى يمكن أن تصبح قادراً على وصفها[5] (فى المستقبل) ، وحتى يمكن أن نعدك . . . ناصحا

---

(١) إله الحرب . وبذلك حفر « أمنموبى » أعمال حورى الحربية

(٢) كن مصادقا

(٣) أسلوبك غير مفهوم تماما لأن الألفنتين يتكلمون بلهجات مختلفة فلا يفهم الواحد منهما الآخر

(٤) ربما كان المعنى ليس من الضرورى فى درجتك العالية أن تكتب بوضوح لأن ما تكتبه يكون حسنا فى أعين كل من يقرؤه

(٥) لا تغضبن بل كن فرحا حينما تتعلم عنى

فهرس الموضوعات

الحكم والتأملات ١٧١

التأملات ٢٨١

الرسائل ٣٣٠

فهرس الأعلام والأماكن .. الخ

هذا فهرس بأسماء الأعلام والبلدان وغيرهما مما جاء ذكره فى هذا الجزء من الكتاب وقد حدث فى بعضها أخطاء مطبعية ، فتلافيناها هنا بوضع الاسم الصحيح فى مكانه وشفعناه بعلامة (*) وكذلك وضعنا النطق المصرى القديم لبعض الألفاظ بين قوسين ليقرن القارئ بين النطق الأفرنجى الحديث ، وبين النطق المصرى القديم ، الذى كتب بحروف ساكنة وحسب .

ونطق الأسماء المصرية التى جاء ذكرها هنا لا يرتكز على أساس لانعدام الحركات فى اللغة المصرية القديمة ، ولذلك تجد كل عالم أثرى ينطق الأسماء والألفاظ حسب تخيله هو ، ولكن النطق العلمى المتفق عليه هو أن تكتب الكلمة بالحروف الهجائية التى تحتوى عليها وحسب .

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ل)

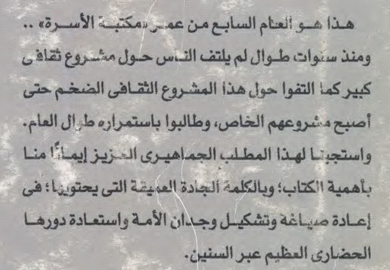
(م)

اختصارات أسماء بعض الكتب

A.Z. = "Zeitschrift für Agyptische Sprache."
J.E.A. = "The Journal of Egyptian Archaeology."
K.P. = "Kahun Papyri." (Griffith.)
L.E.M. = "Late Egyptian Miscellany." (Gardiner)
L.R.L. = "Late Rameside Letters." (Cerny).

رقم الإيداع ١٣٩٣٣ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-01-6907-2





هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» .. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيمانًا منا بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها؛ فى إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى الكتاب مصدرًا هامًا وخالدًا للثقافة فى زمن الإبهارات التكنولوجية المعاصرة.. وها نحن نحتفل ببدء العام السابع من عُمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠) عنوانًا فى أكثر من «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية فى عيونها وعقولها زادًا وتراثًا لايبلى من أجل حياة أفضل لهذه الأمة.. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

سوزان مبارك



